
أَمْرَكَةُ العولمة
في الشرق الأوسط وآسيا الوُسطى
(مثلث الخيرات)
محمد علي سرحان
صفحات
للدراسات و النشر

أمركة العولمة

في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى

(مثلث الخيرات)



أمْرَكَةُ العَوْلَمَة
في الشّرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى
(مُثلّث الخيرات)

مُحمّد علي سرحان





الإصدار الأول 2007 م

الإشراف العام : يزن يعقوب

صفحات للدراسات والنشر

سورية - دمشق - ص.ب : 3397

هاتف : 095 13 22 11 00963

تلفاكس : 013 33 22 11 00963

جوال : 181 418 933 00963

info@darsafahat.com
www.darsafahat.com

الفهرس

الإهداء

إلى روح والـدتي المعطـاءة، والـصّبورة، والتـي حملتنـي وَهْنَـاً عـلى وَهْـن، حاملـة هُمُـوم التَّشرُّد والنكبة..

إلى رُوح الأخ المُناضل الدُّكتُور وليد علي سرحان، الذي حاز دُكتُوراه الدولة الرُّوسيَّة بعُلُـوم المُختبرات الكيماوية والحيوية، والذي كان باحثاً ومُترجماً في مُنظَّمة الصّحَّة العالمية..

رحمهما الله، ورحم شهداء الأُمَّتَيْن العَرَبيَّة والإسلامية.

إلى الإخوة والأصدقاء الذين نذروا أنفسهم وحياتهم للنـضال، والفكـر، والعلـم، والـتراث، والحقيقة، والأدب، والثقافـة الأصـيلة، وهـؤلاء البعيـدين في المهـاجر والقـارَّات الخمس، الطَّيِّبـين والصابرين، الأوفياء لأوطانهم، ولرفع كلمة الحقِّ والعدل في كُلِّ مكان.

إلى الورود اليانعة في القلب وعطر الياسمين، فلذات الرُّوح والكبد، ونُجُومي الساطعة..

أُقدِّم هذا العمل والجهد المتواضع..

مُحمَّد علي سرحان


بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمة

أظهرت التحوُّلات السِّياسيَّة العالمية في نطاق من نظام العَوْلَمَة الأمريكي الجديد انتقادات واسعة لما تشهده العلاقات الدّوليَّة من توتُّر وصراع بين الدُّول المُختلفة؛ للهيمنة على مناطق الخيرات والنُّفُوذ، ضمن سياق نظريات قديمة وجديدة، ويطرح سؤالاً في الأوساط العلمية، ومراكز الأبحاث، حول أسباب فرض الهيمنة الأمريكية على العالم بطُرُق اقتصاديَّة، وطُرُق عسكرية؛ حيثُ تُمثِّل ثقافة الغزو مكانة في الاستراتيجية الأمريكية، بما فيها اقتصاد السوق الحُرَّة.

عند انهيار الاتِّحاد السوفيتي لم يكن الانهيار مفاجئاً أبداً، على اعتبار أن ما لمسناه في دراستنا وأبحاثنا يظهر ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ دور النخبة الحاكمة، والبيروقراطية، وأشكال التعامل الوظيفي والإداري بين الناس، لاسيما إذا ما تتبَّعنا دور اليهود، والحركة الصهيونية، وأنشطتها لتدمير رُوسيا، والاتِّحاد السوفيتي، كقُوَّة عُظْمَى وقفت ـ ردحاً من الزمن ـ ضدَّ الصهيونية العالمية، كحركة فاشية، وعُنصُريَّة.

هذا الكلام ليس فيه تَجَنٍّ، بل فيه الواقعية بحَدِّ ذاتها؛ لأنَّ الشُّعُوب في تلك المناطق فقدت ـ بزوال الاتِّحاد السوفيتي ـ العديد من عناصر وعوامل القُوَّة والتضامن والتآلف الحضاري والعلمي والثقافي فيما بينها، على صعيد داخلي وخارجي،وبالتَّالي؛؛ فقدت نفوذها وعظمتها في العلاقات الدّوليَّة، وذلك لعدَّة أسباب؛ أهمّها هيمنة النخبة الحاكمة على القرارات الحزبية والحُكُومية، ويُذكِّرنا ذلك ما فعله ستالين، وخرتشوف، وغورباتشوف، على التوالي، ودور الأزمة الاقتصاديَّة الداخلية الحادَّة والصراعات السِّياسيَّة والفئوية المُستمرَّة، والمعلنة، إضافة للصراعات الإثنية، وخاصَّة في الشيشان، وبالتَّالي؛؛ دور اليهود والصهيونية بتعاونها مع بريطانيا والولايات المُتَّحدة لتأجيج الأزمات بوجه الشُّعُوب السوفيتيَّة، وبالأخصِّ؛ في آسيا الوُسْطَى، ومنطقة بحر قزوين، ولعبة الأمم، والصراع بينها؛ إذْ لم تستطع واشنطن إزاحة الاتِّحاد السوفيتي ببساطة من أمامها، إلَّا بمساندة اليهود والصهيونية، وبقية أنشطة المؤسَّسات والشَّخصيَّات المُرتبطة بها، إلى أن حصلت المُتغيِّرات العالمية في العالم، وفي رُوسيا وآسيا الوُسْطَى، وانحدرت الدولة السوفيتية، وتشرذمت إلى دُول مستقلَّة، تسعى

نحو تقرير المصير والاستقلال، لكنها ظلّت تربطها بمُوسكُو ورُوسيا البيضاء عوامل مُشتركة مُهمَّة جدَّاً، وبالأخصّ؛ العوامل الاقتصاديَّة والثَّقافيَّة؛ إذْ يبدو للعالم ـ الآن ـ أن هُنالك صراعاً حقيقياً بين (العَرَب و(إسرائيل)) للوُصُول ليس إلى مُوسكُو فحسب، بل وإلى آسيا الوُسْطَى، وضمن الخارطة الجيُوسياسيَّة الرُّوسيَّة، فقد ظلَّ للإسلام دور مُهمّ في حياة الشُّعُوب، إلى جانب الأرثوذكس، علماً أن مؤسِّس المذهب الأرثوزكسي في جُورجيا ورُوسيا سُوري من مدينة أنطاكية (البار يُوحنَّا زنيتازنسكي) القدِّيس السوري، أواخر القرن الخامس الميلادي، وكذلك مُصحف سيدنا عثمان بخطِّ يده موجود ـ أيضاً ـ في مدينة "محجّ قلعة" بمتحف المدينة ـ وقد شاهدتُ المُصحف بعينيَّ ـ أو المباني التَّاريخيَّة والأماكن والأوابد التَّاريخيَّة التي بناها الوليد بن عبد الملك، وغيره، في تلك المناطق الرائعة جدَّاً، والواسعة حُدُود الدنيا كلها، إذاً؛ الإسلام كان ـ ومايزال ـ يمتلك رسالته الإنسانية والحضاريَّة، وهُو ضدَّ الإرهاب وترويع المدنيين، بل مع المقاومة المشروعة.

والكتاب الذي بين يدَي القارئ جهد فكري وسياسي وإعلامي جديد، أقوم به لاهتمامي بتلك المنطقة، وللذكريات الرائعة التي أحملها عنها.

ويتطرَّق الكتاب إلى الطبيعة الجيُوسياسيَّة لآسيا الوُسْطَى، ولأهمية النفط والمواد الأوَّلية والغاز فيها؛ باعتبارها تُمثِّل احتياطياً عالمياً لا يُستهان به؛ إذْ تسعى الدُّول الكُبْرَى (الولايات المُتَّحدة ـ وبريطانيا ـ وألمانيا ـ وفرنسا ـ واليابان) لإعادة نظرية سياسيَّة أطلقها بيريجنسكي حول أهمِّيَّة تقاطع المصالح بين الدُّول الكُبْرَى لاستغلال خيرات آسيا الوُسْطَى ورُوسيا على السواء.

ونتساءل في هذه الصفحات:

أين هي مصلحة العَرَب القومية ومصلحة المؤتمر الاسلامي في آسيا الوُسْطَى، رغم تأكيد مُختلف زعاماتها بأهمِّيَّة علاقاتهم التَّاريخيَّة والثَّقافيَّة والروحية والاقتصاديَّة (طريق الحرير) مع الشُّعُوب والدُّول العَرَبيَّة؟!

فإنَّ حديث الرئيس تركمانستان سفرموراد نيازوف عن الروابط التَّاريخيَّة بين دُول آسيا الوُسْطَى والبلاد العَرَبيَّة مُنْذُ أكثر من 2000عام، له أهمِّيَّته، ودلالاته الخاصَّة، وهُنالك جُذُور تاريخية وصداقة تجمع شُعُوب آسيا مع العَرَب، فقد كانت حلقة وَصْل بينها وبين طريق الحرير باتِّجاه الهند والصِّين، وبماذا نُفسِّر وجود سوريين،"والتمازج الحضاري" في عواصم آسيا الوُسْطَى والسُّكَّان من

الميـدان، وسـوق الحميديـة، والـصالحية، وبالتّـالي؛؛ التوافـق التـاريخي واللغـوي مـع بعـض شُعُوب القفقاس؟!

تنبع أهمِّيَّة آسيا الوُسْطَى ليس ـ فقط ـ من الحقائق الجيُوسياسيَّة، ومكانتها الاستراتيجية بالنسبة لآسيا (الصِّين ورُوسيا والهند)، وإنَّما بالنسبة لأوروبا والـدُّول العَرَبيَّـة، أو بالنـسبة للولايـات المُتَّحـدة، واستراتيجيتها الكونيـة، ويتطـرَّق كتـابي إلى طبيعـة اسـتراتيجية واشـنطن، الـسِّياسيَّة، والاقتـصاديَّة، والأمنية، ومن خلال إحكام السيطرة والهمينة عليها بتحييد العديد من دولها، رغبة منها في وَضْـع يـدها عليها مع الشركات الاستشارية الأمريكية، وإمكانياتها المُتطوِّرة للنُّهُوض ببلادهـا، ولبريطانيـا، وألمانيـا، أدوار مُمَيِّزة ـ أيضاً ـ في تسخير استراتيجيَّتها مُنْذُ عُقُود ماضية في آسيا الوُسْطَى ذاتها.

وأهمِّيَّة هذا الكتاب تكمن ـ الآن ـ بـإطلاع القـارئ، وتزويـد المكتبـة العَرَبيَّـة ومراكـز ودُور الأبحاث، والدراسات، والجامعات، به؛ باعتباره يتضمَّن مجموعة من الآراء، والتحليلات السِّياسيَّة، التي تكشف العديد من الحقائق، مع اهتمام العديد من الدُّول ـ الآن ـ بآسيا الوُسْطَى، وتركيزهـا عـلى تلك المنطقة باعتبارها بؤرة ـ بكُلِّ المعاني الدقيقة ـ للصراع السياسي، والاقتصادي، وتناقض المـصالح بين الدُّول الكُبْرَى، أو لتقاطع مصالحها بين (رُوسيا، وألمانيا، والصِّين)، أو بـين (الولايـات المُتَّحـدة، وبريطانيا، وإيطاليا) ودُول أُخْرَى في العالم.

إضافة لدور اللّـوبي الـصهيوني في رُوسـيا، ومُحاولاتـه تخريـب العلاقـات الرُّوسـيَّة العَرَبيَّـة، أو الآسيوية الوُسْطَى مع الدُّول العَرَبيَّة؛ حيثُ يشهد الدور الرُّوسي تردُّداً بين العَوْلَمَة الأمريكيَّة، وبين المصالح الخاصَّة لروسيا في مُجمل علاقاتها لأسباب داخلية سنأتي على ذِكْرها.

فكيف تخترق العَوْلَمَة أسواق وأسوار الصِّين العظيم بسياسة تطويع العرْق الأصـفر، وإزاحتـه عن طريق الصدام السياسي العالمي، تحقيقاً لنظريات (هنتجتـون) في صـدام الحـضارات، أو في نهايـة تاريخ الشُّعُوب والأمم، ونجاح العَوْلَمَة الأمريكية كبداية لعصر كَـوني أميركـي ليـبرالي مُهـيمن عـلى شُعُوب العالم.

والـسؤال المطـروح في جنـوب شرق آسـيا: لمـاذا تتخـوَّف واشـنطن مـن الـصِّين وكوريـا الديمقراطية، ومن تطوُّر القدرات الاسـتراتيجية لهـا في عـصر العلـم والتكنولوجيـا والاتـصالات، ومحاصرتها للحيلولة دون تطوُّر الصدام معها، وحسب الزميل (بياوجياني) المحلِّـل البـارز لـشؤون

كوريا الديمقراطيـة مـن أكاديميـة العُلُـوم الاجتماعيَّـة والتنميـة الاقتـصاديَّة في بكِّـين: إن الاقتـصاد الكوري لايزال مُغلقاً ومركزياً لأسباب عديدة ناتجة عن ظُرُوف سياسيَّة واقتـصاديَّة؛ أهمّهـا الحـصار الأميركي والغربي المفروض عليه؟!.

لقد نهب الاستعمار القديم والحديث أفريقيا وآسيا بـشكل خطـير جـدَّاً، وظلَّـت شـعوبهما في حالة مـن الفقـر والتخلُّـف في العديـد مـن مجـالات الحيـاة، ورغـم ذلـك؛ يظـلُّ الاسـتعمار بوجهـه التكنولوجي العصري القبيح ينهج نهج الاستعمار القديم نفـسه، بـل هُـو امتـداد حقيقـي للاسـتعمار القديم والحديث في القرنَيْن التاسع عشر والعشرين.

وحينما تقرع الولايات المُتَّحدة طُبُول الحرب، وتستعدُّ لإرسال البـوارج والطـائرات (ب52) إلى أفغانستان والعراق، فإن سياستها هي نفسها أيَّام هنري كيـسنجر وفُـورد في كمبوديـا ولاغـوس، في كمبوديا؛ حيـثُ حُرِثَـت الأرض والقُـرى حرثـاً بالقنابـل التـي يبلـغ عـددها (70) ألـف قنبلـة، استخدمتها طائرات أمريكيَّة كمُحاولة للسيطرة على شُعُوب الهند الصِّينية، وحُبَّاً بالانتقام واستخدام شتَّى أنواع القذائف المُحرَّمة دولياً، وكان كيسنجر صاحب تلك الحُرُوب، ومُحرِّكـاً قراراتهـا، ورغـم ذلك تمَّ تسليمه جائزة نوبل للسلام!!

أمَّا باستخدام القذائف والقنابل بالأطنان ضدَّ الشعب الأفغاني المـسلم والفقـير؛ فإننـا نـدرك ـ بعمق ـ ازدواجية المعايير للولايات المُتَّحدة، وللأمم المُتَّحدة؛ حيثُ يُلاحظ المُحلِّل والكاتب في هذا العالم في بداية القرن الجديد أنَّ هُنالك "حُكُومة خفيَّة عالميَّة" لها نفوذها وتقاليدها ورموزها العالميـة، التي تُكرِّس فيها المواقف والقرارات حـسبما تـشاء الإدارة الأمريكيـة، ولـيس حـسب ميثـاق الأمـم المُتَّحدة، وقراراتها الشرعية.

فتتجاوز الولايات المُتَّحدة وبريطانيا كُلَّ المعايير والأعراف الدّوليَّة بحملاتها العـسكرية ضـدَّ أفغانستان الفقير، تحت حُجَج مكافحة (الإرهاب)، بيـنما لم تُحـرِّك سـاكناً تجـاه الإرهـاب الـصهيوني والسياسة الرسمية للكيان الصهيوني في عهد الإرهابي أرئيل شارون؛ باعتباره مطلوباً للعدالة العَرَبيَّـة والدّوليَّة؛ حيثُ يتساءل الكاتب البريطاني روبرت فيسك في صـحيفة "أندبنـدنت أون صـنداي" في شهر أيلول/ سبتمبر عام 2001م: كيف يمكـن لمحكمـة لاهـاي وجنيـف النظـر إلى مذبحـة صـبرا وشاتيلا بعد الصمت المُدوِّي عليهما؟! أو ماذا تعني حماقة شارون حينما يتحوَّل من إرهابي وعنـصري مُتغطرس إلى مُدافع عن واشنطن ضدَّ ما يُسمَّى الإرهاب الدولي؟! الكاتب البريطاني يقول: (علينـا أنْ

نُمسك ألسنتا حتَّى عندما يعلن شارون صاحب مجازر صبرا وشاتيلا بأن (إسرائيل) ترغب - أيضاً - في الانضمام إلى المعركة ضدَّ (الإرهاب الدولي)، ويُؤكِّد - أيضاً - أن الولايات المُتَّحدة تُنصَب لها الفخاخ، وتنقاد إليها بسهولة، وأنها فشلت في التصرُّف بشرف وباستقلالية وحكمة، والتي أعلنت عنها واشنطن، ولكنَّها ليست حكمة العصر، بل أضغاث أحلام!!

والسيد الباحث والمسؤول الإسباني (رفائيل ديثكايار) له دراسة حيوية في صحيفة (العَرَب اليوم)[1]، تُعدُّ دراسة ذات أهمِّيَّة، ذاكراً أن مَدَّ خطوط النفط والغاز - من دُول آسيا الوُسْطَى إلى رُوسيا أو إلى تركيا (خط جيهان) - يصبح مسألة سياسيَّة بالدرجة الأولى؛ لأنَّ الدُّول المَعنيَّة ستُشرف على أمن وُصُول النفط والغاز، باعتبارهما من أهمِّ مصادر الطاقة لروسيا وأوروبا من بحر قزوين والشرق الأوسط عموماً، والعائدات الربحية التي تجنيها الدُّول من أنابيب النفط، ومن ربحية عالية، وهُو باعتقاده - (رفائيل) - بأنه طريق الحرير، سمَّاه طريق الحرير الأسود، وهذا صحيح تماماً.

أمَّا الولايات المُتَّحدة وتركيا؛ فتُؤيِّدان مدَّ خطوط النفط من باكو إلى (جيهان) حتَّى البحر الأبيض المتوسط، وتفضِّل واشنطن مرور النفط والغاز عبر الأراضي التركية، وليس عبر أراضي إيران، أو رُوسيا، وهُنا؛ يكمُن الخلاف أساساً بين الدُّول المَعنيَّة، ولتركيا، وأذربيجان، عدد من الاتِّفاقيَّات المُوقَّعة لمَدِّ خطوط النفط والغاز عبر جيهان بدَعْم كامل من واشنطن، واحتكاراتها، إلَّا أن تلك الاحتكارات لا تهتمُّ - فقط - بمصادر الطاقة، بل بما هُو أبعد من ذلك بكثير، ولتقاريرها السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة السنوية، دور مُهمّ في صياغة الاستراتيجية الأمريكيَّة؛ إذْ يمرُّ خطُّ الأنابيب المذكور عبر جُورجيا، ومناطق الأكراد في تركيا، ومناطق قريبة من ناغورني كاراباخ الأرمينية، وكان لكازخستان دور مُهمٌّ - أيضاً - في مَدِّ أنابيب النفط عبر قزوين حتَّى مدينة باكو، ويصل منها إلى ميناء (جيهان) نفسه بما يضع تركمانستان على مَحَكِّ العملية نفسها، ويُشجِّعها للانتساب للمجموعة، باعتبارها تمتلك أكبر احتياطي غاز في العالم، وتعمل مُوسكُو - أيضاً - للاستفادة من موارد الطاقة في البلدان المذكورة عبر خطِّ أنابيب (نُوفي سيرسسك).

يُلاحَظ ممَّا تقدَّم أن هُنالك نشاطاً غير عادي في آسيا الوُسْطَى خلال العقد الأخير من القرن العشرين، أو في بداية القرن الحادي والعشرين، ولاسيما بعد أحداث أيلول / **2001**/ والقرن الحالي

---

(1) صحيفة العَرَب اليوم، **28/ 10/ 2001**.

باتِّجاه الاهتمام بتلك المنطقة؛ إذْ هُنالك استراتيجيات أصيلة تتشارك في المصالح فيما بينها، وهذا أمر طبيعي، وهُنالك استراتيجيات دخيلة على آسيا الوُسْطَى تفرض نفسها بالقُوَّة، وهذا أمر غير طبيعي.

في كتابنا هذا سنجد دلالات مُهمَّة على ما نرمي إليه، وفي خضمِّ كلِّ تلك الاستراتيجيات والأحداث، أَمَا آن الأوان للعرب وجامعة الدُّول العَرَبيَّة، أو البلدان العَرَبيَّة والإسلامية، منفردة أو مُجتمعة، الاهتمام بآسيا الوُسْطَى اهتماماً يُركِّز على استثمار أموال العَرَب والمسلمين في بلاد تُشكِّل - بالنسبة لهم - الحديقة الخلفية لمصالحهم، وتُراثهم، وثقافتهم؟!

رُبَّما سيكون هذا الكتاب رُؤية تُسلِّط الضوء على منطقة حيوية ومُهمَّة جدَّاً في منطقة بحر قزوين، والقوقاز، وآسيا الوُسْطَى، ولعلَّه يُلقى الاستحسان والاهتمام، ويُعبِّر عن رؤية موضوعية فعلاً، ومدخلاً لفَهْم الأوضاع المُتعدِّدة في تلك المنطقة المُهمَّة.

القسم الأوَّل

طبيعة الاستراتيجية الأمريكية في آسيا والشرق الأوسط

أوَّلاً: خُطَّة الدفاع الاستراتيجي الأميركي تُعيد إحياء الحرب الباردة

(سياسة هدفها السيطرة على العالم حتَّى العام 2015)

استطاع العديد من المُنظَّمات والحركات والهيئات الدّوليَّة المناهضة للحرب وسباق التسلُّح العالمي في مُختلف أنحاء العالم إصدار وثيقة سياسيَّة عالمية في مؤتمر الحوار السِّلْمي الدولي (فارنا) 1984، و(هانوفر) 1985، سُمِّيَتْ بمبادرات السِّلْم والحوار الدولي (مبادرة كريفيلد)؛ حيثُ شارك في اجتماعات تلك الفاعليات أكثر من (600) عالم، ومُفكِّر، وسياسي، ووزير، وكاهن، ورجل دين، وليبرالي، وراديكالي، ويساري، ومندوبين من مُختلف القارَّات في العالم من الولايات المُتَّحدة، وكَنَدَا، وأُستراليا، واليابان، والهند، والصِّين، وباكستان، وكوبا، وغواتيمالا، ونيكاراغوا، ودُول أُخْرَى، ومن الدُّول العَرَبيَّة، وأيَّدوا في ختام أعمالهم (حوار السِّلْم ورسالة علماء الطبيعة والبيئة الألمان والأميركان)، وأهمّ ما طالبوا به:

أ ـ دعوة الولايات المُتَّحدة وأوروبا الغربية ورُوسيا للالتزام باتِّفاقيَّات أساسية لمراقبة الأسلحة الصاروخية العابرة للقارَّات، وخُصُوصاً؛ الحاملة للرؤوس النووية، ووضع حَدٍّ لانتشارها في الفضاء، أو على الأرض.

ب ـ دعوة ألمانيا للتخلِّي عن المشاركة في الأبحاث العلمية، أو الحربية الخاصَّة بأسلحة الفضاء، أو تصميمها، أو تجاربها، أو نشرها.

ج ـ عدم استخدام سُمعة (ألمانيا الاتِّحادية)، أو بحدودها الطبيعية (المُوحَّدة)، ودعوتها بعدم الالتزام ببرنامج أوروبي، أو أميركي، لعسكرة الفضاء الكوني، ودعوة العلماء في أميركا لهذا الهدف، والدفاع عنه، وحديث (لاينوس بولينغ) الحائز على جائزة (نوبل) للسلام باستخدام العُلُوم الكيميائية للسِّلْم فقط؛ مُنتقداً (برنامج حرب النُّجُوم)، أو مبادرة (ريغان للدفاع الاستراتيجي).

وأكَّد العديد من الشَّخصيَّات العالمية المرموقة ـ والتي لها تأثير في بلدانها ـ أن التخطيط لمشروع (درع الفضاء) سيحمل الفناء لأصحابه أوَّلاً، مُؤكِّدين أن حادثة تشرنوبيل وتشالنجر مادَّة غنية لمعارضة عَسْكَرة الفضاء الخارجي ثانياً، فالعالم كلّه يعارض سباق التسلُّح في الأرض ونفقاته الخيالية، فكيف يتمُّ ذلك في سمائنا ثالثاً؟!

الآن؛ بعد مضي (15) عامًا على إعلان (مبادرة كريفيلد) في (هانوفر أو فارنا) كيف يأمل بعض وزراء الدفاع الموسومين بالذكاء والانضباط الصارم، إضافة لزعماء الدُّول الكُبْرَى بالوقوف أمام مبادرة الدفاع الاستراتيجي (حرب النُّجُوم)[1]؟ وينصح إدارة جورج بوش الابن بعدم الاستعجال والمجازفة، أو التسرع بإعادة إحياء الحرب الباردة من جديد على سطح العلاقات الدّوليَّة بين الدُّول التي تمتلك الصواريخ العابرة، ويحذو بعضها ـ أو جميعها ـ للانخراط في صرف مئات المليارات لعسكرة الفضاء، بعد إرهاق الأرض وشعوبها بالحروب، وصرف أكثر من 10 تريليون دولار (التريليون ألف مليون دولار)، والحرب مُنْذُ أعوام (1915-1917) الحرب العالمية الأولى والحرب في أعوام (1940 ـ 1945) الحرب العالمية الثانية، هي حُرُوب كونية مُدمِّرة وخطيرة، إضافة لحُرُوب (1953 ــ 1991) إقليمية مُتفرِّقة، صُرف عليها مليارات الدولارات، بما فيها أحداث بيرل هاربر، وهيروشيما، وناغازكي، حتَّى حرب الخليج الأولى والثانية، والبوسنة والهرسك، والحرب على فيتنام، وعلى أفغانستان، والعراق!! وذلك لما تؤدِّي تلك السياسات العسكرية من انعكاسات خطيرة على مستقبل العلاقات الدّوليَّة والإقليمية، لاسيما أن القرار الخاص بتطوير نظام الدرع الصاروخية ـ الذي أسَّس له الرئيس ريغان والمعروف ببرنامج (حرب النُّجُوم) الناتج من التخوُّف والرعب والقلق الأميركي على الأمن والدفاع الداخلي الأمريكي ـ تُصوِّره أفلام هوليودية، كاحتمال الغزو من الفضاء، والبحر، بصواريخ عابرة، يستخدمها أعداء الولايات المُتَّحدة، لكنَّ الشيء الغريب واللافت للانتباه؛ أن التقرير الأهمّ الصادر في الولايات المُتَّحدة نفسها ((تقرير الـ CIA الأخير 2001م))، الذي يُؤكِّد سيطرة واشنطن على العالم حتَّى العام (2015)، ويُظهر مقدار الخوف والقلق من مُحاولات امتلاك الصِّين، وكوريا، وباكستان، والهند، وإيران، والعراق، ورُبَّما، "مجموعة بن لادن" العالمية، لصواريخ عابرة تُهدِّد سلامة الشعب الأميركي وأراضيه على مسافة تتجاوز الـ 16 ألف كم، لكنْ؛ إلى أيِّ حدٍّ تتجرَّد العقيدة العسكرية الأمريكيَّة، وتُطلق خيالها

---

(1) انظر بهذا الصدد صحيفة تشرين 14/ 2/ 2001 المُؤلِّف، الإخفاقات السِّياسيَّة.

الواسع العلمي والحربي لحماية القسم الغربي من العالم وأصدقاءها في كلّ مكان، من احتمالات غير مُبرَّرة بغزو بحري أو فضائي، بينما تُنهِك بسياساتها الدّوليّة دُول وشُعُوب آسيا كلّها؛ بما فيها آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط[1]؟!.

لقد زعم مُفكِّرون كبار في العالم مثل هنتغتون، وفوكاياما، وكيسنجر، وبيريجنسكي؛ أن أميركا تقود العالم بنظام ليبرالي أبدي، دون وجود أيّ منافسات عالمية تُذكر فعلياً. إذاً؛ مِمَّ القلق والخوف؟! هل سيقوم كميكازي صيني، أو كوري، أو إيراني، أو عراقي، بركوب صاروخ، ويحطّ به في أميركا؟! رُبَّما كانت الأعمال الإرهابية الفردية ـ أو الجماعية ـ في بعض الأماكن السبب المُؤثِّر للقلق!!

أمَّا التشاور الأميركي مع الحُلفاء ـ وخُصُوصاً كَنَدَا وأُستراليا ـ؛ له دلالته الخاصَّة المُؤثِّرة في توجيهات حاكم البيت الأبيض، الذي يبدو أنه قليل الخبرة، إنَّما عودة بول وولفوتيز إلى تولِّي منصب نائب وزير الدفاع الأميركي وهُو (نائب رامسفيلد) باعتباره أحد عمالقة مُشجِّعي المشروع، وهُو العميد الحالي المسؤول لكُلِّيَّة ((بول نيتز)) للدراسات الاستراتيجية الدّوليَّة المُتقدِّمة والعليا في جامعة (جون هوبكينز) المسؤول السابق عن الشؤون السِّياسيَّة والإدارية التعبوية لوزير الدفاع (تشيني) في حُكُومة جورج بوش (الأب)، وهذا يعني إعادة صياغة جديدة لعقيدة حرب النُّجُوم، ومخطَّطاتها الاستراتيجية، على أنَّ موادها السِّياسيَّة التعبوية العسكرية ستكون محوراً جديداً، يتضمَّن مراجعة شاملة لأوضاع الجيش والقُوَّات المُسلَّحة الأمريكيَّة في العالم كُلِّه؛ خاصَّة العقيدة ((الهجومية الدفاعية)) على اعتبار أن خطر الصواريخ العابرة للقارَّات هُو هاجس مُتجدِّد للإدارة الأمريكيَّة، ومصدر التهديد الاستراتيجي لها، الأمر الذي يُفسِّر اهتمام وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد بإحياء خُطط ومبادرة الدفاع الاستراتيجي حرب (الفضاء) المثيرة للجدل عالمياً، رغم اتِّفاقيَّات (سالت وستارت) بأرقامها المُتعدِّدة، التي تعتبرها واشنطن ـ الآن ـ بأنها اتِّفاقيَّات هرمت و(شاخت)، ولم يعد لها أيُّ ضرورة، ولابُدَّ من تجاوزها! من اتِّفاقيَّات، لا مع رُوسيا، ولا مع الصِّين فحسب، بل مع رُوسيا وإدارة بوتين الحالية، التي حذَّرت واشنطن بأن هذا العمل سيعرِّض أنظمة الاستقرار والتوازن الاستراتيجي الدولي للخطر[2].

---

(1) العَوْلَمَة الأمريكية تجتاح أسوار الصِّين 13/ 2/ 2001/ الكفاح العربي/ المُؤلِّف.

(2) انظر الحوادث 21/ 12/ 2001/ ص 16 ـ 17.ألف صاروخ أمريكي على 300 هدف عراقي، المعارضة الكردية ـ الشيعيَّة تزحف لبغداد.

الموضوع برُمَّته يساعد على إعادة "الحرب الباردة" وسط سباق تسلُّح نووي شامل، بين دُول تمتلك القدرات الكافية لنقله إلى الفضاء، ورغـم ملاحظـات وتحـذيرات وزيـر الخارجيـة الأميركـي (كولن باول) ومُساعدة الرئيس لـشؤون الأمـن القـومي الأميركـي (ك.رايـس) ونـصائحهما بعـدم الاستعجال بتبرير المخاوف الأمريكيَّة بأخطاء أمريكيَّة قد تُشكِّل ـ في لحظة مـا ـ خطـراً حقيقيـاً عـلى أميركا والعالم، إلَّا أن الواضح أن الاندفاع الأميركي يرتكز على مخاوف، نذكر منها:

1 ـ ملاحظات واشنطن للقدرات العسكرية الصِّينية والكورية المُنظَّمة تنظـيماً لا يُـستهان بـه، وتتخوَّف واشنطن من امتلاكهما للصواريخ العابرة للقارَّات، ولعلَّ التجربة الكورية بإطلاق صـاروخ عابر إلى شواطئ اليابان، قد أنذر ـ بشكل ـ مُبكِّر العقليةَ الأمريكيَّة بقدرات الصِّين وكوريا الدفاعيـة والهجوميـة؛ إذْ تمتلـك الـصِّين (المـوادّ النتروجينيـة)، التـي تعتـبر أسرع مـن (الـذرَّة) بعـشرات الأضعاف؟!.

2 ـ ردود الفعل الرُّوسيَّة المُتوقَّعة من إعلان رامسفيلد لإعادة فتح أجواء الحرب البـاردة عـبر إحياء مبادرة الدفاع الاستراتيجي، والمنظومة القومية المُضادَّة للصواريخ؛ إذْ تنصح رُوسـيا الولايـات المُتَّحدة بعدم اختراق المعاهدات المُوقَّعة بهذا الشأن في سالت أو سالت2 وستارت أيضاً.

3 ـ ما أعلن عنه أخيراً (جورج تينيت) مدير وكالة (السي أي إيه) بأن منظَّمة القاعدة العالميـة تُهدِّد الوجود الأميركي أينما كان، جاء إعلانه في التقويم السنوي **2001**م، حـول طبيعـة التهديـدات التي تواجه واشنطن في السنوات المقبلة، ولَمَّح بأن محاربة الإرهاب الدولي ضرورية، لكنها تظلُّ مسألة صعبة للغاية.

التخوُّف الأميركي يرتكز ـ هُنا ـ على أن مجموعات عالمية لها اليد الطـولى تعمـل عـلى تطـوير إمكاناتها العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية، وتجترح بدائل تنفيذ خُطط هجومية ودقيقـة في مـسعاها للتمويه عن إمكانية كشف أيِّ عملية جديـدة لهـا، والتخـوُّف يتجـدَّد في أن تمتلـك تلـك الجماعـات (مُتعدِّدة الاتِّجاهات) أسـلحة وإمكانـات حربيـة، وأدوات (إرهابيـة دوليـة)، وتقنيـات الـصواريخ الباليستية العابرة للقارَّات؛ بما يُهدِّد الأمن القومي، والدفاعي الأميركي، ومنظوماتها المُتعـدِّدة. ورُبَّـما تُهدِّد ـ أيضاً ـ دولاً أوروبية وعربية أيضاً.

4 ـ ولعلَّ ما تتخوَّف منه واشنطن أيضاً، وتسعى من خلاله لإعادة دراساتها في بداية القرن الحادي والعشرين أنْ تنهض كُلٌّ من (إيران والعراق) بشكل مُنفرد ـ أو مُشترك ـ بتشجيع من رُوسيا والصِّين بإعادة إحياء برامج عسكرية، وتطوير شبكة صواريخ عابرة للقارَّات، تطال الولايات المُتَّحدة، أو (إسرائيل)، أو دولاً أوروبية، والناتو.

تتصرَّف الولايات المُتَّحدة كدولة عُظْمَى، ولها تأثيرها الواسع في مُختلف بقاع العالم، وقُدِّرت ميزانيتها العسكرية أكثر من (310) مليارات دولار، وهي أضخم ميزانية للدفاع في العالم، وتراقب عبر جميع الوسائل العملية والتقنية كُلَّ مَنْ يُهدِّد مصالحها، ولعلَّ ما نشرته ((لوموند دور نسينيومان)) الفرنسية المُتخصِّصة بالمعلومات الإخبارية الخاصَّة بأن الولايات المُتَّحدة وفرنسا تتعاونان في مجال التَّنصُّت، وشبكة التَّنصُّت العالمي عبر حزمة التَّنصُّت وشبكة (أيشيلون)[1]، وأن خبرات سابقة في الحرب الباردة أُدمجت مع حِزَم وشبكات جديدة مُتطوِّرة، هدفها عمليات الرصد والاستخبار العالمي، وتوضيح برامج تقنية ومعلوماتية للتحليل المُركَّز على علم الدلالة والتحليل؛ لتسهيل الاتصالات السريعة جدَّاً عبر الأقمار الصناعية، التي تُغطِّي القارات الخمس والبحار والمحيطات والقواعد الأرضية، التي تُحلِّل وترصد يومياً ملايين المُعطيات الهاتفية والرسائل الخاصَّة من الفاكس والبريد الالكتروني، ورُبَّما حركة السيارات التقنيَّة المُجهَّزة بأحدث الأجهزة العصرية، فتعمل على مراقبة كل شيء عن كثب بتقنية عالية جدَّاً، وعبر الأقمار الصناعية بما يخدم مصالح الدُّول الصناعية الكُبْرَى.

كذلك تسيطر عليها عبر شبكة (أوكوسا) في آسيا الوُسْطَى، التي استُحدثت أخيراً، والتي أمكنها اختراق كل شيء في السهول والجبال، باتِّجاه الهدف المُحدَّد، إضافة لاعتبار أن (إيشيلون) مُرتبطة بمراكز أرضية وفضائية إلكترونية هي الأحدث في العالم.

أمَّا لقاء رامسفيلد بالجنرال ((رونالد قاديش)) قائد سلاح الطيران ثلاث مرَّات، في غضون أقلّ من شهرَيْن بهدف إعداد دراسة سريعة لتمويل مشروعه الجديد بآفاق جديدة وتعليمات غير مسبوقة، شكَّلت هدفاً تكتيكياً، رغم أن هُناك مَنْ ينصح جورج بوش الابن بعدم زيادة ميزانية الدفاع، حتَّى يتم

---

(1) انظر بهذا الصدد / المشاهد السياسي ـ العدد 179 ـ السنة الخامسة 15/ 21/ august/ ص 10 ـ 11 ـ 12 ـ 14 ـ 15، مَنْ يحفظ التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط/ هشام الديوان.

إعداد دراسة شاملة حتَّى عام 2005، وكان معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن[1] قد أصدر تقريراً خاصًّاً عن ميزانيات الحرب والإنفاق على التسلُّح، مُؤكِّداً أن تكاليف سباق التسلُّح ماتزال في الولايات المُتَّحدة أكثر من غيرها، لاسيما أنها دعمت (إسرائيل) بمنظومة صواريخ مُتطوِّرة هتز رَقْم (2)، وآرو رَقْم (2)، على أساس أنهما يُشكِّلان خطَّ دفاع رئيسيَّاً مُخصَّصاً لاعتراض الصواريخ الباليستية خلال مراحل تحليقها الأُولى، وتصل سرعتها إلى (6) أضعاف سُرعة الصوت (6- ماك).

أمَّا وزارة الدفاع الأمريكيَّة؛ فقد لعبت الدور الأهمَّ في تطوير نظام باتريوت رَقْم (3)، بهدف تقوية الدفاعات الإسرائيلية تحسُّباً لهُجُومات عربية مُحتمَلة عليها، والهدف منها إبقاؤها مُتفوِّقة في منطقة الشرق الأوسط، وتحصين ترسانتها العسكرية أكثر، فأكثر[2].

ومن المعروف أن نفقات التسلُّح في الشرق الأوسط ارتفعت عام 1997 من 56 مليار دولار مقابل 54 مليار دولار عام 1996، وعلى أن الحرب العالمية الثانية كانت نفقاتها بأسعار اليوم 4000 مليار دولار، والحرب الكورية عام 1950 كلَّفت 340 مليار دولار، وأُنفق على الحرب الفيتنامية 720 مليار دولار، وعلى الحرب الإيرانية ـ العراقية 150 مليار دولار، وعلى حرب الخليج الثانية 120 ملياراً، ويُؤكِّد معهد الدراسات الاستراتيجي في لندن[3] أن عملية الإنفاق على التسلُّح تتزايد باستمرار، وتُؤثِّر ـ بشكل رهيب ـ في التنمية الاقتصاديَّة — الاجتماعيَّة للشُّعُوب في الدُّول المتقدِّمة صناعياً، أو في الدُّول النامية، وبكُلِّ الأحوال؛ سنجد أن مشروع رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي يحمل مهامَّاً مُحدَّدة، ترتكز على ردع أيِّ صواريخ مُضادَّة، أو أيِّ خُطط حربية مُعادية عبر أحزمة شُعاعية، أو صواريخ نووية عابرة للقارَّات، تُدمِّر الهدف التابع للخصم، بمُساعداة رادارات عملاقة وأقمار صناعية، بتكاليف تتجاوز المعقول، ويظهر هُنا أن مخاوف واشنطن كثيرة وكبيرة في عالم تعتقد أنها سوف تسيطر عليه حتَّى عام 2015 فقط.

---

(1) الصياد، 20ديسمبر/ كانون الأوَّل، 2002، ص 48 ـ 49، وص 51 ـ 52 ـ 53، رامسفيلد والسيناريو الأمريكي في الشرق الأوسط، الحرب الأمريكية ضدَّ العراق، جولات تفتيش مُتكرِّرة لم تُثبت ـ حتَّى اليوم ـ وجود أسلحة دمار شامل!!

(2) انظر بهذا الصدد/ بيرغالو، حرب المئة ثانية، الولايات المُتَّحدة وحرب النُّجُوم، تر: جبرائيل بيكار، مركز الدراسات العسكرية، 1986، ص113.

(3) أوروبا والعَرَب/ العدد186،تشرين الثاني/ نوفمبر،2001، الاعتداءات على واشنطن، 11 أيلول/ سبتمبر، ص 72، د. جمال زهران.

ثانياً: قراءة في الإخفاقات المُتكرِّرة لسياسة الولايات المُتَّحدة

(الصراع في المنطقة يحتلُّ موقعاً مُتقدِّماً في سُلَّم أولويَّات الإدارات الأمريكيَّة)

عند انتهاء الساعات الأخيرة لأُفُول نجم الرئيس الأميركي بيل كلينتون، وصُعُود نجم الرئيس الأميركي جورج بوش الابن، جاء العديد من النصائح السِّياسيَّة هذه المرَّة من (هنري كيسنجر) مُهندس اتِّفاقيَّات كامب ديفيد، إضافة لرأي مُستشار وزارة الخارجية الأمريكيَّة (جون أسبيزيتو)، وهُنالك تركة صعبة من الفشل الذي لاقته إدارة الديمقراطي كلينتون خلال العقد الأخير من القرن العشرين، والتأكيد بأن هُنالك فرصة سانحة لإعادة صياغة جديدة لمُستحقَّات عملية السلام في المنطقة العَرَبيَّة، ومناطق أُخرَى من آسيا بما يخدم المصالح القومية الأمريكيَّة، ويأخذ بالاعتبار الموازين الدّوليَّة وتطوُّراتها، وليس مصالح (إسرائيل) فقط؛ لأنَّ الصراع العربي- الصهيوني يحتلُّ موقعاً مُهمّاً في سُلَّم أولويَّات الإدارات الأمريكيَّة المُتعاقبة، أكان ذلك تجاه الخليج العربي، أم تجاه العراق وإيران، أم تجاه آسيا الوُسْطَى، أم في إعادة الفَهْم الأشمل للسياسة الخارجية الأمريكيَّة لطبيعة المنطقة العَرَبيَّة والإسلامية، وإن كانت إدارة بوش قد استبعدت - إلى حَدٍّ ما - مُؤثِّرات "اللوبي الصهيوني" المُباشر على البيت الأبيض، والإدارة ذاتها في البداية، إلَّا أنها كرَّست أسلوب أُولبرايت لمُعاقبة الشعب العراقي؛ وإبقاء الحصار مفروضاً عليه، في أوَّل خطاب غير رسمي له[1].

ويمكننا - عند دراسة الإخفاقات الأمريكيَّة السِّياسيَّة والأمنية في عهد بيل كلينتون صاحب فضيحة ((مونيكا – غيت)) - تحديد بواطن الضعف في تلك السياسة، والتي تجسَّدت - بشكل ملحوظ - في عملية إدارة مُباحثات ومُفاوضات غير مُجدية، طوال السنوات العشر الماضية مُنْذُ مدريد (1991) حتَّى نهاية الولاية الثانية للحزب الديمقراطي في الرئاسة الأميريكية 2000، والمبادرات المُوجَّهة في المنطقة بين حُكَّام (إسرائيل) والسلطة الفلسطينية، والتهرُّب من تطبيق اتِّفاقيَّات وعُهُود من قبَل حُكُومَتَيْ نتنياهو (الليكود)، أو من قبَل باراك (العمل)، ورغم أن الدور الذي قامت به واشنطن غير نزيه في (الأرض مقابل السلام)، أو بمرجعية (مدريد)، أو (قرارات الأمم المُتَّحدة) و(الجمعية العمومية ومجلس الأمن)، إلَّا أنها أصرَّت على ممارسة الخداع والتضليل والكيل بمكيالَيْن

---

(1) انظر بهذا الصدد/ مجلَّة الصياد/ العدد27، 2860 آب/ أغسطس، 1999، موقف أُولبرايت من أوضاع المنطقة.

تجاه المنطقة، رغم وضوح صورة العسف والإرهاب والقتل التي مارستها حُكُومة باراك وجيشها وأجهزتها الأمنية ضدَّ الشعب الفلسطيني طيلة ثلاثة الشُّهُور الأخيرة من حُكْمه[1].

فالرئيس الأميركي فشل في مباحثاته في واشنطن، كما فشل في كامب ديفيد رَقْم (2)، وانسحب فشله حتَّى في قمَّة شرم الشيخ في إجبار باراك وحُكُومته على وقف حملة الإرهاب والقتل والحصار المفروض على المُدُن والقُرى في الضفَّة والقطاع، والأسوأ من ذلك أن وزيرة الخارجية الأمريكيَّة ضلَّلت الرأي العامّ الأميركي والعالمي، وأجهضت أيَّ دور أميركي نزيه، لا، بل وسوَّت بين الضحيَّة والجلَّاد؛ حينما كانت تُصرِّح بوقف دورة العنف في الأراضي الفلسطينية، باستخدام المبعوث الأميركي الصهيوني "دنيس روس" لإملاء الشُّرُوط الإسرائيلية على المفاوض الفلسطيني[2]، وأخطرها مُحاولة شطب القرار الدولي (194) المُتعلِّق بحُقُوق اللاجئين الفلسطينيين؛ والمُتعلِّق بحقّ العودة ومفاعيله، وتسوية وضع القُدْس، ليس على أساس أنها عاصمة لدولة فلسطينية، بل كمنطقة مُشتركة "إسرائيلية ـ فلسطينية"، والقبول بشرعية الاحتلال، ودعم مُسوّغاته الأمنية الأساسية. وتتعارض ـ بشكل صارخ ـ مع المُقترحات الأمريكيَّة، وخُصُوصاً مُقترحات الرُّبع ساعة الأخيرة في كامب ديفيد(2) ومُقترحات ((بيل كلينتون))، مع المُقترحات الفلسطينية والعَرَبيَّة، التي أكَّدت ـ بما لا يدع مجالاً للشَّكِّ ـ إخفاق إدارته للحظات الأخيرة في الالتزام بعملية السلام، وقرارات الشرعية الدّوليَّة ومرجعية مدريد، والانسحاب الإسرائيلي إلى حُدُود الرابع من حزيران/ يونيو 1967 من الجولان، أو الضفَّة الغربية، وعدم التعامل مع استحقاق السلام بشكل لائق، حرصاً على مصالح الحليف الاستراتيجي، وضماناً لأمنه أوَّلاً؟!.

فأهداف الولايات المُتَّحدة و(إسرائيل) مُشتركة في فرض الاستسلام والذل والخنوع على الفلسطينيين والعَرَب، بدلاً من عملية سلام عادلة وشاملة وقائمة على أسس العدل والحق الشرعي، بما حفلت به صفحات قرارات الأمم المُتَّحدة طيلة عشرات السنين من قرارات وقوانين دولية، ولم نجد كوفي عنان ـ من كل ذلك ـ سوى لاعب مُتهالك في ملعب واشنطن و(إسرائيل)، لا يُقدِّم، ولا يُؤخِّر، وظهر بمظهر مندوب عن الخارجية الأميريكية، وليس كأمين عامّ للأمم المُتَّحدة، له وزنه المُستقلّ[3]!

---

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) صحيفة السفير، 20 آب/ أغسطس، 2001، ص 21، المُؤلِّف حول دور الأمم المُتَّحدة وكوفي عنان.

وتعدَّدت إخفاقات السياسة الخارجية الأمريكيَّة التي انتقدها هنري كيسنجر السياسي المُخضرم؛ مُؤكِّداً أن إدارة بيل كلينتون ضلَّلت نفسها، ولم تدرك بأنه لا يمكن لأيٍّ طرف إلحاق الهزيمة بالطرف الآخر في العملية الجارية، لأنَّ (إسرائيل) قوية عسكرياً، وكذلك الجانب الفلسطيني قوي سياسياً، ومفارقات السلام عند كيسنجر كسياسي مُتنفِّذ، وله معرفة عميقة بالمنطقة وسياسة الولايات المُتَّحدة، فقد أكَّد: "أن باراك انتهج ((سياسة التدمير الذاتي))، وأنَّ على الإدارة الأمريكيَّة الجديدة إعادة صياغة هدف ووجهة المقاربة الجديدة للتعايش"، ويجب ((ألا تخضع للضغوطات الدّوليَّة، وألا تتورَّط بتفصيلات المفاوضات، وفرض نتائج من خلال التأثير في السياسة الداخلية الإسرائيلية))، من هُنا؛ وإن كان تحليل كيسنجر يركن إلى التأمُّل والتفكير الجدِّي بعملية السلام، فإن ذلك يعتبر تصوُّراً خاصَّاً به، وليس بمُسوّغات السلام الفعلية.

فتصوُّرات كيسنجر تفرضها المصالح القومية الأمريكيَّة، التي نتوقَّع ألا تكون حيادية، وألا تلتزم الشرعية والقرارات الدّوليَّة المتعلِّقة بالصراع في المنطقة أو الحوار المتكافئ على أقلّ تقديراً هذا؛ على جانب المنطقة، لكن طبيعة السياسة الخارجية الأمريكيَّة الكونية رسمت خيوطاً جديدة في الدوائر المُتعدِّدة، أكان في عهد كلينتون، أم جورج بوش الأب، وإن كان الفرق بينهما ضئيلاً؛ إذْ تابعت الولايات المُتَّحدة سياسة الهيمنة والمعايير المزدوجة، وأظهرت غاياتها وأسلوبها بإدارة مواقفها في بقاع مُختلفة في أنحاء العالم، خُصُوصاً دورها في تأجيج العداء للإسلام، وتناغمها مع التطرُّف الاسلامي لبعض الحركات المُعادية لها، مع فارق أنهما كانا صديقين سابقاً، أكان ذلك ضدَّ العراق، أم ضدَّ لبنان وسورية، وتهديدها للسودان وليبيا مُباشرة، وتفاعلاتها المثيرة[1]، كانت إدارة كلينتون تستغلُّ مراكز الأبحاث والدراسات الاستراتيجية الأمريكيَّة في صياغة الأكاذيب والأضاليل عن الإسلام والقومية العَرَبيَّة، لتعيد للأذهان بأن سياستها الخارجية - بخُطُوطها العريضة — هي نفسها سياسة العداء للشخصيات والأنظمة الوطنية التي لا تروق لها، وتعتبرها ((ديكتاتورية))، وتتناسى بأنها تدعم النظام العُنصُري الاستيطاني في (إسرائيل) بتحالفات استراتيجية، وبمُساعدات لم يتلقَّ أيُّ نظام في العالم مثيلاً لها، إلَّا أنَّ فشل قضية المسارات السلمية واستمرار الصراع العربي الصهيوني، واندحار جيش الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان تحت ضربات المقاومة اللبنانية،

---

(1) انظر بهذا الصدد مجلَّة الدراسات الإعلامية/ المركز الإقليمي، حزيران/ يونيو، **2001**، ص**125**/ **141**، حول الدور العُنصُري الإسرائيلي وعدم التزامها بقرارات الشرعية الدّوليَّة.

وإبقاء مزارع شبعا مُحتلَّة، هدف كُلّ ذلك إلى إعادة التحكم بمصير المنطقة بإبقاء البؤر المُتوتِّرة في لبنان، وشمال العراق، وجنوب السودان، ومناطق أُخْرَى.

نعيد للأذهان التصرُّفات الخطرة للقُوَّات الأمريكيَّة وطائراتها بضرب مجمع للأغذية في ليبيا، وقصف مصنع للأدوية الطبِّيَّة في السودان، تحت حُججٍ وَهْميَّة بأنها مصانع كيميائية تابعة (لابن لادن)، ذلك الشخص المُلتحي النحيل، الذي تحوَّل ـ بين ليلة وضحاها ـ إلى كابوس مُرعِب لدولة عُظْمَى مثل الولايات المُتَّحدة، بينما كان صديقاً حميماً لها، ومع تفنيد كُلِّ ذلك أعطى مدير وكالة CIA الأمريكيَّة صيف **1998** معلومات سرِّيَّة مُعيَّنة عن معامل كيميائية في ليبيا والسودان لتبرير الهجمات الأمريكيَّة الجوية والبحرية على بلدَيْن عُضوَيْن في هيئة الأمم المُتَّحدة وجامعة الدُّول العَرَبيَّة، فأظهرت الوسائل الإعلامية الأوروبية والأميريكية أن التقديرات النهائية للضربات العسكرية الأمريكية، كانت مصدر قلق الإدارة الأميريكية، وفيما بعد؛ لأنَّها تعرَّضت لانتقادات واسعة من الدُّول العَرَبيَّة، ودُول صديقة لها.

إلَّا أن الكاتب الأميركي (تيد ـــ جب) كشف حقائق عديدة كانت (سرِّيَّة)؛ ضحاياها عشرات الخُبراء من الوكالة الأمريكيَّة (CIA) عمَّا حصل لعشرات العاملين في الوكالة الأخطر في العالم، فمقتل ستَّة من طاقم طائرة شحن تابعة للوكالة في تشرين الثاني/ نوفمبر (**1989**) وهي تنقل أسلحة ومعدَّات عسكرية لمُتمرِّدي (حركة يونيتا) في أنغولا، واكتشاف (**25**) جُثَّة أمريكيَّة من الضُّبَّاط والخبراء ممَّنْ قضوا في عملية خاصَّة، لم يكن وراءها لا ليبيا ولا السودان، إضافة إلى أن عملية (بان أميركان) لوكربي اكتُشف بين ضحاياها صهر توماس توتين كبير مسؤولي CIA، وهُو الذي خطَّط للغارات على ليبيا، ومنزل العقيد القذافي، وكان توماس على متن الطائرة، وهذا ما يلفت الانتباه إلى اهتمام واشنطن بالمسألة والاهتمام الأوروبي والدولي بها[1].

مُختلف التقارير الأمريكيَّة لمراكز الأبحاث والدراسات وللشخصيات المتنفِّذة، تُحلِّل وتروي قصص الإخفاقات المُتكرِّرة للسياسة الأمريكيَّة، وخُصُوصاً التقرير الذي نُشر تحت إشراف الخارجية الأمريكيَّة والمُؤلَّف من (**107** صفحات)، الذي يَضِمُ باكستان وأفغانستان وإيران والعراق بتشجيع

---

(1) تصريحات العقيد القذافي الزعيم الليبي في قضية لوكربي على أنها قضية سياسيَّة بالدرجة الأُولى، صحيفة الشرق الأوسط، عدد**15543** ـ **2**/ **12**/ **2001**، انظر ـ أيضاً ـ إلى الوسط، العدد**43**/ **24**/ **4**/ **2000**، ص **16**، راسل ران، قضية لُوكربي **3** نظريات واحتمالات.

الإرهاب الدولي والتطرُّف الإسلامي، (واعتبارهم) أعداء؛ لأنهم ساعدوا ((زعيم مُنظَّمة القاعدة أسامة بن لادن))، ولاحظ التقرير أن مُختلف الأجهزة الأمريكيَّة لما يسمُّونه "مكافحة الإرهاب" انتقلت جلُّ اهتمامات تلك الأجهزة إلى الشرق العربي والإسلامي، ولاسيما إلى أذربيجان، وقرغيزستان، وتركمنستان، وتركيا، والخليج، كمركز ثقل مُتجدِّد، ويُهدِّد المصالح الأمريكيَّة، لا، بل ويدفعها للسيطرة على آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط على أنها مناطق مُثلَّث الخيرات، وخاصَّة مادة (النفط). والتقرير يُحلِّل ويشرح كيفية تطوُّر الإرهاب بعُرْف واشنطن، والاهتمام المتزايد بإيران والخليج العربي وآسيا الوُسْطَى وباكستان وأفغانستان وبحركة طالبان الإسلامية المتطرِّفة التي تؤمِّن ملاذاً آمناً لعدو واشنطن رَقْم (1) وجماعته، ورغم ذلك، فإن أولبرايت لا تعتبر باكستان، أو أفغانستان دولتَيْن إرهابيَّتَيْن ـ حسب اعتبارها ـ بل الدُّول المُدوَّنة على لائحة الإرهاب، هي تلك التي تُهدِّد مصالحها ومصالح (إسرائيل) معاً بشكل مُباشر، أو غير مُباشر مثل: ((كوريا الشمالية، ليبيا، إيران، العراق، سورية، السودان))، مُعتبرة دور بعض المُنظَّمات الفلسطينية التي تكافح من أجل حقوق الشعب الفلسطيني في شتاته بأنها إرهابية، وتهجَّمت أولبرايت على الرؤساء العراقي والليبي والإيراني، واعتبرتهم مُعارضين لعملية السلام، ويغذُّون العداء لـ (إسرائيل) والإرهاب الصهيوني، أو مُعارضتهم المُطلقة لسياسة الولايات المُتَّحدة الخارجية غير المُتناسبة تصرُّفاتها اللامسؤولة كدولة عُظْمَى تجاه الشعب الفلسطيني، أو الشعب اللبناني، أو العراقي، أو بقية الشُّعُوب العَرَبيَّة، التي تتعرَّض للضغوط والعدوان، وإخفاق سياستها الخارجية نابع أساساً من غريزتها الصهيونية "الرُّوتارية" وتصرُّفات اليمين المسيحي ـ الصهيوني الأمريكي، المعادية لحق الشُّعُوب بالحياة والأمن والمستقبل الأفضل.

وهي تغضُّ الطرف عن الممارسات العدوانية لحُكَّام (إسرائيل) خلال انتفاضة الأقصى ضدَّ الأطفال والصبية الفلسطينيين العُزَّل في معركة غير مُتكافئة، تقدِّم واشنطن فيها كُلَّ أنواع الأسلحة الفتَّاكة للجيش الصهيوني، وخاصَّة طائرات (**F16**– والأباتشي)، لا، بل وتدافع عن أبناء جلدتها، وتُصوِّرهم بأنهم ضحايا العنف الفلسطيني[•]؟!

(•) انظر بهذا الصدد صحيفة الاعتصام العراقية/ 1997/ شهر 12، العدد76، حول حملات الاستخبارات الأمريكية CIA الجديدة والمُنظَّمة في مُواجهة عُلماء العراق، انظر ـ أيضاً ـ الأسبوع العربي، 13/ 10/ 1997، حول سرِّ السلاح المُتطوِّر لمُحاولة اغتيال خالد مشعل في الأردن، واختراق سيادة الأردن، واستخدام كَنَديَّيْن بالعمل الإرهابي.

كيف يمكن للولايات المُتَّحدة أن تُبرِّر عدوانية النظام العُنصُري الصهيوني، وتدَّعي بأنها راع نزيه في عملية السلام، وأنَّ الأمن والسِّلْم الدوليَّيْن يهمَّانها، وهي نفسها تقدِّم كل أشكال الدعم لـ(إسرائيل) من عهد ترومان، حتَّى بيل كلينتون، وجورج بوش الابن؟! لقد كشف كيسنجر نفسه مُهندس كامب ديفيد (الأولى والثانية) فشل الولايات المُتَّحدة في دفع حُكَّام (إسرائيل) للالتزام بمرجعيات السلام الدّوليَّة، وقرارات الشرعية الدّوليَّة.

ثالثاً: هل تتغيَّر الاستراتيجية الأمريكيَّة في المنطقة؟!

تراكمت أخطاء الإدارة الأمريكيَّة مُنْذُ عام 1991، حتَّى انتفاضة الأقصى، وهي - بكُلِّ تأكيد - ليست أخطاء عادية، بل هي ممارسات رسمية من صميم النهج السياسي الخارجي لدولة كُبْرَى، يتحكَّم بقراراتها أصحابُ الشركات النفطية والعسكرية، ودولة لها أهمِّيَّتها، لا تجد حلولاً عالمية منطقية وسلْيمة، باعتبار أنها ذات ثِقَل عالمي مثل الولايات المُتَّحدة، وهي تتوجَّه بآلة حربها المُدمِّرة نحو المنطقة العَرَبيَّة والإسلامية، وتعبث بقضاياها المصيرية، والتي لم يكن لها أن تكرِّس السلام فيها بسبب عدم مقدرة الإدارات الأمريكية حلَّها بما يتناسب مع مصالح دُول وشُعُوب المنطقة، بل بما يتناسب حَلُّها مع مصالح الكيان الصهيوني أوَّلاً وأخيراً؛ أيْ فقدان مُبرِّر كون واشنطن راعياً نزيهاً لعملية السلام، وتُدلِّل على ذلك جُملة مواقف اتَّخذها مبعوثو الإدارة ذاتها، وتصريحات مسؤولين فيها تجاه قضية الشعب الفلسطيني أساساً، ولا شكَّ أنه طيلة الفترة السابقة لجأ مُخطِّطو السياسة الأمريكية إلى معايير مُزدوجة، قائمة على أساس الانحياز الكامل والمُستمرّ لـ(إسرائيل) وحُكُوماتها، من اللّيكود، أو من العمل، ومهما كانت أساليبهم التضليلية، فإن الأحداث تدين السياسة العدوانية المُفرطة لحُكَّام (إسرائيل). ولا شكَّ أن تراجع عملية السلام في المنطقة، ونسف مؤتمر مدريد للسلام، وكُلّ ما توصَّل إليه المُتفاوضون من أُوسلُو إلى واي ريفر وكامب ديفيد وشرم الشيخ؛ سببه الموقف الأمريكي الضعيف، الذي قيل فيه إنَّه (ساعي بريد) لم يفرض ما يُمكن فرضه على الجانب الإسرائيلي لتطبيق القرارات الدّوليَّة[1]، وذلك الاستهتار الأمريكي هُو عامل مساند لسياسات (إسرائيل) بهدف كسب الوقت، وتمرير فرص السلام على الفلسطينيين والعَرَب بعدم إحقاق الحقوق المشروعة لهم. وإذا ما نظرنا للجانب الأوروبي؛ فإن الأوروبيين لم يستطع أيٌّ منهم - بشكل منفرد - أو جماعي -

---

(1) مجلَّة Z الأمريكية 10/ 1 و13/ 1/ 2001.

الخروج عن المواقف الأمريكية المُضلِّلة سوى الموافقة على الاعتراف بالدولة الفلسطينية منزوعة السيادة في مؤتمر الشراكة الأوروبية المُتوسِّطية، الذي انعقد في مرسيليا عام 2002، بما يحمله الاعتراف من مضامين معينة، ولم يكن للراعي الرُّوسي دور فاعل -أو مُوازٍ- للدور الأمريكي، رغم أهمِّيَّة الموقف الرُّوسي في عملية السلام باعتباره الراعي الثاني فيها، بسبب انشغالاته الداخلية، التي كرَّست وقائع من الصعب تجاوزها ببساطة[1].

لقد طرحت الولايات المُتَّحدة الأمريكية -في بداية التسعينيّات، وبعد انهيار النظام السوفيتي- مجموعة أفكار وأُسُس، نظَّمتها على أساس أنها -النظام العالمي الجديد- القائم على ما يُسمُّونه الديمُقراطية وحقوق الإنسان، والانفتاح على العالم الحُرِّ، لكنْ؛ احتاج كُلُّ ذلك إلى مُبرِّرات فكْرية وأيديولوجيا شمولية، باعتبار أن ذلك النظام لايزال نظاماً للنهب والسيطرة العالمية، وفرض ظُرُوف الهيمنة الأميركية المُباشرة على مناطق حيوية مثل منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى وبحر قزوين والخليج العربي، وجاء بعد مؤتمر مدريد باتِّباع منهجية خطيرة بهدف إضعاف قُوَّة العَرَب السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة وقدراتهم الدفاعية، وبالتَّالي؛ إضعاف الأمَّة الإسلامية دُولاً وشُعُوباً وثقافةً وحضارة ومعرفة؛ بهدف تشجيع التطبيع الثقافي والاقتصادي مع غير مصالحهم العُليا، ومن أجل إحياء نظام الشرق الأوسط الجديد، كنظام إقليمي يكون فيه لـ (إسرائيل) دور مركزي، ومُحاولة فعلية لتهميش الدور العربي الإقليمي، وتبديد مصادر قوته الحقيقية، فظلَّت -طيلة العقد الماضي- الألسنة والتحاليل تلوك بنظام طبيعته عدوانية واستعمارية (يُسمَّى النظام العالمي الجديد) وبنظام رديف له قائم على الاستيطان والعدوان والهيمنة، كنظام الشرق الأوسط الجديد، الذي أعلن عنه شمعون بيريز؛ لنَشْر المفاهيم الأساسية للنظام العالمي الجديد في الإرهاب الفكري والنفسي والاقتصادي من خلال الضغوط السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة المُعلَّبة على الطريقة الأمريكية. وتشكَّلت في بعض الدُّول العَرَبيَّة مؤسَّسات، ومراكز دراسات وأبحاث، وبُؤر استثمارات، تدعو إلى التساوق مع النظام العالمي الجديد، ومع النظام الإقليمي والعدوان المُسلَّط على شُعُوب ودُول العالم الفقير والنامي، ينطلق من منطلقات المعرفة والتكنولوجيا والتقنيات العصرية، هدفه الأساس إنهاء أيِّ دور للدُّول العَرَبيَّة، التي لا أمل لها باللّحاق بالرَّكْب الحضاري العالمي، من خلال الدخول بمُؤسَّسات النظام العالمي الجديد (صندوق النَّقْد، والغات، ومحاربة الإرهاب...الخ).

---

(1) المصدر السابق نفسه، نعوم تشومسكي.

ورغم أن البعض حاول إصباغ الموقف الأمريكي على أنه حيادي، بل وحضاري، لم يظهر ذلك بالمظهر نفسه في الأمور التي تهمُّ جَذْر التنمية والحضارة؛ قضية السلام والأمن والاستقرار في المنطقة والعالم.

مؤخراً حاول النظام العالمي الجديد تفكيك دُول أوروبية بعينها، من أجل المصلحة الأمريكية مع شركائه الأوروبيين، بكل وضوح، وبتهديد مُباشر، على أساس الحفاظ على الديمقراطية والسلام في يوغسلافيا والبلقان. فظهرت أفظع وأشنع المجازر في القرن العشرين.

كما تسعى الإدارة الأمريكية ـ كزعيمة لذلك النظام ـ لتفكيك بعض الدُّول العَرَبيَّة والأقاليم، نزولاً عند رغبة السلام الإسرائيلي المزعوم، فالذي يريد السلام والتنمية لا يمكنه أن يتلاعب بمصير شُعُوب المنطقة والعالم، والضغط عليها بتلك الأساليب العدوانية، أَكان تجاه إيران، أم اتِّجاه العراق، (أم تجاه يوغوسلافيا) (نظرية الاحتواء المُزدوج ـ مارتن انديك)، أم تجاه فرنسا، ورُوسيا، وماليزيا، و(قانون داماتو)، أم تجاه قضية الشعب الفلسطيني، وعدم الاعتراف الأمريكي الرسمي بحقوقه وبدولته المستقلة، بما يعني خرقاً صريحاً للنظام العالمي الجديد نفسه بمجال حقوق الإنسان والديمقراطية، وخرقاً لقرارات الشرعية الدّوليّة ومجلس الأمن، وبالتَّالي؛ خرق للدستور الأمريكي نفسه؛ الذي ركَّز عليه بنيامين فرانكلين، محذِّراً الأميركيين من دور اليهودية الصهيونية في تحريف دور أميركا داخلياً وخارجياً عن دورها الإنساني والحضاري العالمي[1].

لا شكَّ ـ وهُنالك إرهاصات أدَّت إلى تراجع الاستراتيجية العَرَبيَّة الفاعلة، وأثَّرت فيها هشاشة دور جامعة الدُّول العَرَبيَّة العملي لمُواجهة الاستراتيجية الأمريكية، ونظامها الشرق الأوسطي الجديد، مع وضوح الرؤية بُعيد الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987، وانتفاضة الأقصى الثانية 2000 ـ أنَّه يُمكن لجامعة الدُّول العَرَبيَّة وقمَمها، وقمم المُؤتمر الإسلامي رَسْم (استراتيجية عربية وإسلامية جديدة) فاعلة بمواجهة استراتيجيات الاحتواء والهيمنة الأمريكيَّة ـ الصهيونية، وتدعيم فعاليات انتفاضة الأقصى لتُعطي القمَّتان العَرَبيَّة والإسلامية المجالَ الواسع لتوسيع خيارات الأمة، وشحذ طاقاتها الضخمة، بما فيها الطاقات البشرية والاقتصاديَّة والمالية لمواجهة الاستراتيجية الصهيونية المعادية للسلام والاستقرار، والهادفة لتحطيم الإرادة العَرَبيَّة والإسلامية، وضربها، واحتلال

(1) اللُّومُوند الفرنسية، العدد15/ 11/ 1997، أمنون كابليوك.

المُقدَّسات العَرَبيَّة، وزيادة الاستيطان في المنطقة، ولعبت بعض الأحداث الدور الأخطر في تخلُّف العمل العربي المُشترك، واختيار الطُّرُق الأنسب في تهيئة استراتيجية عربية فاعلة بسبب:

1 ـ حرب الخليج الأولى والثانية، وعدم النَّظَر لإمكانية جَعْل (إيران وتركيا) الدُّول الإسلامية المجاورة رديفاً مُهماً للاستراتيجية العَرَبيَّة، وإحقاق الحقوق المشروعة، والوقوف بوجه المشروع الصهيوني كُلِّيَّة.

2 ـ سلوك سياسة التطبيع الثقافي والاقتصادي، ونجاح المخطط الأمريكي الصهيوني بغزو القلعة من داخلها، من دون الحفاظ على الاستقرار والفاعلية العَرَبيَّة الممكنة بالمواجهة.

3 ـ إشاعة أفكار صهيونية؛ وأقلّ ما يُقال فيها: إنها غير بنَّاءة عند السُّقُوط المُدوِّي للقومية العَرَبيَّة، مع بُرُوز النظام الإقليمي للشرق الأوسط الجديد، بينما الذي حصل أنه فشلت مفاعيل القومية العَرَبيَّة والتَّحرُّريَّة، بالنُّهُوض بإمكانياتها أمام التَّحدِّيات الخارجية من جديد، وسحبت معها الأمة الإسلامية؛ التي لا يتحسَّن أداؤها وشروط عملها وتضامنها العروبي والإسلامي المواجه للمُخطَّطات المُعادية، طالما ظلَّ النظام العربي مُتردِّداً ومُضطرباً، بما فيها التَّشرُّد والمصالح المُتضاربة.

4 ـ بقاء الهيمنة الأمريكية على أسواق النفط والمال والاستثمارات، وتشجيع التغلغل السياسي والاقتصادي والثقافي الأمريكي، رغم الحلف الاستراتيجي بين واشنطن و(إسرائيل) المُؤثِّر بعُمق في آفاق تطوُّر المنطقة والدعم الأمريكي المُطلق لحُكَّامها.

5 ـ السعي لتغيير الخطاب السياسي باتِّجاه الديمقراطية وحقوق الإنسان، ونبذ كل أشكال الفردية والإرهاب والتعسُّف والظُّلم، والعمل لإنشاء منظومة اجتماعيَّة ـ جديدة للتطوُّر والتنمية، وعدم المُضيّ بالعقلية المُغلقة الفردية لبعض الأنظمة العَرَبيَّة في القرن الحادي والعشرين؛ حيثُ ركبت واشنطن زُوراً ونفاقاً موجة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان!.. (انظر بهذا الصدد ما نشرته المشاهد السياسي، العدد 341/ 22/ 28/ 9/ 2002. عن لوران موراوك المُحلِّل في مؤسَّسة "راند كوربوريشن حول الموقف من السعودية، وما نشرته صحيفة واشنطن بوست حول ذلك الموقف والتَّدخُّل بالشُّؤُون الداخلية للمملكة[1]).

---

(1) انظر البيان الصادر عن الاجتماع الوزاري للجنة المتابعة العَرَبيَّة/ دمشق/ 20 ـ 21/ 11/ 2002، وطالب البيان بتفصيل مُؤسَّسات العمل المُشترك انطلاقاً من أهداف وميثاق الجامعة العَرَبيَّة، وكذلك الالتزام بمكافحة الإرهاب الدولي، وتحقيق أهداف السوق العَرَبيَّة المُشتركة، ودعم قضية فلسطين وشعبها، والعمل على إيجاد أولويَّة الأمن القومي المُشترك.

بهذه الصورة الشاملة والتفصيلية لطبيعة الاستراتيجية الأمريكية الجديدة؛ كيف يمكن للإدارة الأمريكية الجديدة أن تلعب دوراً مهماً فيه مصداقيتها لإدارة عملية السلام والتنمية بالمنطقة؟(•)، وفي الوقت ذاته الذي لا تمتلك فيه المعايير الأخلاقية والقانونية، ولا حتَّى الإنسانية، لكي تكون راعياً نزيهاً؛ خاصَّة بتغييبها ملفَّ حقوق الإنسان الفلسطيني، وملفَّ الإجرام والإرهاب الصهيوني الرسمي، والذي تتَّبعه حُكُومات (إسرائيل) بحقِّ الشعب الفلسطيني؟! وهل يحقُّ للولايات المُتَّحدة أن تتحدث - بعد الآن، وبعدما حصل في انتفاضة الأقصى من المجازر والاغتيالات، وهدم البيوت - عن حقوق الإنسان والديمقراطية ونظام عالمي جديد؟!

البعض يُراهن على تغيير مواقف الولايات المُتَّحدة من جوهر المشكلات والأساليب العدوانية الصهيونية في المنطقة، وهذا البعض يبدو أنه لايزال حالماً أو نائماً لم يرَ - بعدُ - ما حصل في (الضفَّة أو القطاع)، و(سيراييفو، وأفغانستان، والعراق) على أيدي جيش الاحتلال الأمريكي الصهيوني، أو مُجرمي الحرب، تُرى هل ما قاله بات بيوكانان الملياردير الأمريكي والشخصية المهمة الوحيدة القادرة على الوقوف بوجه الأخطبوط الصهيوني، وتصريحاته حول أن الكونغرس الأمريكي "بات أرضاً أمريكيَّة تحتلُّها (إسرائيل)، والصهيونية في وسط أميركا"، وهُو الذي حرَّض جورج بوش الرئيس الأسبق على عدم مَنْح (إسرائيل) قروض بقيمة 10 مليارات دولار، لأنَّها ماتزال تتحدَّى العالم، وهيئة الأمم في بناء مُستوطنات جديدة داخل الأراضي الفلسطينية المُحتلَّة، دون الالتزام بعملية السلام وقرارات الشرعية الدّوليَّة.

لعلَّ السياسة الأمريكية - رُبَّما - تتغير تجاه المنطقة إذا استطاع بيوكانان وغيره قَطْع دابر السياسة الخاطئة في الكونغرس الأمريكي؛ بالتأثير في مُتَّخذي القرارات في الإدارة الأمريكية كُلِّها، وليس في البيت الأبيض فقط(•).

(•) راجعْ المشاهد السياسي.

(•) راجعْ خطاب الرئيس بوش المنشور في صحيفة السفير، 25/ 6/ 2002، العدد9231، آخر الكتاب.

رابعاً: هل تنهج الإدارة الأمريكيَّة الجديدة سياسة مُتوازنة حيال المنطقة؟

(سُورية تُشكِّل مدخلاً مُهمَّاً ومركزاً أساسيَّاً للتعاون العربي والإقليمي)

لعلَّ سياسة الاحتواء المُزدوج الفاشلة التي صاغها (مارتن انديك ـ وانطوني) ألزمت الولايات المُتَّحدة بتوفير ما يُسمَّى بالردع العسكري، الذي انكشف مُؤخَّراً عن استخدام أسلحة مُحرَّمة دولياً ضدَّ الشعبَيْن الأفغاني والعراقي، والمخاوف الأمريكيَّة تجاه الأمن والاستقرار الإقليمي في المنطقة، تُحتِّم على دُول وشُعُوب المنطقة إعادة صياغة علاقاتها بعيداً عن التصريحات الاستفزازية والارتجالية، وخاصَّة للرئيس العراقي (صدَّام حُسَين)، وكفى ما عانت منه نتيجة سياسات خاطئة، لعلَّ قُدرة سورية والرئيس بشار الأسد، وقبل ذلك الدور الإقليمي الذي كرَّسه الرئيس الراحل حافظ الأسد ورسائله ونصائحه للرَّئيس العراقي، برهنت للجميع أهمِّيَّة المدخل والبوَّابة السورية في إعادة التوازنات والتفاهم والاستقرار للمنطقة، وبالاستماع لصوت العقل[1]!

أمَّا زيارة الرئيس بشار الأسد لطهران؛ فلها دلالات سياسيَّة واقتصاديَّة وثقافية في إطار أوسع من التفاهم والتعاون المُثمر بين البلدَيْن سورية وإيران، وما تحمله تلك الزيارة من أهمِّيَّة في الظُّرُوف الحالية التي تمرُّ بها المنطقة، وهي عملية تواصل حضاري واستراتيجي في نسيج العلاقة، التي كان للرئيس الراحل حافظ الأسد الدور المُهمّ في صياغتها، وتحسينها، بعد سلسلة أحداث أثَّرت ـ بعُمق ـ في طبيعة العلاقات الإيرانية العَرَبيَّة، إنَّها إعادة التوازن لتلك العلاقة وتحسين أدائها ومستواها لعبت فيه سورية الدور المُميَّز، لاسيما أن الجُمهُورية الإسلامية الإيرانية ـ ومُنْذُ عام **1979** ـ كرَّست جهودها للاقتراب أكثر فأكثر من المصالح العَرَبيَّة، والتوافق لأجل حلِّ القضايا العَرَبيَّة العادلة، وشهدت السنوات الماضية انفتاحاً وتفاهماً عربياً وإيرانياً مُشتركاً، بدَّد حالة الضبابية التي سادت لصالح تفاهم وصداقة مُشتركة، لها طعمها الخاصّ، ولونها المُميَّز في برنامج الرئيس مُحمَّد خاتمي الإصلاحي، وبرنامج سورية المُنفتح لخدمة الأهداف المُشتركة والتحرُّكات الجديدة للرئيس بشار الأسد البنَّاءة[2].

---

(1) خطاب الرئيس بشار الأسد في القمَم العَرَبيَّة السابقة.

(2) تشرين/ 7/ 2/ 2001، العدد07924، ص 10، حول نهج الإدارة الأمريكية وحول زيارة بشار الأسد إلى طهران وأهمِّيَّتها.

ولعلَّ إعادة جسور الثقة والتعاون والاحترام المتبادل بين إيران والمملكـة العَرَبيَّـة الـسعودية، والمواقف السِّياسيَّة الخارجية المتقاربة إلى حدٍّ ما، وبالأخصّ في المؤتمر الإسلامي الأخير، الذي انعقـد بالدوحة، ومُحاولة حلِّ بعض المسائل العالقة مع دُول الخليج، وفيما بينها، دون تدخُّل خارجي يعطـي لواقع العلاقات الإيرانية الخليجية مصداقية جديدة، وبـالأخصِّ؛ بعـد تأكيـد القيـادات والزعامـات هُنالك حول أهمِّيَّة طبيعة المخاطر ومصدرها الحقيقي، وإجمـاعهم عـلى أن المـصدر الرئيـسي للخطـر يتأتى من (إسرائيل)، وامتلاكها لأسلحة الدمار الـشامل، وترسـانة واسـعة مـن الأسـلحة النوويـة، ومصلحتها الأكيدة في إبقاء عامل التوتُّر قائماً في الخليج. كما أنه ليس مستغرباً إنْ كان صاحب نظريـة الاحتواء المُزدوَج ضدَّ العراق وإيران ((سفيراً)) للولايات المُتَّحدة في (إسرائيل) مارتن انديك؛ حيثُ شهدت تلك المنطقة أحداثاً كان من الممكن تفاديها وعدم الوقوع بها مرة ثالثة، لأنَّها تُمثِّل حالة كارثيـة فعلاً لشعوبها ودُولها؛ بسبب العقلية التـسلُّطية لـبعض الزعامـات، وتوجـب عـادة الالتـزام بميثـاق جامعـة الـدُّول العَرَبيَّـة، والمـؤتمر الإسـلامي، وتفويـت الفُـرص عـلى الأعـداء، الـذين يُخطِّطـون، ويتربَّصون، بمقدرات المنطقة، وإثارة كل أنواع الفتن بين الأشقَّاء والأصدقاء، بهدف صريح وضـعه الاستعمار سابقاً، ولايزال يعتمد عليـه؛ ألا وهُـو ((فَـرِّقْ، تَـسُدْ)). ورُبَّـما تنظـر كـل دولـة للوقـائع والحقائق من زاويتها ومصالحها، دون النظر للمسألة بشكل أوسع وأشمل، على الأقلِّ؛ في هذه الفترة الزمنية في العقد الأخير من القرن العشرين، وبداية قرن جديد، إلى مرحلة حرجـة مـن نظـام العَوْلَمَـة الأمريكي الجديد، وبالبحث عن الحلول العملية والواقعية توجب إعادة النظر بكل ذلك، من خـلال وضع مشروعات وبرامج مُشتركة، من خلال الطاولة المستديرة بالتفاهم السلمي والعقلاني لحـل أيِّ عقبة تظهر ـ أو ظهرت ـ سابقاً، لأنَّ الخليج نفـسه مـصدر مُهـمٌّ جـدّاً للاسـتقرار والتنميـة، ولتقـدُّم الشُّعُوب ودُول المنطقة والعالم، وليس من الصعب أن تحلَّ مُختلف الأمور من منطلق التفاهم والتعاون وتشجيع الحوار والاستقرار، للوُصُول لأهداف مُشتركة لتكون العامل الحاسم لإعادة جـسور الثقـة بينها جميعاً.

ولعلَّ تصريحات الرئيس الإيراني مُحمَّد خاتمي حول أن القُـوَّات المُـسلَّحة الإيرانيـة لا تُـشكِّل خطراً على الدُّول المجاورة هُو أمر مُهمٌّ، وإنَّ مـن مـصلحة دُول وشُـعُوب المنطقـة أن يكـون لإيـران تأثيرها الإقليمي والروحي والمعنـوي، وأن تمتلـك القـدرات الكافيـة لتعزيـز الأمـن والاسـتقرار في

المنطقة[1]، على اعتبار أن القيادة السِّياسيَّة والعسكرية في طهران الآن أكثر وعياً وتطلُّعاً لتحسين علاقات الجوار والتفاهم، وإيجاد معادلة للتفاهم الإقليمي، وإحلال التوازنات السليمة محل التوازنات العسكرية.

ويُلاحَظ الجميع بأن التطوُّر المُطرّد لإيران على صعيد دفاعي، يقضُّ مضجع وأحلام (إسرائيل) وحُكَّامها باستمرار، لاسيما أن سدَّ الثغرات والنواقص العلمية والتقنية واللُّوجيستية للجيش الإيراني، والوُصُول إلى حُدُود الاكتفاء الذاتي، وتطوير الإمكانات الدفاعية، اعتماداً على الطاقات الذاتية لإيران من حيثُ المعدَّات والأسلحة من الدُّول الغربية هُو اعتماد دفاعي، ولعلَّ تطوير الإمكانات الذاتية لتحسين التقنيات الحديثة، بما فيها التقنيات العسكرية التي لها أهداف دفاعية، تُحسِّن من فرص دور إيران في ميزان القوى بالمنطقة لصالح القضايا العَرَبيَّة إلى حدٍّ ما.

ولعلَّ توجُّه إيران لتطوير علاقاتها الخارجية، واستقطاب زعماء دُول صديقة لها، يُوضِّح أهمِّيَّة استراتيجية السياسة الخارجية، وتطوير الدور الإيراني في الهيئات والمُؤسَّسات والمؤتمرات الدّوليَّة؛ الذي يسمح - إلى حُدُود بعيدة - بتبادل وجهات النظر والحوار، أكان في المؤتمر الإسلامي، أم في منظَّمة (أوبك)، أم في التعاون الاقتصادي والثقافي بين إيران ورُوسيا وكوريا الديمقراطية والدُّول العَرَبيَّة وآسيا الوُسْطَى وبحر قزوين ودُوله الإسلامية.

كما أن (التعاون الإيراني والرُّوسي والهندي) يُمثِّل آفاقاً رحبة، أو مع دولة كبيرة مثل الصِّين في قارَّة آسيا، بهدف الوقوف جدِّياً تجاه ما يُمثِّله نظام العَوْلَمَة الأميركي ذو القطب السياسي الأوحد على مصير القارَّة الآسيوية لاعتبارات أساسية؛ نذكر منها:

1 - غياب التوازنات في العلاقات الدّوليَّة، وانعدام الضوابط فيها، وغياب الديمقراطية الدّوليَّة، واستخدام العنف والحلول العسكرية والحربية يُسبِّب قلقاً دائماً لشُعُوب ودُول المنطقة ودُول أُخْرَى.

2 - الحالة الراهنة في العلاقات الدّوليَّة تفتقر لمُقوِّمات النظام الدولي الجديد، ومنها اتِّفاق الدُّول في إطار المنظَّمات الدّوليَّة، على قواعد المساواة والعدالة، وحق الشُّعُوب في تقرير مصيرها.

---

(1) انظر بهذا الصدد إيران إلى أين في عهد الرئيس خاتمي؟ المؤلِّف، ص 40، 1999، رغم أن نظام العَوْلَمَة الرأسمالي الأمريكي لا يتوانى عن فرض شروطه الإقليمية والدّوليَّة، ولايزل يدعم - بلا حُدُود - التصوُّرات الإسرائيلية والامتدادات الصهيونية في الاتِّجاهات كُلِّها.

3 ـ الرؤية الجديدة التي تقدَّم بها الرئيس بشار الأسد في المؤتمر الإسلامي بالدوحة، حول أهمِّيَّة فَهْم طبيعة النظام العالمي الجديد؛ الذي هُو فَرْضُ دولة كُبْرَى لقوانينها على الدُّول الأضعف منها؛ حيثُ لابُدَّ من إعادة صياغة مفاهيم مُهمَّة حول القُوَّة الدفاعية والتوازن الدفاعي والاستراتيجي العربي[1].

4 ـ فشل المقاطعة الاقتصاديَّة الأمريكيَّة لإيران، ونجاحها في تطوير استثمارها عبر شركات (بتروناس) الماليزية، و(بروم) الرُّوسيَّة، و(توتال) الفرنسية؛ التي فتحت المجال واسعاً لإعادة دور شركة النفط الوطنية الإيرانية، واستثمار الغاز والنفط بقيمة 7 مليارات دولار، وفشل المقاطعة الأمريكيَّة لتلك الشركات عبر قانون (دماتو) الأميركي، الذي أقرَّتْهُ الإدارة الأمريكيَّة في آب/ أغسطس 1996 وما فرضته من عقوبات على إيران تحديداً.

5 ـ تطوُّر العلاقات المصرية ـ السورية ـ الإيرانية، وإعادة كلِّ أشكال التعاون بين جُمْهُورية مصر العَرَبيَّة وإيران، التي تدفع باتِّجاه إعادة العلاقات التَّاريخيَّة بين الشعبَيْن، وفتح الحوارات الحضاريَّة البنَّاءة بين شيوخ الأزهر والإمامة الإيرانية على أساس السَّيْر باتِّجاه صياغة مُستقبل جديد للتعاون والتفاهم الرُّوحي[2].

6 ـ إعادة التوازن للعلاقات السعودية – الإيرانية، باعتبارهما مركزَيْن حضاريَّيْن للإسلام وقضاياه الرُّوحية، وعقد لقاءات مُصالحة، إضافة للتعاون الاقتصادي والأمني والعلمي، وتبادل الخبرات؛ خاصَّة في القضايا الزراعية والصناعية والأمنية؛ حيثُ نجحت المملكة العَرَبيَّة السعودية بزراعة القمح، واعتمادها الذاتي على تلك المادَّة الحيوية، بينما ماتزال إيران تستورد القمح من دُول كُبْرَى لسَدِّ احتياجاتها؛ حيثُ استوردت (5) ملايين طن عام 2000م مقابل استهلاك شعبي يُقدِّره الخبراء بنحو 15 مليون طن سنوياً.

من كلِّ ما تقدم؛ ومع استمرار الجهود الإقليمية الإيرانية والعَرَبيَّة لتحسين أواصر التعاون وتطوير العلاقات، تأتي مسألة القُدْس الشريف وقضية الشعب الفلسطيني، من المسائل ذات الأولويَّة

---

(1) راجعْ خطاب الرئيس بشار الأسد في قمة الدوحة، والقمم العَرَبيَّة الأُخْرَى.

(2) السياسة الدّوليَّة، العدد150 تشرين الأوَّل/ أكتوبر،2002، حول إيران والخليج واحتمالات العدوان الأمريكي على العراق، د.مُحمَّد إدريس، ص 104/ 1.

في الاهتمامات المُشتركة، وبالأخصّ؛ في دعم قرارات الشرعية الدّوليّة، وفي مُقدِّمتها قرار الجمعية العامة رَقْم 194 الذي يتحدَّث عن حقِّ العودة للاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم وديارهم، وتحميل (إسرائيل) ودُول كُبْرَى مسؤولية مأساة ذلك الشعب، الذي يعاني من الاحتلال الصهيوني للضفة والقطاع، ويتحايل على الأسرة الدّوليّة بدعم صريح من إدارات أمريكيّة، والتي تنسج خيوط الدعم الاستراتيجي والتفاهم المطلق معه، بينما ماتزال الدُّول الكُبْرَى والولايات المُتَّحدة تتلكَّأ في حلِّ مسألة الصراع العربي الإسرائيلي، وتفرض مصالحها القومية على مصالح شُعُوب ودُول المنطقة.

لعلَّ ما أكَّد عليه رئيس الجُمهُورية العَرَبيَّة السورية بشار الأسد في المؤتمر الإسلامي بالدوحة(*) أن (إسرائيل) ماتزال تمارس سياسة المراوغة والعُنصُريَّة، وما يدعو لإعادة صياغة وترتيب البيت العربي، وتطوير تحالفاته مع الدُّول القريبة والبعيدة لنصرة الحقِّ العربي، فدماء أبناء الشعب الفلسطيني هي غالية على الأمة العَرَبيَّة والإسلامية، وإن كانت الولايات المُتَّحدة تتجاهل العُنصُريَّة والأسلوب الشاروني الجديد الذي يُمارَس ضدَّ الشعب الفلسطيني. لذلك فإن التواصل الحضاري بين الشعب العربي والشُّعُوب الآسيوية، أو مع شُعُوب أميركا اللاتينية وأفريقيا؛ أي الشُّعُوب المستضعَفة هُو استراتيجية مُهمَّة، إضافة لتوطيد وشائج العلاقات بين سورية والعراق وإيران ومصر والخليج العربي باتِّجاه أهداف وبرامج إنتاجية وإنمائية وعلاقات استراتيجية يقطع الطريق على مسرحيات وخُطط التدخُّلات الخارجية التي تتحكَّم بمصير ومستقبل المنطقة.

جميع شُعُوب ودُول المنطقة وتصريحات مسؤوليها الكبار باتت تؤكِّد - الآن - ضرورة أن تعيد إدارة الرئيس جورج بوش الابن والرباعي الذي كرَّسه (تشيني، باول، رامسفيلد، ورايس) لخوض غمار سياسة جديدة، واتِّخاذ القرارات الحيادية، التي تُرجِّح عدم استخدام القُوَّة العسكرية، ودبلوماسية البوارج والتدخُّل المُباشر وفق عهود الماضي الاستعماري، ووضع مصلحة الدُّول والشُّعُوب في المنطقة بعين الاعتبار، خاصَّة بعد تكشُّف الممارسات العسكرية لإدارة كلينتون ووليم كوهين باستخدام الأسلحة المُحرَّمة دولياً في العراق (اليُورانيوم النابض)، باتِّجاه إعادة فرص الاستقرار والتنمية، والاهتمام بالسلام العربي بديلاً عن السلام الإسرائيلي المُراوغ والمُخادع، رُبَّما؛ موقف الرئيس الأميركي الجديد من باراك وشارون - فيما بعد - يُعطي مُؤشِّرات مُعيَّنة على إعادة

(*) راجعْ خطاب الرئيس بشار الأسد في قمة الدوحة، والقمم العَرَبيَّة الأُخْرَى.

صياغة الاستراتيجية الأمريكيَّة في المنطقة، تلك الصياغة التي يحدِّدها عُتاة وغُلاة المسيحيين الصهاينة في الولايات المُتَّحدة، الذين يُخطِّطون لتغيير المنطقة وُفق المصلحة الأمريكية - الصهيونية، تحت حُجج الديمقراطية وحقوق الانسان، وهي المعزوفة ذاتها التي عُزفت أيَّام انهيار السوفييت بفترة (1986-1990)م، رغم أن شُعُوب ودُول المنطقة تنتظر مواقف أمريكيَّة معتدلة وحيادية، سواء تجاه الخليج وإيران والعراق، أو تجاه قضية الشعب الفلسطيني، وبالأخصِّ؛ القُدْس واللاجئين وحقّ العودة.

خامساً: سياسة واشنطن ورياح التغيير في المنطقة العَرَبيَّة

(ما يُسمَّى بمحاربة الإرهاب)

تستمر الهُوَّة الشاسعة بين العالمين العربي والإسلامي، وبين الولايات المُتَّحدة، التي أظهرتها بشكل مأساوي ودموي هجمات أيلول/ سبتمبر 2001، التي ماتزال تُقلق صُنَّاع القرار الأميركي، وكيفية ردمها، أو التعامل معها، وماتزال محور جدل كبير في المؤسَّسة السِّياسيَّة والأوساط الفكرية الأمريكيَّة، وهي ادِّعاءات غير واقعية، وهُنالك طيف من الآراء تتراوح بين مَنْ يدَّعي أن العداء لأميركا متأصل في القيم والثقافة العَرَبيَّة والإسلامية، لذلك لا جدوى من التحاور، بينما الحوار والعلاقات العَرَبيَّة – الأمريكية بكل أشكاله ضروري رغم الآراء الضاغطة على واشنطن لأنْ تفرض سياساتها، وتصون مصالحها، بغضِّ النظر عن ردود فعل العَرَب والمسلمين، وبين من يرى أنه على الرغم من الخلافات السِّياسيَّة، هُنالك ليس - فقط - مصالح اقتصاديَّة وثقافية مُشتركة تقضي بتفادي حرق الجسور، بل لابُدَّ وتفاعل القِيَم الفكرية والسِّياسيَّة المُشتركة، وخاصَّة مع تلك التَّيَّارات الإصلاحية والليبرالية والأكاديمية، التي يمكن مُساعدتها، وإقامة علاقات نوعية مُختلفة معها.

لكنَّ التَّيَّار المُتشدِّد الموجود في الحُكُومة الأمريكية، وفي الكونغرس، وفي بعض مراكز الأبحاث والإعلام يُظهر كثيراً من العداء الفَظِّ للعرب والمسلمين، كما أنه منتشر في أوساط ما يُسمَّى ((اليمين المسيحي)) الذي يُؤيِّد (إسرائيل) من دون تحفُّظ، والذي لا يتورَّع أقطابه عن انتقاد الرئيس جورج بوش ووزير خارجيته كولن باول، لأنهما يرفضان مقولة: إن الدين الإسلامي هُو مصدر الإرهاب والعداء لأميركا، لأنهما يؤكِّدان على اعتباره دين سلام وتسامح، تُحاول أقلِّيَّة مُتطرِّفة يمينية إبراز تصادم الحضارات والصراع السياسي المكشوف.

أمّا التيّار المعتدل، أو المنفتح؛ فهُو موجود ـ أيضاً ـ في الحُكُومة، وفي الكونغرس، وفي الإعلام، وفي أوساط الكنائس الأمريكيّة المُختلفة، ومن أبرزها الكنيسة الكاثوليكية، حتّى بين يهود أميركا نجد المعتدلين منهم أيضاً "نعوم تشومسكي"، وإنْ كان صوتهم أقلّ دوياً من جوقة المتشدِّدين، وتنعكس نقاط التّماس بين التيّارَيْن على مُختلف أبعاد الخطاب السياسي والفكري والإعلامي في أميركا مُنْذُ هجمات أيلول/ سبتمبر، بدءاً من الحرب ضدَّ العَرَب والمسلمين، والمواجهة المُتوقّعة مع العراق، والصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وانتهاءً بالاستثار في الدبلوماسية العامّة، وإنشاء الإذاعات وشبكات التلفزيون باللُّغة العَرَبيّة، للوُصُول إلى قلوب وعقول العَرَب والمسلمين، واتِّباع سياسات إعلامية مُعادية، ودعم كلّ ما هُو معتمد على أيديولوجيا شمولية، ولّى الذي عهدها، وضاق العالم بها.

وحتّى داخل التيّار المعتدل الذي يريد أنْ يمدَّ يده إلى العَرَب والمسلمين، هُناك أقلِّيّة خجولة تعترف أن مشكلة أميركا لدى العَرَب والمسلمين هي مشكلة سياسيّة، وليست نظرية، أو نمطية؛ أيْ أنَّ تعديلها يتطلَّب ـ على الأقلّ ـ مراجعة نقدية للسياسة الأمريكية الخارجية، ولبعض سياساتها الأُخرَى، وتحديداً الموقف من قضية اللاجئين 194 وحقوق الإنسان في المنطقة.

وفي المقابل؛ هُنالك مَنْ يرى ــ داخل هذا التيّار ــ أن التقصير الأميركي هُو في انعدام الآليات والفرص التي تسمح بشرح السياسات الأمريكيّة بوضوح وموضوعية، وإيصال صورة حقيقية عن المُجتمع الأميركي وإيجابياته إلى العَرَب والمسلمين، والعكس بالعكس من خلال رؤية إنسانية حضاريّة.

وأحياناً ـ في مُحاولاتهم لإيصال هذه الصورة الإيجابية للعرب والمسلمين ـ يتصرَّف بعض المسؤولين بسذاجة مُحيِّرة، كما يتبيَّن من الدعايات التلفزيونية عن حياة الجالية المسلمة في الولايات المُتَّحدة، التي أنتجها قسم الدبلوماسية العامّة في وزارة الخارجية بكلفة 15 مليون دولار، لكي تبثّ على الفضائيات العَرَبيّة والمسلمة خلال شهر رمضان بعد أحداث أيلول/ سبتمبر. هذه الدعايات التي أعطت صورة ((مثالية)) عن حياة المسلمين في أميركا، وركّزت على حُرِّيّتهم في ممارسة دينهم، حملة إعلامية تعرَّضت للانتقادات من قبَل مسؤولين في وزارة الخارجية نفسها؛ إذ اعتبرتها إمّا سياسة إعلامية ساذجة، أو مهنية، أو مُبسَّطة، أو أنها من دون جدوى، لاسيما أنه لا أحد يعرف المُجتمع

الأميركي على حقيقته، ويدَّعي أن هُناك اضطهاداً دينياً للمسلمين في أميركا؛ حيثُ يعتبر الإسلام من أكثر الأديان نمواً في هذه البلاد، على الرغم من الضغوط المعنوية التي عانى المسلمون منها بعد هجمات أيلول/ سبتمبر، وحوادث التحرُّش والاعتداءات التي تعرَّضوا لها مراراً هُنالك[1].

وبما أن وزارة الخارجية دفعت المال للفضائيات لبَثِّ الدعايات، فقد اتهمها البعض بمُحاولة ((شراء)) المفاهيم والقيم، والمفارقة كانت ـ أيضاً ـ أن السلطات ستكشف من مراقبتها ورصدها لتحرُّكات المواطنين الأمريكيين من أصل عراقي، أو العراقيين المقيمين في البلاد لتأييد سياساتها بالكامل، كما تمَّ الإعلان عن تكثيف مراقبة رعايا بعض الدُّول العَرَبيَّة والمسلمة الذين يزورون الولايات المُتَّحدة، واتِّباع سياسة غير لائقة ضدَّهم.

وتسعى وزارة الخارجية ـ بالتعاون مع الكونغرس، ومن خلال تشجيع المنظَّمات غير الحُكُومية ـ إلى رعاية برامج تبادل الزيارات والتعاون مع مُختلف القطاعات في العالَمَيْن العربي والإسلامي. وكما قال جورج بوش الابن ـ خلال حفل إفطار نظَّمه لقيادات الجالية المسلمة في أميركا أواخر عام **2003** ـ حيثُ قال: إن أميركا تريد أنْ ((تمدَّ يدها للمسلمين في مُختلف المجالات، المُعلِّمين والقيادات السِّياسيَّة والدينية، والصُّحُفيين، ورجال الأعمال))، ودعوة وفود منهم لزيارة الولايات المُتَّحدة، والاجتماع بنُظرائهم، والتعرُّف على مُختلف المؤسَّسات الأمريكيَّة، والحياة السِّياسيَّة في البلاد[2].

أمَّا كولن باول؛ فأشار إلى رعاية وزارته لزيارة وفد مُؤلَّف من خمسين امرأة من دُول عربية عدَّة، بينهنَّ برلمانيات وأكاديميات وصحفيات وناشطات في مجالات عديدة، للدلالة على رغبة حُكُومته في فتح مثل هذه الجسور مع العَرَب والمسلمين، وفي العمل ((مع شركائنا المسلمين لتوسيع دائرة السلام والازدهار والحرية))، وكان الهدف من زيارة الوفد دعم الانتخابات النِّصفيَّة الأمريكيَّة، والاجتماع بالمسؤولين السياسيين البارزين آنذاك، ومن بينهم كولن باول ومُساعدوه، ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، وغيرهما، عداك عن الرئيس نفسه، وتعريف الوفد بسُبُل تنظيم

---

(1) كتاب مُصوَّر صادر عن القسم الصحافي ـ س. الأمريكية، دمشق، بعنوان "هذا هُو رمضان في أمريكا"، الرئيس بوش الابن يلقي كلمة في.. الإفطار داخل البيت الأبيض ولقاؤه مع قادة مسلمين.

(2) عراقيون وعرب يناقشون أوضاع العراق والمنطقة في ندوة لمعهد السلام الأمريكي / واشنطن**18/ 11/ 2002**، فيكي سلفرومان، انظر أيضاً: new york times /11 12/2002 patrick.e.tyle

الحملات الانتخابية، واكتساب المهارات القيادية والتنظيمية والإعلامية، وآفاق المستقبل في العراق والمنطقة، وسُبُل الاتصالات الحديثة، وغيرها، في مجرى العلاقات العامَّة العَرَبيَّة الأمريكية.

وجاءت زيارة الوفد النسائي في سياق النشاطات التي تُشرف عليها ((إليزابيث تشيني)) المسؤولة عن البرامج الاقتصاديَّة والمالية للعالم العربي في وزارة الخارجية الأمريكية، بما فيها البرامج الرامية إلى تشجيع المُؤسَّسات المَدَنية والممارسات الديمقراطية، ويأتي التركيز على مُؤسَّسات المُجتمع المَدَني، وتشجيع التيَّارات الإصلاحية في العالم العربي، في سياق ما يُسمَّى ((مبادرة الشراكة في الشرق الأوسط))، والتي ستُؤدِّي إلى إعادة هيكلة وتحويل برامج المُساعدات الأمريكيَّة الاقتصاديَّة للدول العَرَبيَّة، بما فيها مصر والأردن، والتي تزيد على مليار دولار في السنة في المجالات التقليدية؛ مثل بناء البنية التحتية، وإنفاقها على توسيع الفرص الاقتصاديَّة والتعليمية، ودعم تطوير المُجتمع المَدَني، وحُكْم القانون ـ كما قال المُتحدِّث باسم وزارة الخارجية ـ وسوف يتمُّ التركيز ـ وفقاً للمُتحدِّث ـ على تلبية ((احتياجات النساء، والشباب، والطلاب، ورجال الأعمال الناشطين، من أجل التغيير والإصلاح السياسي))، وتأمل واشنطن من هذه البرامج ليس ـ فقط ـ مُساعدة قوى الإصلاح السياسي والقانوني في العالم العربي فحسب، بل ـ أيضاً ـ تحسين صورتها السلبية أو النمطية في المُجتمعات العَرَبيَّة، بعد أن اكتشفت مدى تقصيرها في هذا المجال في أعقاب هجمات أيلول/ سبتمبر 2001، وكان يُفترَض أن يُعلن كولن باول عن ((المبادرة)) وما تريد أن تُحقِّقه واشنطن في مجال تطوير الديمقراطية في العالم العربي في خطاب رئيسي مُقرَّر في أيلول/ سبتمبر (2002)م، ولكنْ؛ تمَّ تأجيل موعده إلى السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر؛ لكي لا يُخفِّف ذلك من وقع خطاب بوش في الأمم المُتَّحدة حول العراق.

ولكنَّ خطاب باول أُجِّل للمرَّة الثانية؛ حيثُ أُدخلت عليه تعديلات تشمل البرامج التي نُفِّذت مثل زيارة الوفد النسائي وغيرها لتحسين صورة بلاده في المنطقة، لكي لا يبدو الخطاب وكأنه مُحاضرة يلقيها باول على العَرَب حول حسنات الديمقراطية، وفقاً لما قالته مصادر مُطَّلعة في واشنطن[1].

---

(1) بيرنز يعرض أجندة عمل الدبلوماسية الأمريكية في المنطقة (مكافحة الإرهاب، نزع أسلحة الدمار الشامل من العراق، السلام العربي ـ الإسرائيلي ـ الإصلاحات الديمقراطية، انظر بهذا الخصوص النشرة الإخبارية الأمريكيَّة، بدمشق،13/ 11/ 2002.

وأُنيطت مهمَّة برامج ((المبادرة)) بالمُحامية إليزابيث تشيني؛ وهي ابنة نائب الرئيس ديك تشيني، والتي كانت ـ قبل تعيينها في منصبها ـ تعمل في:

((International Finance Corporation)) المُؤَسَّسة الدّوليَّة التي تُعنى بمُساعدة القطاع الخاصّ، والمُرتبطة بالبنك الدولي؛ حيثُ اكتسبت خبرة في عدد من الدُّول العَرَبيَّة، وجلبت تشيني معها إلى منصبها الجديد ليس ـ فقط ـ طاقة كبيرة تحتاجها لمواجهة تحدِّيات ضخمة في العالم العربي، بل ـ أيضاً ـ رغبة عميقة في فَهْم ديناميات المُجتمع العربي، ومُشكلاته، من أجل مُساعدة قوى الإصلاح والتغيير فيه، وتحديداً في قضايا المرأة، ويتبيَّن من تعليقات أعضاء الوفد النسائي العربي أنها نجحت ـ إلى حَدٍّ كبير ـ في الوُصُول إليهم، والتعاطف مع تطلُّعاتهم، والاستماع ـ بصَبْر وتفهُّم ـ إلى انتقاداتهم للسياسة الأمريكيَّة في المنطقة، والتي كانت ـ في أحيان كثيرة ـ صريحة للغاية، وقويَّة.

وأبرزت زيارة الوفد النسائي ـ وأحياناً بشكل نافر ـ المشكلات التي ستواجهها هذه الجهود الأمريكيَّة في المنطقة، بِغَضِّ النظر عن النوايا الحسنة، وصعوبة تخطِّي التناقضات والافتراضات والمُسلَّمات الخاطئة، أو المُسبقة عن بعضها البعض، التي عكسها الطرفان، ولكن الزيارة أظهرت ـ أيضاً، كما قالت تشيني وبعض أعضاء الوفد ـ وجود ضرورة مُلحَّة لمثل هذه الاتصالات، لأنَّها أرغمت الطرفَيْن على الاستماع لبعضهما البعض، واكتشاف أرضية مُشتركة، ولو ضيِّقة، يمكن توسيعها، والبناء عليها في المستقبل، وبينما كانت هُناك اجتهادات سياسيَّة مُختلفة ومتناقضة، كان هُناك شبه إجماع في الوفد العربي على أهمِّيَّة المهارات والخبرات المهنية والتنظيمية والعلمية والقيادية التي اكتسبها أعضاء الوفد في الحلقات والندوات التي نُظِّمت لهنَّ في المُؤَسَّسات الأمريكية.

وعلى الصعيد السياسي، كان النقاش بين الطرفَيْن ـ أحياناً ـ يبدو وكأنه ((حوار طرشان)) كما قالت أستاذة الاقتصاد في جامعة دولة الإمارات العَرَبيَّة المُتَّحدة فاطمة الشمسي. الانتقادات العَرَبيَّة تركَّزت على دعم واشنطن لـ (سرائيل)، ومسألة ((المعايير المزدوجة))، ورفض الحرب ضدَّ العراق، وغيرها من الانتقادات المشروعة. ولكنَّها عكست ـ في بعض الحالات ـ فَهْماً مُبسَّطاً لديناميات المُجتمع الأميركي، أو للسياسة الأمريكيَّة في المنطقة؛ حيثُ تحدَّث بعض أعضاء الوفد وبثقة كاملة عن وجود ((خُطَّة)) أمريكيَّة لتقسيم المنطقة إلى دويلات طائفية وعرْقية من كردية في العراق، إلى قبطية في مصر، وغيرها من الكيانات الغريبة، مُستشهدين بمقالات نُشِرَتْ في صُحُف

عربية، أو اتِّهام واشنطن بأنها مسؤولة عن التَّيَّار الإسلامي المُتطرِّف، ودعمته رُوسيا والسوفييت، كما عكست مواقف معظم أعضاء الوفد المواقف الرسمية لحُكُوماتهم؛ حيثُ كان هُناك تردُّد ـ مع بعض الاستثناءات – في اتِّخاذ مواقف مُستقلَّة، أو نقدية، لبعض أوجه التقصير، أو الخلل في الحياة العَرَبيَّة.

وكان السِّجال في بعض الأحيان ـ ولاسيما خلال اللقاءات مع كولن باول، وكونـدوليزا رايس ـ حامياً، وحتَّى عاطفياً. وكانت بعض مواقف كولن باول قوية ومُباشرة، لا، بل فظَّة ـ كما قال بعض أعضاء الوفد ـ ولاسيما عندما قالت رايس للنساء العربيات: ((إنَّها لا تعتبر الفلسطينيين الذين يقومون بعمليات انتحارية ضدَّ الإسرائيليين شُهداء، بل (قَتَلَة)، وطالبتهنَّ بنَبْذ وانتقاد هذه الممارسات)). هذا الموقف دفع رئيسة مركز شابَّات الخليل "عفَّت الجعبري" للرَّدِّ بقُوَّة على رايس، وقالت لها: "إن موقفها يكون مُختلفاً لو أدركت أبعاد معاناة الفلسطينيين في ظلِّ الاحتلال الإسرائيلي المُهين"، وفُوجئت رايس بالمداخلة، وشعرت ببعض الإحراج عندما اغرورقت عيون الجعبري بالدموع، وقامت بمعانقتها والقول لها: إن موقفها من العمليات الانتحارية لا يعني أنها لا تُدرك معاناة الفلسطينيين.

وخلال اللقاء مع كولن باول وزير الخارجية الأمريكية؛ تحدَّث أعضاء الوفد عن الكيل بالمعايير المُزدوجة، وقُلنَ: إنه على واشنطن ألا تطالب العراق ـ فقط ـ بنزع أسلحة الدمار الشامل لديه، بل مطالبة (إسرائيل) ـ أيضاً ـ بذلك، وفُوجِئ بعضهنَّ عندما رفض باول هذا الطرح قائلاً:

"إن (إسرائيل) ـ وبعكس العراق ـ لم تستخدم هذه الأسلحة ضدَّ جيرانها، أو ضدَّ شعبها، ومُكرِّراً القول: إنها حليف قديم لأميركا وهي دولة ديمقراطية"، وأعرب بعض أعضاء الوفد العربي عن إحباطهنَّ من أقواله تلك؛ لأنَّ المسؤولين الأميركيين يرفضون الاعتراف بمسؤولياتهم السِّياسيَّة والأخلاقية عن السياسات الإسرائيلية الاستيطانية والقمعية ضدَّ الفلسطينيين، خاصَّة الدعم داخل الأُطُر الدّوليَّة، أو الاعتراف بمسؤولياتهم عن الأضرار الكبيرة، التي ألحقتها العقوبات الاقتصاديَّة بالشعب العراقي، ومُحاولات التدخُّل بشُؤُونه الداخلية، ومحاصرته لفترة طويلة. أمَّا بعض أعضاء الوفد؛ فأعربنَ عن تشكيكهنَّ بنوايا الولايات المُتَّحدة تجاه الشعب العراقي، لأنَّ هَمَّ واشنطن هُو التخلُّص من صدام حسين فقط، وليس تحسين الديمقراطية والتنمية في العراق، ولم يقتنعنَ بتأكيدات المسؤولين الأميركيين، بل على العكس زدنَ من تشكيكهنَّ، كما أعربنَ عن عدم ارتياحهنَّ لما اعتبرنَه

تعلُّم دروس الديمقراطية من الأميركيين، وبالغنَ في الإشادة بحسنات الديمقراطية في بعض الدُّول العَرَبيَّة، بما في ذلك الإشارة إلى أن نسبة النساء في البرلمان المغربي وصلت إلى 13 بالمئة خلال الحقبة البرلمانية القصيرة نسبياً في المغرب، بينما وصلت هذه النسبة في الكونغرس الأميركي في هذا الوقت ـ أيْ بعد مرور أكثر من ثمانين سنة على حصول المرأة الأمريكيَّة على حقِّ الانتخاب ـ إلى المستوى نفسه.

كما برز بعض الفتور في الوفد بين أقلِّيَّة علْمانية وأكثرية مُتديِّنة، كما كان من الطبيعي أن يشير أعضاء الوفد من الكويتيات بخطر صدَّام حسين على بلدهنَّ، أكثر من غيرهنَّ ، وكانت هُناك درجات متفاوتة بالنسبة للأولويَّة السِّياسيَّة، وعندما قدَّمت النساء الفلسطينيات بياناً للمسؤولين الأميركيين بالثوابت الفلسطينية، رفض معظم الأعضاء الأُخريات التوقيع عليه، بحُجَّة أن الوفد لا يقوم بمهمَّة سياسيَّة، (وهذا تناقض صريح)، وقالت الدكتورة الكويتية رُولى عبد الله دشتي "إنه على الرغم من هذه الاجتهادات السِّياسيَّة، فإن معظم أعضاء الوفد شعرنَ أن البرنامج كان مثمراً وناجحاً"، وخاصَّة حلقات التدريب التنظيمية، وقالت "إن ما تحتاجه المرأة العَرَبيَّة هُو الحصول على المهارات والخبرات التي تسمح لها بتنظيم قواها، واتِّخاذ المبادرات الجديدة"[1].

سادساً: مفارقات أميركية في توجُّهات عهدَيْن

تركَّز الاهتمام الأميركي في عهد بيل كلينتون في السياسة الخارجية الأميركية على العديد من القضايا الحيوية، التي تميَّزت بها إدارة الحزب الديمقراطي من غيرها من الإدارات الأميركية السابقة؛ إذْ ليس المُهمّ النظر إلى الخلفية السِّياسيَّة لبيل كلينتون فحسب، بل ولخلفيَّته الفكرية والحزبية، باعتباره ينتمي إلى طائفة الكاثوليك في الولايات المُتَّحدة، وهي الطائفة نفسها التي انتمى إليها كينيدي الرئيس الأميركي المغدور، وهُنا تكمن المفارقة الأولى؛ إذْ استطاع كلينتون ـ إلى حُدُود معينة ـ استقبال الزعيم السياسي لحزب (الشين فين) من إيرلندا الشمالية، بعد معاناة شعبها من أشكال التطرُّف والإرهاب اليميني والاستعمار البريطاني السحيق.

---

(1) انظر بهذا الصدد:

musimamevicas reneu faith durng ramadan

Bglaurai Bvowu-washingtoubost file staffwvite /11/ December /2001/.

قام الرئيس بوش بإصدار تعليمات لطباعة أوَّل طابع بريدي، يُكرِّم عيدي الأضحى والفطر في الولايات المُتَّحدة، ويستضيف أطفالاً ومُمثِّلين عن الجالية الإسلامية تعبيراً عن التقرُّب للجالية الإسلامية، ودورها في المُجتمع الأمريكي.

شكّلت شخصية بيل كلينتون كاريزما مُهمّة بالنسبة إلى رئيس أميركي برغماتي؛ يستطيع التحرُّك باتّجاهات مُختلفة لصوغ سياسة دولة كبيرة ومُهمّة؛ مثل الولايات المُتّحدة على مُختلف الصُّعُد، حدَّدها الرئيس نفسه في إحدى دراساته المُهمّة[1]. وإذا ما دقّقنا قليلاً من حيثُ البحث والتحليل السياسي الدقيق، سنجد أن إدارة بيل كلينتون كانت مُتفوِّقة على أيِّ إدارة أمريكيّة سابقة، حتّى على إدارة الرئيس الحالي جورج بوش الابن من حيثُ اهتماماتها المُركّزة على ما يأتي:

أ ـ حلّ المسألة الكورية، والصراع الذي نشب مُدّة طويلة بين الكُوريّتَيْن، وقدّم بيل كلينتون مشروعه السياسي والتوحيدي لحلِّ الصراع بينهما بالطُّرُق السِّلْمية، ويعود الفضل إليه بالتقريب بين البلدَيْن في تقديمه (مشروع الإطار)، الذي صمّمه، وقدّم ـ من خلاله ـ رؤية موضوعية، حثّ ـ من خلالها ـ إدارة كوريا الشمالية للتكامل الاقتصادي مع سيؤول، وبالتّالي؛ التخفيف من أعباء العداء بينهما، ما أدّى إلى عودة الأُسرة الواحدة في الكُوريّتَيْن للتلاقي بعد فراق أكثر من (50) سنة.

ب ـ اعتذار كلينتون للقارّة الأفريقية وبعض دولها، عن استخدام الحُكُومات الأميريكية للزنوج الأفارقة (أولاد عموم الزنوج الأمريكيين) في مرحلة سوداوية في التاريخ الأميركي (اضطهاد الزنوج ومرحلة العبودية فيها)؛ حيثُ كان تكبيلهم للعمل في المزارع الأمريكية، أو في المناجم والمصانع؛ كعبيد، وليس كبشر. وقد تحسّنت ـ الآن ـ صورة الزنوج الأمريكيين، ودورهم كمواطنين عاديين يتمتّعون بحقوق واسعة في مُختلف مجالات الحياة، برغم الفقر والبطالة الواسعة في صفوفهم. وقد شكّل اعتذار كلينتون والحزب الديمقراطي الأميريكي للأفارقة حالة سياسيّة شفّافة قياساً بمُمارسات الحُكُومات السابقة، رغم أنه لم يعتذر للإمبراطور الياباني عن قصف هيروشيما ونغازاكي!!

ج ـ مُحاولاته حلّ أزمة الشرق الأوسط، واستقباله الرئيس عرفات وباراك، وفيما بعد فاروق الشرع، في واي ريفر، والجلوس معهما، وحثّهما على المضي في تسوية عادلة، واستبعاد التوتُّر والحرب في المنطقة، ولعبت مادلين أُولبرايت ـ مهندسة الخارجية الأميريكية ـ الدور الأبرز في هذه العملية، مع التوتُّر والاضطراب الذي ساد علاقاتها مع نتنياهو، وتصريحاتها النارية ضدّه في نادي الصحافة الدّوليّة بواشنطن[2].

---

(1) نشرته صحيفة الدُّستُور الأردنية 4/ 1/ 2002/ ص13/ موقف كلينتون من الإرهاب.

(2) تصريحات أولبرايت / مجلّة النبأ/ نيسان 2001/ بيروت، ص15، ص25، دورا أولبرايت ودينيس روس في عملية السلام.

وحاول كلينتون بزيارته لغزَّة إضفاء الشرعية والاعتراف بوجود السلطة الفلسطينية، وأيَّد هنري كيسنجر تلك الزيارة، وما تخلَّلها من تصريحات، كما انتقد نتنياهو بقوله: "إنه اتَّبع سياسة "التدمير الذاتي" بعدم تطبيقه للاتِّفاقيَّات مع السلطة الفلسطينية"، علماً أن كيسنجر - الذي دعا إلى قيام دولة فلسطينية - أكَّد أن أمن (إسرائيل) أوَّلاً هُو الأساس في أيِّ اتِّفاقيَّة، والمُتتبِّع لممارسات وتصريحات الرئيس الأميركي السابق سيجد المفارقات كبيرة بينه وبين إدارة جورج بوش الابن القابع في مزرعته في تكساس، ولا يتحرَّك إلَّا قليلاً من دون أن يُقدِّم شيئاً للمُجتمع الدولي، سوى أنه أيَّد - بالمطلق - حملة أرييل شارون واجتياحه لأراضي السلطة في الضفة والقطاع، وضرب البنى التحتية للشعب الفلسطيني[1].

إلَّا أن كلينتون أفسح المجال واسعاً لعناصر مُغرضة من اللوبي الصهيوني الأميركي لتمييع السياسة الأميركية، وشدِّها باتِّجاه واحد هُو خدمة "المصالح الاسرائيلية " في المنطقة، وفي خفايا الأمور فإن قضية "مونيكا غيت" الفضائحية وقضية الجاسوس (جونثان بولادر) جعلتا الأميركي المُتبصِّر ينظر بعين الريبة والشَّكِّ إلى دور اليهود الصهاينة في التجمعُّات الأميركية اليهودية الكُبْرَى؛ للتأثير في مراكز القرار السياسي الأساسية، وبالأخصِّ؛ في مُؤسَّسة الرئاسة الأميركية.

من هُنا؛ يتَّضح الفارق الكبير من خلال الموضوعية النسبية في الخطاب السياسي لبيل كلينتون، يقابله التطرُّف في خطاب الرئيس الأميركي الحالي الخارج من مزارع تكساس بعقلية الكوبوي، والتي تنظر للخصوم مهما كانوا على أنهم - جميعاً - مطلوبون (إمَّا أحياء، أو أمواتاً)، ولا يوجد حلول أُخْرَى في الطريق، هذا المنطق لم يردْ في خطاب الرئيس كلينتون؛ وإنْ كانت مادلين أولبرايت - بحنكتها، ودورها - عملت على توريطه في قضايا عدَّة، وتشجيعها لدينيس روس للضغط على السلطة الفلسطينية، وابتزازها مراراً وتكراراً.

وهُنا؛ بعض الملاحظات على توجُّهات خطاب الرئيس السابق:

1 - تحدَّث كلينتون عن اغتيال كينيدي على يد أميركيين من أبناء وطنه!! أيْ أن الإرهاب يمكن أن ينشأ داخل الولايات المُتَّحدة نفسها وخارجها، والإرهاب حالة استثنائية، مشيراً إلى اغتيال مارتن لوثر أيضاً، وكذلك اغتيال غاندي بأيدي الهنود أنفسهم!!

---

(1) انظر بهذا الصدد / صحيفة السفير اللبنانية، 19/ 6/ 2002، مفارقات أمريكيَّة.

2 ـ اعتبر مقتل أنور السادات على يد مواطن مصري في سياق الأعمال الإرهابية الأُخْرَى.

3 ـ اعتبر اغتيال رئيس الحُكُومة الإسرائيلية الأسبق إسحق رابين على يد يهود إسرائيليين عملاً إرهابياً قام به اليهود ضدَّ رئيس حُكُومتهم.

هذه الرُّؤية لبيل كلينتون ليست موجودة في خطاب الرئيس الأميركي الحالي، الذي أعلن ـ بصلافة ـ تأييده للإرهاب الشاروني، وحملته الهمجية ضدَّ الشعب الفلسطيني، وبشكل مُباشر، مع تبرير ممارساته، وتأييده لها بالمطلق، في حين دعا كلينتون إدارته لتفادي أعمال خطيرة (مثلما حصل في 11 أيلول/ سبتمبر 2001) بكبح جماح كلّ الجماعات الدينية المتطرِّفة، والتعامل معها بأسلوب آخر، بالانفتاح عليها جميعاً، ومعرفة نقاط ضعفها، وقُوَّتها، ومطالبها، وفي السياق نفسه؛ يُحدِّد كلينتون الأزمة العالمية، ومسؤولية الولايات المُتَّحدة فيها، مُركِّزاً على قضايا خطيرة تهمُّ البشرية ومناطق النزاع، مُحاولاً نزع فتيلها بجدِّيَّة، ومن أجل هذا؛ كانت زياراته للرئيس حافظ الأسد في دمشق؛ حيثُ تكوَّن انطباع لدى الرئيسَيْن حول أهمِّيَّة الحوار الأمريكي والسوري، واحترامهما المتبادل على أساس الصراحة والمكاشفة[1]، وهذا ما يُقدِّره التاريخ السياسي للمنطقة. والسُّؤال: ألا يفيد الرئيس الأميركي الحالي أنْ يعيد قراءة توجُّهات سلفه الديمقراطي؟!

لستُ مواطناً أمريكياً كي أسجِّل هُنا الميزات المهمَّة السلبية والإيجابية للرئيس الأميركي السابق، ولكنَّني ـ كمُحلِّل سياسي ـ أعرف طبيعة المُجتمع الأميركي، وقواه، ودوره في الصراع، أو السلام العالمي، ودور أيّ رئيس أمريكي في المنطقة، ومن واجبي الوطني والقومي والأكاديمي أن أُعيد دراسة بعض السياسات الأمريكيَّة حيال قضية الشعب الفلسطيني، أو حيال أزمة المنطقة عموماً، مع إدراكي العميق أنه لا يوجد رئيس أميركي إلَّا ويُقدِّم المُساعدات الكبيرة لـ(إسرائيل)، التي تُشكِّل 5 ملايين نسمة، بينما هُنالك مليار مسلم في العالم يُمثِّلون العالم الإسلامي؛ إذْ كيف يمكننا استيعاب حقيقة الدعم الأميركي المطلق للكيان الصهيوني، وكلّ الأموال العَرَبيَّة والأسواق العَرَبيَّة مفتوحة أمام الأمريكيين، بينما ماذا تُقدِّم (إسرائيل) للولايات المُتَّحدة مقارنة بما يُقدِّمه العَرَب لها..؟!

رغم ذلك يبقى من المُهمِّ دراسة خطاب بيل كلينتون، وهُو خارج سدَّة الرئاسة، خُصُوصاً بتركيزه على نقاط حيوية من مثل أهمِّيَّة حلّ مشكلات (الفقر والتخلُّف) في العالم، ودعوته لتصحيح

---

(1) انظر بهذا الصدد / صحيفة السفير اللبنانية – 19/ 6/ 2002/ المصدر السابق نفسه.

مسار الاقتصاد العالمي، وضرورة الاستفادة من ثورة الاتِّصالات والتكنولوجيا العالمية المُهمَّة للشُّعُوب والدُّول جميعاً، ومعلوم أنه ((حينما تولّى كليتتون الرئاسة كان هُناك (50) موقعاً لشبكة الإنترنت في أنحاء العالم، لكنَّه دعم إمكانيات توسيع تلك الشبكة العالمية؛ لتصل ـ مع نهاية ولايته ـ إلى 350 مليون موقع في العالم))، هذا الاهتمام الدقيق للرئيس الأمريكي السابق بالقضايا العلمية والتقنية؛ دفع العالم ـ فعلياً ـ لاستدراك أهمِّيَّة الحوار الحضاري والتعاون المعلوماتي التقني والتكنولوجي، إضافة لـ (اللقاءات السِّلْمية)، وأذكرُ ـ هُنا ـ أن إحدى الناشطات من الحزب الديمقراطي الأميركي في مؤتمر الحوار الدولي الذي عُقد في صوفيا عام (1984) أكَّدت اهتمام ذلك الحزب بنشر العلم والتكنولوجيا، وتخليص الشُّعُوب من الفقر والأمراض، وتوظيف ميزانيات الحُرُوب للاهتمام بالدول النامية، وتطوُّرها الاقتصادي. ولا يمكنني أن أجزم ـ هُنا ـ أن جميع دُول أعضاء الحزب الديمقراطي الأميركي يحملون الأفكار نفسها، وأن تكون مُجرَّد أفكار للتسويق والإعلان، ليس إلَّا، لكنْ؛ ـ رُبَّما ـ للرئيس جيمي كارتر أدوار مُهمَّة لرعاية شؤون السلام والحوار أيضاً.

وفي هذا السياق يمكن القول إن مسألة حماية البيئة وكوكبنا (الأرض) من الحرارة المرتفعة والتلوُّث البيئي سنوياً بسبب الثقوب الكبيرة في طبقة الأوزون (O^3) وأهمِّيَّتها بالنسبة لحياة الكائنات الحيَّة والبشر، أصبحت في رؤية كلينتون قضية مصيرية، تحتاج إلى جهد أميركي وعالمي، وإلى استراتيجية عالمية هدفها الانتهاء من الحُرُوب وميزانياتها المرتفعة، لمصلحة التنمية، وتخليص الشُّعُوب من الأمراض الخطيرة في أميركا والعالم. فقد بلغ عدد الإصابات بالآيدز في الولايات المُتَّحدة نفسها (40) مليون إصابة، ويخشى أن ترتفع إلى (100) مليون إصابة عام 2005.

هذا الرقم الخيالي يفرض على إدارة جورج بوش الابن إعادة النظر بكُلّ سياساته لما فيه مصلحة الشُّعُوب، وخاصَّة الشعب الأمريكي، بدلاً من شنِّ الحرب على أفغانستان الفقيرة، وعلى العراق، والاستمرار باستفزاز وإعلان الحرب على الحركات الإسلامية، وتحقيرها، أو مطارداتها، ونعتها بشتَّى النُّعُوت، وزيادة التطرُّف عمَّا سبق، وما تُنذر به الحرب بين الهند وباكستان، وما سوف يتحمَّله الشعبان الفقيران هُنالك ليست إلَّا من مُسبِّبات سياسيَّة إدارة بوش الثاني في أفغانستان، أو تهديد العراق بالغزو[1].

---

(1) أرميتاج: الولايات المُتَّحدة تأمل بعدم نشوء حاجة لاستخدام القُوَّة/ والحرب ضدَّ العراق/ نائب وزير الخارجية الأمريكي stats amitage inter-nov 15 by for arabic lauguage media الأربعاء 20/ 11/ 2002.

سابعاً: الحرب.. مرآة لعصر التكنولوجيا؟ أم لسباق الهيمنة؟!

هلَّل البعض لنظام العَوْلَمَة وشعاراته الكُبْرَى في تحقيق التقارب وتحطيم الحواجز بين الدُّول والشُّعُوب، لكنْ؛ ما تحاول الإدارة الأمريكية فرضه على العالم بدَّد الأمل بإقامة نظام إنساني ديمقراطي عادل، باستخدامها منجزات العلم والتكنولوجيا لتحقيق السيطرة والهيمنة على آسيا والشرق الأوسط (ولاسيما آسيا الوُسْطَى والخليج العربي)، وإثارة الحُرُوب التي تدفع ثمنها شُعُوب المنطقة والعالم، ولاسيما الدُّول النامية والفقيرة منها.

لقد شهد العالم ـ مُنْذُ بداية القرن الحادي والعشرين ـ تبنِّياً أمريكياً لبعض المقولات الاقتصاديَّة ـ النيوليبرالية، مع ملاحظة أن موقف الحزب الديمقراطي الأمريكي تميَّز ـ إلى حدٍّ ما ـ في السير باتِّجاه أقلّ خطورة عن الحزب الجُمهُوري، فالأوَّل اعتمد سياسة الانفتاح في مُختلف مناطق العالم، فيما يصرُّ الحزب الجُمهُوري وصقوره من كبار العسكريين والساسة على نقل الأمور إلى الصراع والاستفزاز العسكري المُباشر وغير المُباشر، الاقتصادي والثقافي أيضاً، وفرض القُوَّة كعامل تنافس محتدم ومُستشرٍ في العلاقات الدّوليَّة، ومُحاولة تجاوز مجلس الأمن والهيئة الأممية، والمواقف الحيادية لبعض الدُّول الأوروبية من منطق التدخُّل المُباشر.

إن القُوَّة المُحرِّكة للحزب الجُمهُوري الأمريكي تقوم على فرض القُوَّة العسكرية، وتسيُّد المصالح الأمريكيَّة العسكرية والاقتصاديَّة على العالم، والتي تشمل النفط والاستثمارات وطُرُق الإمداد، والحرص على مصادر الطاقة، وإيصالها السريع في الخليج العربي وآسيا الوُسْطَى، مع ملاحظة وجود مساحة واسعة من الوحدة والصراع الاقتصادي بأشكاله المُتعدِّدة بين مُختلف دُول العالم الصناعي، والصراع ـ هُنا ـ تُستخدم فيه ـ أيضاً ـ الأساليب السِّياسيَّة الماكرة والمراوغة الثَّقافيَّة والفلسفية على أساس "الغاية تُبرِّر الوسيلة" كوجه آخر لعدم تطبيق المعايير الدّوليَّة، بشكل منسجم مع ميثاق الأمم المُتَّحدة والمعاهدات الدّوليَّة، التي يُفترَض أن يلتزم بها الجميع.

لقد انتقد ـ مُؤخَّراً ـ زعماء الحزب الديمقراطي ـ بشدَّة ـ سياسة الإدارة الأمريكية الحالية، معتبرين أنها سياسة طائشة، قد تُؤدِّي إلى وقائع وآفاق خطرة جدّاً، تُؤكِّدها تقارير مُهمَّة صدرت مُؤخَّراً عن "معهد بوسطن"، أو جامعة "هارفرد"، أو "هيئة البورد الأمريكية، أو مُمثِّلين عن تلك

الجهات الأمريكية المُهمَّة بمَنْ فيهم وزير العدل الأمريكي السابق[1]، أو موقف المخرج الأمريكي مايكل مور في هوليوود عند تسليم جوائز الأوسكار 2002م.

ومقابل ذلك يرى بعض المُحلِّلين أن هُناك دوراً أوروبياً (فرنسيّاً وألمانيّاً) يحاول الحفاظ على قُوَّة أوروبا بعيداً عن طبول الحرب، ويعتبر أن الحرب ـ بكلّ ما تحمله من معانٍ غير إنسانية ـ هي حرب مجرمة، ومُهلكة، ومُخرِّبة للاقتصاديات الأُخْرَى، التي هي بأمسّ الحاجة إلى الإنماء والتطوير والتحديث، لذلك؛ فإن الولايات المُتَّحدة تتحوَّل ـ فعلياً ـ إلى نظام فوق الشُّعُوب والدُّول، بسياسة جورج بوش الابن، وهي التي تحاول التحكُّم بالمنظَّمة الدّوليَّة ومجلس الأمن والشرعية الدّوليَّة، وما يتفرَّع عنهم من القوانين الدّوليَّة، مُغمِضة عينَيْها عن الفظائع الإجرامية وحرب الإبادة التي تقوم بها ضدَّ الشعب العراقي أو الشعب الأفغاني، أو ما تقوم به (إسرائيل) في الأراضي العَرَبيَّة الفلسطينية، أو ما جرى ـ سابقاً ـ بتشويه وقتل مليون ونصف عراقي نتيجة اليورانيوم المُستنفذ في العراق، وبعد ذلك؛ ليس غريباً أن يظهر الزعيم الأفريقي "نيلسون مانديلا" قبل فترة على المحطَّات الفضائية ليقول: إن الولايات المُتَّحدة لابُدَّ أن تُحاسَب؛ لأنَّها أكبر دولة في العالم تتدخَّل ـ بشكل سافر ـ بشؤون الدُّول الأُخْرَى، وتحاول تدمير سيادتها، ومُقدّراتها، دون الأخذ بالاعتبار تقرير المصير تلك الشُّعُوب في العالم.

إن تبنِّي القُوَّة معياراً في العلاقات الدّوليَّة، وفرضها على العالم كُلّه؛ يفرض نموذجاً إرهابياً من نوع خاصٍّ جدّاً في العلاقات الدّوليَّة، ويتجاوز منظَّمة الأمم المُتَّحدة، وميثاقها العالمي الأساسي، ويعمل على تعميم القِيَم الأمريكية القادمة على ظهر السُّفُن والبوارج الحربية للحفاظ على المصالح الأميريكية ـ الإسرائيلية في مشروع شرق أوسط وآسيا الوُسْطَى الجديد.

لقد هلَّل البعض لنظام العَوْلَمَة الأميركي الذي يسعى ـ بكُلِّ جهوده ـ لابتلاع العالم وخيرات البلدان المُستقلَّة، واقتصاديَّاتها بالقُوَّة، ورغماً عنها، بذرائع الحفاظ على مواقعه الاستراتيجية والتكنولوجية المُرتبطة بالأقمار الصناعية؛ أيْ بمعنى أدقّ وأشمل؛ استخدام منجزات الحضارة البشرية والعلم والتقدُّم، لتحقيق مآرب الدُّول الكُبْرَى بفرض سطوتها في مُختلف المجالات، وهي بهذه الصورة التعسُّفية والقَسْرية تفرض ـ فعلياً ـ التخلُّف والتأخُّر، وتمنع الديمقراطية والتقدُّم،

---

(1) دور وزير العدل الأمريكي السابق في الحرب الأمريكية على العراق والحصار الجائر.

وتُشجِّع على الصراعات المكشوفة، التي تحمل الدمار والقتل والإبادة. ونظام العَوْلَمَة الذي تحاول الإدارة الأمريكية فرضه لن يسمح بإقامة نظام عالمي ديمقراطي جديد بأيِّ حال من الأحوال؛ بل نجده يُبدِّد أيَّ أمل لنشوء نظام عالمي أكثر عدالة، وإن الحقيقة التي تحاول الإدارة الأمريكية الحالية تجاهلها، لن تُؤكِّد ـ بكل الأحوال ـ أن تكون دُول وشُعُوب العالم مُستنسَخة عن العقلية الأمريكية، أو البريطانية، في حساب الأمور السِّياسيَّة، أو القانونية، أو الثَّقافيَّة، أو الاقتصاديَّة، عبر عُقُود طويلة من الاستعمار، والتفوُّق التكنولوجي الجديد.

لكنَّ فشل الدُّول الصناعية الكُبْرَى، بما فيها المؤسَّسات الدّوليَّة مثل (البنك الدولي، وصندوق النقد، والمكتب الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المُتَّحدة) في برامجهم الإصلاحية؛ يعني أنَّ نوازع الاستغلال والأنانية وحب الهيمنة والسطوة ماتزال تلفُّ عقول الساسة في الإدارات الأمريكية والبريطانية والأسترالية، والذين لا ينظرون للعالم إلَّا من خلال المصالح الخاصَّة، دون الاكتراث بمصير الشُّعُوب والدُّول الأُخْرَى.

لقد أكَّد رئيس الوزراء الماليزي مهاتير مُحمَّد، مُعبِّراً عن انتقاده لتلك المواقف بالدعوة لإعادة التوازنات الديمقراطية في العلاقات الاقتصاديَّة الدّوليَّة[1]...!!، كما أثارت انتقادات معهد هارفرد لدور بيوت المال الدّوليَّة على تقصيرها في معالجة الأزمات في آسيا والشرق الأوسط أهمِّيَّة خاصَّة في السياق نفسه، وعملها على زيادة الاضطرابات في الأسواق المالية بالاستفادة من أجواء التصعيد للحرب، حتَّى موقف هيئة البورد للصحَّة الأمريكية كان واضحاً ـ أيضاً ـ من الحرب، ومُحاولات واشنطن توظيف خسارات الشُّعُوب والدُّول الأُخْرَى إلى عوامل ربح تجارية مَدَنية وعسكرية لها، عبر السيطرة على مُقدَّراتها وخيراتها بالإرهاب والقُوَّة، واستشراء سياسة الحرب وسباق التسلُّح؛ وهي سياسة لا تصلح لعصر تكنولوجي وديمقراطي حقيقي؛ عصر يدَّعون أنه عصر العَوْلَمَة الجديد وعصر التكنولوجيا الجديدة.

---

(1) انظر إلى: مجلَّة الصَّيَّاد دراسة وتقرير مُهمّ عن الشرق الأوسط في دراسة ألمانية عن معهد دراسات العلاقات الدّوليَّة في ألمانيا نشرته مجلَّة " دراسات بالتعاون مع مركز دراسات العالم العربي " تحت عنوان " ديناميات إقليمية في الشرق وحُدُود النُّفُوذ الخارجي/ الصَّيَّاد/ العدد2860/ 27آب/ أغسطس 1999، ص 34/ 35/ والعدد2861/ 3 أيلول/ سبتمبر/ 1999/ حول إنشاء التكتُّلات القومية والتعاون السياسي والاقتصادي الدولي.

ملحق رَقْم (1)

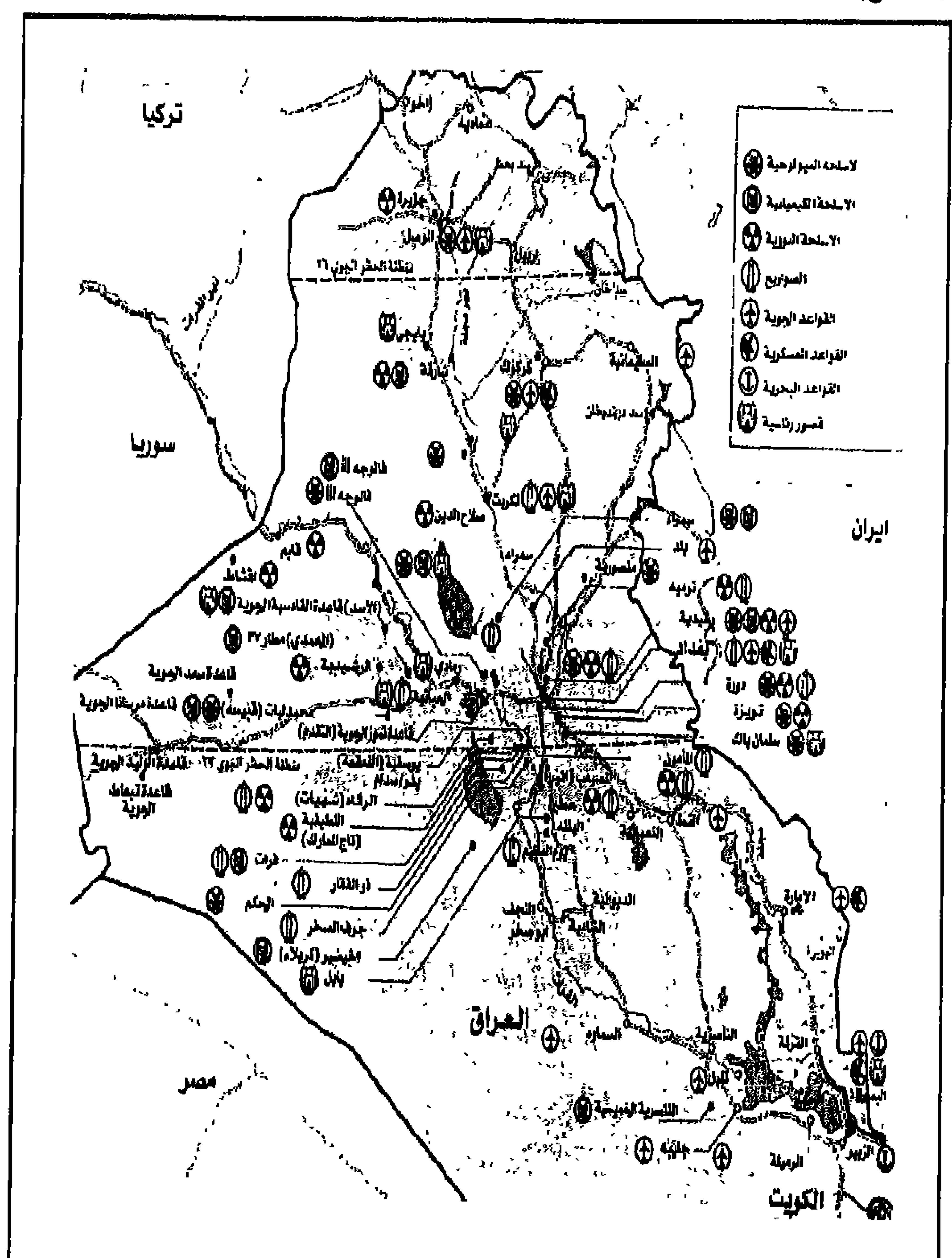
الأمم المُتَّحدة: فيما يلي ترجمة غير رَسمية لنصِّ القرار الأمريكي البريطاني عن العراق، الذي أقرَّه مجلس الأمن:

"إن مجلس الأمن... إذْ يشير إلى قراراته السابقة ذات الصلة، ولاسيما قراراته 661 (1990) المُؤرَّخ السادس من آب/ أغسطس عام 1990 و678 (1991) المُؤرَّخ 29 من تشرين الثاني/ نوفمبر 1990 و686 (1991) المُؤرَّخ الثالث من نيسان/ أبريل 1991 و688 (1991) المُؤرَّخ 15 من آب/ أغسطس 1991 و715 (1991) المُؤرَّخ 11 من تشرين الأوَّل/ أكتوبر 1991 و986 (1995) المُؤرَّخ 14 من نيسان/ أبريل 1995 و1284 (1999) المُؤرَّخ 17 من كانون الأوَّل/ ديسمبر 1999، وكلّ بيانات رئيسة ذات الصلة؛ وإذْ يشير - أيضاً - إلى قراره 1382 (2001) المُؤرَّخ 29 من تشرين الثاني/ نوفمبر 2001، وعزمه تنفيذه تنفيذاً كاملاً. وإذْ يدرك الخطر الذي يُشكِّله عدم امتثال العراق لقرارات المجلس، وانتشار أسلحة الدمار الشامل والصواريخ طويلة المدى على السلام والأمن الدوليّيْن، وإذْ يشير إلى أن قراره 678 (1990) فوَّض الدُّول الأعضاء استخدام كلّ السُّبُل اللازمة لدعم وتنفيذ قراره 660 (1990) المُؤرَّخ الثاني من آب/ أغسطس 1990 وكلّ القرارات ذات الصلة اللاحقة للقرار 660 (1990) ولإعادة السلام والأمن الدوليّيْن في المنطقة، وإذْ يشير - أيضاً - إلى أن قراره 687 (1991) فرض التزامات على العراق، كخطوة ضرورية لتحقيق الهدف المُعلَن استعادة السلام والأمن الدوليّيْن في المنطقة، وإذْ يأسف أن العراق لم يُقدِّم كشفاً دقيقاً شاملاً نهائياً ومكتملاً كما يقضي القرار 687 (1991) عن كلّ جوانب برامجه لتطوير أسلحة الدمار الشامل، والصواريخ ذاتية الدفع التي لها هذه الأسلحة ومُكوّناتها، ومنشآت إنتاجها ومواقعها، وكذلك كلّ البرامج النووية الأُخْرَى، ومنها أيّ برنامج يزعم أنه لأغراض غير متَّصلة بالموادّ المُستخدمة في صنع الأسلحة، وإذْ يأسف مُجدَّداً - أن العراق عرقل - مراراً - الوُصُول الفوري غير المشروط وغير المُقيَّد إلى مواقع حدَّدتها اللّجنة الخاصَّة للأمم المُتَّحدة والوكالة الدّوليَّة للطاقة الذّرّيّة، ولم يتعاون تعاوناً كاملاً غير مشروط مع مُفتِّشي الأسلحة التابعين للَّجنة الخاصَّة للأمم المُتَّحدة والوكالة الدّوليَّة للطاقة الذّرّيّة، كما يقضي القرار 687 (1991) وأوقف في نهاية الأمر - كلّ تعاون مع اللجنة والوكالة في عام 1998، من غياب عمليات المراقبة والتفتيش والتحقُّق الدّوليَّة في العراق، كما تقضي القرارات ذات الصلة لأسلحة الدمار الشامل والصواريخ ذاتية الدَّفْع، على الرغم

من مطالب المجلس المُتكرِّرة أن يُوفِّر العراق وصولاً فورياً غير مُشترط ومُقيّد للجنة الأمم المُتّحدة للمراقبة والتحقُّق والتفتيش، التي أُنشئت في القرار 1284 (1991) لتكون خَلَفاً للَّجنة الخاصّة وللوكالة الدّوليّة للطاقة الذّرّيّة(•).

مُلحق رَقْم (2)

هُنا صُورة خريطة



مواقع الأسلحة والمخازن حسب الادّعاءات الغربية ـ الصَّيَّاد 20 كانون الأوّل/ ديسمبر 2002.

(•) انظر إلى صحيفة القُدْس العربي ـ 9/ 10/ 2002، العدد 4194. النّصّ الكامل للقرار الأمريكي الذي أقرّه مجلس الأمن ـ يطلب المجلس من جميع الدُّول الأعضاء تقديم دعمها الكامل للجنة الأمم المُتّحدة للمراقبة والتحقيق والتفتيش ونشاط الوكالة الدّوليّة للطاقة الذّرّيّة للقيام بمهمّاتها في العراق.

القسم الثاني

أوّلاً: العَوْلَمَة الأمريكيّة تجتاح أسوار بكّين

(هل تُنهي أفكارُ صموئيل هنتغتون حضارةَ الصِّين وثقافتها الآسيوية؟)

لا شكَّ أنَّ الصِّين ماتزال تحظى بأهمية كُبْرَى في الاستراتيجية الأمريكية الكونية، أكان ذلك بالنسبة إلى تحليلات ودراسات ساندي برغر مستشار الأمن القومي السابق، أم بالنسبة إلى صموئيل هنتجتون؛ حيثُ لا يرضى هؤلاء وغيرهم إلَّا أن تكون الصِّين تابعة في عجلة نظام العَوْلَمَة، وأن تشهد الإفلاسَ مع أوروبا (ألمانيا ـ فرنسا) كقوى عُظْمَى؛ حيثُ تسعى واشنطن لتجسيد روح سيطرتها العالمية، من خلال الاقتصاد الرأسمالي الشمولي، عبر الاتِّصالات والتقنيات وعصر الحاسوب والإنترنت.

ولابُدَّ لإبقاء الصِّين، أو أيّ نظام آخر، ينافس العَوْلَمَة الأمريكية في دائرة التبعية والسيطرة، وإن كان لفرنسا ـ حسب "هوبير فيدرين" وزير الخارجية الفرنسي ـ رأي آخر قديم، مُرتكِزاً على مقولة فلسفية، وليست اقتصاديَّة، بأن أوروبا هي مركز العالم؛ برغم ما صنعه مشروع مارشال لأوروبا، بُعيد الحرب العالمية الثانية.

لكنْ؛ قبل أشهر ليست ببعيدة في نهاية عام 2000م، صافح الرئيس الصِّيني (جيانغ زيمين) باسكال لامي المُفوَّض التجاري للاتِّحاد الأوروبي بعد توقيع اتِّفاقيَّات صينية أوروبية تقترب أكثر فأكثر من القطب الأوروبي، خُصُوصاً بعد أن تغلَّبت أكبر دولة في العالم بعدد سُكَّانها على العقبات للدخول إلى (منظَّمة التجارة العالمية) باعتبارها أكبر نادٍ اقتصادي عالمي؛ يضمُّ دولاً كبيرة في العالم، إلَّا أن بكِّين ـ باعتبارها ماتزال تُمَثِّل الحديقة الخلفية للأنظمة الاشتراكية في العالم، وكونها عضواً دائماً في مجلس الأمن ـ سعت من أجل التوصُّل لاتِّفاقيَّات اقتصاديَّة لها دلالات خاصَّة مع دُول حوض الكاريبي في أميركا اللاتينية، بهدف الضغط غير المُباشر على الهيمنة الاقتصاديَّة الأمريكية، أو مع الاتِّحاد الأوروبي (سويسرا ـ ألمانيا ـ فرنسا) باعتبار أن أوروبا ثالث أكبر شريك اقتصادي للصين؛ بتبادل تجاري قُدِّر بنحو 56 مليار دولار عام 1999، إلَّا أن حُكُومة بكِّين تتجاوز بعض الأفكار الاشتراكية وأُسُسها، باللجوء إلى مزيد من الخَصْخَصَة الرأسمالية مع أوروبا في مجال المعلومات

والاتّصالات والتكنولوجيا الحديثة؛ حيثُ تسعى إلى تطوير قاعدتها التّحتيّة بشكل عصري، ليس استناداً إلى الولايات المُتّحدة، بل بالاعتماد المُتدرِّج على أوروبا، في أجواء ملحوظة من المنافسات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة، للسيطرة والتعاون مع السوق الأوروبية، رغم أن الدُّول الكُبْرَى في العالم الصناعي تتنافس على استحواذ السُّوق الصِّينية الضخمة، التي تعتبر أوَّل سوق استهلاكية في العالم، إذْ يبلغ عدد سُكَّان الصِّين ـ الآن ـ 1.3 مليار نسمة، وباعتبار أن اليد العاملة رخيصة جدّاً في هذا البلد الواسع، تتنافس الشركات الاحتكارية فوق القومية لإيجاد موطئ قَدَم لها، إلى جانب الشركات اليابانية والتايوانية والكورية، لتحسين صورة الصِّين في نظام العَوْلَمَة الرأسمالي، بهدف جوهري هُو تغيير سياساتها الداخلية باتِّجاه المزيد من الارتباط بالسُّوق والاقتصاد السياسي العالمي، من أجل اللَّحاق بقطار العَوْلَمَة[1].

أمَّا (روبنس ريكابيرو) سكرتير عامّ الأمم المُتَّحدة لمباحثات التجارة والتطوير؛ فقد حرص على التأكيد بأنَّ قارَّة آسيا تخطَّت أزماتها الاقتصاديَّة، وخُصُوصاً الصِّين، التي من الممكن أن تتحوَّل إلى نمر آسيوي في التوزيع الاقتصادي الدولي، وفي منطقة حيوية مثل جنوب شرق آسيا، وأنها ـ أي دُول المنطقة ـ عادت قوية، ونهضت من جديد على مسرح العلاقات الدّوليَّة، بجانبه الاقتصادي، وحسب روبنس؛ يعود الفضل إلى نظام التعاون لتلك البلدان ـ والصِّين من ضمنها ـ مع نظام العَوْلَمَة الجديد بفرض التكامل الاقتصادي العالمي، رغم أن تلك الدُّول ماتزال محافِظة على سماتها وعاداتها وثقافتها الشرقية، التي تتميز بها من غيرها.

لقد عملت الولايات المُتَّحدة وهيئاتها العالمية لتقديم المُساعدة لتلك الدُّول لتخطِّي العقبات، التي تعرَّضت لها بعد ظهور ضحايا الأسواق المالية وسياسة الاتكال على الرأسمال الغريب الوافد إليها، وأكَّدت أنها تتبنَّى استراتيجية التطوير والتجديد، مستندة إلى مفاهيم العَوْلَمَة، كالديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومؤسَّسات المُجتمع المَدَني، التي تحدَّث عنها ـ غير مرَّة ـ (ساندي برغر) مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق، معتبراً استخدامات الإنترنت مقياساً حضارياً على أنه في الولايات المُتَّحدة (88) مليون مستخدم للإنترنت، و(26) مليون مستخدم لهذه الميزة التكنولوجية في آسيا كلّها، معتبراً أن الذين يظلُّون فاقدي الصلة بالاتّصالات التقنية العالمية فعلاً ومجازاً مَقْضيٌّ عليهم أن

---

(1) انظر بهذا الصدد/ تطوُّر العلاقات الصِّينية الأمريكية، أبو بكر الدسوقي، السياسة الدّوليَّة رَقْم 143، عام 2000، ص 179.

يتخلَّفوا أكثر فأكثر عن الرَّكْب الحضاري، ومعتبراً أن الدور الأمريكي مركزي في قضايا عالمية وسياسة الانفتاح الاقتصادي، والتي أدَّت ـ بشكل ملموس ـ إلى ظهور تفاوت طبقي واجتماعي رغم مُحاولات نظام العَوْلَمَة إقناع المُجتمع والحُكُومة الصِّينية ـ ورُبَّما العديد من المُجتمعات الآسيوية ـ بتوظيف الأموال العابرة في مجالات الاستثمارات التحويلية والبيئة والتكنولوجيا والصحَّة والتعليم والتقنيات المُتطوِّرة والموادّ الأوَّليَّة، وأدَّى ذلك إلى إقامة شراكة استثنائية مع الشركات الاحتكارية الإقليمية والعالمية، والتي لها شهرتها العالمية في الأسواق الأوروبية والأمريكية، مع غزو واضح للدعاية والإعلان في شوارع المدن الصِّينية وأسواقها، مع إفراز شرائح اجتماعيَّة استفادت ـ بشكل سريع ومثير ـ من الانفتاح، وأثَّرت مع دور أصحاب النُّفُوذ داخل السلطة السِّياسيَّة والحزبية في هيئات ومؤسَّسات الحزب الحاكم والإدارة البيروقراطية، التي تشابكت مصالحها مع مصالح الانفتاح والاقتصاد الحُرّ والمفاهيم الثَّقافيَّة الجديدة لنظام العَوْلَمَة، مع أن اقتصاد السوق الاشتراكي تخلَّف كثيراً عن مواكبة تطوُّرات الاقتصاد العالمي وتقنياته؛ الأمر الذي يُنذِر بإنهاء أيِّ صلة للنظام والحزب بالاقتصاد الاشتراكي بطابعه البيروقراطي القديم، لمصلحة الانفتاح، الذي جلب معه رؤوس الأموال والبزنس والغنى لشرائح واسعة من المسؤولين. حتَّى إنَّ (دينغ بنغ) أكَّد للمُقرَّبين منه: اذهبوا: "وتاجروا، تاجروا، وانشطوا في عملية الانفتاح، ونحنُ سندعمكم" مع ملاحظة أن الثراء القادم مع رياح نظام العَوْلَمَة المُستحكم بين الفئات المسؤولة سياسياً وحزبياً أثَّر ـ بعُمق ـ في سلوك الصِّين وأهدافها المستقبلية، وهُنا؛ بات الإعلام الصِّيني شبيهاً بالإعلام الأوروبي والأمريكي، ويُركِّز في إعلاناته ودعاياته على أحدث الموديلات والبضائع القادمة من وراء البحار، أو الاستثمار داخل البلاد، حتَّى إنَّه ـ وخلال عقد واحد من الزمن ـ صارت الصِّين الشيوعية رابع شريك تجاري للولايات المُتَّحِدة، وسلَّة التبادل التجاري بينهما قُدِّرت في العام 1999 بـ(95) مليار دولار؛ أيْ بنسبة الضعف ـ تقريباً ـ عن التبادل التجاري مع أوروبا، ولنجد أن الصِّين وُلِدت ـ من جديد ـ بالتواصل التجاري والحضاري، وبات من المُتوقَّع أن تسير ـ الآن ـ مُسرعة في قطار العَوْلَمَة، وذلك بعد زيادة الصادرات الأمريكية التي تُقدَّر بـ (13) مليار دولار، مع تأمين أكثر من (200) ألف وظيفة للأمريكيين، وليس للصينيين بكلّ الأحوال، رغم أن ما تجلبه سياسات نظام العَوْلَمَة على الطبقة العُمَّالية والشبابية في الدُّول الصناعية الكُبْرَى من كوارث وويلات اجتماعيَّة ومعيشية ونفسية، ولعلَّ ما حصل في سياتل ودافوس يُبرهن على عدم وجود ديمقراطية أو تطوُّر في نظام حقوق الإنسان

داخل تلك الدُّول؛ التي تُطالب دولاً آسيوية وغير آسيوية بالديمقراطية وحقوق الإنسان بهدف استراتيجي وجوهري هُو الدخول عبر تلك الأساليب إلى أسواق جديدة، حتَّى ينال رأس المال الاحتكاري القُدْسية المطلوبة، والعبور إلى أصعب الأسواق، وترويض الشُّعُوب وثقافاتها وسلوكياتها، بثقافة العَوْلَمَة الجديدة ومفرداتها الصاخبة، كبديل عن الثقافات والأسواق القريبة المغلقة، وبما يعني الرجوع إلى الشعار القديم الحديث (دَعْهُ يعمل، دَعْهُ يمرّ).

والواقع أن العمالقة في الاقتصاد العالمي يتنافسون على السوق الصِّينية بشكل مثير جدّاً، بعد قرار الحُكُومة الصِّينية بحتمية الانفتاح الاقتصادي، والانضمام لنادي التجارة العالمي، ولا يُسقط هؤلاء من حساباتهم أهمِّيَّة الصِّين في السيطرة المالية والتقنية والاستشارية، وأن نحو 300 شركة مُتعدِّدة القوميات لها دور مُهمّ في الاقتصاد العالمي، تتنافس ـ الآن ـ على أهمِّ الأسواق في آسيا، وأن عملية الهيمنة على الاقتصاد الصِّيني والآسيوي، تجري بخُطىً حثيثة وثابتة، وأن مجلَّة "الايكونوميست" نشرت تقريراً اقتصادياً في مجال الصناعات الاستهلاكية المُستمرَّة؛ أوضحت فيه أن خمس مُؤسَّسات العالم تحتلُّ القمَّة بين المُؤسَّسات الأُخرَى، وتسيطر على 70٪ من إجمالي الصناعات في السوق العالمية، وهُو مُعدَّل احتكاري لا يُستهان به في نظام السوق العالمي.

ومن هُنا؛ فإن المؤسَّسات والشركات العالمية تسعى لإقامة نوع فريد من العمل المستوطن في الصِّين لتعزيز سلطة الاقتصاديات الرأسمالية ـ الاحتكارية العالمية، وشركاتها فوق القومية، والحفاظ على موارد مالية مُهمَّة؛ منها رُخص اليد العاملة والسلع الإنتاجية المُصنَّعة في الصِّين، ورغم أن هونغ كونغ ظلَّت لُمدَّة (156) سنة تحت سيطرة الاستعمار القديم " البريطاني " كان من المفترض تسوية رجوعها إلى الوطن الأُمّ في بداية تموز/ يوليو عام 2000، مع ابتكار الصِّين لسياسة اقتصاديَّة جديدة، حاولت فيها الإفادة من الطَّفْرَة الاقتصاديَّة الغنية للجزيرة، فإن (دينغ هكسيا وبنغ) رسم سياسة الانفتاح تلك عام 1979، وأدَّت إلى زيادة الاستثمارات الأجنبية، ولعب استثمار (هونغ كونغ) في المُدُن الصِّينية ـ وخُصُوصاً في بكِّين ـ الدور الأكبر في سلسلة الإصلاحات الاقتصاديَّة، وصارت هونغ كونغ أكبر مستثمر من خارج الصِّين مُنْذُ العام 1995، باستثمارات تتجاوز المبلغ المُعلَن 20، 19 مليار دولار، وأسَّست شركات بلغ عددها 100 ألف شركة مُشتركة، وصدَّرت الصِّين صادرات إلى الجزيرة (هونغ كونغ) بمبالغ تُقدَّر مُنْذُ العام 1996 بـ (28.2) مليار دولار، بما يعني انتعاش الصادرات الصِّينية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الصِّين الحديث، وحسب بعض المصادر

العَرَبيَّة الموثوقة فإن نسبة 90٪ من الاتِّصالات الهاتفية من الجزيرة كانت مع الشركات في الصِّين المتعاملة مع هونغ كونغ، ورغم أن السلطة والإدارة المركزية للحُكُومة الصِّينية لا تستطيعان مقاومة التَّيَّارات الجارفة للاستثمارات الضخمة التي دخلت البلد، وازدياد حجومات المصالح التجارية الاقتصاديَّة الأجنبية، وتقولب الاقتصاد الصِّيني بقالب الانفتاح والتحرُّر من بعض القيود التي كانت ـ سابقاً ـ مُؤثِّرة في نُمُوِّه، بعد أن استطاع العديد من الشركات العالمية إجراء عملية تنمية قوية أثَّرت في الحالة الطَّبَقية والرفاهية لفئات بعينها، مع التناقض الملموس بين هوامش الاقتصاد الحُرِّ وأنظمة الاقتصاد الاشتراكي، وتشجيع الحزب والدولة للأنشطة التجارية الفردية، بعيداً عن عقلية الإدارة المركزية، وباتت تلك الأنشطة تتأقلم مع التحوُّلات الكبيرة لاقتصاد السُّوق، واللُّجُوء في الحياة اليومية إلى نَمَطية أمريكيَّة، أو أوروبية، متداخلة مع خصائص وتقاليد الشعب الصِّيني، وانسحبت التغيُّرات على مُختلف نواحي الحياة اليومية، بعد أن تمكَّن نظام العَوْلَمَة من تطوير الصِّين على مُختلف الصُّعُد الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والإعلامية بشكل مثير ومُلفت للانتباه، وأثَّر ذلك في طبيعة الناس والشارع الصِّيني؛ حيثُ حمي الفوضى والتنافس التجاري على أشدِّها، وما تحمله معها تلك الأمور من التناقضات وإشكاليات يومية للجَدَل، بين الغزو الثقافي والحضاري، وبين الصراع السياسي والحضاري والثقافي، ولا يمكن للصين تجاوزه وفق معايير العَوْلَمَة وسياسة القطب العالمي الأوحد، ويلعب وزير التجارة الخارجية الصِّيني (شي غوانغ) الدور الأهمّ في العملية، ولاسيما أنه المسؤول عن علاقات الصِّين الخارجية؛ أكان مع الدُّول المجاورة، أم مع الاتِّحاد الأوروبي، أم مع الولايات المُتَّحدة؛ حيثُ سيُقدِّم للكونغرس الأمريكي مشروعاً لقانون بتحسين العلاقات الأمريكية الصِّينية من أجل فَتْح أسواق واشنطن وولاياتها أمام المُنتجات الصِّينية بشكل أكبر، مع إفادة العديد من الدُّول التي لها علاقة جيِّدة مع أميركا، من التبادل التجاري مع الصِّين مثل كَنَدَا والمكسيك، وهُنالك مجموعة تبادلات تجارية مع الولايات المُتَّحدة حديثة العهد تُقدَّر بعشرات المليارات، وخُصُوصاً في مجال الصناعة الإلكترونية الأمريكية، وأن الطلب الصِّيني على تجهيزات الاتِّصالات والحاسوب.

وبحلول عام 2005، ستكون ثالث أكبر دولة تمتلك أكبر عدد من أجهزة الحاسوب الشخصي في العالم. والصِّين تحاول تجاوز كلّ العقبات التي تمنعها من الدخول لمنظَّمة التجارة العالمية، بعد فَتْح أسواقها للاتِّحاد الأوروبي، الذي مهَّد له المُفوَّض الأوروبي (باسكال لامي) لأجل توسيع التسهيلات في القطاعات لصناعة السَّيَّارات والاتِّصالات والاستثمارات المالية، بالاتِّفاق مع

الولايات المتَّحدة للحصول على نسبة 80٪ من كلّ ذلك، رغم أن الصِّين هي ثـاني شريـك تجـاري في العالم لواشنطن، أعلنت الإدارة الأمريكية أن الصِّين خرجت عـن كونهـا دولـة ناميـة، وأكَّـدت أنهـا سائرة ـ فعلياً ـ في تطبيق اتِّفاقيَّات (الغات)، وتحرير كلّ سُبُل التجارة بشكل شـامل، وتمكَّنـت بكِّـين ـ حتَّى الآن ـ من شراء ما قيمته 12 مليار دولار من سندات الخزينة المالية الأمريكية، وهُـو مـا يُمثِّـل 10٪ من مخزون المال الأمريكي؛ الأمر الذي يُؤثِّر ـ بشدَّة ـ في الوضع المـالي الأمريكـي إذا مـا عملـت الصِّين على التأثير والضغط على الخزانة الأمريكية بشكل مُعيَّن ومُفاجئ بسبب الخلافات في النـواحي السِّياسيَّة والعسكرية، وربَّما الفكرية، ومن المفيد التركيز على أن التجارة الخارجية الصِّينية خلال بداية التسعينيات زادت بشكل كبـير، فوصـلـت إلى 167 مليـار دولار مـا أدَّى إلى تحسين إجمـالي الـدخل القومي، بينما كان في العام 1985، نحو 70 مليون دولار، وهي ـ من هذه الناحية ـ تحتلُّ المرتبة الثانية بعد اليابان(1).

ثانياً: لماذا تتخوَّف أميركا "من الصِّين وكوريا الديمقراطية"؟

قبل أيّام قليلة، وفي منتصف أوَّل عام من القرن الحادي والعشرين، اطلَّع الـشعب الكـوري الديمقراطي في مُختلف المُدُن بـما فيهـا العاصـمة (بيونـغ يـانغ) عـلى مـا نـشرته الـصُّحُف اليوميـة في افتتاحيَّاتها من تصوُّرات ديناميكية تدعو إلى اتِّخاذ طريق جديد وتفكير عصري ومنفتح لجَعْـل كوريـا قُوَّة اقتصاديَّة قوية يرتبط بناؤها العامّ بالتقنيات والتكنولوجيا الحديثة، رغـم مـا يُكتـب في الـصُّحُف الغربية عن البنية التحتية الفقيرة لهذا البلد؛ الذي يمتلك قطاعاً صناعياً قوياً وكبـيراً، لكنَّـه تقليـديٌّ، إضافة لديون خارجية، وتراجع في إنتاج المحاصيل الزراعية بسبب طبيعة المناخ والطَّقْس.

وطالبت الصُّحُف اليومية الكورية بأن تستفيد البلاد على وجه الـسُّرعة الممكنـة مـن تقنيـات الإلكترونيات والإنترنت والاتِّصالات السريعة، ونقل خبرة تايوان والصِّين في التحـديث والانفتـاح الذي لا مفرَّ منه.

لكنْ؛ يبـدو أن الحلـول المرحليـة تبقـى مـن مُتطلَّبـات خُطـط الحـزب والحُكُومـة، وحـسب (بيا وجباني) المُحلِّل البارز لشؤون كوريـا الديمقراطيـة مـن أكاديميـة العُلُـوم الاجتماعيَّـة والتنميـة الاقتصاديَّة في بكِّين، إن الاقتصاد الكوري لايزال مُغلقاً ومركزياً لأسـباب عديـدة ناتجـة عـن طبيعـة

(1) انظر الكفاح العربي/ 13/ 2/ 2001، متابعات المُؤلِّف.

الظُّروف التَّاريخيَّة والسِّياسيَّة والحصار المفروض عليها، وماتزال بيونغ بانغ تتطلَّع للدخول في العَوْلَمَة التكنولوجية وثورة الاتِّصالات بشكل حذر، في عصر تنتشر فيه وسائل الاتِّصال بسرعة مذهلة، لكنَّه يبقى بلداً قوياً ومُنظَّماً بشكل لم تستطع الإدارة الأمريكيَّة السابقة الدخول لمنشآته النووية ولو لمرَّة واحدة، رغم تقديم مُساعدات قدَّرها الخبراء بـ (400) مليون دولار، وماتزال اليابان والولايات المُتَّحدة تتخوَّفان من قُدرات كوريا الديمقراطية العسكرية الدفاعية.

ولاشكَّ أنَّ منطقة جنوب شرق آسيا وشبه الجزيرة الكورية تُعدَّان من المناطق الاستراتيجية المُهمَّة بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكيَّة، ونظام العَوْلَمَة الكوني الذي قاده الرئيس بيل كلينتون مُنذُ سنوات، على مُختلف الصعد السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والعسكرية والأمنية والمالية الاستثمارية؛ حيثُ يلحظ الباحث والمُهتمُّ بأحداث تلك المنطقة ـ مُنذُ عُقُود مضت، وحتَّى الآن ـ أن هُنالك مصالح متضاربة واستراتيجيات متصارعة، هدفها فرض السيطرة على خيرات المنطقة، ومواقعها، وتطوير الاستثمارات ما فوق القومية فيها، فضلاً عن إحكام القبضة الأمريكيَّة على المنطقة لاعتبارات خاصَّة، تجعل من الولايات المُتَّحدة مُستمرَّة بتفوُّقها العسكري التكنولوجي الشامل، وحتَّى عام 2015، حسب آخر تقرير لوكالة CIA، الذي استبعد حصول حرب كونية.

ويُركِّز التقرير المذكور على أن الصِّين وكوريا الديمقراطية تملكان القُدرة الحقيقية لإعادة الحرب الباردة، وإذكائها من جديد، باستغلال النقاط السلبية والضعيفة في القُوَّة الأمريكيَّة.

ويرى التقرير أن كُلاً من الدولتَيْن تملكان القُدرات على شنِّ حرب شاملة ضدَّ الولايات المُتَّحدة بطُرُق غير معهودة، لم تعرفها أيُّ دولة في العالم.

التقرير نشرته بعض الصُّحُف العَرَبيَّة، وهُو موجود في الإنترنت باللغة الإنكليزية، وضمن رؤية استراتيجية يتمُّ ـ من خلالها ـ تحليل معطيات وآفاق ومُحصِّلات مُعيَّنة لتوصيف وتحليل النوايا لدى قوى عالمية فاعلة في الساحة الدّوليَّة، ودراسة العوامل المُحرِّكة الرئيسية والاتِّجاهات العامَّة، التي ستُحدِّد طبيعة العلاقات الدّوليَّة حتَّى ربع قرن تقريباً.

أهمُّ تلك المسائل؛ الموارد الطبيعية، العُلُوم والتكنولوجيا، الاقتصاد الكوني، وسياسة العَوْلَمَة الأمريكيَّة ومستقبل النزاعات، إضافة لأهمّ نقطة، وهي؛ دور الولايات المُتَّحدة في الصِّين وكوريا واليابان. ولا يغفل عن البال أن التقرير لم يشرح بالتفصيل، أو حتَّى يشير إلى الموقف من الاستراتيجية

الرُّوسيَّة الجديدة تجاه المنطقة، ولا من الموقف من الاستراتيجية الصِّينية المنفردة، أو المُشتركة، مع الاستراتيجية الكورية، ودورهما المُؤثِّر في الاستراتيجية الدّوليَّة والأمن القومي لكلّ منهما، لكنْ؛ عند دراسة وتحليل التحرُّك الرُّوسي المثير للجَدَل إقليمياً وعالمياً الذي قام به الرئيس الرُّوسي قبيل انعقاد قمَّة الثماني الكبار عام **2000** في اليابان، والخلاف بينهما حول جُزُر فلاديفستوك - أقصى الشرق بالنسبة لُموسكُو - لفتت العلاقات الرُّوسيَّة - الصِّينية - الكورية انتباه مُختلف المعاهد ومراكز البحوث والصُّحُف والدوريات الغربية لإعادة تنشيط الدور الرُّوسي مُجدَّداً في إيقاظ مشروع تطوير الأسلحة الصاروخية الشاملة المُشترك بين الدُّول الثلاث، رغم مُحاولات واشنطن إقناع فلاديمير بُوتين بضرورة إيقاف المشروع الضخم الكوري - الصِّيني، الذي أَقْلَقَ اليابان قبل الولايات المُتَّحدة، واستفزَّ مشاعر الحرب الباردة المُنطفِئة مُنْذُ زمن(1).

لقد سعت واشنطن - بشكل مُباشر، أو غير مُباشر - للضغط على كيم جونغ إيل من خلال سيئول، معتبرة أن النظام الاشتراكي لبيونغ يانغ يُشكِّل خطراً داهماً على كوريا الجنوبية واليابان، على حَدٍّ سواء، مع رفض كوريا الديمقراطية لفَتْح منشآتها النووية للرقابة الأمريكيَّة أو الدّوليَّة، لكنْ؛ على الرغم من اهتمامات الزعيم الكوري كيم جونغ إيل بإقامة علاقات طيِّبة مع كوريا الجنوبية، وحلّ سلسلة الخلافات العقائدية والتَّاريخيَّة فيما بينهما، حصل نهاية عام الـ(**2000**) لقاءات عاطفية ووُدِّيَّة وأُسريَّة بين طرفَيْ الدولتَيْن، بهدف تجاوز الماضي ورأب الصدع في العلاقات الثُّنائية مع دعم مُوسكُو وبكِّين وواشنطن لهذه التحوُّلات الجديدة، التي تُحسِّن من المعادلة الإقليمية لصالح الاستقرار والأمن، وتشجيع الروابط الثُّنائية، والسعي المُشترك للاستفادة من تجارب بعضهما البعض، ومساندة الشعب الكوري الديمقراطي للخروج من أزماته الزراعية المتكرِّرة، التي أثَّرت في وضعه الاقتصادي، وبما شكَّلته دعوة كيم جونغ إيل للرئيس الكوري الجنوبي بمُساعدة بيونغ يانغ صناعياً

---

(1) جاءت قمَّة الثماني الكبار بحضور رُوسيا عام **2003**؛ لتُؤكِّد على مسائل مُلحَّة في قمَّة إيفيان على نتائج الحرب الأمريكية على العراق، وآفاق التنمية الاقتصاديَّة الدّوليَّة، والقضايا الإقليمية، وخاصَّة الموقف من عملية السلام في المنطقة، أو الموقف من كوريا الشمالية، وضرورة القضاء على أسلحة الدمار الشامل، والخضوع لإرادة المُفتِّشين الدوليين مع التأكيد على أهمِّيَّة التطوُّر والتنمية الاقتصاديَّة بين الكُوريَّتَيْن، والحرص الشديد على قضايا حيوية مثل المياه، ومواردها الأساسية لحياة البشرية، وتطوُّر العلاقة بين القطاعَيْن الخاصّ والعامّ، والصحَّة، والأمن البحري، والبيئة، وكان لحضور وزراء البيئة للدول الثماني أهمِّيَّة خاصَّة وتعقيبات الرئيس الفرنسي شيراك أهمِّيَّة خاصَّة: إضافة إلى ضرورة مكافحة الإرهاب، أو تحسين العلاقات بين الدُّول على أساس الشرعية الدّوليَّة، ومبادئ هيئة الأمم. انظر بهذا الخصوص / السياسة الدّوليَّة/ العدد **153** تموز/ يوليو **2003** ص**244** هشام صادق - مصر.

وزراعياً وتكنولوجيّاً، باعتبار أن البلاد في الجنوب مُتطوِّرة أكثر من الشمال، ويمكن لها أن تتعاون لتطوير التوءمة الشمالية على أُسُس الجديدة، لكن؛ وحسب التقرير السنوي لعام 2000م لمعهد الدراسات الاستراتيجية في لندن؛ فإن الزعماء الغربيين لا يُخفون ارتياحهم واهتمامهم للعمل الدبلوماسي والسياسي الذي سيطر على العلاقات الثُّنائية بين شمال البلاد وجنوبها، مُعتقدين أنهم حقَّقوا نجاحات مُهمَّة أفضل بكثير من سياسة القُوَّة والتدخُّلات المُباشرة، لاسيما بعد توقيع بيونغ يانغ لاتِّفاقيَّة عام 1994، التي نصَّت على إلغاء المناورات الأمريكيَّة ـ الكورية الجنوبية، التي كانت تُقام سنويَّاً على الحُدُود بين الكُوريَّتَيْن ضمن برنامج الرئيس كلينتون لتطوير محور السلام والتعايش في شبه الجزيرة الكورية، باعتبارها خطوة ضرورية لنزع فتيل السباق التسلُّح والتوتُّر بين البلدَيْن، والدعوة التي كرَّسها زعماء البلدَيْن؛ بإعادة الوحدة فيما بينهما على أُسُس كونفدرالية، بعيداً عن ضغوطات خارجية مُتعدِّدة، هدفت لضرب استقرارهما طيلة خمسة عُقُود ماضية، ومن أجل تحقيق تقارب اقتصادي واجتماعي وعائلي وثقافي.

وقد أُعلِن في بيونغ يانغ أن القيادة الكورية تسعى للتخطيط لتغييرات مُهمَّة على صعيد الإصلاحات الإدارية والاقتصاديَّة، ونزع فتيل العداء السياسي بينهما على أُسُس برنامج تنموي جديد يرتكز على ما يلي:

أ ـ إقامة اتِّحاد للتكامل الاقتصادي والتطوير التنموي والتكنولوجي، والاستفادة من الخبرات التي تتمتَّع بها سيئول.

ب ـ لَمّ شَمْل العائلات الكورية بين الجنوب والشمال، وهي خُطوة مُهمَّة على طريق تهيئة مناخ الاستقرار والتعاون والتطوير، فمُنْذُ خمسين عامًّاً لم تستطع الأُسرة الواحدة من اللقاء، أو التلاقي.

ج ـ أن يحتفظ كلّ منهما بنظامه السياسي والاقتصادي على أساس إحياء المبادرات المُشتركة للتخفيف من عُمق الهُوَّة بينهما، والاستفادة من خبرات بعضهما البعض في مجالات الاقتصاد والتجارة والاستثمارات.

د ـ رفع مستوى التبادل التجاري والصادرات فيما بين البلدَيْن على أُسُس الاستفادة من التطوُّرات الحاصلة في الصِّين وتايوان، وفتح المجال للانفتاح الاقتصادي برُوح جدِّيَّة للتخلُّص من الأزمات.

لا شكَّ أن هُنالك فارقاً اجتماعياً واقتصادياً بين البلدَيْن، لاسيما أن كوريا الجنوبية يبلغ عدد سُكَّانها 47 مليون نسمة، تُؤهِّل نفسها بمُختلف مجالات التنمية ـ بالأخصِّ الزراعية منها ـ رغم وجود البطالة فيها، بمقابل 22 مليون نسمة لكوريا الديمقراطية، التي تعاني من الأزمة الزراعية الضعيفة؛ نتيجة رداءة الأحوال الجوِّيَّة المُربِكة للحُكُومة وللشعب في بيونغ يانغ؛ حيث تتمُّ زراعة سفوح الجبال، ولا تتوفَّر السهول والأودية مثل دُول أُخرَى[1].

كذلك يُعدُّ التبادل التجاري السنوي بين سيئول وواشنطن بنحو 22 مليار دولار عام 2000م، و30 مليار دولار عام 1999، ويُتأكَّد هُنا ارتفاع نسبة التبادل التجاري على مستوى العلاقات الاقتصاديَّة بين البلدَيْن، مع الملاحظة الدائمة بأن الاستراتيجية الأمريكيَّة تهتمُّ بنظام سيئول الليبرالي المعتمد على السوق الحُرَّة والرأسمال الحُرِّ، بينما تتجنَّب التعامل مع النظام الاشتراكي في بيونغ يانغ، ولهذا السبب؛ فإن كوريا الديمقراطية تتَّجه للتعاون أكثر فأكثر مع بكِّين، وفق توجُّهات كيم جونغ إيل، وتوسيع نطاق التفاهم والتطوير بينهما، بعيداً عن الضغوطات الأمريكيَّة، التي تُوجِّه كلّ دعمها الاقتصادي والمالي والعسكري والاستثماري الواسع لكوريا الجنوبية، رغم ما أحدثه برنامج كلينتون بهدف إعادة ربط المنطقة برُمَّتها بشبكة الاتِّصالات الحديثة، مع مجموعة أعمال واتِّفاقيَّات تعاون، على أساس أن تلتزم بيونغ يانغ بنظام العَوْلَمَة والتدرُّج نحو الانفتاح الاقتصادي والرأسمالي والسير باتِّجاه رياح العَوْلَمَة، وليس عكسها.

رغم أن واشنطن وقَّعت اتِّفاقاً مُهمَّاً مع بيونغ يانغ المُسمَّى بـ (اتِّفاق التعاون المُشترك ـ الإطار) ووعدت بتحسُّن أوضاع كوريا الديمقراطية الاقتصاديَّة والمعيشية والتكنولوجية، بعد تحويل برنامجها العسكري إلى برنامج سلْمي كأساس للاتِّفاق، وستكون الدبلوماسية الأمريكيَّة في عهد الرئيس الأميركي الجديد مُعقَّدة، ورُبَّما تواجه واشنطن مصاعب كبيرة فيها إذا حاولت استفزاز بيونغ يانغ

---

(1) خيارات واشنطن المُتعدِّدة في علاقاتها مع كوريا الشمالية تتركَّز على:

ـ التهديد بالقيام بالعمل العسكري والأنشطة الحربية.

ـ حثُّ أطراف عديدة مثل الصِّين ورُوسيا للضغط على بيونغ يانغ لإجراء مفاوضات ثنائية، أو جماعية للتخلُّص من ترسانة الأسلحة النووية والصاروخية لديها.

ـ تعميق الضغط الاقتصادي ومحاصرة كوريا الشمالية. وهذه الخيارات الأمريكية اختلفت ـ تماماً ـ عن (مشروع الإطار) ومبادرة كلينتون لتسويق تسوية العلاقات بين الكُوريَّتَيْن، أو مع واشنطن، انظر بهذا الصدد/ نزيرة الأفندي ـ الدور الأمريكي في شبه الجزيرة الكورية / السياسة الدّوليَّة / العدد 153 ـ يوليو/ تموز 2003 ـ المجلَّة 38 ص248 ـ 249.

بتحقيق أهدافها الخارجية دون اللجوء للدبلوماسية والموضوعية، ذلك أن الشعب الكوري عانى كثيراً من آثار الحرب الباردة والنزاعات والصراعات الإقليمية هُنالك، ولعلَّ أهمِّيَّة وقف سباق التسلُّح في المنطقة، وإعادة التوازنات على أساس مشروعات التنمية الفعلية؛ تضع واشنطن على محكِّ المواجهة مع الاستراتيجيات الأُخرَى، التي لا تخفي إلى حُدُود بعيدة، أيّاً من نواياها باعتبارها دفاعية، ولا تنطوي على فعاليات هجومية على أقلِّ تقدير، ورغم ذلك؛ تُوجَّه أصابع الاتهام دائماً للصين وكوريا الديمقراطية ورُوسيا بنسج علاقات من نوع مُعيَّن لتطوير شبكة صاروخية إيرانية أو عربية على أساس تكنولوجيا الصواريخ الكورية المتطوِّرة (نود ونغ رَقْم 1) البالغ ألف كم، أو صواريخ (دونغ منغ 21) الصِّينية العابرة للقارَّات، التي تُثير اهتمامات واشنطن أكثر من غيرها، والتي تُكرِّس جهودها لكَبْح زيادة عدد الدُّول الآسيوية المُنتمية، دون إذنها المُسبق للنادي النووي العالمي.

وحسب وكالة "DIA " (الأمن الدفاعي الأميركي) حسابات غير سهلة أبداً لتطوُّر التجارب والقُوَّة الصِّينية ـ الكورية الصاروخية.

وبالمقابل؛ فإن تصريحات جورج بوش "الثاني" حول ضمانة تفوُّق الجيش الأميركي تُؤرِّق الصِّين وكوريا الديمقراطية على السواء، وهما ترفضان ـ بكل قوَّة ـ أن تتسيَّد الولايات المُتَّحدة عليهما، أو على العالم كونها القُوَّة الرئيسة في المُجتمع الدولي، بينما تعتبران تفوُّقهما ضرورة سريعة، وغاية في الأهمِّيَّة، ليكون لهما الدور المُستقلّ لمواجهة مُعطيات العَوْلَمَة، ونتائجها، أو الاستفادة من سلبيَّاتها أكثر من إيجابيَّاتها، لبلورة حالة قُطبية مُتعدِّدة تُواجه بها النزعة الأمريكيَّة، التي لا تروق لشُعُوب مثل الشعبيْن الصِّيني أو الكوري؛ حيثُ ماتزال ذكريات وخيوط العداء موجودة، مُعلنة، أو مُستتِرة، وطبقاً لمُحصِّلة الأبحاث والدراسات والتحليل المعرفي "السيسولوجي" فإنه من الصعب على واشنطن أن تُنظِّم خرائط الموازين والقوى والمُؤثِّرات والمعطيات حسب أهوائها، مادام هُنالك قوى كبيرة في آسيا تسعى لاحتلال موقع مرموق في خارطة العالم السِّياسيَّة، فامتلاك التقنيات والتكنولوجيا العسكرية وأسرار الصناعات الحربية بالنسبة لكوريا الديمقراطية والصِّين، ولغيرهما؛ يبدِّد الجهود والإيقاع الأميركي الهادف إلى الترويض المستمرّ في حلبة الصراع، بات فيها كُلُّ المحتمل مكشوف تماماً.

ثالثاً: الدُّول الكُبْرَى ورهان تقاطع المصالح

تسنَّى لي أن أزور مدينة محجّ قلعة عاصمة داغستان على بحر قزوين، كذلك زيارة السَّدِّ العالي فيها، الذي بناه أبناء ذلك البلد مع الخبراء الروس، وغيرهم، فهي بلاد مترامية الأطراف، غنية جدّاً بمواردها، ولم يتسنَّ ذلك إلَّا ضمن دراسة أكاديمية، وصلنا فيها إلى مُدُن وقُرى في آسيا وأواسط سيبيريا، كمدينة غُورغان، ونوفي سبيرسك، وغيرهما الكثير؛ حيثُ يُلاحَظ هُنالك الإثنيات والقوميات التي تُعدُّ بالعشرات، لكنْ؛ في جامعة محجّ قلعة أقمنا صلة بالحوار مع طلبة الجامعة هُنالك[1]، والطَّلَبَة رغم أنهم من الأديان المعروفة الإسلامية والمسيحية واليهودية وهم مُطَّلعون على أزمة الشرق الأوسط جيِّداً؛ إلَّا أننا سمعنا بأديان وقوميات أُخْرَى لم نسمع بها، ولن نسمع بها في حياتنا بمنطقتنا العَرَبيَّة، مثل كليمليا، والأنغوش، والياقوتيين، والبشكيرين، والمردوفين، وقوميات أُخْرَى.

في ذلك الحين؛ كانت الأكاديميات والمعاهد السوفيتية تجمع كلّ تلك الأطياف البشرية في بوتقة واحدة، بِغَضِّ النظر عن الأساليب، وكانت نظرية التقاطع التي تحدَّث بها وكتب عنها (زبيغنو بريجنسكي) مثيرة للتحفُّظ والاهتمام وردود الفعل، إلَّا أنه يبدو ـ جلياً الآن ـ أن خُطَّة مستشار الأمن القومي الأميركي «البولوني الأصل» قد نجحت على عتبة الألفية الثالثة، بل ودفعت بروسيا إلى سياسات أقلّ ما يُقال فيها الآن: إنها مُتردِّدة، تحمل أبعاداً غير مبدئية الشكل والمحتوى، وخاصَّة بضرب حقِّ تقرير المصير للشُّعُوب هُنالك، وتتوافق مع مصالح الاحتكارات والسياسة العالمية للإدارة الأمريكيَّة في عهدَيْ كلينتون وجورج بوش الثاني، وتضع مصلحتها الكونية فوق كل المصالح، ورغم التعارض الرُّوسي معها، إلَّا أنهما يسيران في فلك عالمي واحد هذه الأيَّام.

لقد خطَّطت الإدارة الأمريكيَّة، ونفَّذت، الخُطط الاستراتيجية الجديدة، من خلال تتبُّع بعض الدراسات السِّياسيَّة، التي أعدَّها كبار الباحثين في جامعة الدفاع القومي ومركز دراسات الأمن القومي ومركز العلاقات الخارجية في الولايات المُتَّحدة، وذلك بهدف إرخاء ستار واسع من الهيمنة الأمريكيَّة على أراضٍ وبحار وبُحيرات وحقول نفط ومُدُن ودُول لها أهمِّيَّة استراتيجية للمصلحة الكونية، للقطب السياسي الأوحد في العالم.

---

(1) انظر / السفير 6 كانون الأوَّل/ ديسمبر/ 1999 قضايا وآراء.

وإذا كانت نظرية الاحتواء المزدوج ضدَّ إيران والعراق مُرتبطة بعمليات التسوية السِّلْمية لحلِّ الصراع العربي الصهيوني؛ فإن المصالح الجوهرية لواشنطن هي نقطة ارتكـاز، تـستند إليهـا ـ بـشكل خاصٍّ ـ نظرية (مارتن أنديك ـ وأنطوني ليك)[1] من مجلس الأمن القومي الأميركي، لجعـل البلـدَيْن في دوَّامة مـن الـصراع، الأمـر الـذي يجعـل مـن التـصوُّرات الأمريكيَّـة مُتعـدِّدة الأوجـه الـسِّياسيَّة والاستراتيجية بأبعادها اللُّوجستية، وعملياتها الخاصَّة، تأخذ البُعْدَ الخطير، الذي كان الفوهرر هتلـر والاستراتيجية النازية تُخطِّط لها قُبيل وخلال الحرب العالمية الثانية، لاحـتلال منـابع الـنفط في منطقـة حوض بحر فزوين، وبالتَّالي؛ إشباع رغبات استعمارية للوُصُول للهنـد والـصِّين، عـلى رغـم مـن أن التمدُّد الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى والهند والصِّين حديث العهد، ولم يكن ليبقى ويتغلغل لولا وجـود قيادات روسية متواطِئة مع الصهيونية العالمية، وربطت مصيرها بأشكال مُتعدِّدة، مع سياسات مثيرة، تُفقِد رُوسيا دورَها الاستراتيجي شـيئاً فـشيئاً، مُنـصاعة ـ بـشكل، أو بـآخر ـ لتقـاطع المـصالح مـع الولايات المُتَّحدة والتعاون الأميركي ـ الإسرائيلي الملحوظ لتسويق مشروع النظـام الـشرق أوسـطي الموسَّع، الذي له بوادر واضحة وأهداف اقتصاديَّة واسـتراتيجية؛ بحيـث لا تلعـب (إسرائيـل) دوراً مركزياً فيه فحسب، بل كرأس حربة ومُحرِّك ومُنشِّط للدور الرُّوسي ـ الأميركي، في سياق النـشاطات والتعاون العسكري والأمني، بالأخصِّ؛ فيما يتعلَّق بالحزام الأمني في شمال العراق، والحزام الأمني في شمال الشيشان، وليس ذلك فحسب، بل والتعاون الاقتصادي الذي أخذ أشكالاً خطيرة بين قيـادات روسية سابقة مثل شيفاردنادزه، وحيدر علييف، وغيرهمـا مـع (إسرائيـل) لأجـل المـصالح الأنانيـة المُتخبِّطة لإعادة تركيب السياسات المحلِّيَّة ـ والإقليمية، ولتغييرها مـوازين القـوى لـصالح مـشاريع الخَصْخَصَة، وتغلغل الرأسمال العالمي عموماً، والصهيوني خُـصُوصاً، بـما يُطبِّـق ـ عمليـاً ـ مـضامين وفضاءات الدراسات الاستراتيجية الأمريكيَّة، التي يشارك بها العسكريون في البنتـاغون؛ باعتبـارهم المنفذين للمصالح، وما ينطبق على الأميركيين ينطبق على الروس الحاليين، وهي تصرُّفات بعيدة كـل البعد عن مجلس الأمن الدولي، وتُعتبَر خرقاً صريحاً للقانون الـدولي وميثـاق الأمـم المُتَّحـدة في مـوادِّه المُتعلِّقة بحقِّ الشُّعُوب في تقرير مصيرها، وحقِّها في اختيار طريق تطوُّرها الاقتـصادي والاجتماعـي، عوضاً عن ذلك أنها ليست مَعْنيَّة بتحقيق رغبات مصالح الدُّول الكُبْرَى، التي تتَّخذ مُختلـف الـذرائع للتدخُّل في شؤونها الداخلية[2].

(1) مُحمَّد علي سرحان، إيران إلى أين؟ حوار حضارات أم صراع حضارات / 1999 دمشق.

(2) انظر/ كيهان العربي/ الإيرانية/ 6/ 11/ 2001/ العدد4037/ المحور السياسي/ .

والخُطط السِّياسيَّة والاقتصاديَّة الأمريكيَّة ـ فضلاً عن الخطط العسكرية والأمنية ـ ترتكز على مناطق الخيرات، أو ما يُسمَّى بـ «مُثلَّث الخيرات» (تركيا ـ الخليج العربي ـ بحر قزوين) و(مصر ـ السعودية ـ الخليج العربي)؛ حيثُ تجري استقطابات سياسيَّة بهدف الدخول في نظام العَوْلَمَة الأميركي، والبقاء في إطار حقل المصالح المغناطيسي السياسي؛ بحيثُ لا يستطيع البعض الخروج إلى خارج الحقل إلَّا بانتكاسات أكيدة، رغم بروز معطيات سياسيَّة في النظام العربي والمنطقة المحيطة به بالغة التعقيد، تمسُّ الأمن القومي العربي، وتطلُّعات الشُّعُوب العَرَبيَّة وأُخْرَى صديقة لاختيار بواعث مستقبلية أفضل للنهوض بتطور سياسي واقتصادي مستقبلي، والسيطرة الوطنية على الخيرات الاقتصاديَّة باعتبارها تُمثِّل الآفاق للحياة والخروج من دوائر التأثير للدول الكُبْرَى، ورغم أن النظام العربي لم يجسِّد ـ حتَّى الآن ـ تطلُّعات وطنية وقومية قوية ومُؤثِّرة باتِّجاه أن يصبح نظاماً إقليمياً فعَّالاً على جميع المستويات، فإنه لو قُدِّر لهذا النظام آلية قومية وإقليمية واضحة ومتماسكة؛ لاستطاع لعب دور مُميَّز في المناطق القريبة منه، أكان في بحر قزوين، أم آسيا الوُسْطَى، أم جنوب السودان، وشمال سورية، والعراق، أكثر بكثير من النظام الإقليمي الأمني الذي تفرضه (إسرائيل) والولايات المُتَّحدة على طول المناطق المتاخمة لحدود الوطن العربي ـ وبالأخصِّ؛ في آسيا الوُسْطَى ـ وذلك للأسباب التالية:

ـ **أولاً**: لم يستفد العَرَب طيلة العُقُود الماضية من فرص كبيرة لتحسين أواصر التعاون والصداقة والتطوير مُتعدِّد الأشكال ذي الأبعاد الثلاثية؛ السياسة والاقتصاد والنُّفُوذ التاريخي في منطقة متاخمة لحدودهم الدّوليَّة مثل آسيا الوُسْطَى، وأقرب إليهم روحياً ومعنوياً وتاريخياً.

ـ **ثانياً**: تتمتَّع شُعُوب ودُول آسيا الوُسْطَى بصلة تاريخية مع الإسلام، وتُشكِّل فيها الحالة الإسلامية المُتنوِّرة الأغلبية الساحقة، رغم تعدُّد الإثنيات والقوميات فيها، مع وضوح الخطاب واللّهجة الإسلامية في العلاقات الاجتماعيَّة لدى معظم سُكَّان المُدُن الكُبْرَى في داغستان ـ وأذربيجان ـ وطاجيكستان ـ وقرغيزستان، وهذا ما لمستُه شخصياً في زيارتي لأكثر من مدينة هُنالك.

" أثبتت أمريكا على مدار العُقُود الأخيرة أن سياستها تجاه دُول العالم وحتَّى الصديقة لها مَبْنِيَّة على الخداع والتضليل والمراوغة، وليس لديها استراتيجية واضحة..!".

ـ ثالثاً: لم تلتفت الشُّعُوب والدُّول العَرَبيَّة إلى أهمِّيَّة آسيا الوُسْطَى عبر التاريخ الإسلامي ـ حتَّى هذه اللحظات ـ وآثاره هُنالك إلَّا بشكل ضعيف لا يتناسب مع الأحداث، رغم المخزون الثقافي والحضاري الذي يتمتَّع به طيف واسع من سُكَّان المنطقة.

ـ رابعاً: أهمل النظام العربي ـ عموماً؛ دولاً وشعوباً آسيوية بما فيه دُول «بنك الاستثمار الإسلامي» ـ في عدم وضع آفاق للمشروعات الاقتصاديَّة، وبالأخصِّ؛ الزراعية والصناعية، رغم رُخْص اليد العاملة فيها، ورغم وجود مجال ومساحات واسعة جدَّاً لذلك، وبما تُشكِّله آسيا الوُسْطَى من أهمِّيَّة للاستراتيجية العَرَبيَّة.

ـ خامساً: فشل النظام العربي فشلاً ذريعاً في إيجاد جامعة أو معاهد أو مركز قومي للاهتمام بآسيا الوُسْطَى، وجعل ذلك المركز، مركز جذب ودعم علمي وتربوي واقتصادي ولغوي، في وقت كانت شُعُوب آسيا الوُسْطَى أحوج إلى تلك الفعاليات العَرَبيَّة، وعدم الاستفادة العَرَبيَّة من الصراع (الرُّوسي ـ الألماني) على تلك المنطقة لصالحها، رغم أنها قادرة ـ فعلاً الآن ـ على اتِّخاذ التدابير من هذا القبيل.

ـ سادساً: ماتزال كُلٌّ من المملكة العَرَبيَّة السعودية وكذلك الجُمهُورية الإسلامية الإيرانية وعلى نسق سياسة واحدة غير مُشتركة الأهداف تلعبان الدور الأكبر في تلك المناطق، رغم عبثية الاشتباكات اللاإنسانية في أفغانستان، وتأثيرها المعنوي والنفسي وحتَّى الاقتصادي في المناخ السياسي للمنطقة، واتِّخاذ أشكال الصراع المسلَّح بديلاً عن الصراع الجماهيري والسِّلْمي[1].

ـ سابعاً: النظام الشرق أوسطي الجديد والمُوسَّع شكَّل ـ ولايزال ـ النقيض المُحتدم لتطلُّعات مستقبل الشُّعُوب وتطوُّرها المُستقلّ، الذي له أولويَّات يضع الجميع في خدمة الكيان الصهيوني ومشروعات توسُّعه وتطوُّره وعلاقاته التكنُولُوجية.

ـ ثامناً: الازدواجية في المعايير الدّوليَّة، وتقاسم أو تقاطع المصالح الأمريكيَّة ـ الرُّوسيَّة في العديد من المسائل؛ بحيثُ لم تُحرِّك واشنطن ساكناً أمام التدخُّل الرُّوسي في الشيشان، بينما أخضعت تيمور لنفوذ الجيش الأميركي، وحرَّضتها على الاستقلال عن إندونيسيا، بل وجعلت من السياسة الخارجية للحُكُومة الجديدة مرهونة بالاعتراف بـ (إسرائيل).

(1) قبل الحرب الأمريكية ضدَّ افغانستان.

لـذلك؛ فـإن النظـام العـربي عمومـاً وبـما يتعلّـق بعوامـل الـصراعات الـسِّياسيَّة والأمنيـة والاقتصاديَّة التي تخضع لعوامل داخلية وخارجية، لم تتمكن جامعة الدُّول العَرَبيَّة من رسـم الخطـط الاستراتيجية التي تساند نظامها، وتماسكه، بل سـعت ـ طيلـة العُقُـود الماضـية ـ إلى عوامـل التمـزُّق الداخلي والخلافات، وصَدِّ الخُطط المعادية، والدفاع عن قرارات جامعة الدُّول العَرَبيَّة الخاصَّة بـذلك تجاه دُول عربية بعينها.

وماتزال هُنالك عقبات عديدة تواجه النظام العربي فيما إذا لم يستطع السيد عمرو موسى أمـين عـامّ الجامعة العَرَبيَّة النهوض باستراتيجية عربية مُشتركة على مُختلف الـصُّعُد، ومكافحـة الأزمـات وتبديـدها، لصالح نظام عَرَبي متماسك ومُوحَّد، وتشكيل استراتيجية عربية مُوحَّدة لمواجهة المُتغيِّرات العالمية.

رابعاً: العَرَب والمصلحة القومية في آسيا الوُسْطَى

تُظهر عملية حماية المـصالح الاسـتراتيجية القوميـة العَرَبيَّـة في آسـيا الوُسْـطَى وقتَـيْ الـسِّلْم والحرب أهمِّيَّتها الخاصَّة والحيوية، على رغم أن الدُّول العَرَبيَّـة ـ مُجتمعـة في جامعـة الـدُّول العَرَبيَّـة، أو منفردة، أو حتَّى دُول المؤتمر الإسلامي ـ لم تذهب في تطلُّعهـا الاسـتراتيجي للاهـتمام أكثـر فـأكثر بمنطقة حيوية جدّاً مثـل آسـيا الوُسْـطَى. ولكـوني سبق أن قمـتُ بزيـارة تلـك الـدُّول (أذربيجـان وطاجكستان وداغستان وقيرغيزستان وتركمانستان) أجد نفسي مُتطلِّعاً للحـديث برؤيـة موضـوعية عن تلك المنطقة، وحالة التدخُّل الرُّوسي المتباهية بضرب الشعب الشيشاني وبنيتـه التحتيـة لأسـباب ومُبرِّرات أوجدتها نُخبة سياسيَّة مُتورِّطـة في أعـمال النهـب والـسلب والـشّلليَّة، وتجميـع الأمـوال، وتوسيع أعمال المافيات بمُختلف أنواعها؛ حيثُ اختلطت الأمـور عـلى الإنـسان العـادي، علـماً أنـه لا مصلحة للشعب الـرُّوسي وحُكُومتـه عـلى مـا أعتقـد في الغـرق في الوحـل الشيـشاني أو المـشكلة الشيشانية[1]، بهذه الصورة التي تجعل مـن شـامل بـسايف وأصـلان مـسخادوف أعـداء حقيقيـين للروس، الذين يشنُّون على بلادهما غارات جوِّيَّة وبرِّيَّة، تكاد أن تكون حرباً عالمية، ويذهب الـصالح بجريرة الطالح، وهي ـ بكل تأكيـد ـ حـرب ظالمـة، وإذا كـان الـبعض يُبرِّرهـا، إلَّا أن كـل العهـود والمواثيق الإقليمية والدّوليَّة لا تُبرِّرها، ويكفي أن نذكر موقف زعيم ثورة أكتوبر من استقلال فنلنـدا

---

(1) انظر بهذا الصدد، صحيفة الشرق الأوسط 9/ 11/ 2005 يفغيني بريما كوف حول المُساعدات الأوروبية لروسيا، ودور غورباتشوف في انهيار الدولة.

والشعب فيها، وشعار حقّ تقرير المصير للشُّعُوب، كمبدأ لا مساومة عليه مهما كانت الدولة أو الجهة التي تقف وراءه مُحاولة تجاوز مصالح الشُّعُوب لأهداف اقتصاديَّة أو سياسيَّة، أمَّا ردود الفعل العَرَبيَّة الشعبية والرسمية المتباعدة تجاه آسيا الوُسْطَى وما يجري في الشيشان؛ فطوال العهد السوفيتي تعاملت الدُّول العَرَبيَّة مع آسيا الوُسْطَى من خلال مُوسكُو، وحينما تفتَّت الاتِّحاد السوفيتي كدولة عُظْمَى، لم يبادر العَرَب كدول أو كجامعة دُول بإعادة صياغة استراتيجية جديدة للتعامل المُباشر مع رابطة الدُّول المستقلة أو مُنظَّمة (أيكو) للتعاون الاقتصادي في تلك المنطقة.

على رغم أن (إسرائيل) كانت السَّبَّاقة في الدخول إلى آسيا الوُسْطَى وإلى أذربيجان تحديداً مُنْذُ عام 1990، وكانت علاقتها مع أذربيجان على صعيد تجارة الماس تُقدَّر سنوياً بـ 3 مليارات دولار باعتراف صريح من حُكُومة الرئيس حيدر علييف، واستطاعت (إسرائيل) ـ بالتالي ـ تعميق نفوذها في تلك المناطق[1].

وحسب بعض المصادر؛ فإن رئيس الإدارة المَدَنية الدِّينية في كازاخستان المُفتي مُحمَّد صادق بن يوسف؛ طالب المؤتمر الإسلامي بإقامة ندوة إسلامية عالمية عن الإمام الترمذي الرَّاوية الإسلامي لأحاديث الرسول الكريم (صلعم) في أيلول/ سبتمبر 1990، ودعا الدُّول العَرَبيَّة إلى الانفتاح أكثر على دُول آسيا الوُسْطَى للتقارب الروحي والديني والثقافي والتراثي مع الشُّعُوب العَرَبيَّة والإسلامية أكثر بكثير من (إسرائيل)، التي تحاول الاستفادة من وجود الأقلِّيَّة اليهودية للتغلغل في المنطقة[2].

وإذا ما دقَّقنا ببعض المصادر العَرَبيَّة المُهتمَّة بموضوع (إسرائيل) وتوسُّعها في آسيا؛ نجد أن المؤتمر القومي العربي ـ بمفرده تقريباً ـ أوجد من خلال وثائقه المُهمَّة موضوع العَرَب وجُمهُوريات آسيا الإسلامية، ذلك أن المصالح العَرَبيَّة في آسيا الوُسْطَى ليست وليدة الزمن الحالي بقدر ما هي مُوغلة في التاريخ العربي والإسلامي، وهُناك فضاءات واسعة من العصور الأمويَّة والعبَّاسيَّة والعُثمانيَّة تُدلِّل على الاهتمام بتلك المناطق، ولا أزال أذكر حتَّى هذه اللحظات ومُنْذُ عشرين سنة الآثار الإسلامية في (باكو)، ومحجّ قلعة للوليد بن عبد الملك، وغيره، وافتخار تلك المناطق بالإرث الإسلامي الحضاري، الذي ينسحب على مُختلف مناحي الحياة هُناك، وإذا كانت المصالح العَرَبيَّة

(1) راجع صحيفة السفير 17 تموز/ يوليو 2000/ العَرَب والمصلحة القومية في آسيا الوُسْطَى.
(2) المصدر السابق نفسه.

والإسلامية تتطلَّب صياغة سياسيَّة استراتيجية، فإنه لابُدَّ أن يقف العَرَب أمام أولويَّات تلك الصياغة في ضوء هذه الحقائق:

1 ـ عدم السماح لتنامي قُوَّة إقليمية معادية في آسيا الوُسْطَى، وهيمنتها على العلاقات معها، وشنِّ الحرب السِّرِّيَّة على العَرَب والمسلمين فيها.

2 ـ مَنْ يُسيطر على آسيا الوُسْطَى يُقدَّر له ـ عاجلاً أم آجلاً ـ السيطرة على الخليج العربي والشرق الأوسط، ولعلَّ الفتوحات الإسلامية من العراق إلى آسيا الوُسْطَى في العصور الماضية؛ كانت تُدلِّل على ذلك تماماً(1).

3 ـ التنافس بين تركيا وإيران على آسيا الوُسْطَى، إذْ إن سيطرة أيٍّ منهما على آسيا الوُسْطَى تُقدِّم لها عُمقاً استراتيجياً لا يُستهان به على مرِّ الزمن، وفي المستقبل.

4 ـ الدور التركي ـ الأذري في دعم السيطرة الإسرائيلية والأمريكية على دُول آسيا الوُسْطَى.

5 ـ توازن المصالح والقوى في آسيا الوُسْطَى يعني توازن المصالح والقوى في الشرق الأوسط والمنطقة عموماً.

ومن المعروف أن بعض الدُّول العَرَبيَّة كان لها علاقات محدودة مع دُول آسيا الوُسْطَى، كمصر ومجلس التعاون الخليجي في مجال الاستثمار والتعاون، أو في المجالات الدينية والثَّقافيَّة، إلَّا أن ذلك لم يكن كافياً لصوغ سياسة عربية متكاملة المصالح، ولها استراتيجية خاصَّة ومُوحَّدة لدراسة أهمِّيَّة الأولويَّات، ومواجهتها لسياسة واضحة تجاه تصاعد النُّفُوذ الإسرائيلي، علماً أن للعرب والدُّول الإسلامية مصلحة أكيدة باستقرار وتطوُّر وتنمية شُعُوب آسيا الوُسْطَى، وبالتَّالي؛ يجب مُساعدتها في اختيارها لطريق تطوُّرها بنفسها، على رغم من نُمُوِّ قوى التَّطرُّف السياسي والهيمنة الإقليمية، ونفوذ القوى الإقليمية التي لها مصلحة في التَّطرُّف والاضطرابات السِّياسيَّة ذات النزعة القومية، أو الدينية، أمَّا إذا رجعنا قليلاً للوراء عندما زار الرئيس التركمانستاني سورية؛ فقد أكَّد أن بلاده تمتلك 30٪ من احتياطي الغاز في العالم، وتستخرج 12 مليون طن من النفط، ولأن عدد سُكَّانها (5) ملايين، فإنها لا تستطيع ـ بمفردها ـ استثمار هذه الخيرات الواسعة، فهي بحاجة لأميركا ودُول أوروبية للتعاون معها.

---

(1) راجع بهذا الصدد مقررات المؤتمر القومي العربي، / 1999ـ 2000/ .

والعوامل الداخلية الموضوعية تدفع البلاد للُّجُوء إلى التَّكتُّل الاقتصادي، وعلى اعتبار أن مصادر الطاقة عامل مُهمٌّ وحافز قوي للتصادم مع المصالح، فإن من الصعب البقاء على الحياد دون الانتماء لإحدى الأحلاف الإقليمية!!

إذاً؛ دخلت تركمانستان إطار التعاون الإقليمي في منظَّمة (أيكو) مُنظَّمة التعاون الاقتصادي في آسيا الوُسْطَى، بسبب الأوضاع الصعبة في العلاقات الإقليمية؛ حيثُ تُمزِّقها التناقضات الإقليمية والعِرْقية والدينية، ولكون تركمانستان تمتلك ثروات ضخمة؛ كان من الممكن أن تصبح عُرْضَة للنفوذ والمصالح والاقتسام السياسي لولا مبدأ الحياد الذي تنهجه..![1]

إن طبيعة العلاقات العَرَبيَّة مع جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى تركَّزت على أساس حظر انتشار السلاح النووي، أو تزويد (إسرائيل) بموادّ مُشعَّة، وجعل المنطقة خالية من السلاح النووي، والاهتمام بالنفط والغاز في بحر قزوين ودور الشركات السعودية ـ الأمريكية المُشتركة في التغلغل بهذا المجال، إضافة إلى تفعيل دور مُنظَّمة المؤتمر الإسلامي الديني والثقافي في جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى، والدورَيْن السعودي والإيراني هُنالك، وتوقيع مُذكّرات تفاهم وتعاون اقتصادي لتنشيط العلاقات الاقتصاديَّة العَرَبيَّة مع تلك الجُمهُوريات، وتقديم المبادرة للقطاع الخاصّ أكثر ممَّا للقطاعات الحُكُومية، والحَدّ من الصراع السياسي والعسكري، الذي نشأ بين أرمينيا وأذربيجان حول (منطقة كاراباخ)، وتنمية العلاقات السعودية ـ التركمانستانية، والبحث في مساهمات السعودية والإمارات في مشروعات التنمية هُنالك.

إن العلاقات العَرَبيَّة مع جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى ــ وبالأخصِّ؛ مع داغستان والشيشان وأنغوشيا ـ لا تعدُّ كونها علاقات غير مدروسة بشكل كافٍ، وقد شكَّل الفقر والبطالة والتخلُّف، وإلى حُدُود بعيدة الجهل والتَّطرُّف؛ العصا التي تُلوِّح بها بعض الدُّول التي لها مصلحة إقليمية قائلة: إنها ستعمل على التطوير والتنمية مقابل استغلال النفط والغاز، فيما هي تعمل ـ في الوقت نفسه ـ على سَحْب الخيرات والموادّ الأوَّليَّة من البلاد، بلا تطوير، وبلا تنمية، لأنَّ بعض الشركات لها مصلحة بالربح بشكل رئيس أوَّلاً وأخيراً، وليس لها مصلحة بالتطوير الاجتماعي والاقتصادي التنموي.

---

(1) انظر صحيفة تشرين 6/ 6/ 1999/ ص(10) انظر المُلحق الأخير.

وإذا ما تطرّقنا لموضوع النفط والغاز في الشيشان، ودور أصلان مسخادوف وشامل باسييف في دعم التَّوجُّه المُستقلّ عن رُوسيا، مقابل علاقات أوسع مع دُول الخليج العربي وأميركا لاستغلال خيرات بلادهم، فقد تناسى كُلٌّ منهما أهمّيّة بحر قز وين والجُمهُوريات الإسلامية وموقعها المُهمّ بالنسبة للاستراتيجية الرُّوسيَّة الحالية، وهي - بلا أدنى شكٍّ - مُتخبِّطة وغارقة في لُعبة العَضِّ على الأصابع بينها وبين الولايات المُتَّحدة. وإذا كان رسول حمزاتوف (ووالده وجَدّه) من الشعراء الذين كان صوتهم مرفوعاً في ما وراء القفقاس؛ فإن السمة الأبرز في حياة شُعُوب جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى: الشجاعة وقُوَّة البأس، ولا ننسى أن قائد الجيش الأحمر الجنوبي في بدايات الاتِّحاد السوفيتي (فرونزه) كان معروفاً من قبَل شُعُوب آسيا الوُسْطَى وتركيا، وكان يحترم الشُّعُوب الإسلامية، ولعلَّه لا يختلف عن أصلان مسخادوف، وغيره، علماً أنه كان قد وجَّه رسالة سلام وتعاون وصداقة للشُّعُوب الإسلامية في تركيا وإيران والدُّول العَرَبيَّة، لمُحاربة الحَرَس الأبيض والعناصر الصهيونية والكُولاك ملّاكي الأرض الإقطاعية الواسعة[1].

والسؤال المطروح الآن: هل وصلت رسالة يلتسين وبوتين في الشيشان إلى الدُّول الإسلامية والعَرَبيَّة أم لا؟

وهل ستبقى الشُّعُوب الفقيرة والمُضْطَهَدَة المغلوب على أمرها في آسيا الوُسْطَى تعيش في ظلِّ حُكْم استراتيجيات القرن التاسع عشر، فيما قوى الشَّرِّ والمافيات الرسمية في رُوسيا وآسيا الوُسْطَى تُلقي بظلالها عليها..؟!

خامساً: صراع أم مصالح بين الشرق والغرب

أظهرت الأحداث العالمية في السنوات الماضية طبيعة ازدواجية المعايير السِّياسيَّة والفكرية والدعائية للدول الغربية في أوروبا والولايات المُتَّحدة، فظهرت - عملياً - تجاوزات خطيرة لكل القضايا المطروحة في العلاقات الدّوليَّة من «ديمقراطية» و«مساواة» و«حقوق إنسان».

وضربت بعرض الحائط حينما تتعلَّق بمصير الشُّعُوب العَرَبيَّة والإسلامية، وفي مناطق ساخنة وجب - فعلياً - تطبيق ميثاق الأمم المُتَّحدة وقراراتها فيها دون نقصان. فازدواجية المعايير تُسبِّب

(1) راجع بهذا الصدد سيرة حياة فرونزه، دار التقدُّم مُوسكُو، أذكر هُنا أن رسول حمزاتوف الشاعر المعروف من أهمّ الأصدقاء العَرَب، وبالوقت نفسه؛ نذكر دور بريماكوف المُهمّ في السياسة الخارجية الرُّوسيَّة باعتباره يُمثِّل روح الشعب الجورجي وصديق العَرَب.

القلق والتأزُّم المُستمرَّين في العلاقات بين الشُّعُوب والأمم، وتُشجِّع على سياسة دبلوماسية البوارج، وتدفع القوي المُتعصِّب ضدَّ الضعيف المُنفتح، لكنَّ كلَّ تلك الشعارات الدوغمائية التي يظهرها الغرب تستهدف - بكل تأكيد - ضرب الرسالة الإنسانية، والحضاريَّة للإسلام والمسلمين، وتشويه صورتهم الحقيقية، وزجّها في أتون صراعات تكون الخاسر الوحيد فيها، مُكرَهة على خوضها للدفاع عن كرامتها وأرضها ودينها وثقافتها وحضاراتها.

ففي الوقت الذي يطالب فيه الغرب ودهاقنته بحقوق الإنسان، ويتبنَّى مواقف بعض الأقلِّيَّات المُرتبطة به كجنوب السودان لضرب الوحدة الوطنية بين الشعب السوداني[1]، لا يُحرِّك ساكناً تجاه قضية فلسطين والشعب الفلسطيني، الذي يَلْقَى من آلة الحرب الصهيونية القتلَ والتدميرَ والتهجيرَ والتهويدَ، وخاصَّة تجاه القُدْس الشريف والمسجد الأقصى[2]، وتعلن واشنطن أنها ستنقل سفارتها إلى القُدْس كاعتراف ضمني بأنها عاصمة للكيان الصهيوني، الأمر الذي يضرب - بعُمق - قرارات الشرعية الدّوليَّة، وقوانين صادرة عن هيئة الأمم ومجلس الأمن والجمعية العمومية بضرورة إخراج الاحتلال الصهيوني من أراضي الضفَّة والقطاع ومدينة القُدْس باعتبارها مناطق مُحتلَّة عام 1967م، كما تُملي (إسرائيل) والصهيونية العالمية مواقفها على الإدارات الأمريكية تجاه قضية السلام[3].

لقد ركَّزت العديد من المنظَّمات والمجالس والجامعات والمعاهد والشَّخصيَّات الإسلامية والعَرَبيَّة والعالمية على ضرورة إشاعة المساواة والعدل والحوار الحضاري بين القوميات والأديان المُتعدِّدة؛ سواء أَكان ذلك في الولايات المُتَّحدة أم أوروبا، وتدحض الأكاذيب والتعليقات الصهيونية المُضلِّلة للرأي العام الأوروبي والأمريكي والهيئات الدّوليَّة من مغالطات تاريخية ودينية وثقافية، أو مُحاولة وَصْم الإسلام والمسلمين بالإرهاب، بينما لايزال المسلمون في بقاع مُختلفة من العالم يعانون من الاستبداد والديكتاتوريات الفاشية والممهورة بأعمال القتل والإرهاب الرسمي والإجرام المدعومة من واشنطن نفسها، وإذْ تحاول تلك المجالس والهيئات اتِّخاذ مواقف حيادية تارة، وصدامية تارة أُخْرَى، لكُلِّ ما يُشاع من أكاذيب وأضاليل وازدواجية المعايير؛ فإنها تنشط باتِّجاه سلمي في غمار الدفاع الفعلي عن حقوق العَرَب والمسلمين بتحريك الشارع الأوروبي والأمريكي، كما حصل سواء

(1) انظر بهذا الصدد، مجلَّة الأهرام العربي / العدد 217/ 19/ 5/ 2001، ص8.

(2) راجعْ مجلَّة العالم السعودية، شهر9، وشهر10/ 2001.

(3) راجعْ تصريح السيد عمرو موسى أمين عامّ جامعة الدُّول العَرَبيَّة في صحيفة الحياة 8/ 11/ 2001.

كان تجاه الانتخابات الأمريكية وحيثياتها، أو تجاه انتفاضة الأقصى المباركة، أو تجاه أحداث أفغانستان وسعيها المستمرّ لتشكيل قُوَّة ضغط سياسيَّة واجتماعيَّة وثقافية وروحية في المهاجر على مُتَّخذي القرارات السِّياسيَّة في تلك البلدان لدعم الحقوق العَرَبيَّة والإسلامية، وبالأخصِّ؛ تجاه أحداث لازالت مُستمرَّة في أفغانستان والبلقان وفلسطين؛ حيثُ لا يُحرِّك المُجتمع الدولي وهيئاته ساكناً، مدعوماً من الفيتو الأمريكي وقرارات وتصرُّفات الإدارات الأمريكية والأوروبية المُوالية للصهيونية وربيبتها الاستعمارية (إسرائيل) العُنصُريَّة.

لقد سعت حركة العمل الإسلامي في الدُّول الغربية باعتبارها حركة فتية فيها إلى إبراز الجوانب المشرِقة للحضارة الإسلامية وفكرها الريادي، والدور المُهمّ للفكر العربي والإسلامي في ترسيخ وتعميق المعرفة الروحية والدينية والإنسانية للإسلام، والسعي المُستمرّ لتوفير الثقافة المنهجية لحوار الحضارات، من أجل بلورة مشروع إسلامي نهضوي وتنويري للحوار بين مُختلف الحضارات الإنسانية، وانتقاد ومحاربة سياسة العُنصُريَّة والإرهاب الدموية؛ الناتج عن التطهير الديني والعِرْقي، المدعومة من الحركات الفاشية والعُنصُريَّة والصهيونية.

استفادة الغرب من كنوز المعرفة والعلوم الإسلامية والعَرَبيَّة:

في كتابنا هذا سنحاول إعطاء صورة محدَّدة عن دور حركة العمل الإسلامي في مُختلف أنشطتها في أوروبا والولايات المُتَّحدة، بالنظر إلى تناول إشكاليات العمل وأساليبها، وأهمّ الهيئات والمؤسَّسات والجامعات وأهدافها، والدخول لعقل وروح الإنسان الأوروبي، والتأثُّر المتبادل في مشكلة الثقافة الغربية والعقلانية الأوروبية، ورؤيتها المركزية من أجل التجديد والدينامية في الأوساط الأكاديمية، رغم مناعة القلعة الغربية وصلابة الحراب والفؤوس المُسلَّطة على الشُّعُوب الإسلامية لتفكيكها، لإبقاء سلطة الوَهْم والتبعية متمركزة في عقول النُّخب الحاكمة، لاسيما أن الفكر العربي بات كالفكر الإسلامي العامّ؛ مُرتبط بالفكر النقدي والواقعي ضمن الأُطُر المنطقية ومعايير الواقع والحقيقة، بعكس الفكر الأوروبي الذي لايزال يجري على نمطية القُوَّة المركزية ضمن آليات تطبيقه، كمعيارية مرجعية واستشراقية، ورغم أن الغرب استفاد من كنوز المعرفة والعلوم الإسلامية التي وصلته من البلاد العَرَبيَّة والإسلامية عبر إسبانيا، كعلوم بلاد الشام، وتراث ما بين

النهرَيْن، وتاريخ وادي النيل، اعتبرت من أكبر المراكز التي[1] ساعدت على قيام الحضارة الغربية نفسها، وحسب الأستاذ الجامعي من جامعة تولوز السيد فيليب ولف المُتخصِّص بالأبحاث الإسلامية والتاريخ الإسلامي، وما سبَّبه كتابه النهضة الفكرية في أوروبا، من عداء مُستحكِم من قبَل أقرانه في أوروبا الغربية لتأكيده الدور الريادي والحضاري للإسلام في النهضة الأوروبية[2].

لقد كان البابليُّون أوَّل مُكتشفي النُّجُوم والفَلَك، وفي تعيين مستقبل الإنسان، والكلدانيُّون حدَّدوا أسماء حركة النُّجُوم ومساراتها المُختلفة وقياساتها ومداراتها، وقسَّموا السنة إلى 365 يوماً ضمن 12 شهراً، وبذلوا جهودهم لنقل خبراتهم وتجاربهم وترجمتها لشُعُوب الأرض.

وهُنا؛ تكمن جهود الخوارزمي في الهندسة والجبر والرياضيات؛ حيثُ يعود إليه وضع الوحدات الرَّقْميَّة في العالم كُلِّه، وتعتمد عليها العُلُوم والتقنيات المعاصرة في الولايات المُتَّحدة وأوروبا واليابان، وكيفية انتقال العُلُوم والحضارات الإسلامية والعَرَبيَّة عبر التجارة والحملات العسكرية والهجرة العادية أو القسرية، ودور شُعُوب النيل والفرات والسواحل العَرَبيَّة في مشرق الوطن العربي ومغربه في القرون الوُسْطَى، التي شكَّلت الأرضية الخصبة لتلك العُلُوم المعاصرة. كما وَقَفَ فيثاغورث إلى جانب التفكير العربي والإسلامي، وأسَّس المدرسة المثالية في أوروبا، وانقسم العَرَب والمسلمون إلى مدرستَيْن؛ المدرسة المثالية، والمدرسة المادِّيَّة، التي مهَّدت لاكتشاف العُلُوم الطبيعية، والتطوُّرات والتحوُّلات اللاحقة لتأسيس الفكر المادّي، ويُلاحَظ عبر الأبحاث المتتالية أنَّ كلتا المدرستَيْن استندتا على التيَّارَيْن المثالي والمادِّي في الإسلام، ونوازعهما الفكرية والروحية، وتأسَّس علم الاجتماع والسياسة استناداً على أفكار ابن خلدون وكتاباته في المُقدّمة وفي العبر[3].

ونُلاحظ هُنا أنَّ التبادل والتوافق الحضاري بين العَرَب والغرب لم ينتهِ، وكذلك الصراع السِّلمي ـ بكلِّ أشكاله ـ لم ينتهِ أيضاً.

وقد أكَّد الزميل سماحة السيد إدريس هاني في كتابه المُهمِّ (محنة التراث الآخر في النزعات العقلانية والمورث الأمامي) أن صدر المُتألِّهين، تولَّى الدفاع عن كل النتائج الانطلوجية والثيولوجية

---

(1) إدريس هاني، العَرَب والغرب، دار الاتِّجاه/ 1998، لبنان، ص 189.

(2) د.علي البيكدلي، دور النهضة الإسلامية في النهضة الأوروبية، مجلَّة الصَّيَّاد، العدد77، السنة14، ربيع الأوَّل، 1416هـ آب/ أغسطس، 1995، ص 68 ـ 69.

(3) إدريس هاني، محنة التراث الآخر، الغدير، بيروت، 1998، ص 275.

التي انتهى إليها ابن سينا نفسه، فإن ملا صدرا كان مُفكِّراً بارعاً، وما قدَّمه الفيلسوف الإيراني للدفاع عن ابن سينا، بالأخصِّ؛ بتعريفنا على موقفه من قضية الجبر والهندسة، وتأمُّلات الفلاسفة في القرن السابع عشر الميلادي، وحُرِّيَّة الاختيار والتفكير، وطبيعة التَّأثُّر بالفلسفة اليونانية، والعكس بالعكس[1].

تأثير العُلُوم والآداب المعرفية الإسلامية في أوروبا:

مع ظُهُور أرسطو طاليس، وفتوحات الإسكندر، تمَّ تدمير فكرة المُجتمع المَدَني والدولة كقاعدة للفكر السياسي التنويري، وجاء بديلاً عنها الدور العسكري للإسكندر، وحمل معه في حملاته العسكرية التراث العلمي والفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار توحيد الشُّعُوب المقهورة بثقافة واحدة، ضمن الإمبراطورية العالمية التي أرادها، ونقل قُوَّاته وأنشطته إلى مدينة الإسكندرية، بعد أن اعتنى بها، وطوَّرها، وبهذه المدينة؛ نشط العلماء والفلاسفة من جديد في علومهم الميدانية الخاصَّة مثل: أرخميدس، وجالينيوس، وانتقل المركز الحضاري من اليونان إلى الشرق العربي، وأصبح مركزاً للعُلُوم والتطوُّر الفلسفي، وحافظت الإسكندرية على مركزها حتَّى نشوء الإسلام وسيطرة المسلمين على البحر الأبيض المتوسط وفارس والهند وآسيا الوُسْطَى وتركيا وبحر الخزر وبخارى حتَّى الصِّين، وظهر الإسلام كعامل مُؤثِّر في الحفاظ على العُلُوم العَرَبيَّة واليونانية وتطويرهما، وكان للرسول الأكرم (صلعم) وأهل بيته وأصحابه دور مُهمٌّ في حضِّ الناس على القراءة والكتابة، ومعرفة العُلُوم والفلسفة والأدب، وتطوير قراءات الإنسان الروحية والعلمية، وصناعة السلاح والقلاع، والفنون الإسلامية، التي ماتزال شاهدة على عصر الحضارات الإسلامية في مُختلف مناطق العالم، بينما كانت القراءة والكتابة في أوروبا مقتصرة على أرباب وقساوسة الكنيسة فقط!.

وبسبب من ظُرُوف التأزُّم بين أطراف الدولة الإسلامية وخلافاتها الداخلية، حالت دون التطوُّر العلمي، وساعد على ذلك التَّأثُّر بالحملات المُتوحِّشة للمغول والتَّتار والحملات الصليبية والعثمانيين، ورغم انتصار الإسلام على الحملات الصليبية عسكرياً، إلَّا أن هؤلاء استفادوا ـ فيما بعد ـ من حملاتهم باستخدام الذخائر والنار والمنجنيق وتطوُّر آلة الحرب الصليبية شيئاً فشيئاً، وبعد انكسارهم؛ بدأوا يُفكِّرون بنهضة العلم والفلسفة، والسرقات التي أخذوها عن العَرَب والمسلمين،

---

(1) المصدر السابق نفسه.

بالأخصِّ؛ في معركة جبل طارق 711م، ودور طارق بن زياد، أدَّت إلى يقظة أوروبا من سُبات القرون الوُسْطَى، وتمَّ تقسيم سلطة البابا إلى سلطتين (سلطة دينية) و(سلطة سياسيَّة)؛ حيثُ عملت الأخيرة على تطوير بنية السياسة والحرب والهيمنة، وتمَّ تطوير مراكز البحث والعلوم والتقنيات الحربية بعيداً عن سلطة الكنيسة، وتمَّ تجميع كُلِّ الوثائق والكُتُب من أفريقيا والبلاد العَرَبيَّة وبلاد فارس لدراسة العُلُوم المهنية، وتمَّ ترجمة الثقافة العَرَبيَّة واليونانية إلى اللغات الأوروبية.

ولهذا؛ ظهرت في أوروبا بعصر النهضة الاقتصاديَّة؛ الآلة والصناعات والعمل التجاري، وتطوَّر السلاح، وظهرت بورجوازية المُدُن الكبيرة، وتطوَّرت علوم السياسة والقانون والصحافة والمطابع، وتأخَّرت عند العَرَب آلية العلم والثقافة والتَّحضُّر بسبب ما فرضه الاحتلال العثماني لمُدَّة أكثر من 450 عامًّاً من التَّخلُّف والجهل، وتتريك العَرَب، ونهب خيراتهم. فبينما تقدَّمت أوروبا خلال تلك الأعوام، تراجعت بلاد الإسلام والعَرَب كثيراً، مع ازدياد عوامل النهضة الصناعية والسِّياسيَّة في أوروبا، وظهر الاستعمار القديم البريطاني والأوروبي الاستيطاني، الذي استفاد من تجارة التوابل والقطن والمواد الأولية وترجمة الآثار الأدبية والعلمية عن اليونانية والعَرَبيَّة، وحُملت سرَّاً إلى أوروبا للاستفادة منها، ولعبت مُدُن شمال أفريقيا وسورية وحلب وحران وأوديسا وصقيلية وغرناطة الدور الأهمَّ كقنوات أساسية وانتقال العُلُوم الإسلامية إلى أوروبا، ولعب المسيحيون واليهود الدور المُهمَّ بتوظيف تجارة الوثائق والمصادر العلمية والفلسفية والكيميائية، وتأسَّست جامعة باريس عام 1200م، وجامعة أوكسفورد عام 1124م، وظهور الجامعات ومراكز الصناعات الأوروبية؛ أضعفت من قُوَّة الكنيسة، فظهرت العلاقات الاقتصاديَّة والتجارية بكونها عاملاً استحوذ على اهتمامات الناس ومصالحها اليومية، وَنَمَت البورجوازية والأرستقراطية الأوروبية بشكل واسع لم يسبق له مثيل، وبحثت عن الأسواق لتسويق تجارتها، أو البحث عن المواد الأوَّلية، وكان لبريطانيا دور صناعي ضخم مع فرنسا التي لعبت الدور المُهمَّ في القضايا السِّياسيَّة والفكرية مع ألمانيا في عهد النهضة الأوروبية.

القُدْس مركز اهتمام العالم:

تُدرك المؤسَّسات والهيئات والجامعات الإسلامية والمسيحية أبعاد الدور اليهودي في تحويل أوروبا واهتماماتها باتِّجاه خدمة أطماع الصهيونية العالمية، وكشف أبعاد الحملات اليهودية ومُحاولاتها تأسيس الهيئات والمراكز الصهيونية الضاغطة سياسياً وقانونياً وثقافياً على مُتَّخذي القرارات، وذلك من خلال توجيه الاهتمام من جديد نحو القُدْس الشريف والمنطقة، وإعادة أمجاد الماضي المزعوم، ومن خلال المجلس العالمي المسيحي ـ اليهودي، الذي تشكَّل في القرن التاسع عشر لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، تحت الدعوة لإقامة الدولة التوراتية بدعم من بارونات ولوردات العالم الصناعي الرأسمالي في الغرب، إلَّا أنه جاءت دعوة إنشاء المجلس العالمي للقُدْس في بيروت بشكل مُتأخِّر، والتي تهدف إلى حماية المدينة المُقدَّسة من القهر والتهويد والاستيطان، وشكَّل المؤتمر الصهيوني العالمي في بال بسويسرا بزعامة هرتزل (مُؤلِّف كتاب الدولة اليهودية) وقيادات الدُّول الاستعمارية بانتهاج رؤية جديدة، شجعها ـ بشكل خاصٍّ ـ رجل الأعمال والملياردير البريطاني اليهودي مونيتفوري روتشيلد من أجل شراء الأراضي والعقارات في القُدْس مُنْذُ عام 1927م، لتأسيس مركز لليهود فيها، وتمَّ بناء مشفى ووحدات سكنية، وأخذت تنقل عمليات الاستيطان من رؤية دينية تتَّجه ضدَّ الإسلام والمسلمين، إلى رؤية سياسيَّة وعسكرية صهيونية، كامتداد للحركات الاستعمارية الأوروبية لضرب وحدة العَرَب والمسلمين عبر (حملة نابليون + الانتداب البريطاني + اتِّفاقيَّات سايكس بيكو + وعد بلفور).

والآن؛ تسعى مجموعات الضغط والعمل الإسلامي والعربي في الغرب وهيئاتها وجمعياتها ومراكز البحوث والمؤتمرات، لمواجهة تلك الحملات بالدفاع عن القُدْس الشريف والإسلام والعروبة فيها ضدَّ مُحاولات تهويدها وبناء ما يُسمَّى «هيكل سليمان»؛ حيثُ أثبتت الآثار والمكتشفات الأثرية في القُدْس أنه لا وجود مطلقاً لذلك المعبد اليهودي الوثني في مدينة الله (القُدْس)، ودحض كلّ ما تُزوِّره وتُضلِّله الدعاية الصهيونية في الولايات المُتَّحدة وأوروبا عن مزاعم خُرافية، وينشط المسلمون والعَرَب المهاجرون المقيمون في تلك البلاد لإعادة صياغة جديدة للفهم الغربي للإسلام كدين العدل، والحقّ، والمساواة، وتظهر على التوالي أهمِّيَّة الوحدة الإسلامية أمام التحدِّيات المعاصِرة، فظهرت قبل سنوات مؤتمرات وندوات أكاديمية للبحوث وللدراسات الإسلامية، التي تهتمُّ بقضايا الإسلام، سواء أكان ذلك في فلسطين المُحتلَّة، أم في البوسنة والهرسك والبلقان وأفغانستان ومناطق أُخْرَى في العالم.

الأيدي الخفية والتحالف الصربي ـ الإسرائيلي:

تثبت الوثائق والأحداث التَّاريخيَّة طبيعة الدور اليهودي الصهيوني في إشعال الحرب العالمية الأولى والثانية، للانتقام من أوروبا لأسباب تاريخية وسياسيَّة، ويُلاحَظ هُنا أنَّ التحالف الصربي ـ الصهيوني دعا الملياردير اليهودي الرُّوسي يعقوب شيف وغيره بتحالف تجلَّى عبر السنوات الماضية بين بلغراد عاصمة صربيا، وبين (إسرائيل) صاحبة اليد الخفية في الغرب، التي تقود جبهة عالمية لا يُستهان بها ضدَّ العَرَب والإسلام، وكما مثَّل حزب الكتائب في لبنان الأطماع والمصالح الصهيونية، يُمثِّل ـ الآن ـ الشتنيك الصرب تلك المصالح على أثر الصداقة القديمة بين الصرب واليهود، والتي كانت سابقة على الحرب الكُبْرَى في أوروبا ذاتها، ودفع اليهود الصربَ والمقدونيين للثورة على العثمانيين الذين نشروا الإسلام، وتسلَّح هؤلاء الصرب بسلاح وبمال الحركة الصهيونية، وكل منهما يرتبط روحياً واجتماعياً وماديّاً بعضه ببعض، لتشابك مصالحهما المُشتركة، والشعور القومي بالاستعلاء والعُنصُريَّة المُشترك بينهما، وعند انهيار الدولة العثمانية، انتهزت الفرصة لتشكيل دولتيهما العُنصُريَّة واحدة في قلب أوروبا، والثانية في قلب المُجتمع الإسلامي والعربي، وأصبح الاستقلال الصربي مصدراً للعمل والإلهام الصهيوني بدعم الفاشية الإيطالية، واتَّفق الصهاينة مع الصرب وقومية (الشتنيك) التي سعت ـ وبدعم من الضابط الماسوني الصهيوني (ودراتسامبها بلوويج) ـ بتزكية العُنصُريَّة الصربية، ودعم سياسة التطهير العِرْقي والديني أيَّام الحرب العالمية الثانية، وراح ضحيَّة ذلك مئة ألف مسلم في البوسنة والهرسك من خلال الفتن اليهودية الصربية.

وشكَّل اليهود الصهاينة حلقة الوصل بين الغرب وبين الشتنيك وعصاباتها المسلحة المدعومة من أمريكا وأوروبا، ووجدت تلك القوى الغربية والبلقانية أن الكروات والألبان والبوسنيين المسلمين والمسيحيين أعداء لهم، وعند انتهاء الحرب الباردة؛ لم تتأخَّر جبهة الغرب والصهيونية من إيجاد عدوٍّ جديد لهم، وسلَّمت بالإسلام كعدوٍّ سياسي وثقافي، ورسمت الاستراتيجية وسط أوروبا وغيرها للقضاء على الوجود الإسلامي، وتشويه حقيقة الإسلام هُنالك، وعمل مُوظَّفو وجماعات اللُّوبيات اليهودية في البلقان وأوروبا ورُوسيا وأمريكا، لدعم سياسة الصرب بحملتهم الدموية عبر السنوات الماضية، ومُحاولة اقتلاع الإسلام والمسلمين من وسط أوروبا، ضمن سياسة (فَرِّقْ، تَسُدْ) المعهودة، وتتكشَّف الحقيقة الإسرائيلية في مُختلف المناطق التي يُوجد فيها الإسلام، والسعي المستميت

لحصار عملهم وأنشطتهم، وإقامة تحالفات إقليمية مُضادَّة لهم، سواء كان في كشمير، أو السودان، أو البوسنة، وتُسمَّى الدعاية اليهودية الصهيونية الإسلام في أوروبا وغيرها (بالخطر الأخضر)، ويلقى المسلمون عدواناً مُعلناً وخفياً أينما كانوا، وبالأخصِّ؛ في البوسنة، ويلقى (علي عزت بيغوفيتش) العداء المستحكم من النظام الأوروبي والرُّوسي والصهيوني ومحاربته، لأنَّه دعا إلى الإعلان الإسلامي العامّ في وسط أوروبا للدفاع عن القُدْس وفلسطين، باعتبار ذلك الكفاح العالمي المُقدَّس لكلِّ المسلمين، مؤكِّداً أنه إذا استمرَّ طغيان اليهود والصهاينة في البلقان وفلسطين، كما هُو الآن؛ فإن الحلَّ الوحيد أمام المسلمين هُو تقوية مقاومتهم ونضالهم ضدَّ الصهاينة، واسترداد الأراضي المُحتلَّة يوماً بعد يوم، وأيّاً كان الثمن[1].

تُظهر تصريحات القادة المسلمين طبيعة المكر والدهاء اليهودي باستخدام (الجمعيات السِّرِّيَّة) للماسُونية السِّرِّيَّة في تشكيل جبهة دولية مُضادَّة للإسلام، أو ضدَّ الرئيس البوسني ودفاعه عن فكرة الاتِّجاه العالمي الإسلامي لأجل إنقاذ القُدْس من سيطرة (إسرائيل) العُنصُريَّة والإرهابية، وتأكيده على أن (إسرائيل) تُساند الصربيين بكل أنواع الأسلحة، وخاصَّة أسلحة (أ.ك 47 عوأوزي). ونشرت مجلَّة جيروزليم ريبورت معلومات خطيرة عن التحالف الإسرائيلي ـ الصربي، كانون الثاني/ يناير 1990 ودور الأجهزة الإسرائيلية بخرق الحصار الإقليمي والدولي على الصرب، وتوظيف تجارة السلاح والمعلومات الحربية عن طريق يهود البلقان، وتقديم المعونات الحربية، ودور اللوبي اليهودي الأوروبي ـ الأمريكي المُضادّ للقوى الإسلامية في أوروبا وأمريكا في ذلك، أمَّا تقرير الداعية الصهيوني (اليوندانسكي) ضدَّ المسلمين؛ الذي اعتبر حُكُومة عزت بيغوفيتش الإسلامية جزءاً من المؤامرة الإسلامية الدّوليّة التي تنظِّمها دُول عربية وإيران، وتفضح وسائل الإعلام الأمريكية دور (البوندانسكي) في الأسطول الأمريكي وعلاقاته المشبوهة مع رجل (إسرائيل) في البنتاغون (جوناثان بولارد)، والأدوار التي قام بها لتهريب السلاح من (إسرائيل) إلى الصربيين.

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد كلِّ ذلك؛ ما هي الاستراتيجية المُشتركة لمسلمي آسيا وأوروبا وأمريكا تجاه التطهير العِرْقي والقَبَلي؟؟ بلا شكٍّ؛ إنَّها ليست سياسة الدمج القسري، أو الانعزال؛ إذْ لابُدَّ أن تنظر بجدِّيَّة إلى إبراز الشخصية الإسلامية وقُوَّتها، ومقدرتها على إقناع الآخرين بضرورة نزع

---

(1) انظر مجلَّة العالم، العدد672، حزيران/ يونيو 1998، ص 54، التحالف الغربي الإسرائيلي ضدَّ المسلمين.

فتيل الحُرُوب وسباق التَّسلُّح والإرهاب وسياسة التفرقة، لأجل حوار وتعاون أوسع، ومن هُنا؛ تبرز إشكالية تحدِّيات العمل الإسلامي في الغرب عموماً[1].

مؤتمرات الحوار الحضاري وأنشطة المعاهد الإسلامية في أوروبا:

ونظراً لأهمِّيَّة نشاطات الجاليات العَرَبيَّة والإسلامية في أوروبا من خلال أوكسفورد، وملتقى الحوار الحضاري، وجامعات ومعاهد الدراسات والبحوث الإسلامية؛ تسعى تلك الفعاليات لإيصال الخطاب الإسلامي والعربي إلى الأوساط الاجتماعيَّة والحزبية والدينية والفكرية في أوروبا والدُّول الاسكندنافية؛ عبر المؤتمرات والندوات وملتقيات الحوار، وبالأخصّ؛ ملتقى حوار الحضارات 15/ 7/ 2000م في أكاديمية أوكسفورد / بلندن/ ، ودور رئيس الأكاديمية الإسلامية مع مجموعة من المُفكِّرين والباحثين بوضع أرضية للتعاون الثقافي والحضاري ضمن سياسة حوار الأديان، لأنَّها تُمثِّل الاتِّجاه الصادق للعالَمَيْن العربي ـ والإسلامي، والسعي ـ بالنتيجة ـ للتأثير في مراكز القرار والأحزاب والهيئات المُختلفة، لشرح المواقف وتبيان الحقائق، من أجل الولوج في ترياق إنساني واحد وذلك عن طريق:

أ ـ أهمِّيَّة ودور الخطاب الإسلامي التنويري في أوروبا والولايات المُتَّحدة.

ب ـ كشف مُلابسات الخطاب الغربي إلى المسلمين؛ طبيعته وأهدافه والتعريفات الغربية غير الصحيحة عن الإسلام، كالأصولية والإرهاب الإسلامي، وما إلى هُناك من أكاذيب تنشرها الدعاية الصهيونية بوسائلها.

ج ـ تطوير الخطاب الإسلامي ـ الإسلامي، وما يحمله من مُحاولات هدَّامة تارة، وهادفة تارة أُخْرَى لرفع سوية الخطاب والتحدِّيات، من خلال وحدة العمل الإسلامي بكل أشكاله ضدَّ الخصوم والأعداء، وفي تناول القضايا الفكرية والروحية والفقهية والعقائدية، واللجوء إلى رؤية مُشتركة من خلال آفاق التنوُّع الحضاري، وجهل الغرب بحقيقة الإسلام.

لقد أكَّد ممثِّل الأمين العامّ للأمم المُتَّحدة في ملتقى الحوار بأوكسفورد 2000م السيد (جيان دومينكوبيلو) في كلمته أنَّه بعد انتهاء الحرب الباردة بدأ الغرب بالتنظير لإثارة العالم

---

(1) مُحمَّد علي سرحان، إيران إلى أين في عهد الرئيس خاتمي، حوار حضارات أم صراع حضارات؟!، دمشق،1999، ص 40 ـ 14.

الإسلامي بعد فراغ الساحة الدّوليّة من الصراع بين الشرق والغرب، وبدأ اختراع عدوّ جديد، وجاءت نظرية صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، كمطلب فكري وأيديولوجي للغرب لضرب الأمة الإسلامية وحضارتها، وكذلك ضرب حضارة وثقافة الأمم الأُخْرَى[1]، كذلك تعتبر الأنشطة والفعاليات الفكرية والدينية والروحية والأكاديمية من أهمِّ الأنشطة الإسلامية في الدُّول الإسكندنافية وأوروبا، فنجد هُنالك المؤسَّسات والمعاهد الإسلامية التي أثبتت حضورها على مدى السنوات الماضية كمؤسَّسة (الإمام الخوئي) و(معهد الدراسات العَرَبيَّة في لندن)، وغيرهما، وتُدرِّس تلك الأماكن العلمية الدراسات والبحوث والمراجع الإسلامية، التي تُؤكِّد الحاجة إلى الاطِّلاع المُستمرِّ بشكل أكاديمي على المعالم والمراجع الأساسية للفكر الإسلامي والتراث الحضاري والثقافي للإسلام في مُختلف جوانبه، وتعتبر العناية الخاصَّة بالأبحاث الإسلامية والعَرَبيَّة بأسلوب فلسفي وفكري وإبداعي أنماطاً ضرورية لاكتشاف الخبرات والتعليم والإسهام المستمر في توسيع فعاليات العُلُوم والثقافة الإسلامية في المؤسَّسات والجامعات، ودعم الحوار بين الأديان والحضارات، بهدف إشاعة منهجية ثقافية إنسانية للحوار الحضاري القائم على أسس التعاليم الإسلامية وتاريخ الإسلام والرسالة النبوية الشريفة للرسول الأكرم (صلعم) وأهل البيت والصحابة، والحديث الشريف، ومسيرة العصور الإسلامية، وأهمّ الحركات والمدارس التي ظهرت فيها، وتاريخ المنطقة العَرَبيَّة والإسلامية، وانتشار الإسلام في العالم، إضافة لدور المُدُن الإسلامية في آسيا الوُسْطَى والمنطقة العَرَبيَّة، والتمسُّك بالعلم والدين والحضارة الإسلامية، وتوثيق النشاط السياسي للمنظَّمات والحركات السِّياسيَّة في البلاد العَرَبيَّة والإسلامية بشكل عصري وتقني متطوِّر.

ورغم أن صورة الإسلام في الغرب تعرَّضت للتَّشوُّهات والدعاية المُغرِضَة، وخاصَّة بالفترة الأخيرة؛ فإن جهود المعاهد والجامعات الإسلامية، تحتاج إلى عمل أوسع وأشمل، بهدف التأثير، ومركزية إعلامية وسياسيَّة وثقافية مُشتركة بين الدُّول العَرَبيَّة والإسلامية لإلغاء صورة الإسلام في العقول الغربية، وإبراز حقيقة الدين الإسلامي ومواقفها الإنسانية، وبُعْدها عن الإرهاب، ونشر الدوريات والمجلَّات والدراسات بين الجاليات الإسلامية، وتعاونها الوثيق لإقامة الحوارات، والحفاظ على الروابط العلمية والأكاديمية والبحثية مع المؤسَّسات والجامعات الأوروبية ـ والأمريكية. وتعتبر تلك المؤسَّسات منظَّمات غير حُكُومية ومراكز استشارية إسلامية، وحسب

---

(1) شؤون إسلامية، العدد61، السنة الثانية، شعبان ـ رمضان، 1421هـ كانون الأوّل/ ديسمبر 2000م، ص131 ـ 132.

المعطيات فإنَّها تعمل على توضيح قضايا حقوق الإنسان والتمييز العُنصُري، ومعالجة الأمراض والأوبئة بين المهاجرين، ومحاربة تجارة الرقيق والمخدرات والآيدز المنتشر في الغرب، والمساهمة في تمويل المشروعات التنموية والمؤسَّسات الإنتاجية[1].

وحدة المذاهب الإسلامية وضروراتها التَّاريخيَّة والرُّوحية:

رغم الانفتاح والعمل الإسلامي على قضايا عصرية مُهمَّة كحوار الأديان والحضارات؛ يظلُّ هُنالك خطر يتَّخذ من النظام الليبرالي بطابعة العسكري اللاأخلاقي والمُتوحِّش مطيَّة يعتمد عليها للسيطرة الليبرالية والتخريب وإثارة الفتن المُتجلِّي بالحركة الصهيونية وبروتوكولاتها السِّرِّيَّة الساعية إلى إنشاء حُكُومتها العالمية السِّرِّيَّة، التي تزرع الفوضى، وتستهدف الإسلام والمسلمين في كل مكان، وتزرع الفوضى والانقسامات، وتُشجِّع الاضطرابات بهدف الإملاء والسيطرة والقهر، لذلك تبدو مسألة وحدة المذاهب الإسلامية وضروراتها الرُّوحية والتَّاريخيَّة من الأهمِّيَّة بمكان ضدَّ الهجوم الأميركي ـ الصهيوني، وبإزاحة الخلافات فيما بينها، والدعوة المُستمرَّة للاعتماد على (الوحدة والتماسك) الروحي والثقافي والفكري، لأنَّ هُنالك قضايا مُشتركة كالوحي والرسالة المُحمَّدية الشريفة والقرآن الكريم والحديث الشريف ودور أهل البيت (رضي الله عنهم)، وهي مصادر أساسية لكل المسلمين في العالم، فلابدَّ من البحث ـ دائماً ـ عن عوامل التماسك والوحدة، ومقاومة الأغيار ممَّنْ يزرعون الفِتَنَ والخلافات ـ عن قَصْد ـ بين المسلمين.

لقد وقعت مجلَّة "المجلَّة" السعودية مُؤخَّراً في مثل تلك الحبال؛ حيثُ تساءل العديد من المُثقَّفين لمصلحة مَن يجري تسليط الأضواء الدعائية الرخيصة في تلك الدّوريَّة العَرَبيَّة لزرع الخلافات في البيت الإسلامي الواحد؟! خاصَّة في الوقت الحاضر، ودقّ أسفين من الخلافات، والحرب الخفية المسؤولة عنها أوَّلاً وأخيراً الأيدي الخفية في عصر العَوْلَمَة والتغلغل الصهيوني الأمريكي.

فبدلاً من الدفاع عن الأماكن المقدَّسة وانتفاضة الأقصى، وترتيب البيت العربي وتماسكه، ومواجهة الدعاية الصهيونية؛ يجري إعادة صياغة الأوهام والخلافات من جديد[2].

(1) بدور مُحمَّد، لندن، مجلَّة النور، العدد116، كانون الثاني/ يناير 2000، ص 48.
(2) مجلَّة المجلَّة، السعودية، العدد 108، 39، 10/ 4/ 11/ 2000.

لا شكَّ أن النيل من الهدف المُشترك للإسلام لايزال الشغل الشاغل لأعداء الأمة، وأن انشغال البعض في ترَّهات فكرية وسياسيَّة لا يعفي هؤلاء من الدفاع عن قضايا المسلمين المضطَّهدين.

لقد أكَّد محسن الأراكي أمين عامّ جماعة علماء المسلمين في أوروبا بحقّ أنَّ الأمة الإسلامية تمرُّ في الآونة الأخيرة بمرحلة تاريخية عصيبة تواجِه فيها التحدِّيات والأخطار الشرسة والعدوان الصهيوني على ديار الإسلام ومُقدَّساتها، الذي داهم عالمنا العربي الإسلامي بعد اغتصاب فلسطين، والاستمرار في تهويد الأرض والشعب. والمسجد الأقصى لا يقلُّ قداسة بالنسبة لمسلمي العالم عن مكَّة المُكرَّمة والمدينة المُنوَّرة، وعلى اعتبار أنه أولى القبلتَيْن وثالث الحرَمَيْن الشَّريفَيْن[1].

وإرادة الصمود والمقاومة ماتزال قائمة ولم تضعف بعد، على الرغم من مُحاولات أعداء الأمة فرض أشكال خسيسة من الاستسلام والتطبيع مع الكيان الصهيوني العُنصُري والاستيطاني وحُكَّامه القتلة والمجرمين، وكان لحزب الله في لبنان وبفضل العزيمة والإيمان بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ اتِّباع نهجه لأنَّه هُو الغالب من خلال النهج الاستشهادي والمقاومة الإسلامية في سبيل تحرير الأرض من أعداء الإسلام وأعداء الله والإنسانية، فمن منطلق نصرة الإسلام وعزَّته وكرامته، فإن وحدة المسلمين بين مشارق الأرض ومغاربها باتت أمراً ضرورياً ومُلحَّاً أكثر من أيِّ وقت مضى، ولأجل دعم انتفاضة الأقصى؛ التي تبتلع آلة البطش الصهيوني أطفالها وشبابها يومياً، دون أن يُحرِّك المُجتمع الدولي ساكناً إزاءها، مدعومة من قبَل قوى الشَّرِّ والعدوان والاستكبار العالمي.

ومن هُنا بالذات؛ فإن كُلَّ الكُتَّاب والباحثين المسلمين والمُتنوِّرين يُؤكِّدون ـ باستمرار ـ على وحدة العمل الإسلامي بين جميع الطوائف والمذاهب الدينية الإسلامية، والحرص على محاصرة الجهل والتعصُّب وإثارة الفتن، ومُحاولات تمزيق الأمة الإسلامية والعَرَبيَّة من قبَل الدوائر الاستعمارية والصهيونية.

المنحى والهدف في هذا السياق الفكري التحليلي أن سائر السادة العلماء المسلمين لهم دورهم الأساسي من كُلِّ ذلك، ودعوة شيوخ الأزهر والمساجد الأُخرَى لتطوير العمل الإسلامي ضمن أهداف المؤتمر الإسلامي العالمي (لوحدة المذاهب)، من أجل إعلاء كلمة الله وهي الحقّ، فمن يعمل بغير ذلك يضلُّه الله بالإثم في جحيم الشَّكِّ والتِّيه والفوضى.

---

(1) السيد آية الله محسن الآراكي، شؤون إسلامية، العدد71، شوال، ذو القعدة، 1421 هـ ص 131.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

ـ العمل الإسلامي العربي وإعلان برشلونة:

لايزال الغرب الأوروبي ـ والأمريكي مُهتمًّا بموضوع المسلمين والإسلام بهدف تحجيمهم، أو احتوائهم والتعايش معهم؛ إذْ عملت الجهات المعادية للإسلام وقواها وأحزابها على دعم كتابات سلمان رشدي المعادية للإسلام في دراساته التي تُشهِّر وتتعرَّض بالافتراء للرسول الأكرم مُحمَّد (صلعم)، وشكَّلت تصريحات رئيسة الوزراء البريطانية السابقة (مارغريت تاتشر) دعوة صريحة للقضاء على الإسلام بعد انتهاء الحرب الباردة للسَّيْر في مركب النظام الليبرالي العالمي وعدائه السافر والمكشوف للإسلام وقيمه الحضاريَّة النبيلة، لقد أكَّدت الكاتبة الأمريكية المُسلمة بربارا براون:

«لقد كان نزاع وعاصفة الصحراء في المنطقة العَرَبيَّة من الأهداف المعادية للإسلام والمسلمين»[2].

أمَّا مؤتمر برشلونة وإعلانه؛ فقد أثَّر على الحوار العربي ـ الأوروبي من خلال الفهم الجديد لحوار الحضارات والتعاون بين الشُّعُوب، ومن أجل تغيير الرؤية التي يحملها كل طرف حول محنة التراث الآخر، من أجل هدف أسمى هُو تغيير صورة وأشكال التعامل بصورة أكثر حيوية، وكانت وزيرة خارجية السّويد قد عبَّرت عن ذلك في معرض الكتاب العالمي بمدينة غوتبرغ، التي رأت أن وجود الإسلام والمسلمين في السويد وأوروبا ضروريٌّ، ويعطي انطباعاً مُهمًّاً حول حضارات الشُّعُوب، وتوثيق الصلة فيما بينها.

ولُوحظ ـ أيضاً ـ أن العمل الإسلامي يكتسب أهمِّيَّة كبيرة بعد انفتاح الأحزاب الأوروبية والدُّول عليه، والاعتراف الرسمي به كدين ثانٍ في بلادهم، وإشراك المجالس والهيئات الإسلامية في الانتخابات الحُرَّة البلدية والبرلمانية، وحقّ التعبير السياسي، والحفاظ على التقاليد والعادات

(1) سورة البقرة، 151، القرآن الكريم.

(2) بربارا براون، 1999، Understauding Islam، في كتابها الذي أعطى أجوبة صحيحة عمَّا حصل ويحصل في المنطقة، مُؤكِّدة أن الإسلام والمنشورات الإسلامية بالإنكليزيَّة مهَّدت السبيل إليها لأنْ تعرف وتكتشف بنفسها تعاليم الإسلام عن الحقِّ والعدل والسلام.

الإسلامية كالصلاة والصوم، مع تزايد أعداد المسلمين بشكل ملحوظ. ويُؤكِّد الباحث السويدي المسلم (سام ويلسون) أن المسلمين في السويد وصل عددهم الآن إلى أكثر من 300 ألف مسلم [1].

وتمَّ في باريس ولندن ومدن أُخْرَى تأسيس المعاهد والجامعات الإسلامية المتخصِّصة بالعلوم الاجتماعيَّة الإسلامية والدراسات والأبحاث عن الحضارة الإسلامية ومُجتمعاتها، وتمَّ الاعتراف من قبَل وزير الداخلية الفرنسي (جون بيرشوفنمان) المُقرَّب من العَرَب باحتضان الإسلام باعتباره الدين السماوي الثاني في فرنسا، ويُدرَّس في المعهد الإسلامي بباريس / 69/ راسباي/ الدائرة السادسة مُختلف القضايا، كالحقوق والتاريخ والشريعة وعلم الاجتماع باهتمام فرنسي من المدرسة العليا للعُلُوم الاجتماعيَّة، والمعهد الإسلامي الجديد في باريس؛ حيثُ بدأت المعاهد والجامعات تلعب دوراً مهمَّاً.

ولا شكَّ أن تحدِّيات العمل الإسلامي في الدُّول الغربية كبيرة، ولا يسعني في هذا الكتاب إلَّا ذِكْر بعضها، وأن مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الإسلامية والمؤتمر الإسلامي، تتراكم أمامهم اليوم مجموعة مهمَّات عالمية غاية في الأهمِّيَّة، إذا ما نظرنا لأنشطة خصوم وأعداء الأمة، ولابُدَّ من إعادة التقييم المستمرّ لأشكال وأساليب العمل الإسلامي والعربي، وتشجيع الدعاية والاتِّصالات لمواجهة أنشطة اللوبي الصهيوني المعادية، وبهذا الصدد؛ لابُدَّ من الوقوف بوجه الامتيازات الكُبْرَى للشركات الأجنبية "المُرتبطة بإسرائيل" ومصالحها في العالَمَيْن العربي والإسلامي، وتطبيق قرارات المقاطعة العَرَبيَّة والإسلامية لتنفيذ قرارات الشرعية الدّوليَّة من أجل حقوق شعوبنا واستقلالها والدفاع عن مُقدَّساتها ووجودها الحضاري والتاريخي والمستقبلي.

سادساً: عوامل الانحراف في آسيا ودور النفط فيها؟!

أظهرت بعض الدوريات العَرَبيَّة الجادَّة ـ في القاهرة خاصَّة ـ ملفَّاً يهتمُّ بقضايا الفساد وانتشاره في أوروبا ورُوسيا، وأظهر بعض الباحثين العَرَب في مصر طبيعة وتاريخ هذه المشكلة المستفحِلة في العديد من بلدان العالم، وارتباطه بالفعل اللاأخلاقي وغير القانوني من قبَل الأيدي الخفية التي تُظهر شيئاً، وتبطن أشياء أُخْرَى، وتظهر نواحي الفساد جليَّة في الاقتصاديات المُتحوِّلة والتي تستجرُّها الخَصْخَصَة؛ حيثُ تُشوِّه ـ عمليَّاً ـ اتِّفاقيَّات أيّ حُكُومة مع الحُكُومات والشركات الأُخْرَى، وتُقوِّض مصداقية الدولة من أجل المنفعة الخاصَّة، فتظهر مشكلات البطالة المحمومة، ولا تُعالَج بالشكل الفعلي، وزيادة التكلفة الكُلِّيَّة للخدمات الحُكُومية، باعتبارها منفذاً للنهب

---

(1) مجلَّة النُّور، العدد101/ ، تشرين الثاني/ نوفمبر 1999، ص 50.

والفساد المستشري، مع عدم وجود وسائل فعَّالة لمعالجة ومحاربة الفساد العامّ؛ إذْ يجري استبعاد الأجهزة واللجان والهيئات المُضادَّة للفساد كمُؤسَّسات الرقابة والتفتيش، أو الرقابة داخل الحُكُومات، أو ضمن الأحزاب الحاكمة، وتقليص أُطُر الفساد، ويتمُّ عبر السياسات الإصلاحية والمكاشفة الصريحة، وفضح وتعرية بُؤر الفساد والمفسدين، من خلال تمتين آليات الرقابة والتفتيش والمحاسبة وتشديد العقوبات على المشاركين والمخطِّطين، وهؤلاء عليهم ألَّا يكونوا بمنأى عن الرقابة والعقوبات؛ إذْ يظهر جليّاً أن بعض الحُكُومات تُساند المفسدين، وتزيدهم فساداً، لأنَّها غير ملتزِمة ـ أساساً ـ بمصالح الشعب، وإنمائه، بقدر ما تلتزم بمصالح البعض من المُتنفِّذين، وهي من حيثُ تدري أو لا تدري تزيد من معوقات التنمية، ولا تُوجد لديها استراتيجية واضحة في نظامها الإداري والقضائي، فتتشابك مصالح الفساد وأهدافه للتخريب العامّ مع مصالح تلك الفئة [(1)].

كانت الأزمة الآسيوية أعوام (1997 ـ 2000) بالأخصّ في أندونيسيا واليابان وكوريا الجنوبية، الأمثلة الحقيقية لفساد الفئة الحاكمة، إذا اعتبر برنامج الإصلاح الهيكلي المُقترح في أندونيسيا من قبَل صندوق النقد الدولي الحصول على قرض بقيمة 43 مليار دولار، الذي أدَّى إلى اندلاع الاحتجاجات الجماهيرية، وإدراك قوى الشعب المُنظَّمة والفاعلة ومُمثِّليها أن تلك المبالغ تُسرَق وتُنهَب بين طرفَيْ المعادلة، ولا يصل للتنمية الاجتماعيَّة شيءٌ يُذكر، إضافة إلى الخلافات الحُكُومية والبرلمانية حول الرشوة التي نالها (الرئيس وحيد) والمعارضة الواسعة له، واعتذاره المُتكرِّر عن فعلته. إن عملية التعديلات الحُكُومية الهيكيلة لخفض الإنفاق الحُكُومي على الخدمات، وزيادتها لصالح أجهزة العسكر والشرطة، ونُمُوّ فئة منها غنية قياساً لفقر الشعب؛ يعتبر جزءاً مُهمّاً من خُطط المؤسَّسات المالية الدّوليّة لتربية دواجنها في حاضنة من الفساد المحمي بالنظام العسكري، وعلى أساس ذلك تبقى المؤسَّسة العسكرية صاحبة الحظّ الأوفر من تلك القروض، وليس مؤسَّسات الدولة التنموية والاجتماعيَّة، ولعلَّ ما حصل في تركيا خير دليل على ذلك، وخاصَّة تانسو تشير نفسها. وما نرمي إليه حقّاً استند إلى رأي (جوزف ستيغليتز) وبعض النُّقَّاد وأصحاب المواقف الاقتصاديَّة العَرَب أن صندوق النقد الدولي يُقوِّض الأسس الديمقراطية بما يفرضه من سياسات على الدُّول، وتشجيع انحرافاتها ضمن ما يُسمُّونه سياسة التقشف، وشدِّ الأحزمة، بل إن الصندوق نفسه مع أمراء المال والقمع والإرهاب يزيدون الأحوال الاقتصاديَّة سوءاً على سوء، فيسعَون إلى تفكيك

---

(1) السفير 30/ 7/ 2001م.

المُجتمع والخدمات الاجتماعيّة، وتشجيع الفوضى والاضطرابات الخفية والتخريب الاجتماعي المُخطَّط له سلفاً، وتُؤدِّي إلى انهيار مصائر الأمان الاجتماعي والأسري، بإفساد بعض المؤسَّسات والأجهزة من دون النظر إلى التأمين ضدَّ البطالة والضمان الاجتماعي والرعاية الصحّيّة، أو دون النظر لمحاسبة رؤوس النهب والفساد في الهرم الحاكم، الذي يلتفُّ على مصالح وهموم الناس بكثير من التفنُّن بأساليب القمع والإرهاب والحرب الخفيّة، وخوفه من أصحاب الرأي السديد والمواقف النابعة عنهم، لمحاربة أساليبهم المريضة والمكشوفة في الفساد بكلِّ ألوانه، فتتدنَّى مستويات الأداء الاقتصادي، وتُخفَّض مستويات الأجور والمعيشة، وتظهر البيروقراطية مع ظهور فئة بورجوازية مهمّتها وظيفية تستهدف إفقار المُجتمع وضرب استقراره، وتحارب الشفافية والأقلام النظيفة غير الملطَّخة بأموال الفساد والمفسدين[1]، وتُحاصر المُفكِّرين والكُتَّاب والصحافة والإعلام، وتُشجِّع الصحف المبتذلة والعائلية والساذجة، والتنفيسية، وأخبارها وتحاليلها المستهلكة، وتُشجِّع تربة خصبة للكذب والافتراء لجماعات الإفساد التي تنمو بشكل مثير للجدل، وتُؤمِّن لهم التغطية غير الأخلاقية وغير القانونية، بهدف التغطية على فسادهم، وتظهر هذه القضية كقصَّة مستهلَكة، لا تعني المُتنفِّذين بقدر ما تعني الجهاز الإداري والسياسي، الذي يحاول إرساء دعائم جديدة للتنمية ومحاربة آثار وعوامل الفساد القديمة والمُحتمَلة المُخرِّبة لعوامل التنمية، برؤية أكثر عقلانية.

لذلك؛ تظهر الدُّول والحُكومات حسب تحليلات موضوعية وصريحة لُمحلِّلين؛ أنها قاب قوسَيْن أو أدنى بموقفها من الفساد العالمي والفساد الداخلي؛ حيثُ اتُّهمت (بوتو) باختلاس 1.5 مليار دولار لسوء استخدامها السلطة، وكذلك رئيس الفيليبين (استرادا) والتُّهم المُوجَّهة إليه باختلاس عشرات المليارات من الدولارات، وتغطية حملته الانتخابية بتمويل أميركي بلغ 3 مليارات دولار لتمرير صفقات السلاح وما شابه، ولتعزيز النُّفُوذ الأميركي في الفيلبين؛ حيثُ تظهر في بعض الدُّول الأُخْرَى الآسيوية والأفريقية سلوكيات أكثر سوءاً، فتتعاون مع حُلفائها في الخارج لتتقاضى المُساعدات السنوية على حساب مواقف سياسيَّة مُعينة باستبعاد البُعْد الأخلاقي والقومي، قائمة على تدني المستوى الاقتصادي والانخفاض المُستمرّ لمستوى الدَّخْل وتنامي البيروقراطية، واستشراء عجلة الفساد والفوضى، وتنامي دور البعض، واستغلالهم لمواقعهم الحسَّاسة والوظيفية في منظومة القيم

---

(1) انظر بهذا الصدد، مجلَّة التحويل والتنمية، صندوق النقد الدولي، عدد يونيو/ حزيران 1998/ ص14/ 26/ مانويل حبوتيبان وفرانك فوجل.

اللاأخلاقية المتَّبَعة، وظهور مظاهر جديدة للإثراء وجمع (المال والسلطة) وقراراتها ومُؤثِّراتها في إطار من التخطيط الظاهر والباطن، فيبدو الفساد ذا قيمة مُجتمعية، وتبدو الأخلاق والمحاسبة والرقابة ودور الصحافة ظواهر وأفكاراً وقيماً غير أخلاقية، بنفي البُعْد القِيَمي لكلِّ ما هُو مُعادٍ للفساد، فينتشر سيناريو مُضلِّل ومخادِع.

إن هؤلاء ينطلقون من مصدر الأيديولوجية الليبرالية؛ التي تفتقر إلى الكثير من البراهين، ولعلَّ ما يُخيف المُفسدين فعلاً؛ الرؤية الثورية للإصلاح السِّلْمي؛ حيثُ تتعرَّى أجساد ووجوه المفسدين، فهم يحمون النظام والمؤسَّسات بأساليبهم، ولا يهمُّهم الكفاءات العلمية والحُكُومية، ويتستَّر بعضهم على بعض لتسيير معاملاتهم وسلوكياتهم غير الأخلاقية، والتشكيك بالناس وبالقانون، وبحركة الإصلاح ومزاياها، ويتمُّ ترسيخ مجموعة من السُّلُوكيات المُخرِّبة لكلِّ حياة المُجتمع والدولة، ويتبعون لهم كُلَّ مَنْ أضلَّ طريقه وهدفه بالحياة!

لاشكَّ أنَّ الميراث الاستعماري يدعم وينمي ظواهر الفساد، ويفرض عدم المساواة بين الناس، ويدعو إلى إبقاء النماذج المُتسلِّطَة والمُستلِبة، وينادي بالديمقراطية، ولكنَّه يمنع ممارستها خوفاً على مصالحها المُشتركة في الداخل والخارج، وتُبرّر أزمة القيادة السِّياسيَّة المُحاطَة بهالة من الرعوية والكارزمية، وتنبذ أيّ دور للشعب والفئات الكادحة والشَّخصيَّات المناضِلة، ولا تحترم كرامة وحقوق الإنسان، ولا تضمن حُرِّيَّة الأفراد وحُرِّيَّة التعبير والتظاهر والاعتصام والاعتقاد، ولا تجد في تعدُّد الثقافات والآراء ضرورة، بل تجد ضرورتها القُصْوَى في ثقافتها الاستغلالية، وقلَّة إدراكها ووعيها لمُتطلَّبات المُجتمع والعصر، ويستشري الفساد (المُدلَّل) في مُختلف أجهزة الدولة، وتصبح الوظيفة الأساسية لهؤلاء تحقيق مآربهم ومصالحهم ونوازعهم، مع تشجيعهم المُستمرّ على اقتسام الرشاوي والعمولات والاختلاسات، وانسحاب ذلك على بعض قطَّاعات الأحزاب ضمن سلسة الإفساد المُتطوِّر لتكريس أملها الحقيقي باستبعاد أيِّ ظاهرة أو حركة للإصلاح الفعلي[1]، والتشجيع على الانقسامات الاجتماعيَّة والأُسريَّة وتدبر المؤامرات والفتن والتشكيك بالآخر، وهكذا؛ ينتشر الفساد أكثر فأكثر تحت مفاهيم وقِيَم غريبة عن المُجتمع، مُترافقاً مع الاستغلال للمناصب، والدور الإداري، فينكشف التناقض الحاصل بين ثرائها السريع غير المتناسب قطعاً مع رواتبها الضئيلة،

---

(1) المصدر السابق نفسه.

أو مع ما تطرحه من شعارات كاذبة وبرّاقة، فتقوم باستنزاف الدولة والمُجتمع والناس، وكلّ مَنْ يقف بتيّارها لمصلحة الإيغال في الفساد، ونشر الفوضى بكل تجلّياتها، وبعض هؤلاء هم أصحاب الجريمة المُنظَّمة وتُجّار السلاح والمخدّرات والرقيق الأبيض، الذين يحكمون باسم القانون، فيضربون ثقة المواطن بوطنه وبالقانون، ويزداد غناهم على غنى، أمّا الجهود المبذولة لمكافحة هؤلاء؛ فلا ترتقي ـ بعدُ ـ للأفضل؟!!

سابعاً: آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين وتقاطع المصالح بين الدُّول الكُبْرَى

لم تستطع مُوسكُو ـ عند غزوها للشيشان ـ من توسيع نطاق تحالفها الدولي، وبالتّالي؛ تأطير دعايتها الإعلامية، كما تفعل الإدارة الأمريكية ـ الآن ـ تجاه أفغانستان، أو تجاه العراق، لاسيما أن واشنطن جرّت معها تحالفاً دولياً وإقليمياً، لم تستطع مُوسكُو إنجازه وقت دخولها لأفغانستان، أو للشيشان، إلّا أن الطرَفَيْن يتصارعان ـ بقُوَّة ـ على امتلاك آسيا الوُسْطَى بشتّى المُخطَّطات والعمليات، فإذا ما نظرنا إلى إغراق السوفييت ـ وفيما بعد رُوسيا الحُرَّة في عهد يلتسين ـ في أفعال حربية نظّمها العالم الغربي عموماً بتوظيف كلّ أبواقه الإعلامية والفكْرية ضدَّ أفغانستان والشيشان، حتّى إنّنا إذا رجعنا قليلاً للوراء لفترة الغزو السوفيتي الأولى لأفغانستان؛ سنجد أنَّ هُنالك أرشيفاً إعلامياً هائلاً متراكماً على مدار سنوات عديدة، ركّزت فيه مُختلف التحليلات والدراسات على خَرْق مُوسكُو لميثاق الأمم المُتَّحدة وحقوق الإنسان، ومُحاولة فرض نظام مبراك كارمال في كابول. تكلَّفت مُوسكُو ـ في حينها ـ عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، وبين النزعة السوفيتية والرُّوسيَّة القومية من جهة، وبين النزعة الكَونية الأمريكيّة، تقاطع مصالح مُتعدِّدة؛ جوهر تلك المصالح القضاء على الركائز الإسلامية، ومصالح الشُّعُوب الإسلامية في آسيا الوُسْطَى، وبالتّالي؛ السيطرة على مُثلَّث الخيرات، الذي يمتدُّ من أفغانستان والشيشان وحتّى الخليج العربي وتركيا؛ إذْ كُلُّ الأحداث العالمية تشير ـ الآن؛ بكُلِّ وضوح ـ إلى تركيز الصراع والعلاقات الدّوليّة على منطقة حيوية مثل الخليج العربي وآسيا الوُسْطَى[1].

---

(1) انظر بهذا الصدد/ رفائيل ديثكيار مُدير عامّ وزارة الخارجية الإسبانية / صحيفة العَرَب اليوم/ 28/ 10/ 2001/ ص8 عن البايس الإسبانية جاء فيها:

(تحتوي منطقة بحر قزوين على احتياطي ضخم من النفط يُقدَّر بـ 40.000 إلى 200.000 مليون برميل، في حين يبلغ احتياطي كازاخستان المُؤكَّد 22.000 مليون برميل، وتمتلك أذربيجان كمّيّة نفط مُعادلة لنفط بحر الشمال. تضاعف

الحُجج الأمريكيَّة بعد 11/ 9/ 2001 هي ليست وليدة الحَدَث، بل مُخطَّط لها سلفاً ضمن الرؤية الأمريكيَّة الصهيونية المُوجَّهة عسكرياً وأمنياً وسياسياً ضدَّ شخص بعينه؛ إذْ ليس من المعقول في عالم السياسة والمصالح الاقتصاديَّة، أن يكون شخص بعينه هُو المُستهدف، بل المُستهدف هُو منطقة بعينها وتجمُّع عددٍ من الدُّول، التي من المفترض أن تمضي قُدُماً للوُلُوج في الاستراتيجية الأمريكيَّة، دون احتجاج، أو موارية، رُبَّما تكون الدعاية الإعلامية «مطلوب حيَّاً، أو ميِّتاً» على طريقة رعاة البقر هي الرؤية الشكلانية للصراع، بينما الرؤية الموضوعية مُركَّزة أكثر على موضوع العمليات وأهدافها المستقبلية، من جهة السوفييت كان هدفهم بالحملة العسكرية على أفغانستان نهاية السبعينيات تغيير نظام كابول لصالح الهيمنة والسيطرة على آسيا الوُسْطَى تماماً، بما تُمثِّله من حديقة خلفية، رغم ما تُمثِّله من الفقر والتخلف والإهمال المقصود بسبب جوهريٍّ أنها مناطق إسلامية لابُدَّ من احتكار خيراتها "الغاية تُبرِّر الوسيلة"، أمَّا من جهة الأمريكيين؛ فإن هدف الحملة العسكرية الحالية التي يضمنها التحالف الدولي ومجلس الأمن ـ وبكلِّ غرابة ـ مواقف هيئة الأمم والأمين العامّ عن هدف إعادة عجلة تاريخ آسيا إلى أكثر من (200) عام للوراء إنْ لم نقل: إلى 1000 ألف سنة للوراء.

تقاطع المصالح بين الضِّدَّين يتجلَّى ـ الآن ـ بأجلِّ صورة حينما تكون رُوسيا رأسمالية احتكارية حُرَّة، والدولة فيها تدخل ضمن نطاق اقتصاد السوق الحُرِّ بانفلاش ملموس لطبيعة حُكُومتها وتوجُّهها الاستراتيجي عن سابق عهدها، وتشابك مصالحها مع مصالح الغرب عموماً في قضايا وشؤون مُشتركة، فلا نجد شعارات أكتوبر السوفيتية الميِّتة قادرة على تحريك الشارع الرُّوسي الرسمي كشعار "حينما تستيقظ آسيا" (ورسالة السلام للشُّعُوب الإسلامية). بل نجد شعارات تُدجِّن الشارع الرُّوسي، وتُقحمه في سلوك الطريق الرأسمالي الغربي بطابعه اليميني واقتصاد السوق المُؤثِّر في تحطيمه المُجتمع بالفعل، والدور الليبرالي المُؤثِّر في الحياة العامَّة هُناك؛ إذْ جرَّدت رُوسيا من دورها العالمي المميز التي كانت سابقاً تلعبه بقُوَّة، بينما واشنطن تتمدَّد أكثر فأكثر في أنحاء العالم، ولكنها تتأزَّم في الشارع الأميركي، الذي يُؤثِّر فيه بشدَّة (اللوبي اليهودي الصهيوني)، وتفقد مصداقيتها في التعامل مع الإسلام والمسلمين، وتُحرِّض الوسائل الاعلامية، أو بالتصرُّفات

حضور تركيا الاقتصادي والثقافي، وتظهر بمظهر الأخ الكبير في عائلة الأمم الناطقة بالتركية الموزَّعة في القوقاز وآسيا الوُسْطَى، وتفرض نفسها كنموذج!!

الاستفزازية ضدَّهم، وهذا الهدف المُشترك لطبيعة ممارسات الأيدي الخفية للدول الكَبْرَى[1]، ظهرت في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وتصارع المصالح بين نظامَيْن اجتماعيَّيْن وسياسيين مُختلفين، على النظرة السِّياسيَّة والاستراتيجية للتأثير في العالم، والهيمنة عليه؛ جعل (الحُكُومة الخفية العالمية) وعلى رأسها الأمم المُتَّحدة الوقوف إلى جانب الدُّول القوية ضدَّ الدُّول الفقيرة والنامية الآن، فما تفعله الدُّول الغنية والمهيمنة على الاقتصاد والعلاقات الدّوليَّة مُشرَّع قانونياً في العلاقات الدّوليَّة، وتجد لنفسها تغطية ملموسة من الأمم المُتَّحدة ورئيسها، بينما ليس مطلوباً من الدُّول والشُّعُوب الفقيرة سوى الرُّضُوخ، وويل لها إذا رفعت رأسها، أو واجهت الدُّول الكُبْرَى؟!.

العيون والمصالح السِّياسيَّة والاقتصاديَّة لروسيا أو أميركا والدُّول الكُبْرَى ليست عيون أشخاص، بل عيون دُول لها مصالحها المستقبلية، التي على أساسها تُخطِّط، وتستدرك أهمِّيَّة استمرار وجودها على حساب الآخرين؛ إذْ المشكلة ـ هُنا ليس ـ موضوع (التنافس الاقتصادي) بقدر ما يتجلَّى فيه (تقاطع المصالح) بين الدُّول الكُبْرَى بمصالحها فوق القومية؛ إذْ لا يمكن تنفيذ المُخطَّطات الاستراتيجية، وتحويلها إلى وقائع، بدون إحداث أزمات حادَّة مثل (أزمة إقليمية)، ورُبَّما حينما يتعلَّق الموضوع بقضايا أُخْرَى مثل الصراع على مناطق مُهمَّة نفطية، فهي تُركِّز اهتماماتها على مُثلَّث الخيرات (بحر قزوين) ـ والخليج العربي ـ وتركيا، فإنه لا يعني الغرب لا من قريب ولا من بعيد، ويطلقون أيادي حُكَّام الكيان الصهيوني لممارسة كل الأعمال الإرهابية ضدَّ الشعب الفلسطيني، دون أن يكون هُناكَ تحالف دولي أو حملة عسكرية لإنقاذ الشعب الفلسطيني من الحملات الإرهابية والفاشية لحُكَّام الكيان الصهيوني.

ولا زالت ازدواجية المعايير الأمريكيَّة والدّوليَّة ماثلة أمامنا دون أن نُحرِّك ساكناً تجاهها، لكن حجم المخاوف من الدُّول العَرَبيَّة المحيطة بالكيان الصهيوني ليست كبيرة، مادام العَرَب عموماً غير آبهين بما يحصل في فلسطين المُحتلَّة، ودون أن يُشكِّلوا حلْفاً مَعنيَّاً فيما بينهم لمواجهة الكيان الصهيوني؛ إذْ من غير المسموح أساساً العمل بهذا الاتِّجاه لمحاسبة الإرهاب الصهيوني بطبيعته الفاشية المدعوم من قبَل السياسة الأمريكيَّة، وفي الطرف الآخر، فإن حجم المخاوف التي تنتاب الدُّول الإقليمية المجاورة لأفغانستان مثل رُوسيا والصِّين والهند وإيران وباكستان؛ فهي كبيرة، ومن المفروض عليها

(1) راجع كتاب الخطر اليهودي / برُوتُوكُولات صهيون/ مُحمَّد خليفة التونسي/ 1952 / القاهرة ـ قدَّم له عبَّاس محمود العقَّاد.

أن تتعاون مع الولايات المُتَّحدة وإدارة بوش الثاني للقضاء على ما يُسمَّى (الإرهاب الإسلامي)(1)، والفارق هُنا واضح تماماً، والمقصود من هذه المُقارنة المُركَّبة في مستواها الإقليمي والدولي مقارعة الإسلام وحضارته وأمانيه؛ إذْ بمُجرَّد أن تُعلن الولايات المُتَّحدة حملتها على الإرهاب، وما يُسمَّى حماية نظام العالم الحُرِّ؛ نجدها تستفزُّ الدُّول والزعماء الآخرين، خاصَّة ما قام به السيد بوتين باتِّصالاته مع زعماء دُول آسيا الوُسْطَى عن طريق رئيس أركانه بفرض التعاون مع الولايات المُتَّحدة للقضاء على نظام طالبان مع الشروط الأساسية لذلك، ودعم قُوَّات تحالف الشمال المُشترك بين واشنطن ومُوسكُو إلى حُدُود معيَّنة، مع التحفُّظ على المشروع الأمريكي بتغيير نظام طالبان إلى نظام "مَلَكي جديد قديم" الذي يُحقِّق لواشنطن مصالحها المُتعدِّدة في آسيا الوُسْطَى، وليس في أفغانستان فقط. كذلك فإن نظرة مُوسكُو لباكستان من خلال العداء التاريخي هي نظرة استشفاف غير متسامحة وحذرة إلى أبعد الحُدُود، لإدراكها ـ مع بكِّين على السواء ـ طمع الغرب بثروات وموقع آسيا الوُسْطَى، وتحديداً المطامع في (أفغانستان وباكستان) مُنْذُ زمن بعيد، وبسبب من تهالك وعدم استقرار النظام الرُّوسي وتآكله من الداخل، استطاع الغرب توجيه ضربات متلاحقة له، كان ذلك عبر أوروبا الشرقية، أو عبر دُول آسيا الوُسْطَى، التي باتت تمدُّ خيوطها واستقطاباتها إلى تركيا، بما تُمثِّله في حلف الناتو، أو إلى الكيان الصهيوني بما يُمثِّله من استراتيجية دخيلة على تلك المنطقة وركائزه وامتداداته فيها بدعم المنافسات الاستراتيجيات الإقليمية الأُخْرَى، والرئيس بوتين ـ مهما حاول إعادة السيطرة على آسيا الوُسْطَى ـ فإنه لم يعد يستطيع الاستمرار في حرب الشيشان مُنْذُ أعوام، وفشله في التَّوصُّل إلى اتِّفاقيَّات مُحدَّدة مع الزُّعماء المسلمين هُنالك. ويزداد التشدُّد الإسلامي في آسيا الوُسْطَى بين الملايين من المسلمين والجُمهُوريات الإسلامية، وبسبب التقارب بين الزعماء الشيشان وزعماء طالبان الذي يدقُّ ناقوس الخطر كلّ يوم في سماء مُوسكُو، وفيما بعد؛ في سماء واشنطن؛ أو في سماء أوروبا، فقد وجدت مُوسكُو خياراتها بالتحالف مع الصِّين وإيران للقضاء على التجارة الأخطر بالنسبة لها، بعد ازدياد تجارة العبوات النووية والكيمائية، بالإضافة إلى تهريب المخدرات، ويُضاف إليها أعمال عصابات المافيا عبر الحُدُود بين دُول آسيا الوُسْطَى بشكل لم يسبق له مثيل، وأحد أهمّ أهداف الحملة الأمريكيَّة ـ حسب التحليل الأميركي الآن ـ على أفغانستان محاربة تهريب المخدرات

(1) الإرهاب بين السِّياسيَّة والدِّين / لعنة المعايير المُزدوجة / علي الأمين الكفاح العربي / 8/ 11/ 2001م، كذلك حذَّر العماد أوَّل الدُّكتُور مُصطفى طلاس وزير الدفاع السُّوري السابق من مُحاولات الخلط بين الإرهاب ـ والمقاومة الوطنية، ودعا المُجتمع الدولي والولايات المُتَّحدة لعدم الخَلْط بينهما / المصدرنفسه/ .

بعد الحملة المُشتركة (الرُّوسيَّة والإيرانية والصِّينية) على مافيا المخدرات، وهي حملات مُركَّزة للاستهلاك الإعلامي، لتمرير المصالح المُشتركة في آسيا الوُسْطَى، ورغم أن مصلحة رُوسيا مع آسيا الوُسْطَى هي الأقوى، فإن السيد بوتين عرض في شهر أيلول/ سبتمبر عام 2001 على ألمانيا زيادة التوريدات من النفط في حال تعرَّضت مصادره للخطر، وأكَّد رئيس قسم البحوث في أحد بنوك الاستثمار بمدينة مُوسكُو "مجموعة الاستثمار المُتَّحدة" (شتيفان أوسوليفان) أن هُنالك نفطاً بديلاً عن نفط الخليج العربي، وهي رؤية جوهرية تماماً، وتُؤكِّد الحرص على النُّفُوذ الرُّوسي في آسيا الوُسْطَى؟!.

ففي حوض بحر قزوين، قامت كازاخستان وأذربيجان بتطوير أساليب التنافس لبسط النُّفُوذ على احتياطات النفط هُنالك بعيداً عن رُوسيا والولايات المُتَّحدة، إذْ يجتمع الطرفان على مبدأ تقاطع المصالح لاستغلال النفط في بحر قزوين، وهذا ما يُؤكِّده وزير الطاقة الرُّوسي "أيغور يوسوفوف" أن التنافس بين رُوسيا والولايات المُتَّحدة ولَّى عهده هُنالك، وبدأت فعلياً سياسة تقاطع المصالح بجلب الاستثمارات الأوروبية والأمريكيَّة لجني الأرباح الخيالية.

لقد أثارت إحدى اليوميات الإعلامية العَرَبيَّة[1] أهمِّيَّة آسيا بالنسبة للنظام العالمي الجديد الذي تقوده أميركا كبديل غير سهل مطلقاً عن التحالف الرُّوسي الصِّيني، وامتداداته في آسيا الوُسْطَى، مع الرجوع قليلاً لعام 1950، ودور النظامَيْن الشيوعيَّيْن الرُّوسي والصِّيني -حينها- في الهيمنة على آسيا الوُسْطَى، باعتبار أن المنطقة هي امتداد جَغرافيٌّ وسياسيٌّ لهما، برغم شعور الولايات المُتَّحدة بدوافع متناقضة مع الصِّين ورُوسيا، وأهمِّيَّة التسهيلات التي تحاول كلٌّ منهما تقديمها لحماية مصالحها المنفردة على حساب الآخرين أيضاً، ورغم أن كلا الاستراتيجيَّتَيْن تقفان بالمرصاد للتَّوسُّع الأمريكي والنزعة الكونية، التي تحاول واشنطن الاستفراد بها - الآن - في آسيا الوُسْطَى، خاصَّة بعد مجموعة استطلاعات كبيرة قامت بها الشركات الكُبْرَى، التي تُؤكِّد فيها على ما كان يسعى إليه (هتلر) في الحرب العالمية الثانية للسيطرة على نفط آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين؛ إذْ تتوقَّع الشركات الأمريكية أنه عند القضاء على نظام طالبان ونظام الشيشان بجهود دولية وأمريكيَّة غير عادية؛ إعادة استثمار الأموال الهائلة المُكدَّسة في خزائن الولايات المُتَّحدة وأوروبا في آسيا الوُسْطَى بمقدار (500 - 800) مليار دولار خلال الخُطَّة الأمريكية الجديدة، التي يتحدَّث عنها جورج تينت حتَّى عام 2015، مُركِّزاً فيها على الدُّول المارقة المتعاونة مع طالبان، لكنْ؛ كيف يمكن

---

(1) السفير / 17/ تموز/ يونيو / 2001، العَرَب والمصلحة القومية في آسيا الوُسْطَى المصدر الأسبق نفسه.

ـ إذاً ـ أن يتركَّز الصراع هكذا في بداية القرن الجديد (2001 – 2006) على آسيا الوُسْطَى، بعد أن تمَّ خَلْقُ بؤر ثورية إسلامية، كان من المُفترض ألَّا تنقلب على الولايات المُتَّحدة بعد طرد السوفييت، ولا يمكنها التعاون مع الشركات الاحتكارية فوق القومية، كما حصل في الخليج العربي مُنْذُ الخمسينيات من القرن العشرين، على اعتبار أن الاستشارات والتقارير المقدَّمة من الأنشطة الاستشارية الأمريكية في آسيا الوُسْطَى بمنزلة قَصَص (افتحْ يا سمسم)؛ حيثُ توجد الأموال والكنوز التي لم يلمسها أحد بعدُ، وتنتظر الساحر الأمريكي صاحب نظرية "مطلوب حيًّاً، أو ميِّتاً"، وتُعاد صياغة تاريخ منطقة آسيا الوُسْطَى على قياس المصلحة المُشتركة الأمريكية، والحُكَّام الجُدُد في كازاخستان، أو تركمانستان، وداغستان، وغيرهم؛ إذْ لابُدَّ من القضاء على الإسلاميين في القوقاز وبلاد بحر قزوين مادامت رُوسيا والصِّين غير قادرتَيْن ـ بعدُ ـ على تحديد رؤية استراتيجية مُشتركة للهيمنة عليها، ومواجهة التَّطرُّف الاسلامي والتعاون مع استراتيجية واشنطن!! والحديث هُنا عن أنابيب الغاز والنفط بين آسيا الوُسْطَى وأوروبا ـ أيضاً ـ ليس حديثاً جديداً؛ فهتلر نفسه صاحب هذه الرؤية التي طمع بثرواتها ليُحوِّلها إلى خدمة "الرايخ الألماني"، والاتِّفاقيَّات الجديدة بين أذربيجان وجُورجيا (حيدر علييف وشيفاردنادزه) وما كان لهما من دور بارز في القضاء على النظام السوفيتي، ويطمعان بثروات وأموال طائلة جدَّاً عبر إثارة شهية الشركات العملاقة في الطرف الأوروبي والأمريكي، باستخدام أنابيب النفط والغاز عبر الأراضي التركية، لتتصل إلى شواطئ البحر الأسود أو البحر الأبيض، وإذا كان مرفأ جيهان هُو النافذة الطبيعية لتمرير المصالح المتشابكة لهؤلاء جميعاً، فإن الخاسر الأساسي من كلِّ ذلك (رُوسيا وإيران) اللذان يدركان ـ بالعُمق ـ طبيعة لعبة الأمم الاستراتيجية التي تستخدمها واشنطن وبريطانيا، والتي على أساسها ظهر النظام الاحتكاري الأمريكي الجديد، بُعيد الحرب العالمية الثانية، وتوسُّعه بشكل مثير بعد حرب الخليج الثانية، وقام بتوطيد مصالحه الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة في بحر قزوين، لاحتلال المناطق مُثلَّث الخيرات. وماتزال كلٌّ من رُوسيا وإيران تُهدِّدان المصالح الأمريكية في آسيا الوُسْطَى، وتُساندهما الصِّين بالوقوف أمام تلك المصالح وتقاطعاتها، التي تُهدِّد الأمن القومي بشكل ملموس للصين ورُوسيا وإيران، ولعلَّ تدهور العلاقات الصِّينية الأمريكية في الفترة الأخيرة؛ الناتجة عن أنشطة طائرة التجسُّس الأمريكية ومفاعيلها التي ماتزال تُمثِّل البُعْد الاستراتيجي الكوني للصراع بين آسيا وبلدانها مع الاستراتيجيات الدخيلة عليها، وإن كانت الشيشان وأفغانستان ملتقى ذلك الصراع المحتدم الآن، فإن تباين المصالح الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة تكاد تكون ملموسة فيها إذا تعمَّقنا ـ بشكل موضوعي ـ بلوحة التناقضات الموجودة فيها.

وعلى أساس ذلك في مضامين هذه الرؤية؛ يظلُّ العَرَب يعيشون في حالة الارتباك وعدم التوازن بين تلك الاستراتيجيات، التي تُخطِّط للمدى البعيد أكثر بكثير من المدى المُباشر، ومن الممكن إيهامهم بقضايا آنيَّة تذرُّ الرَّمادَ في العيون، وتحمل مضامين غير سهلة أبداً، تستطيع تفكيك المصالح العَرَبيَّة والإسلامية في آسيا الوُسْطَى، ولكنْ؛ لابُدَّ للعرب والمسلمين أن يبقوا هكذا بعيدين كُلَّ البُعْد عن تعقيدات ومآرب تلك الاستراتيجيات المُتداخلة والتَّوَّاقة لاستبدال ما يُجسِّده الإسلام والوجود الإسلامي في آسيا الوُسْطَى.

والمُهمُّ هُنا إزاحة المعتقدات والإيمان من نفوس الملايين في آسيا الوُسْطَى، لصالح المعتقدات والمصالح الجديدة لاقتصاد السوق الجديد؛ لأنَّ القُوَّة والبزنس الأمريكي باتا يُشكِّلان مفصلاً للتوجُّهات الرسمية لدول آسيا الوُسْطَى، ومن خلال الخطوة الأمريكية الجديدة يظهر أن إعادة التاريخ البائد إلى آسيا الوُسْطَى ـ وهُو ـ أساساً ـ المُتحكِّم بها ـ وإنتاج آلية جديدة للصدام من خلال رسم خرائط مركَّبة جيُوسياسيَّة، وإنهاء العداء السياسي والاقتصادي والعسكري مع واشنطن، تُبيِّن أهمِّيَّة تقاطع المصالح بين الدُّول الكُبْرَى[1].

ثامناً: أُولى حُرُوب القرن الجديد

"من فيتنام وكمبوديا إلى آسيا الوُسْطَى"

هكذا دخلت الولايات المُتَّحدة وبريطانيا مع بداية القرن الحادي والعشرين الحرب على الشعبَيْن الأفغاني والعراقي في حرب دولية مُعلَنة، وتُسقط عليهما يومياً آلاف القنابل والصواريخ، بأهداف مُعلَنة وغير مُعلَنة، إنما التكنولوجيا الحربية الأمريكيَّة ـ بكلِّ تقنياتها ـ أخطأت أهدافها؛ وهي تضرب دون شفقة أو رحمة المستشفيات ودُور العجزة، وتقتل الأطفال والنساء وحتَّى حفلات الزفاف، وكلُّ ما نلاحظه في هذا الحَدَث؛ هُو الغضب الصاخب والطِّباع الانتقامية العنيفة التي اعتادت عليها الإدارات الأمريكيَّة لإعلان الحرب، وسَوْق التحالف الدولي لقلب نظام طالبان، والإعداد لمجيء حُكُومات جديدة تمتلك المواصفات المُحدَّدة لإدارة كابول أو بغداد، هي امتداد سابق لسنوات الحُرُوب وتحقيق الأهداف الأمريكيَّة في القرن العشرين؛ إذْ لم يتغيَّر في الرؤية والسلوك

---

(1) دعمت واشنطن ومُوسكُو مَدَّ خط أنابيب للنفط من بحر قزوين، وقُدِّر حجم الطَّاقة بـ (110) مليار برميل؛ أيْ ثلاثة أضعاف احتياطي الولايات المُتَّحدة، إنما الهدف الرئيس لواشنطن مَدّ خطوط التصدير خارج الأراضي الرُّوسيَّة والإيرانية بدعم أذربيجان، والذي أزعج مُوسكُو كثيراً، باعتبار أن الموضوع برُمَّته يدخل في نطاق نفوذها.

الأميركي تجاه الشُّعُوب أيُّ شيء له صفة حضاريَّة، وعبر السيف الأزلي المُسلَّط فوق آسيا والشرق الأوسط على مدى قرون عديدة؛ تظلُّ آسيا الوُسْطَى المنهوكة والمنهوبة لا تستطيع المقاومة، أو فعل أيِّ شيء مادامت إرادتها مُسْتَلَبَة إلى أبعد الحُدُود، تُداسُ بُطُولاتها وأساطيرها الشرقية بالقنابل والصواريخ، وبقَعْقَعَة البوارج الحربية.

ذهبت إدارة بوش إلى أبعد من هدف القضاء على [شخص أو مجموعة أشخاص]، وخلطت الحابل بالنابل، حينما أعلنت عن نفسها بأنها حامية (الحُرِّيَّة المطلقة) و(العدالة المطلقة) ضدَّ ما تُسمِّيه الإرهاب الدولي. والهدف في أفغانستان سعي مُختلف الدُّول لإقامة (حُكُومة منظَّمة وشريفة) تحكم بالقانون الأميركي، وليس بالقوانين المحلِّيَّة الشعبية للشريعة الإسلامية، وبطُرُق غاية في الغرابة والعجب، وبإخفاء حقيقة مصالح واشنطن في آسيا الوُسْطَى، وجهود تجمع نُخبة المعارضة، وتجمع تأييد الدُّول على أساس السياسة الواقعية بدون تشويش ومفارقات، والدمار لايزال يلحق ببقيَّة المنازل، والدماء تُسفَك على مذبح الحملة الحربية، وتُدمِّر وتُجهِز على كلِّ شيء في المُدُن؛ من مطارات، ومستشفيات، وأحياء سَكَنيَّة، فإن عمل الرئيس الحازم قد رفع معنويات الشعب الأميركي للانتقام، فقام بتذكير العالم من جديد بأهمِّيَّة قُوَّة أميركا العسكرية، وأهمِّيَّة الحُرُوب الصليبية!! ولا يُصدر أيّاً من ردود الاستنكار والاحتجاج، وهذا يُذكِّرنا ـ تماماً ـ بقرارات فورد وكيسنجر بإرسال قاذفات القنابل الضخمة (ب 52) فوق لاغوس وكمبوديا في أعمال العنف والتقتيل، وحرث الأرض الكمبودية بالقنابل الأمريكيَّة، لم يُعلن في حينها أيّ قلق من المترتبات القانونية والإنسانية لما سيحصل بعد الحرب، وهل سيُحصي الأميركيون عدد القنابل كما أحصوها في كمبوديا، والتي كانت (70) ألف قنبلة، وكان كيسنجر صاحب القرارات فيها، ورغم ذلك قُدِّمت له جائزة نوبل للسلام، لتظهر مفارقات عجيبة في ذلك العالم الذي يدَّعي التَّحضُّر؟!

هُنالك تدخُّل مُباشر في الحرب للقوى الجوِّيَّة، والبحرية، والقُوَّات الخاصَّة، وتُستعرَض القنابل الضخمة والصواريخ الذكية والغبية أمام العالم؛ وخاصَّة أمام هيئة الأمم وأمينها العامّ، والمُؤسَّسات والهيئات الحقوقية والإنسانية الدّوليَّة، والهدف لايزال القضاء على الشعب الأفغاني المسلم، وتذهب آلاف الضحايا بعيدة عن ما تُعلنه واشنطن ولندن عن قُدرتها في إلحاق الهزيمة بطالبان وحليفها، إنما ستبقى الآثار السلبية للحرب مذبحة بشرية كبيرة وجديدة ليس للشُّعُوب في

آسيا[1] وليس في أفغانستان فحسب، بل في العراق أيضاً، ولتحسب ألف حساب بأنها ستبقى دائرة في الفَلَك الأميركي بالإطار الكُلِّيِّ الشمولي. إنها سياسة خارجية تحظى بدعم الحزبين الجُمهُوري، وأنصار الحرب على الإسلام والشرق لإبراز مصادر القُوَّة الأمريكية الفاحشة، وهي غير قادرة عن التخلِّي - أبداً - عن السيطرة على العالم، فجورج بوش الثاني هُو الحاكم والجلَّاد في آن واحد، يا للعجب! رغم القتل والتدمير وانتهاك حرمة الإنسان يُعلَن عن برامج لإعادة البناء والتنمية! بدعاية رخيصة لا أساس لها من الصحة والواقعية، بسبب أن الحقائق التَّاريخيَّة - المعروفة جيِّداً في السياسة الخارجية الأمريكيَّة - شاهد تاريخيٌّ ماثل أمامنا، لاسيما أنه لا كمبوديا ولا فيتنام حصلتا على إعادة بناء أو تنمية بعد الحرب عليهما، وتُذكِّرنا بعض التصريحات والنوايا الأمريكيَّة بالتاريخ الحافل لواشنطن من العهود القريبة أو البعيدة لممارساتها المُؤثِّرة في الزراعة والصناعة والسُّكَّان، وما لحق بهم من الدمار الشامل، وتجاهلها لمستقبل الشُّعُوب بعد الحرب التي كانت تشنُّها في آسيا وأفريقيا؛ أَكان ذلك في حملات الإبادة ومأساة الهند الصِّينية أم في فيتنام واضحة، ولنتساءل - الآن - بعد كلِّ الجهود المبذولة ضدَّ أفغانستان كشعب وَوَطَن وبُنى تحتيَّة: هل تُحقِّق واشنطن - بحملتها الانتقامية - قَدْراً كبيراً من هيبتها، وترعى حقوق الإنسان في هذا البلد؟! أين هي - الآن - حملة حقوق الإنسان، والديمقراطية الأمريكيَّة أمام الدمار الشامل هُنالك؟!. أو في معالجة مشكلة الإرهاب؛ إذْ تُدلِّل كلُّ المعطيات السابقة واللاحقة أن الولايات المُتَّحدة تضرب حقوق الإنسان والديمقراطية بسهولة - متى لزم الأمر - إذا تعارض للوهلة الأولى مع مصالحها ومصالح حلفائها، خوفاً من أن تكون لنجاحات المقاومة الوطنية مثالاً للآخرين، ولا ننسى - هُنا - الإرهاب والتخريب الأميركي ضدَّ النُّظُم الوطنية والتقدُّمية، في مناطق مُتعدِّدة من العالم.

لقد استفزَّت دراسة نعُّوم تشومسكي (الولايات المُتَّحدة ضدَّ حقوق الإنسان) العديد من مراكز الأبحاث والدراسات الأمريكيَّة؛ إذْ يُؤكِّد فيه الكاتب - قُبيل سنوات طويلة - تأييد واشنطن ومُساندتها الفعَّالة لانتهاكات حقوق الإنسان، وتشجيع الحُرُوب والمجازر، والتحريض ضدَّ أنشطة الأنظمة الوطنية وزعاماتها، ومن السذاجة - الآن - أن يعتقد البعض أن واشنطن هي - فعلاً - تحارب

(1) صحيفة المستقبل، مؤتمر دولي لتحديد مستقبل أفغانستان، تعاون بين تحالف الشمال ومُمثِّلي ملك أفغانستان (ظاهر شاه) السابق، أعلن ذلك وزير خارجية ألمانيا السابق يوشكا فيشر بعقد مؤتمر للأمم المُتَّحدة في برلين حول تحديد نوع الحُكُومة المقبلة في كابول.

الإرهاب؛ إذْ لا تتوفَّر الشروط ـ فعلياً ـ في التركيبة السِّياسيَّة الأمريكيَّة الحالية، أو لمصالح القوى فيها في محاربة الإرهاب الدولي فعلياً.

وقد وضع صموئيل هنتجتون ـ كرئيس لدائرة الحُكُومة في جامعة هارفرد وأحد مستشاري البيت الأبيض ـ برنامجاً للقضاء على حركات التَّحرُّر الوطني، وضمن ذلك التصوُّر دعا لسياسة خطيرة هي سياسة الأرض المحروقة في الأرياف؛ لأجل وضع الفلاحين نهائياً على قارعة الطُّرُق في المُدُن، وقد جُعِلَتْ أفغانستان في العقدَيْن الماضيَيْن بلا ريف، وبلا مُدُن؟! أرياف ومُدُن مُحطَّمة ومُتهالكة!! هؤلاء الذي يُخطِّطون للإدارة الأمريكيَّة يحرقون الشُّعُوب وتاريخها وتشكيلاتها، ويُحتِّمون عليهم العيش بدون تطوُّر زراعي، أو صناعي؛ ليبقوا في نطاق واسع من التخلُّف والجهل، دون أن تُكلِّف نفسها الديمقراطيات الصناعية المُتقدِّمة بمَدِّ جسر لاستنهاض وتنمية واحترام حقوق الإنسان في آسيا الوُسْطَى، فإنها تُنفِّذ خُططها وأفكارها ضمن سياسة التدخُّل الكوني، وتشجيع التسلُّط ضمن ما يُسمَّى مبادرات جديدة للنُّخبة الحاكمة، وأغنيائها، وليس لتطوير وتنمية الشُّعُوب ضمن المعايير المزدوجة والكيل بمكيالَيْن.

مَنْ يرحم الشعب الأفغاني ـ إذاً ـ من هَوْل الحرب ودمارها، أو من القمع والإرهاب الداخلي، أو من التخلُّف والجهل والتعصُّب الأعمى المقيت الخارج ـ أيضاً ـ عن أيِّ نطاق لحقوق الإنسان؟!

مَنْ يرحم الأطفال والنساء من تلك الكوابيس[1]؟!

وهل المعارضة قادرة على تنمية مُقدَّرات الشعب، مادامت تضع يدها مع واشنطن؟!

لا ريبَّ أن أوروبا ورُوسيا والولايات المُتَّحدة واللوبيات اليهودية ـ الصهيونية لن ترحم أحداً في آسيا الوُسْطَى، كما لم ترحم (إسرائيل) وعصاباتها الشعب الفلسطيني والشعب العَرَبي، وكذلك في أفريقيا لم ترحم الشعب الرواندي، وحطَّمت هذا الشعب مُنْذُ سنوات قليلة، وكما قدَّمت له السلاح لُمحاربة بعضه بعضاً ضمن لُعبة الأمم، عملت واشنطن ـ أيضاً ـ لتزويد الشعب الأفغاني وطالبان والمعارضة بالسلاح لمحاربة السوفييت، والشيوعية، والآن؛ تُقدِّم لهم الخُطط والسلاح والمال لُمحاربة بعضهم بعضاً تحت شعارات محاربة "الإرهاب الدولي"، فإذا قُدِّر للولايات المُتَّحدة أن

(1) انظر اتِّفاقيَّات جنيف: مصدر سابق.

تحارب الإرهاب الدولي فعلياً، فعليها أن تُعيد حساباتها في مجمل خطابها وسياساتها الخارجية، على أن تنظر لمصلحة الشُّعُوب وتطوُّرها الإنمائي الزراعي والصناعي والعلمي، وهي قادرة ـ عملياً ـ على ذلك، وتستطيع إيقاف عجلة الحرب المُجرمة، وسباقات التسليح في العالم، لمصلحة تطوير الاقتصاد المدني، وليس الاقتصاد الحربي، والولع الأميركي والأوروبي والصهيوني العالمي بالحروب وإثارة الإرهاب والاضطراب لايزال ولع له جذوره التَّاريخيَّة والدينية والاقتصاديَّة والاستراتيجية لإشباع الغرائز السادية للاحتكارات الحربية التفريق بين "المقاومة الوطنية للشعب الكمبودي - أو للشعب الفيتنامي ـ أو للشعب اللبناني ـ أو للشعب الفلسطيني"؛ أيْ للشُّعُوب المُضطَّهدة والفقيرة الحالمة بالاستقرار والتنمية والتطوُّر، وبين الإرهاب بأبشع صورة، وهُو تفريق صريح وواضح وظاهر تماماً في بنود ومواثيق الأمم المُتَّحدة وبرُوتُوكُولات جنيف ولاهاي، التي تُؤكِّد على عدم التعرُّض للمَدَنيين والبنية التحتية والمستشفيات والأطفال والنساء والعَجَزَة، ولايزال التناقض صارخاً ومُفجعاً بين التأييد الأمريكي للكيان الصهيوني (وحُكُومة الصهاينة) وبين الخطاب السياسي الأميركي الذي يخلط بين المقاومة الوطنية ـ وبين الإرهاب، حتَّى إنَّ رُوسيا نفسها بإعلامها وقنواتها الفضائية تُغذِّي الشعب الرُّوسي وشُعُوب آسيا الوُسْطَى الناطقة بالروسية بالحقد والكراهية ضدَّ الإسلام والعَرَب، ورُبَّما ينجح الخطاب المُتطرِّف اليميني الفاشي ضدَّ الإسلام والعَرَب في الولايات المُتَّحدة ورُوسيا وأوروبا لبعض الوقت؛ لكنه سينكشف يوماً؛ لأنَّه لا الخطاب ولا الحُرُوب التي تُشنُّ ضدَّ عالمنا الشرقي ستبقى على حالها، لأنَّ جذوة المقاومة الوطنية والمقاومة المُضادَّة للعنف الصهيوني ستظلُّ العامل الأساسي لمواجهة محنة الآخر، وآفاقه المسدودة؛ محنة استخدام ما تُكدِّسه آلة الحرب والدمار لنظام العَوْلَمَة، وما تُرسله من هدايا ثمينة لقتل (الحُرِّيَّة والمَدَنية) وأكذوبة الدفاع عن حقوق الإنسان، بين الآلة الدعائية والفكرية والسِّياسيَّة وبين آلة الدمار والقتل وسفك دماء الأبرياء ونقض المواثيق والمعاهدات الإنسانية والقانونية.

سيظلُّ الجنون الأميركي العلامة الفارقة في السياسة الخارجية، إنها وصمة عار للحضارة الأمريكيَّة اليمينة المُتطرِّفة(*) التي لا ترى الأمور إلَّا من منظار مصلحتها وجبروتها فقط، وليذهب العالم إلى الجحيم، بالنار والجحيم تنتقم واشنطن من شُعُوب العالم[1]!!

(*) تُظهر الدراسات المُتعدِّدة في المنطقة العَرَبيَّة أن هُنالك أدواراً كبيرة لمجموعة المحافظين الجدد (ديك تشيني ورامسفيلد وكولن باول وبول ولفوفيتز وكوندوليزا رايس) وغيرهم ينتمون إلى مجموعتَيْن (اقتصاديين، وعسكريين)

تاسعاً: طبول الحرب المُستَعِرَة

أ هُوتصميم أميركي جديد ضدَّ الإسلام؟!

باتت كل الدلائل الإعلامية والتحريضية الخاصَّة التي أطلقتها إدارة بوش الثاني بعد حادثة 11/ 9/ 2001م بما تحمله من عمل إرهابي مدبَّر ضدَّ المَدَنيين ومركز التجارة العالمي، تشير إلى عدم الإعلان عن وجود أدلَّة قوية على ما ارتكبته المجموعة الإرهابية من خطف أربع طائرات نحو أهداف حيوية في الولايات المُتَّحدة، وحجم الدمار والخسائر البشرية والمادِّيَّة والمعنوية التي أُصيب بها المواطن الأميركي من جهة؛ وهي كارثة حقيقية، أو ما أُصيبت به الحُكُومة الأمريكية من خسائر اقتصاديَّة وعسكرية وأمنية من جهة أُخْرَى، إضافة إلى الضربة المباغتة الهائلة للحَدَث، الذي أثَّر كالصاعقة في الشعب الأمريكي وشُعُوب ودُول العالم، وأكثر من ذلك أثَّر في المسؤولين وفي الرأي العامّ العالمي بشدَّة، والمشهد ـ بكُلِّ ما حمله من قُوَّة وإثارة وانتقام ودمار ودقَّة في التنفيذ ـ جعل إدارة جورج بوش الثاني تُصاب بالذهول والهلع الشديد لأسباب كثيرة[2] شعر بها المُحلِّل السياسي والباحث، وحتَّى المواطن العادي من الولايات المُتَّحدة، وحتَّى في أيِّ دولة من العالم ومن أهمِّ تلك الأسباب:

ـ أنَّ الإدارة الأمريكيَّة ـ وعبر تقرير وكالة الـ (سي آي إيه) بداية عام 2001م ـ أعلنت أنها سوف تسيطر على العالم حتَّى عام 2015 أمنياً وعسكرياً واقتصادياً، ولم تأخذ بالحسبان أنها من

رئيسيَّتَيْن في الولايات المُتَّحدة؛ تلعب فيها مجموعة الاحتكارات العسكرية والنفطية والمالية والكارتلات العالمية، إضافة للمجموعات المُتطرِّفة اليهودية والمسيحية المُؤثِّرة فيما بينها، أكانت سياسيَّة، أم دينية، أم فكرية، وتتبادل الخدمات والمصالح فيما بينها، ولا يهمُّها لا حقوق الإنسان، ولا ميثاق الأمم، وهي تمتلك استراتيجية الهيمنة على العالم، وهي إبراز الدور الأمريكي القوي باعتباره يُشكِّل مركز القطب العَوْلمي ضمن فلسفة عسكرية جديدة.

انظر بهذا الصدد / المستقبل العربي - العدد 298-12/ 2003، مركز دراسات الوحدة العَرَبيَّة، ص 12 / 13، سمير أمين رئيس المنتدى العالمي للبدائل، ومدير لمنتدى العالم الثالث.

(1) السفير / 7/ 12/ 2001م، ص(18) تعهَّد وزراء حلف الأطلسي في بروكسل بمحكافحة الإرهاب لأطول فترة ممكنة، وأنهم يريدون علاقات طيِّبة مع رُوسيا خصمهم السابق، لاسيما أنها شريك في مقاومة الإرهاب؛ إذْ حاولت الدُّول الأوروبية ووزراء العدل والداخلية الاتِّفاق على مشروع توحيد الأفكار ضدَّ الأعمال الإرهابية والعقوبات حولها، وتُوصم تلك الدُّول الأوروبية أعمال شارون الإجرامية بأنها عنف وعنف مُضادّ، دون تسمية الأشياء بأسمائها، ودون توجيه الاتِّهام لممارساته العدوانية، ومُفتي مصر يؤكد أن العمليات الاستشهادية مشروعة مُؤكِّداً أن على المُجتمع الدولي بحثَّ الإجرام الصهيوني.

(2) مجلَّة نيو زويك 6/ 11/ 2001م يقتل شارون ويُدمِّر، بينما يطالب جورج بوش الفلسطينيين بضبط النفس؟!.

الممكن أن تتعرَّض لهجوم إرهابي من الداخل، وليس بالصواريخ العابرة، يستخدمها إرهـابيُّون بأقـلّ الاحتمالات من الخارج، وكان العمل من الداخل مُدهشاً ومُفاجئاً ومريراً[1].

ـ إدارة الاستخبارات المُتعـدِّدة الخارجيَّة والبَحْريَّة والبرِّيَّـة والجوِّيَّـة؛ أيْ مُختلـف الإدارات العاملة في مجال جَمْع المعلومات وتحليلها بدقائق أو بساعات قليلة كانت تضع بالحسبان ـ دائماً ـ مراقبة الأجواء الأمريكيَّة والأوروبية وعبر الأقمار الصناعية المتطوِّرة (وشبكة إشلون) بهدف التوصُّل ـ دائماً ـ إلى أيِّ رمز أو حركة غير طبيعية تضرُّ بالأمن القومي الأميركي، أو الأوروبي، فلـم تـستطع كـشف أيّ دلالات مُسبقة أو إشارات على تنفيذ تلك العملية الانتحارية، التي لم تهزّ تلك الأجهزة هزّاً عنيفـاً فحسب؛ بل ضربت بالصميم دور الأجهـزة الفيدراليـة الداخليـة وخاصَّـة (F.B.I) الأمـن القـومي الداخلي الأميركي، وحتَّى الأمن الرئاسي ذاته[2].

كلُّ التوقُّعات الأمريكيَّة المعلَنـة والمَخفيَّـة تُؤكِّـد أن المجموعـة الإرهابيـة اسـتطاعت تنفيـذ عملياتها الانتحارية بدقَّة متناهية، دون أن تنكشف إلَّا قبل دقائق من التنفيذ عبر أجهزة الهاتف الثابتـة أو المحمولة مع رُكَّاب الطائرات، هذا يعنـي شـيئاً جوهريـاً؛ وهُـو أن الإدارة الأمريكيَّـة والبنتـاغون وأجهزة بعينها مُختَرَقة إلى حُدُود بعيدة، من مجموعات أمريكيَّـة وصـهيونية أُصُـولية أو مُتطرِّفـة، لهـا توجُّهات سياسيَّة وأمنية وعقائدية تختلف ـ تماماً ـ عن سياسة الولايات المُتَّحدة الداخلية والخارجيـة، وهي المُخطِّط المركزي بالأساس لهكذا عملية ذات البُعْد التقاني والتكنولـوجي والاسـتخباراتي عـلى مستوى رفيع جدَّاً؛ إذْ من المحتمل ـ أيضاً ـ أن الطائرات تمَّ توجيهها من الأرض عبر أجهزة سـيطرة عالية الدقَّة، استطاعت السيطرة على أجواء نيو يورك وواشنطن، وقطع الاتِّـصالات اللاسـلكية مـع المطارات بالتشويش لمُدَّة دقائق معدودة، وهُو احتمال مُتوقَّع دون أن يكـون هُنالـك إرهـابيون ـــ كـما تُعلن الإدارة الأمريكية ـ وقد زجَّت بالأسماء العَرَبيَّة والإسـلامية اعتباطـاً، أو بخُطَـط مُـسبقة رُبَّـما، والحقائق لم تُكشَف إلى الآن؟!

---

(1) انظر / باتريك سيل/ مَنْ سينتـصر في واشـنطن؟/ صـحيفة الحيـاة 9/ 11/ 2001/ ص(9). ازدراء الـرأي العـامّ العربي ـ والإسلامي.

(2) يُذكر هُنا في بعض الصُّحُف والدوريات الأمريكية أن (الموساد الإسرائيلي) كان عـلى علْـم مُـسبق بالعمليـة، وأنـه كان 6 آلاف موظف يهودي أميركي في إجازة، وأن اليهود اقترضوا من المركز أموالاً كبيرة، وسحبوا أموالهم وسنداتهم قبل العملية بأيَّام، على ماذا يدلُّ ذلك كُلّه؟ أجرت الـ (FBI) تحقيقات مع عشرات من الإسرائيليين هُنالك.

كلُّ جهود إدارة بوش ورامسفيلد انصبَّت ـ بشكل رئيس ـ على إنجاز (مشروع برنامج الدفاع الاستراتيجي) الذي يهتمُّ باحتمالات الضربة المباغتة من الخارج، وليس من الداخل، الأمر الذي التقطته كلّ المحطَّات الفضائية والإعلامية الحيادية، مُتهكِّمة على ذلك المشروع والقدرات الأمنية العسكرية غير العادية والاستراتيجية لدولة عُظْمَى مثل الولايات المُتَّحدة بعد العملية.

إذا ما اعتقدنا أن المُخطِّطين والمُنفِّذين لتلك العملية المُباغِتة بشكلها الانتحاري والقتالي أدركوا بذكاء غير عادي، وبخُطط لا يمكن أن يمتلكها شخص أو مجموعة بمفردهم دون وجود دُول وأجهزة ساندتهم بعُمق في التخطيط والتنفيذ، واختيار الأشخاص والعنصر البشري في العملية، كان لهم الدور الحاسم والخطير بكلّ المقاييس في التخطيط المسبق، وهذا ما يُذكِّرنا ـ أساساً ـ بدور الطيَّارين اليابانيين في عمليات (بيرل هاربر) التَّاريخيَّة، التي أدَّت إلى اتِّخاذ الولايات المُتَّحدة الأمريكية قراراً خطيراً بضَرْب هيروشيما ونغازاكي بالقنابل النووية لكسب الحرب، وتحطيم اليابان نهائياً، وإجبارها على توقيع معاهدة الاستسلام في الحرب العالمية الثانية، وبتلك العملية التي حفظت الكثير من هيبة واشنطن السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنية، وخاصَّة بالسيطرة على اليابان فيما بعد، فهل تستخدم أسلحة مُحَرَّمة دولياً ضدَّ أهداف محتملة الآن في أفغانستان؟!

لقد ركَّزت الإدارة الأمريكية بعد عملية واشنطن ونيو يورك على احتمالات مُؤكَّدة من خلال تصريحات أكيدة بأن المشتبه به الأوَّل هُو (زعيم منظَّمة القاعدة أسامة بن لادن) مُباشرة ودون تفكير أو أيّ تحقيق، بمعنى أن هُناك تصوُّرات مُسبقة بزَجِّ ذلك الشخص المُتمرِّد على السياسة الأمريكية وهيمنتها العالمية في استهدافه، رغم أنه صنيعة الـ (سي آي إيه) نفسها إبَّان الغزو السوفيتي لأفغانستان، وانطلاق الولايات المُتَّحدة دون التدقيق الفعلي، يعطي انطباعاً أوَّليّاً أن الإدارة الأمريكية تريد تنفيذ خُطط مسبقة لغزو أفغانستان والهيمنة على باكستان، كي تستطيع محاصرة دولة عُظْمَى في آسيا مثل (الصِّين) المارد الأصفر، الذي لم يُؤيّد مع كوريا الشمالية ورُوسيا المبادرة الأمريكية لحرب الفضاء، أو المبادرة الأمريكية لخَلْق حلْف والشرق الأوسط الجديد آسيا الوُسْطَى بزعامة (الكيان الصهيوني وتركيا) ومُحاولة اصطناع العدوّ الجديد المحتمل للولايات المُتَّحدة من ضمن المنطقة العَرَبيَّة والإسلامية.

النوايا التي أظهرها جورج بوش الثاني واضحة، وهي ضمن خُطط استراتيجية جديدة غير مُعلَنة مسبقاً، لكنْ؛ تمَّ الإعلان عنها بعد العمليات الانتحارية بشنِّ حملة صليبية ضدَّ الإسلام والمسلمين، وهذا يُؤكِّد ضعف الصيغ الخطابية والنوايا الدفينة للرئيس الأمريكي نفسه من ضمن الخُطط الأمريكية الرئيسة لمحاصرة وضرب الإسلام والعَرَب، وتحطيم قدراتها الدفاعية بأيِّ شكل كان [1].

تلك النوايا والتحريض عليها ليست من مصلحة العَرَب والمسلمين مطلقاً إثارتها، والذي له المصلحة الأكيدة بها هُو قادة الإرهاب الصهيوني (شارون- باراك- نتنياهو)؛ إذْ أُذكِّر الرأي العامّ الأمريكي والعالمي، وحتَّى الرأي الرسمي الأمريكي بتصريحات خطيرة كان قد أعلن عنها نتنياهو حينما كان على رأس الحُكُومة بأنه سوف يحرق واشنطن إذا ظلَّ بيل كلينتون يمارس الضغط عليه وعلى أنصاره، وبالأخصِّ؛ في قضية (مونيكا وجوناثان بولارد) وبروز الحقد الصهيوني اليهودي على أيِّ رئيس أمريكي لا ينصاع للمصالح الصهيونية والإسرائيلية المطلقة، مصيره وحُكُومته واضحة تماماً.

من هُنا؛ فإن لأنصار نتنياهو وديفيد ليفي المصلحة الأكيدة لعمليَّتَيْ نيو يورك وواشنطن في التخطيط لجَرِّ الأمريكيين لشنِّ حملة صليبية على الإسلام والمسلمين، بتحريض صريح من قادة الإرهاب الصهيوني، ولعلَّ الأسلوب الخطابي والبلاغي النازي لديفيد ليفي لحرق أرض وأطفال لبنان هي الأقرب ـ إلى حُدُود بعيدة ـ إلى منطق الإرهاب الدولي المسلَّط على الشُّعُوب والدُّول، أو هُو منطق إرهاب الدولة الرسمي للكيان الصهيوني المتمرِّسة فعلياً بمثل تلك العمليات والتخطيط لها، وإن كانت ـ أحياناً ـ الأدوات التنفيذية غير قادرة على تحليل أبعاد أيِّ عمل إرهابي على المستوى المحدَّد؛ لأنَّها أدوات صمَّاء لا تعترض ولا تناقش في الأمر، بل يُوكَل إليها التنفيذ، وهي التي تمتلك في عُقر دار الأمريكيين التقنيات العالية.

لم يستبعد العديدُ من العَرَب والمسلمين ـ أساساً ـ أن تكون المنظَّمات الصهيونية واليمينية المتطرِّفة في الولايات المُتَّحدة هي المُخطِّطة والمُموِّلة لما حصل في واشنطن ونيو يورك في **11/ 9/ 2001** ضدَّ البنتاغون ومركز التجارة العالمي؛ الذي يُعتبر رمز القُوَّة والنُّفُوذ والعَوْلَمة الرأسمالية العالمية، ورُبَّما استُخدِمت أدوات وأشخاص من المنطقة الإسلامية للتنفيذ؛ لإدراكهم

---

(1) حذَّر السيد عَمرو موسى من مغبَّة التدخُّل الأمريكي ضدَّ أيِّ دولة عربية، مُؤكِّداً أن الخلاف مع أميركا بسبب دعمها المُطلق لـ (إسرائيل) / صحيفة الكفاح العربي والحياة **8/ 11/ 2001**م .

المُسبق بأنّهم يكرهون الولايات المُتَّحدة نتيجة سياستها العدوانية، ونتيجة دَعْمها المُطلق للكيان الصهيوني، وبالأخصّ؛ في مؤتمرات دولية، وآخرها مؤتمر مُعاداة العُنْصُريَّة في (دوربان)، وانسحاب الولايات المُتَّحدة منه دعماً للعنصرية والصهيونية.

في السياق ذاته يريد هؤلاء أن يُحوِّلوا المعركة الحاصلة ـ بكل أشكالها ـ من معركة دبلوماسية وسياسيَّة واقتصاديَّة إلى معركة روحية ودينية على المستوى العالمي، كي يظهر اليهودي العالمي والصهاينة أنهم حياديون ممَّا يجري، وتدفع الصهيونية لشنِّ الحرب العالمية الجديدة على منطقتنا، ولكنهم بالخفاء يُشجِّعون ـ بقُوَّة النعرة الدينية، فتتحوَّل الحرب ـ من جديد ـ إلى حرب كونية ثالثة من نوع جديد (دينية الظَّاهر، سياسيَّة المضمون)، ويُركِّز الغرب ـ عموماً ـ حُلفاءه وأسلحتهم الفتاكة والقوية ضدَّ المسلمين، ولا مجال في ذلك للتراجع أو المحاكمة العقلانية لما سوف يجري، مع أهمِّيَّة مُطالبة الدُّول العَرَبيَّة والإسلامية الإدارة الأمريكية وأوروبا بالتصرُّف الحكيم وُفق ميثاق هيئة الأمم بالتحديد.

الدهاء والمكر الذي يقف وراءهما المُخطِّطون لعمليات التفجير في واشنطن ونيو يورك من المُعتَقد أنهم ليسوا من المنطقة العَرَبيَّة والإسلامية، لأنَّ مفاعيل العملية على صعيد الغرب مدروسة جيِّداً؛ إذْ ليست إدارة التنفيذ قادرة على امتلاك القدرة للتخطيط والتحليل بما قد يجري قبل وخلال وبعد تلك العملية، ورُبَّما استطاعوا الوُصُول لأشخاص وجماعات دينية وعقائدية إسلامية دفعوها لتنفيذ الخُطَّة بدقَّة متناهية، ومن المُؤكَّد أن المُخطِّط ليس شخصاً، أو جماعة؛ بل زعماء لازالوا يعيشون داخل المؤسَّسات الأمريكية الرسمية والشعبية، وهم ينتظرون أخطاء الإدارة الأمريكية لجورج بوش الثاني؛ لكي تتمَّ إزاحته ـ ببساطة ـ مع طاقمه في وزارة الدفاع الأمريكية نفسها، التي ماتزال تعلِّق على أنها ستكافح الإرهاب في أنحاء العالم، ولكنْ؛ ليس الإرهاب الصهيوني، ولكنْ؛ لا تستطيع إزاحة وسائله وأدواته ومراكزه من الولايات المُتَّحدة الأمريكية نفسها، وبالأخصّ؛ من المنظَّمات اليهودية واليمينية المُسلَّحة تسليحاً عالياً داخل الولايات المُتَّحدة، وفي مراكز ومُعسكرات إرهابية لا تلتفت إليها الأجهزة الأمريكية بشكلٍ كافٍ، بل تدعمها وتحتضنها جيِّداً، وبالجهة المقابلة؛ لا تستطيع المنظَّمات والجماعات الإسلامية والعَرَبيَّة التي تواجه التحريض الصهيوني العالمي بما يملكه من وسائل التحريض والدعاية المُتأثِّرة بها فعلياً أمام كلّ ما يجري في نيو يورك وواشنطن من امتلاك السلاح والعتاد الحربي، وتتَّهمها بأنها هي المُخطِّطة والمنفِّذة، أو حتَّى المشارِكة بها، وإذا ما قلنا: إن فعاليات تلك المنظَّمات العَرَبيَّة

والإسلامية غير قادرة ـ فعلياً ـ على أداء أيِّ دور فعَّال مثلما تفعله منظَّمات صهيونية متنفِّذة بكلّ المقاييس داخل المؤسَّسات والأجهزة الأمريكية، وحتَّى داخل المُجتمع الأوروبي والأمريكي؟!.

وإذا رجعنا قليلاً للوراء وما قدَّمه (نعوم تشومسكي) أستاذ اللسانيات في الجامعات الأمريكية (جامعة كولوجيا) حول السياسة الخارجية الأمريكية والنُّخبة الفكرية المُخطِّطة لها مُؤكِّداً أن خروج الـ USA من الحرب الكونية الثانية قوية وغنية جدّاً، سعت إلى بناء إطار دولي ازدهرت به المُؤسَّسات والشركات العسكرية الأمريكية بشكل مثير جدّاً للتساؤلات، ونجاح المشروع الأمريكي ما فوق القومي نجاحاً باهراً، أعطاها نوعاً جديداً من الدور المُميّز على الصعيد الدولي، والآن؛ ستعمل على إعادة بناء النُّظُم المحلِّيَّة والإقليمية والدّوليَّة على أساس منظومة العمل السياسي والفكري والأمني العالمي من جديد، وتمَّت إعادة تشكيل قُوَّة الـ USA من جديد لتضغط ـ بكل الوسائل المعقَّدة ـ لإعادة هيبتها من خلال أيديولوجية العدوان والهيمنة، وليس من خلال الحكمة والقانون الدولي وحقوق التنمية والإنسان في العالم، ولأسباب تعتبرها مبدئية بالنسبة لتطلُّعها للسيطرة على العالم، ليس اقتصادياً فحسب، بل وعسكرياً وأمنياً، وما إلى هُنالك.

بعد الحرب العالمية الثانية؛ جرت إعادة تعميم السياسة الخارجية وتنفيذها (بإدارة محلِّيَّة) تجاه الدُّول الفقيرة. وبعد حرب الخليج الثانية؛ جرى ـ أيضاً ـ تصميم السياسة الخارجية على أساس مزدوج (محلِّي وتحالف دولي أوروبي أمريكي)، ولكنْ؛ بعد العملية الانتحارية الأخيرة (في نيو يورك وواشنطن) قدَّرت إدارة بوش أن الذي يحصل هُو حرب حقيقية ضدَّ الحضارة والديمقراطية الأمريكية، ولذلك يجري ـ الآن ـ إعادة تصميم السياسة الأمريكية على أُسُس جديدة (تحالف دولي محلِّي أوروبي وأمريكي وإسلامي) بجَرِّ بعض الدُّول الإسلامية للعَوْلَمَة الأمريكية؛ ولكنْ؛ بوجهها العسكري، والتدخُّل المُباشر، دون الأخذ بعين الاعتبار الجوانب الإنسانية. السؤال الذي يطرح نفسه؛ كيف يمكن لدول إسلامية أن تتحالف مع دولة تساند الكيان الصهيوني وشارون بالمطلق في مجازره ضدَّ الشعب الفلسطيني، واحتلاله للحَرَم القُدْسي الشريف، وهي ـ بالأساس ـ ضدَّ المسلمين والأبرياء في دُول أُخَرَى، خارقة كلّ ما يتعلَّق بأهمِّيَّة الوحدة الإسلامية ضدَّ الغزو الخارجي، وتنقض قرارات المؤتمر الإسلامي؟ وتدخل فيه بعض الدُّول مُكرهة لتنفيذ ذلك التصميم الأمريكي الجديد لمواجهة "الإرهاب الإسلامي العالمي" وجماعته الأساسية في أفغانستان، بينما انتفاضة الأقصى والشعب الفلسطيني تواجهها آلة الدمار والإرهاب والقتل الصهيونية، ولا يعلَّق دولياً على مواجهة

الإرهاب الصهيوني الصريح والفجّ، ويبقى الخوف والتردُّد مثالاً (للتصميم العربي)[1] الذي لا يعتمد ـ إلى الآن ـ على استراتيجية واحدة؛ إذْ ماتزال المصالح والثقافات القومية مُتعارِضة ـ بشدَّة ـ مع مصالح ثقافة العَوْلَمَة والهيمنة العسكرية الأمريكية التي لا تنظر لمصالح الشُّعُوب العَرَبِيَّة والإسلامية نظرة واقعية وحكيمة بالقدر نفسه الذي تقفه مع الكيان الصهيوني، بل تؤيّد الإرهاب والعُنصُرِيَّة الصهيونية بشكل مطلق، دون أن يستطيع أحد مواجهتها بقُوَّة.

ولعلَّ تصريحات بوش الأخيرة تجاه ذلك تُؤكِّد على الدعم الأمريكي المطلق للإرهاب الصهيوني؛ إذْ ماتزال غاية السياسة الأمريكية هي الدفاع عن المصالح ما فوق القومية للولايات المُتَّحدة، إضافة لمصلحتها القومية الأساسية، وهي ـ بذلك ـ تُقدِّم مغزى دينياً وروحياً ومصلحياً اقتصادياً وسياسياً لتطلُّعات التحالف الدولي، وتُعزِّز ـ بالتالي ـ من تغطيتها وانتقامها واستعدادها للحرب ضدَّ الإسلام والمسلمين، وتتسرَّع في تحقيق غاياتها بشكل مُباشر بدعم محلِّيٍّ، ولكن الحصار والمضايقات المتشنِّجة ضدَّ الأبرياء العَرَب والمسلمين ضمن الولايات المُتَّحدة تحرِّض عليها ـ بشكل مثير جدّاً ـ المنظَّمات الإرهابية الصهيونية الخبيرة في الأعمال الاستفزازية والتحريضية، وهُو تصميم يهودي وصهيوني أجَّجه الرئيس الأميركي بشكل مُباشر ضدَّ الإسلام عن سابق وعي وترصُّد وتخطيط، بالضغط والابتزاز، ولا ريب أن مشروعات ودراسات الحرب المُعلَنة الآن، والتي تُنفِّذها المجالس المُتخصِّصة؛ تعتمد على خُطط ووثائق مُسبقة للهيمنة، التي تُؤكِّد احتياجاتها ومصالحها للغزو العسكري، ونشر خريطة جديدة للصراع والهيمنة على آسيا الوُسْطَى كلها، ومواجهة العملاق الأصغر بأيّ شكل كان، وتجد المُبرِّرات والتحالفات المُؤيّدة بالمُطلق لها، وهي ـ بذلك ـ تُركِّز على أهمِّ المناطق (الفقيرة) لكنَّها الغنية بمواردها وموقعها، وسوف تستخدمها ـ لاحقاً ـ لصالح ازدهار النصف الغربي من الكرة الأرضية، ولتبقى تلك المناطق ـ إلى ما شاء الله ـ فقيرة ومعدومة دون الالتفات إليها لتطويرها وتنميتها، وعدم النظر لوضعها الاجتماعي المزري، وكما كانت الإمبراطورية البريطانية تجد في آسيا (الهند ـ باكستان) مركزاً مُهمّاً لخيراتها، تجد ـ الآن ـ واشنطنُ آسيا والشرقَ الأوسطَ عموماً مركزاً مُهمّاً لخيراتها أيضاً!.

---

(1) انظر إلى / مجلَّة الهلال / أيّار/ مايو 2001م/ ص183، أماني عبد الحميد، دعوة للحفاظ على الشخصية القومية!.

ولنتساءل؛ هل تساهم ظُرُوف التعبئة للحرب الحالية، والهيمنة المطلقة على العالم، باستغلال الجهد الحربي لدى الحلفاء والدُّول الضعيفة بطبيعتها اللاديمقراطية والديكتاتورية، وبتحالف غير مُبَرَّر دولياً فيما بينها، وخاصَّة في القانون الدولي، بعدم السماح لغيرها الاحتفاظ بمواقع القُوَّة والسيطرة على الأقاليم والمواقع الاستراتيجية في العالم إلى ما لا نهاية؟!

أفغانستان ليست بحاجة لحُرُوب جديدة، وإنما إلى تنمية اجتماعيَّة واقتصاديَّة وعلمية جديدة، لانتزاع التعصُّب والفقر والتخلُّف منها.

من هُنا؛ علينا أن نتوقَّع - صراحة - أن تصميم السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة بشعاراتها، مصدر إلهام لهيمنتها الفكرية والسِّياسيَّة، وبإثارة كلّ القوى المساندة لها، تكسب معاني جديدة ضدَّ ما تُسمِّيه الإرهاب.

بالأمس؛ كانت الحُرُوب تُشنُّ ضدَّ ما يُسمَّى بمحاربة الشُّيُوعية، بينما - الآن - ستُشنُّ الحُرُوب بطابعها العصري تحت شعار محاربة الإرهاب الإسلامي.

ولنتساءل؛ مَن الذي خلق وسلَّح تلك المجموعات أساساً؟! وهذه السياسة ستبقى مستهجنة مادامت تجري خارج نطاق هيئة الأمم والقانون الدولي، ويبدو أن البعض سيدفن رأسه بالرمال، وخاصَّة المؤسَّسات والمنظَّمات الدّوليَّة لحقوق الإنسان والبيئة والتنمية الاقتصاديَّة، والمجموعات الدّوليَّة الكُبْرَى التي لم تُكلِّف بتنمية البلدان والشُّعُوب الفقيرة، ولكنْ؛ إلى متى يتمُّ التغييب المستمرُّ لدور الأمم المُتَّحدة تجاه مصير ومصالح الشُّعُوب الفقيرة؟!.

لقد عملت العديد من مراكز الأبحاث والدراسات والجامعات والمعاهد على تحسين سُبُل العلاقات بين المُجتمع الغربي والأمريكي والمُجتمع الاسلامي، وكان المؤتمر الدولي حول الإسلام والغرب الذي انعقد في جاكرتا بأندونيسيا في أيلول/ سبتمبر 2002 في 11-12 منه الذي حاول تقريب وجهات النظر حول العديد من المواضيع الاسلامية والأوروبية والأمريكية، وإجراء تعاون بين مراكز الأبحاث والجامعات الاسلامية والغربية من أجل التواصل والتبادل الثقافي والحضاري ومحاربة نزعات الإرهاب من أيّ مصدر كانت.

وكانت جامعتا جُورجتاون الأمريكية وجو تنجن الألمانية حاضرتَيْن في هذا المؤتمر الدولي المُهمّ، إضافة للعديد من ندوات ومؤتمرات الحوار، التي عُقدت في العواصم الأوروبيـة والعَرَبيَّـة، بالمشاركة مع كبار العلماء وأساتذة الجامعات والكُتَّاب والمُفكِّرين (*)

من هُنا؛ فإن من الضروري ـ بالنسبة للدول والشُّعُوب العَرَبيَّة والاسلامية ـ فتح حوار واسـع مع أوروبا والولايات المُتَّحدة على أساس التنوُّع في الخطاب الثقافي والسياسي؛ كمدخل لأهمِّيَّة الحوار مع العالمين والإسلاميين من خلال رؤية جدِّيَّة للتعاون الثقافي والاقتصاي (**).

(*) انظر بهذا الصدد ـ السياسة الدّوليّة ـ العدد 150 تشرين الأوّل/ أكتوبر 2002، المجلّد 37، ص303 ـ 304

(**) انظر بهذا الصدد أيضاً ـ عدد الحوار الصادر عن المركـز العـربي للدراسـات الاسـتراتيجية ـ العـدد 27-2004 تأليف مارك لينش بعنوان: التفكير في التعامل بجدِّيَّة مع العَرَب، ص 5/ 6/ 7.

القسم الثالث:

أوّلاً: اللوبي الصهيوني ومُحاولات تخريب العلاقات الرُّوسيّة ـ العَرَبيّة

نشطت مجموعات الضغط واللوبي الصهيوني في رُوسيا وآسيا الوُسْطَى مُؤخَّراً بشكل ملحوظ، رغم الحملة الواسعة التي تقوم بها حُكُومة الرئيس الرُّوسي فلاديمير بوتين ضدَّ النهب والفساد والفوضى، ضمن سياسة إصلاحية لإعادة ترتيب الأوضاع العامة؛ إذْ يحاول الإعلام الغربي تسمية الرئيس الرُّوسي "بقيصر رُوسيا الجديد"، إلَّا أن زيارة الرئيس الإسرائيلي "موشيه كاتساف" إلى الكرملين أواخر عام 2001م، حملت معها دلالات عميقة حول مُحاولة التأثير في سياسة مُوسكُو الخارجية، ومُحاولات الكرملين الحفاظ على وتيرة التعاون والصداقة مع الدُّول العَرَبيَّة، ودفع عملية السلام للأمام، والسعي المتصاعد للعب دور مُهمٍّ فيها[1].

ولعلَّ الاتِّصال الهاتفي الذي أجراه الرئيس الرُّوسي بوتين مع الرئيس بشار الأسد قبل أسابيع من زيارة كاتساف؛ والذي عبَّر فيه عن إعجابه بتجربة الإصلاحات في سورية، وبدورها في عملية السلام، والتأكيد الرُّوسي الجديد على الدور الحيادي إزاء السلام في المنطقة، والتفعيل المُرتَقب لذلك الدور؛ حدَّد طبيعة الموقف الرُّوسي رغم التناغم الرُّوسي ـ الإسرائيلي.

وحينها نتطرَّق إلى أهمِّيَّة رُوسيا الاتِّحادية في لعب دور مُهمّ في عملية السلام، كراعٍ حياديٍّ مُنْذُ مؤتمر مدريد 1991 توجب إعادة النظر إلى ذلك الدور، من خلال ما لعبته تاريخياً في المنطقة في دعم السياسة العَرَبيَّة تجاه معضلات الحلِّ السِّلْمي، وآفاقه المسدودة، مع مجيء حُكُومة الإرهابي أرئيل شارون، رغم أن اللوبي الصهيوني في رُوسيا يلعب دوراً مُشابهاً لدور اللوبي الصهيوني في الولايات المُتَّحدة، للسيطرة على مواقع القرار والنُّفُوذ والهيمنة في رُوسيا، إلَّا أن الإدارة الرُّوسيَّة تنبَّهت مُؤخَّراً لذلك الدور الخطير، الذي أثَّر ـ بعُمق ـ في المسار السياسي والاقتصاد الداخلي لروسيا، لأسباب كثيرة أهمّها؛ إزاحة رُوسيا عن الساحة الدّوليَّة لثقلها السابق، ومُحاولة إبعادها كراع لمؤتمر مدريد للسلام

---

(1) صحيفة تشرين / 22/ نيسان/ أبريل 2001/ ، العدد 7983/ المُؤلِّف.

عن أزمة المنطقة؛ لذا تشعر الدُّول العَرَبيَّة بالقلق المُستمرِّ إزاء الدور المُتنامي والمُؤثِّر التي تقوم به (جماعة اللوبي الصهيوني في رُوسيا) ومنطقة (آسيا الوُسْطَى)، فهنالك تشابه بالمصالح والأهداف مع الكيان الصهيوني وسياسته العُنصُريَّة إلى حَدٍّ بعيد، وتتكشَّف أطماع ومصالح تلك الجماعة لتحرُّكاتها المعادية بشكل مُطلق للعرب ومصالحهم وأرضهم وتراثهم وتاريخهم، وبخاصَّة دفع المزيد من اليهود الروس للهجرة إلى الأراضي العَرَبيَّة المُحتلَّة، وضرب مُرتكزات الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، ويتوجَّه هؤلاء المستوطنون إلى (الجولان المُحتَلّ) و(الجليل الأعلى) للاستيطان فيهما، بدعم من شبكة الزعماء الصهاينة، أصحاب المليارات الموجودين في أوروبا ورُوسيا، تحت حُجج وذرائع واهية.

وقد اعتمد زعماء الحركة الصهيونية في رُوسيا على تضليل الرأي العامّ، وصياغة الأكاذيب، ولاسيما إذا ما نظرنا لعامل تشكيل الكيان الصهيوني الاستيطاني (1947ـ1948)م، ودور الاتِّحاد الصهيوني الرُّوسي المُشكَّل في سيبيريا، بدعم الهجرة والاستيطان والإرهاب الصهيوني مُنْذُ زمن بعيد؛ فإن اللوبيات والهيئات الصهيونية والأيدي الخفية لعبت دوراً خطيراً في دعم إحياء المسألة اليهودية، بتصوُّراتها البريطانية والأوروبية، وبالتَّالي؛ دعم أنشطة الانتداب والاستعمار البريطاني، وظهور المنظَّمات السِّرِّيَّة المدعومة من قِبَل بريطانيا، وبالأخصِّ؛ (بيريا)[1] وجماعة (البوكر) و(اللجنة الطِّبِّيَّة العُليا) المسؤولة عن القتل والإرهاب، وزعزعة استقرار البلاد قبيل وبعد 1945؛ إذْ تصاعدت الهجرة اليهودية بُعيد انهيار الاتِّحاد السوفيتي بشكل لم يسبق له مثيل، وسهَّل غورباتشوف ـ صاحب أفكار الديمقراطية والعلنية ـ بتهجير نحو مليون مهاجر للاستيطان في فلسطين، ويُمثِّل هؤلاء مُختلف القطاعات الاجتماعيَّة، والعلميَّة، والثَّقافيَّة والتكنولوجيَّة، لا، بل فُتحت الأبواب أمام هجرة اليهود من شرق أوروبا، بعد عام 1986، وتمَّ ـ خلال ذلك ـ تشكيل الأحزاب الصهيونية الرُّوسيَّة داخل الكيان الصهيوني، والتي تساهم في سياسات الحُكُومات الإسرائيلية المليئة بالعدوان، والغطرسة، والعُنصُريَّة، والتَّطرُّف، وبات بعضهم يطلب من الحُكُومات الإسرائيلية طرد وتهجير العَرَب!

---

(1) بيريا مستشار ستالين السياسي، ووزير الداخلية، أُعدم بسبب خيانته العُظْمَى، وحُوكم، وأُعدم على يد خرتشوف، وقد اتّهمت ابنة ستالين أمام قيادة الحزب حينذاك!

وكان للحاخام الرُّوسي الأكبر (ادلوف شايفتشيكي) دور مهمٌّ في دعم الكثير من العمليات الصهيونية داخل رُوسيا، وتقويض البلاد من الداخل، ونسف نظام الاتِّحاد السوفيتي، وبالتَّالي؛ تشجيع الهجرة اليهودية إلى أوروبا، والولايات المُتَّحدة، ومن ثمَّ؛ الدعوة لدخول ما يُسمَّى (أرض الميعاد)، ولعب دوراً خطيراً في دعم تشكيل قوى ومجموعات الضغط الصهيوني في رُوسيا، وشخصياتها، ومحاربة الأغيار، تحت حجج معاداة السامية؛ التي تعدُّ دعاية رابحة من دعايات الحركة الصهيونية الرهيبة، وعَمل لضرب علاقات التعاون الرُّوسيَّة مع العَرَب وقضاياهم العادلة، مُحاولاً تحويل اهتمام الشعب الرُّوسي وحُكُومته عن أصدقائهم القدامى، وتهديم مظاهر الحياة الداخلية الرُّوسيَّة، داعماً الفساد والفوضى، ليتسنَّى له ـ من خلال هذه الأجواء ـ التَّحرُّك بحُرِّيَّة.

لقد شجَّعت الحركة الصهيونية الرُّوسيَّة وزعماؤها المطبوعات السرية، والعلنية، والكتب، والأفلام اللاأخلاقية، والبرامج الفضائية، التي تهين كرامة وتراث وثقافة الشعب الرُّوسي، لتحطيم الأفكار والمبادئ والقيم الإنسانية لديه، التي اعتاد عليها. ولعبت الإباحية العلنية في المحطة الفضائية (رَقْم 1) التابعة لأحد الأثرياء اليهود الروس دوراً خطيراً في الأزمة الأخلاقية والسِّياسيَّة، واستخدام وسائل إعلامه لتخريب الذوق العام، وإفساده، في سبيل إفساد المُجتمع ككل، ودفع المُجتمع الرُّوسي إلى متاهات وقيم لم يعتد عليها، قبل الانهيار الكبير في رُوسيا، وتدعم تلك التصرُّفات الاتِّجاهات المعادية لأيِّ دور روسي داعم للدول والشُّعُوب النامية، أو لأيِّ دور تستطيع فيه رُوسيا لَعِب دور مُهمٍّ في محيطها الإقليمي، أو على الساحة الدّوليَّة، على أنْ تبقى رُوسيا ضمن سياسات الغرب، ومصالحه الإستراتيجية.

ويحاول المؤتمر اليهودي الرُّوسي العالمي السعي المُستمرَّ للهيمنة على مواقع القرار، وبالأخصِّ؛ المواقع الاقتصاديَّة، والمالية؛ الداخلية، والخارجية، لا، بل، والضغط على الحُكُومة الرُّوسيَّة والرئيس بوتين نفسه، بسبب الحملة التي يقودها ضدَّ الفساد والمُفسدين، وضدَّ رؤوس الأموال، والفوضى والمحسوبيات، والتهرُّب الضريبي، وتهريب الأموال، وتخريب مظاهر الحياة برُمتَّها، بعدما استغلَّ بعض المسؤولين الروس من أصل يهوديٍّ نفوذهم ومراتبهم لتسيير شؤون البلاد، وفقاً لمصالح وأهواء خاصَّة بهم، لكسب رهان التأثير المُستمرّ في رُوسيا حُكُومة وشعباً، والهيمنة عليها، وأعلن الكثير من المُحلِّلين والكُتَّاب والمُفكِّرين الروس خشيتهم من أنْ يبدأ اللوبي الصهيوني مع (غيرمان غريف) وزير التنمية الاقتصاديَّة وأنصاره بمُسلسل جديد لتحطيم مسار الحياة الاقتصاديَّة،

والاجتماعيَّة، عن طريق خصخصة جديدة في قطاعات إنتاجية واسعة في الاقتصاد الرُّوسي، ودور صندوق النقد الدولي في ذلك، كهدف جديد في دعم تصوُّرات التكنُوقراط اليهودي المُسيطرين؛ أمثال (إيغور كيدار، وألكسندر يعقوفليف، وسيرجي ياستر، وآرسون، وسورس، وسامسون، وتشوبايص، ونيمتسوف، وغيرهم)[1] ، الذين ركَّزوا جُلَّ اهتماماتهم على تحويل رُوسيا الاتِّحادية إلى بلد مُرتبط كُلِّيَّةً بالاحتكارات الغربية، والأزمات والمنافسات غير المشروعة، بعد أنْ كانت رُوسيا تُمَثِّل ثقلاً وقُوَّة عالمية لا يُستهان بها.

لقد ابتُليت رُوسيا ببلاء لا يقلُّ عن المؤامرة التي تعرَّض لها السلطان عبد الحميد الثاني من قبل الصهيونية العالمية، وزعيمها هرتزل؛ حيثُ تُباع أراضٍ روسية واسعة للأمراء الجدد، أصحاب المصارف والبنوك، والوسائل الإعلامية الضخمة، وسعى كلٌّ من تشوبايص وبيريزوفيسكي لبيع رُوسيا وثرواتها وأراضيها للاحتكارات الأمريكية واليهودية، حتَّى أدغال رُوسيا هُنالك في سيبيريا الغربية والوُسْطَى، وتتكالب القوى العالمية لإعادة تقسيم الاتِّحاد السوفيتي السابق، والسيطرة على بحر قزوين، وعلى النفط فيه، ومُحاولة السيطرة على الشيشان وأذربيجان (باكو) بشتَّى الطُّرُق والأساليب، وافتعال الأزمات كذلك، كي يتسنَّى للاحتكارات اليهودية القيام بما لم تستطع القيام به أيَّام الاتِّحاد السوفيتي. لقد قُدِّر عدد جماعات وعصابات المافيا الرُّوسيَّة وغير الرُّوسيَّة في رُوسيا زهاء (8000) عصابة وجماعة، تمتلك السلاح والخبرة والخطط والسيطرة على كُلّ شيء في الجُمهُوريات السوفييتية السابقة، ويشرف عليها الثنائي (غوسينسكي – وبيريزوفسكي)، وأنصارهما في آسيا الوُسْطَى، وشمال رُوسيا، وشرقها، مع المافيات الدّوليَّة المُرتبطة بالصهيونية[2].

وهما يمتلكان أجهزة أمن خاصَّة بهما، ويتجاوزان القانون، ويقيمان دولة ضمن دولة، تسيطر على مُقدّرات الحياة اليومية في البلاد والعاصمة، مع امتلاكهما لإمبراطورية إعلامية ضخمة في رُوسيا وأوروبا، إضافة لصحف داخل الكيان الصهيوني مثل صحيفة (معاريف) الإسرائيلية، وسيفودينيا (اليوم)، إضافة لتأثيرهما الواسع في الأحزاب اليمينية الإسرائيلية، ودعمهما اليهود الروس للاستيطان في الضفَّة والقطاع، وكذلك بكثافة في الجولان والجليل، ودعم سياسة التَّطرُّف الأصولي اليهودي، أكثر، فأكثر، ومن المعروف أن الكثير من الطلاب العَرَب المتفوِّقين، والتُّجَّار، ورجال الأعمال الذين

---

(1) خدمات استراتيجية إسرائيلية لصالح واشنطن ـ صحيفة اللواء اللبنانية – 11/ 10/ 2001 – مأمون كيوان.
(2) جنكيز تشاندار – (إسرائيل) والتَّوتُّر في قزوين ـ صحيفة المستقبل – 28/ 8/ 2001 .

ينشطون في مُوسكُو ومُختلف المدن الأُخرَى تعرَّضوا للسلب والنهب والإرهاب والقتل من قبل عناصر المافيا، أو من الأيدي الطويلة الخفية (اللوبي الصهيوني في رُوسيا)، وتكشف جميع المصادر والمعلومات في الصحافة الرُّوسيَّة أن الحملة ضدَّ الفساد التي يقودها الرئيس بوتين استطاعت ملاحقة مُسبِّبي الفوضى والاختلاسات، أمثال جونيسيسكي، وبيرويزوفسسكي، وتشوبايص، في رُوسيا وأوروبا، بعد هروبهم مع رؤوس أموالهم إلى أوروبا، أو إلى (إسرائيل) ذاتها، وتمَّ تقييد أنشطة وحركة يلتسين الرئيس السابق وابنته؛ لدعمهما لجماعة تشوبايص، واللوبي الصهيوني مُنْذُ سنوات، ودعت النيابة العامَّة الرُّوسيَّة الأنتربول الدولي لاسترجاع الأشخاص والأموال المنهوبة والمُهرَّبة من خلال أعمال اقتصاديَّة غير قانونية، كبيع المعامل، والمصانع، والمنتجات التابعة للقطاع العامّ، ومُحاولة السيطرة على سكك الحديد، والخطوط الجوِّيَّة، وجعلها استثمارات خاصَّة، علماً أن البعض يقدِّر الرأسمال المُهرَّب إلى الخارج زهاء 75 مليار دولار، مُنْذُ عَقَدَ يلتسين وابنته (تاتيانا) صفقات وسرقات تمَّت بأيدٍ خفية، وبمُساعدة بعض المسؤولين، ويلعب دوراً مُهمّاً في كُلِّ ذلك الملياردير الأمريكي اليهودي (جورج سورس)، الذي كان قد أحدث صندوقاً مالياً لمحاربة النظام السوفيتي، ولدعم سياسة الانفتاح والعلنية والانفلاش الديمقراطي، ضمن برنامج مُعادٍ للأحزاب اليسارية والحزب الشيوعي في رُوسيا، متعاوناً مع برنامج بريطانيا العالمي (دَحْر الشيوعية الرُّوسيَّة)، إضافة لامتلاكه لأكبر إمبراطورية إعلامية في الولايات المُتَّحدة وأوروبا، متعاوناً مع بيريزكوفيسكي، والقائمة على تجارة المعادن الثمينة، والنفط، والألمنيوم،والذهب، في أراضٍ واسعة داخل سيبيريا الغربية، ومدنها؛ حيثُ توغَّلت الشركات الإسرائيلية واليهودية والأمريكيَّة هُنالك، لاستغلال المناطق البِكْر، وزيادة دور الاحتكارات العالمية فيها، وانتشرت في رُوسيا خلال السنوات الماضية المصارف، والبنوك، والشركات، والمتاجر، والمصانع الخاصَّة، وكُلّ ما يتعلَّق بصناعة الإعلام، والإعلان، والدعاية، والأفلام، التي يُموِّلها ويدعمها مجموعة من الأثرياء الصهاينة[1]، الذين امتلكوا ثرواتهم خلال فترة قصيرة من خلال الفوضى والانهيار في قطاعات إنتاجية مُختلفة، وتمَّ شراؤها بأرخص الأثمان بدعم من (سورس)؟!.

أمَّا زيارة الرئيس الإسرائيلي لروسيا؛ فقد جاءت ضمن سياسة مجموعات الضغط والابتزاز اليهودية والصهيونية، وبدعم من الحاخام الأكبر في رُوسيا، لدعم سياسة الاستيطان والإرهاب

(1) انظر بهذا الصدد، صحيفة هاآرتس، العدد 26/ 12/ 1995 .

والعُنصُريَّة الصهيونية؛ حيثُ تحاول (إسرائيل) والصهيونية في رُوسيا استغلال أحداث أفغانستان، وآسيا الوُسْطَى، وفي البلقان، والشيشان، وفلسطين المُحتلَّة، وما يُسمَّى (الإرهاب الإسلامي) لضرب مرتكزات السياسة الخارجية الرُّوسيَّة، ودعم عمليات دخول الدُّول الشرقية، أو دُول بحر قزوين في حلف الناتو، شيئاً، فشيئاً، لمُحاصرة رُوسيا نهائياً، وتجريدها من نفوذها وقواها الخارجية، والتَّوسُّع باتِّجاه أذربيجان، وآسيا الوُسْطَى، وقد جاءت زيارة الرئيس الإيراني مُحمَّد خاتمي إلى مُوسكُو لتؤكِّد ـ مُجدَّداً ـ حرص الكرملين على تحالفاته الخارجية، وإقامة توازنات إقليمية ودولية، وقد عبَّرت الزيارة عن ضرورة تدعيم السياسة الدفاعية لإيران، وللدول العَرَبيَّة، ولاشكَّ أن تفعيل العلاقات العَرَبيَّة الرُّوسيَّة أمر مُهمٌّ للطرفَيْن كلَيْهما، لاسيما أن رُوسيا مازالت تُعدُّ من الدُّول الكُبْرَى التي لها صوتها في مجلس الأمن، وهيئة الأمم المُتَّحدة، وهي تناصر الحقَّ العربي.

ويحاول اللوبي الصهيوني شلَّ قُدرة رُوسيا على القيام بواجب دعم الحقوق العَرَبيَّة العادلة، وممارسة دورها كراعٍ لعملية السلام، ولذلك فإن على العَرَب إعادة التفكير بدور روسيٍّ جدِّيٍّ في توازنات المنطقة، من أجل توسيع جبهة الأصدقاء، إلى جانب قضايانا العادلة، وحقوقنا التَّاريخيَّة.

ثانياً: خريطة جديدة للصراع

«الحلف التركي الأذري الإسرائيلي»

ظلَّت اهتمامات تركيا طيلة العُقُود الماضية تنصبُّ على إحياء دورها في آسيا الوُسْطَى، وبين الدُّول الإسلامية الناطقة باللغة التركية، أكان ذلك في باكو، أم في داغستان، أم طاجكستان، ودُول أُخرَى، من أجل الوُصُول إلى نفط باكو وبحر قزوين، وإثبات دور حلف الناتو، وتوسُّعه في تلك المنطقة؛ إذْ يُعدُّ دخولها من باب العوامل الثَّقافيَّة والدِّينيَّة واللُّغويَّة جسراً هيَّأ الأجواء لها، باعتبار تلك العوامل اعتيادية لمصلحة دولة كُبْرَى، لها وزنها الإقليمي في الشرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى، ووقوعها على (مُثلَّث الخيرات)، ومن مصلحة الشعب التركي، والشُّعُوب المنضوية تحت خارطة تركيا المعاصرة، أن تمدَّ جسور التعاون ولغة الحوار واللقاءات الحضاريَّة، وليس العكس، بما تعرفه المنطقة الممتدَّة من تركيا، وإيران، وأذربيجان، وطاجكستان، وتركمانستان، وقيرغيزستان[1]، ودُول ومناطق شاسعة جدَّاً في الطرف الآخر من العالم الإسلامي؛ من عادات وتقاليد إسلامية تاريخية

(1) انظر، الأوج، العدد 8/ 9/ 1998، رُوسيا الاتِّحادية والمُتغيِّرات الدّوليَّة، د.سليمان أبو دياب / ص34.

وعريقة، التي تتمتَّع بكُلِّ المقاييس بأهمِّيَّتها البشرية، والجغرافية، والسِّياسيَّة، فضلاً عن وضعها الاقتصادي والأمني، من أجل السلام، والاستقرار، والحوار الحضاري، لكنْ؛ تظلُّ الدُّول المُطلَّة على بحر قزوين كبحر مُغلَق بنفطه وموارده الاقتصاديَّة، وكبؤرة استراتيجية للعديد من الاستراتيجيات الأصيلة[1]، أو الدخيلة مَنفذاً للهيمنة على المنطقة بأساليب مُتجدِّدة، بتحريض استراتيجيات دخيلة عليها منها (استراتيجية هتلر)، و(استراتيجية بريطانيا)، و(الولايات المُتَّحدة)، و(الكيان الصهيوني). المُشكِلَة في المنطقة تلك التي عرفتُها عن قرب عام 1980 وما قبل؛ أنها ـ قبل كل شيء ـ مليئة بالقوميات، والطوائف، والأثنيَّات، حتَّى تغدو فُسيفساء عجيبة واسعة، أحكم الاتِّحاد السوفيتي قبضته عليها فترة طويلة، إنما الآن تُحكِم قبضته عليها (رابطة الدُّول المُستقلَّة)[2] ، ودور كُلِّ دولة في التَّحكُّم بخيراتها باستقلالية محدَّدة، وتضافر، أو تصارع، مجموعة المصالح المتشابكة؛ منها ما هي مصالح دُول تجسِّد تلاقي استراتيجيات متناقضة، واستراتيجيات متوافقة، وعلى الجانب الآخر هُنالك نزوع جديد لتركيا لتجسِّد استراتيجيتها الجديدة كواجهة استراتيجية جديدة دخيلة على المنطقة «استراتيجية (إسرائيل) في آسيا الوُسْطَى»، إضافة إلى ذلك، فإن الصراع بين الإرادات والمصالح في تركيا وأذربيجان؛ تُحتِّم على (رُوسيا بوتين) اتِّباع استراتيجية مواجهة من نوع الحذر الدائم من تركيا المسلمة، أو من تركيا المؤسَّسة العسكرية، أو من تركيا وزعماء المافيا فيها، خاصَّة بعد أن توضَّح دور المافيا الرسمية (تانسوتشيلر وكبار ضباط الأمن والجيش) الذين جنَوا الأرباح بالتعاون مع مافيا أذربيجان وآسيا الوُسْطَى، ولاشك أن استراتيجيات الدُّول هُنالك لازالت مُختلفة عن مصالح المافيا المُؤثِّرة في التطوُّر الاقتصادي والاجتماعي والمالي، الحاكمة للتطوُّر والتنمية، الأمر الذي يُؤثِّر في منظومة الأمن القومي لكُلِّ دولة من تلك الدُّول؛ مُنفرِدة، أو مُجتمعة[3].

رغم التناقض الواضح بين دور الرئيس التركي الحالي[4] تجاه انفتاحه على الدُّول العَرَبيَّة، وبالأخصِّ؛ موقفه من انتفاضة الأقصى وقضية فلسطين، وبين دور المؤسَّسة العسكرية الإسرائيلية، وباتِّجاهات مُختلفة في الاتِّحاد اليوغسلافي، أو في آسيا الوُسْطَى، أو في رُوسيا ذاتها، أو في الخليج العربي،

---

(1) انظر، صحيفة السفير 17/ 9/ 2001م/ خريطة جديدة للصراع مُحمَّد علي سرحان.

(2) راجع / شرح متكامل في الملحق رَقْم (1) من كتابنا هذا.

(3) راجع/ مصدر سابق، تشرين، مقابلة مع الرئيس التركمانستاني.

(4) الرئيس التركي أحمد نجدت سازار، يذكر ـ هُنا ـ أن تركيا ترفض تقسيم العراق رسمياً، لكنَّ توغل الجيش التركي شمال العراق، هل له مُبرِّراته لملاحقته أعضاء من P.K.K؟!.

وأخيراً في الاتِّجاه الأخطر؛ تقسيم العراق، وتهديد سورية باختراقات جوِّيَّة، اعتذرت الولايات المُتَّحدة عنها، بعد دخول طائرة حربية لِمُدَّة 25 دقيقة، وهي سابقة خطيرة، المُهمُّ أن تركيا تُسجِّل ـ أحياناً ـ الآفاق المعادية للعرب وإيران، بالتعاون المُستمرِّ عسكرياً، وأمنيّاً، مع جيش الاحتلال الصهيوني، وحلف الناتو، وهي ـ أيضاً ـ رؤية تكمن فيها الخطورة الدائمة، رغم التقارب التركي ـ السوري الأخير، الذي حمل تباشير الحوار والتعاون العقلاني، لتجسيد مصالح البلدَيْن المُسلمَيْن، بما لهما من دور في المنطقة، وبعملية السلام، وبمصالحها الجِيُوبُولُوتيكية.

لقد دعت قيادةُ الجيش التركي الرئيسَ الأذري حيدر علييف لحضور عرض عسكري وجوِّيّ مُؤخَّراً مع قائد الجيش التركي في العاصمة التركية، الأمر الذي يكشف مقدار الاهتمام المُشترك بين الحلف الثلاثي الجديد «تركيا ـ (إسرائيل) ـ أذربيجان» في إحداث مُتغيِّرات جديدة لصالح الولايات المُتَّحدة، وإذا كان العداء الأذري مُنصبّاً على دولة أرمينيا وخلافهما في ناغورني كاراباخ، فإن تركيا ستستغلُّ ذلك العداء المُشترك، لمحاصرة، ليس أرمينيا، بل، ومحاصرة إيران، هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ شكَّلت الانتقادات الإيرانية الأخيرة لتركيا تحدِّياً ملموساً للممارسات غير الطبيعية والمضطربة لحُكَّام أنقرة وقيادة الجيش، لزيارة السفَّاح والإرهابي شارون لأنقرة، والمطلوب من العدالة الدّوليّة والمحاكم البلجيكية والعَرَبيَّة مُلاحقته، ومحاسبته، باعتباره مجرم حرب من الطراز النازي.

من جهة أُخْرَى؛ أثارت الانتقادات الإيرانية والعراقية والسورية لحُكُومة شارون حفيظة الأتراك، فاستغلُّوا العداء المستشري بين أذربيجان وأرمينيا لصالح حلف جديد (لـ (إسرائيل) دور مُهمٌّ فيه) رغم أن الرئيس التركي أحمد نجدت سازار وغيره من القيادات والشَّخصيَّات المسلمة يضغطون باتِّجاه تأييد حقوق الشعب الفلسطيني، وانتفاضته السِّلْمية، وينتقدون آلة الحرب الصهيونية وصانعي قراراتها، هذا من جهة، ومن جهة أُخْرَى؛ يدعُون للانفتاح على الدُّول العَرَبيَّة، وبالأخصِّ؛ على سورية، وكان هُنالك زيارات مُشتركة لتمتين العلاقات السورية ـ التركية نحو الأفضل، وعدم جعل بعض الثغرات فيها منطلقاً لعداء جنرالات تركيا؛ الذين يُحرِّكون أنشطتهم لصالح لعبة الأُمم في المنطقة، بالتعاون مع مخطَّطات واشنطن والكيان الصهيوني لمحاصرة أرمينيا، وإيران، والعراق، وسورية، وكما أكَّد الرئيس اللبناني أميل لحود أن العلاقات اللبنانية الأرمينية علاقات وطيدة وتاريخية، ولا يمكنها أن تتأثَّر بظروف المنطقة، وتواترها[1].

---

(1) قدَّم رفعت ألتلهان عن الصهيونية وخطرها مُؤلَّفاً مُهمّاً جدّاً ـ الشُّعُوب الشهيدة ضمن ثقافة العصر الذهبي ـ إذْ تمَّ اغتيال (سيرا ييفو) ضمن مؤامرة يهودية ـ ماسونية. في 28/ 6/ 1924 سقط وريث عرش النمسا تحت رصاص

إن مُحاولات زجِّ أذربيجان وتركيا والكيان الصهيوني من جهة، في أتـون صراع مكـشوف مـع أرمينيا وإيران من جهة أُخْرَى، هدفه إثارة أصدقاء هذَيْن البلدَيْن الـصديقَيْن لـسورية ولبنـان بـدافع التحريض والتخطيط المُسبَق لتوتير الأوضاع الإقليمية لصالح النزعة العدوانية، إضافة لـذلك إثـارة أكثر من 15 مليون مُسلم أذري يعيشون في شمال إيران.

لا شكَّ أن علاقة حيدر علييف الرئيس الحالي لأذربيجان ودوره في تجارة النفط والألمـاس مـع الكيان الصهيوني، يُؤهِّله ـ مع ابنه ـ أن يلعبا دوراً إقليمياً بآفاق جديدة، وبإمـدادات إقليميـة تـدخلها حلبة الصراع المكشوف بين أطراف ودُول متناقضة المصالح، أو في طور أن تكون دائرة في فلك إعـادة تحديد خريطة جديدة للصراع؛ إذْ يُحكِم علييف قبضته الحديدية في بحر قزوين ونفط بـاكو، ويتطلَّـع لإعادة الأراضي التي استولت عليها أرمينيا، وفتح نافذة جديدة للصراع مع إيران، بهدف استراتيجي مُشترك مع تركيا، للتخفيف من الضغط الإيراني السوري على حُكُومة شارون الإرهابيـة؛ إذْ يُلاحـظ أن الجيل الذي حكم الدولة أيّام الاتِّحاد السوفيتي في منتصف الثمانينيات مع ميخائيـل غورباتـشوف؛ انزلق ـ بشكل خطير ـ للتعاون مع حُكّام الكيان الصهيوني والولايات المُتَّحدة، وارتبطـوا بـصداقات واسعة مع شمعون بيريز، وإيهـود بـاراك، وشـارون (ودلالات زيـارة غورباتـشوف لحـائط المبكـى، إلى جانب قادة الإرهاب الصهيوني، والتعاون فيما بينهم لتبرير سياسات حُكُومـات (إسرائيـل) تجـاه شُعُوب المنطقة مُثيرة للتساؤلات)[1] ، ويـأتي دور حيـدر علييـف في التـاريخ الـسياسي لمنطقـة آسـيا الوُسْطَى، والشرق الأوسط، كعلامة فارقة في ولوجه بلعبة جديدة ضمن الحلـف الجديـد، ورُبَّـما زجّ أذربيجان في خلافات جديدة مع جيرانها، ولإقامة المناطق العازلـة شـمال إيـران، وعـلى الحُـدُود مـع أرمينيا، لدعم الكيان الصهيوني بوضوح، بينما يتناسى علييف ارتبـاط أذربيجـان بالمـصالح التَّاريخيَّـة والثَّقافيَّة والحضاريَّة مع العَرَب، والمصالح ـ هُنا ـ تتحـدَّد في الـسعي المُـشترك (الإيـراني – الأرمنـي) لإعادة توازن المصالح في المنطقة، أو في بحر قزوين بمواجهة (الحلف الجديد)، ونُلاحـظ أن الـدلائل

العصبة الماسونية ـ الصربية الأحرار، وجرَّ هذا الشُّعُوب للفوضى، التي كانت في أوروبا، أو التي ستكون فيما بعـد هـي من أهداف الماسونية والصهيونية؛ لأنهما مُتعطِّشان للمال والربح وسفك الـدماء، ويلاحقـون الـنفط والغـاز والألمـاس والذهب أينما وُجد لاستثماره، اختفت سعادة البشر بوجود الصهيونية وريثة النازية، والصحافة الحُرَّة في أوروبا يُـسيطر عليها الماسون، لقد شجَّع غليوم زواج ثريات يهوديات من نُبلاء ألمان غير الأغنياء، يتحلَّقون حول الرؤسـاء للرؤسـاء والإمبراطوريات لمُداعبة أحلامهم العُظْمَى، اتُّهم الأرمن بمُحاولة قتل الـسلطان العـثماني في قـصر يلـدز بفتنـة أثارهـا اليهود الماسونيون بطُرُق الحرب الخفية.

(1) انظر بهذا الصدد مجلّة المناضل / العدد 318 كانون الثاني/ يناير شباط/ فبراير 2003 / ص57.

كُلّها تشير إلى الدور الإسرائيلي الجديد في تلك اللعبة، مع تنامي دور المافيات وأصحاب دُور القمار، والتداخلات الأمنية التي تقوم بها حُكُومات إسرائيلية في رُوسيا وبحر قزوين والخليج العربي والمنطقة، ولابُدَّ من التنبيه ـ هُنا ـ على الدور الجديد الذي بدأت لتوِّها تمارسه أوساط الحلف الثلاثي تحقيقاً لرغبة ومآرب واشنطن والكيان الصهيوني، والاستمرار باتِّجاه تحقيق نظرية اليهودي (مارتن أنديك) لاحتواء العراق وإيران عبر بوَّابة الحلف الجديد (الخليج العربي ـ بحر قزوين ـ شمال العراق) وإضعاف الدور العربي والإيراني في مواجهة التحدِّيات المفروضة عليهما، ومُحاولة توسيع دائرة التأثير المُضعَّف من قبل أذربيجان، التي تساندها تركيا عسكرياً وأمنياً، ومن ورائها (بريطانيا وأمريكا)؛ حيثُ تستخدم القواعد العسكرية في انجرليك ضدَّ العراق، وإيران، وأرمينيا.

كيف ـ إذاً ـ تتجلَّى الأحداث السِّياسيَّة بعد حضور حيدر علييف للعرض العسكري في أنقرة نهاية شهر أيلول/ سبتمبر عام **2001**م، ومُتطلّبات المُخطَّطات الناشئة عن تفعيل العداء بحضور إسرائيليٍّ لافت للنظر في الجهة المقابلة للمنطقة العَرَبيَّة والعالم الإسلامي، لإقامة الحلف الجديد الذي يستجدُّ فيه أشكال جديدة من التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري والأمني بين تركيا وأذربيجان والكيان الصهيوني بشكل واضح وصريح (وضدَّ إيران وأرمينيا والعراق)؛ إذْ تُمسك واشنطن وحلف الناتو بخيوط الحلف الجديد وخُططه بمُحاولة خَلْق مناخات العداء بين شُعُوب ودُول المنطقة المسلمة، لإثارة نزعة الهيمنة والاستئثار، بتحريض مكشوف، يستهدف زعزعة مبادئ ومُقرّرات المؤتمر الإسلامي، وأواصر التعاون بين الدُّول الإسلامية، التي لها دورها المُهمُّ في العالم الإسلامي؛ إذْ كيف يُمكن لأذربيجان وتركيا الوقوف إلى جانب قَتَلَة أبناء الشعب الفلسطيني في الضفَّة والقطاع والقُدس، ويُنسِّقان مع مَنْ يحتَلُّ الأماكن المُقدَّسة، وينتهك حُرمتها، ولعلَّ أبلغ تصريح للرئيس التركي سازار كان في بداية الانتفاضة، حينما دان دخول الجيش الصهيوني للحرم القُدسي الشريف، الذي يعتبر موقفاً تركياً مُهمّاً لنصرة حقوق الشعب الفلسطيني بوجه الهمجية الإسرائيلية، وإرهاب الدولة الرسمي، الذي تمارسه الفئة العسكرية، ودورها الفاشي في الكيان الصهيوني، وعلاقاتها في تركيا ضدَّ مواقف رئيس دولتها، وضرورة اتِّخاذ مواقف غير مُستفزَّة للعرب وإيران وأرمينيا، وتوجيه كُلّ اهتمامات دُول وشُعُوب المنطقة نحو ما يحصل في فلسطين المُحتلَّة، باحتلال المناطق الفلسطينية في الضفَّة والقطاع والقُدس، وأساليب القتل والاغتيالات والاستطيان، وإدانة ومحاصرة الأعمال الهمجية والإرهابية لحُكُومة أرييل شارون، وما تصطنعه من سيناريو جديد،

أُعِدَّ في الدوائر الأمريكية لتوجيه اهتمامات إيـران والعـراق لـمشكلاتها الداخليـة، والـسعي المُـستمرّ لإسقاط دورهما الإقليمي، وإبعاد تأييدهما للشعب الفلسطيني وانتفاضته السِّلْمية، وإشـغال سـورية ولبنان وحُلفائها بأهداف ومضامين تحرُّكات (الحلـف الجديـد)، الـذي يثـير التـساؤلات المشروعة إعلامياً وسياسياً، وفي كُلّ المجالات؛ إذْ بأيِّ من الأهداف تريد كُلٌّ من واشـنطن وحُكُومـة الإرهـابي شارون دفع الصراع في المنطقة على المستوى الإقليمي الشامل، ضمن لعبة الأُمـم، وتفكيـك دورهـا، وزَرْع الفوضى بينها، وإحكام الصراع على قاعدة المـصالح والإرادات المفروضـة مـن اسـتراتيجيات دخيلة على تلك المناطق، التي تسعى - بشكل رئيس - لتنفيذ أهدافها وخططها للهيمنـة عـلى (مُثلَّـث الخيرات) في المنطقة، وتعويم الدور الإسرائيلي الإقليمي، ودفع بعـض الـدُّول ومواقفهـا كـي تكـون مُسانِدة له، وداعمة لتطلُّعاته غير المشروعة، وغير العادلـة، متجـاوزة المقـاييس الإنـسانية والتَّاريخيَّـة والثَّقافيَّة؛ التي تجمع بين شُعُوب ودُول منطقة آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط عموماً..!

ثالثاً – أُوراسيا والمُخطَّط الجيُو استراتيجي

"حيدر علييف وشيفاردنادزه مُعارضة حاسمة لمُوسكُو"

حينما قرَّر رؤساء دُول تركيا وجورجيا وأذربيجان الاجتماع في مدينة (ترابيزون) التركية في أواخر شهر نيسان/ أبريل من عام 1998، بهدف الاتِّفاق الإقليمي فيما بينهم على نقل [نفط باكو] إلى الأسواق الأوروبية والأمريكيَّة، دون المرور بالأراضي الرُّوسيَّة، عُرِّضت مصالح رُوسيا لخسائر كبيرة، وهُدف إلى التكتل ضدَّها، وإزاحتها عن طريق الحرير الأسود، وفيما نجحت تركيا وجورجيا بالفوز بعقود شراكة لاستثمار خطوط أنابيب النفط، كان الرئيس الرُّوسي [يلتسين] يخوض معركته الداخلية الخاسرة، دون الالتفات إلى ما يحصل في بحر قزوين - وآسيا الوُسْطَى[1]، فخطُّ أنابيب النفط بين (باكو - تبليسي - جيهان) قدَّر الخبراء أنه خطٌّ مُكلف وباهظ الثمن؛ لأنَّه يمرُّ عبر أراضي تُقدَّر بـ (2000) كيلو متر، بينما كانت الاعتبارات الثلاثية الاستراتيجية تُدلِّل بالعُمق على إخراج رُوسيا من دائرة التأثير، رغم أن خطوط النفط باتِّجاه البحر الأسود أقلّ كلفة، وأقلّ مسافة[(2)].

إلَّا أن الحلف السياسي (ومعاهدة الدفاع المُشترك) بين الدُّول الثلاث مع الولايات المُتَّحدة أسقطت أذربيجان وجورجيا حليفهما السابق من الحسابات، لاسيما أن (حيدر علييف) كان له دور بارز في الاتِّحاد السوفييتي، وكذلك شيفاردنادزه، اللذَيْن اتَّجها بطريق معاكس نحو واشنطن لتحقيق مآرب أو مصالح خاصَّة بهما وببلادهما على المدى البعيد، وتعمل هذه الدُّول الثلاث مع تركمانستان وكازاخستان وأوزبكستان على الانضمام لهذا الحلف الجديد بهدف التأثير في شركة غاز بروم التي تحتكر بمفردها الغاز التركمانستاني، وتنقله عبر رُوسيا إلى أوروبا، ولعبت حُكُومة يلتسين ومستشاره ومُساعده تشوبايص الدور المُهمّ في إدخال الشركات الاحتكارية والمالية والصناعية اليهودية والأمريكيَّة في آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين، بل شجَّعت الدُّول هُنالك على اتِّخاذ التدابير المُستقلَّة عن الحُكُومة المركزية في الكرملين بُعيد الانهيار السوفييتي؛ بحيثُ ساند الرئيس حيدر علنياً دور الاستخبارات الأمريكيَّة بصفته مسؤول الاستخبارات السوفيتية السابق، وله مصلحة تاريخية

---

(1) علاء سالم / إدارة بوش الابن والشرق الأوسط، أبعاد التحوُّلات الاستراتيجية الأمريكيَّة في المنطقة / القاهرة/ قسم البحوث في الدار العَرَبيَّة للدراسات والنشر، 2000م.

(2) كمال حمَّاد/ الناتو في الاتِّحاد السوفيتي السابق، 5/ 11/ 2001م ص17، تجرَّأت أوزبكستان - لأوَّل مرَّة - على عدم حضور اجتماع رابطة الدُّول المُستقلَّة في مُوسكُو / بالرغم من تداعي المواقف الدّوليَّة/ ، حُلم إيران في أفغانستان وآسيا.

مُشتركة ليصبح الزعيم الأوحد لأذربيجان مقابل الدعم اللوجيستي الاستخباراتي لـ (سي آي إيه)، ودعم قيام محطَّة مُهمَّة لها في باكو، بعد أن مهَّد لها الطريق إلى ذلك السبيل انفصال أذربيجان عن مُوسكُو، وافتتحت الشركات الأمريكيَّة مكاتب خاصَّة وحُكُومية لها من أجل استثمار النفط والتجارة والاستيراد والتصدير، ودعم الانفتاح الاقتصادي مع نظام العَوْلَمَة الأميركي بلا حُدُود، وعمل نزاربايف على الطريق والأسلوب نفسه بالميل تدريجياً للولايات المُتَّحدة، والتعاون مع كازاخستان؛ حيثُ يُقدَّر احتياطي النفط لديها بـ 24 مليار طن من النفط الجيِّد جدًّا، و63 مليار طن من النفط في أراضي تركمانستان الشاسعة، وحسب بعض المصادر؛ فإن حوض (نهر وداريا) يحتوي على احتياطي نفطي عالمي بعد نفط الخليج وإيران، وتلعب الشركات الأمريكيَّة أدواراً عديدة عبر الدراسات الخاصَّة والضغوطات المتواصلة على دُول المنطقة لتحويل إيصال النفط إلى ميناء (جيهان) التركي، وكسر احتكار مُوسكُو للغاز والنفط في المنطقة، رغم قلَّة التكاليف بين باكو والميناء الرُّوسي نُوفُوروسيسك على البحر الأسود، ومايزال صابر مراد نيازوف يُقدِّر خطورة وخسارات تحويل الغاز والنفط إلى ميناء جيهان على البحر الأبيض عبر الأراضي الجيورجية والتركية، حتَّى يتمَّ ذلك ضمن تصوُّرات حدَّدتها مُوسكُو بأن شيفاردنادزه لا يستطيع - بأيِّ شكل - اللعب على الحبال، ولا يمكنه القيام بذلك لأسباب عميقة لا تسمح له مُوسكُو بذلك، حتَّى إنَّ رُوسيا ماتزال تُحكِم قبضتها على آسيا الوُسْطَى، وإن شاء حيدر علييف القيام بدور مناهِض لمُوسكُو، ويتمشَّى مُعاكساً لتيَّارها، فإن علاقاته مع أنقرة وواشنطن ستُحدِّد له آفاقاً لا ترضى عنها اللجنة الرُّوسيَّة الخاصَّة لاستثمار بحر قزوين ونفطه والدُّول الخمس فيها:[طاجيكستان - وإيران - وأذربيجان - وكازاخستان - وتركمانستان] في الاتِّفاق المُشترك على استثمار المنطقة دون تدخُّلات خارجية، لا من تركيا، ولا من جُورجيا، إلَّا أن لعبة حيدر علييف واستدعاءه للشركات الأمريكية لاستثمار نفط أذربيجان وبحر قزوين، وليس ذلك فحسب؛ بل وبناء مراكز للاستخبارات الأمريكية يُعدُّ تحدِّياً مُباشراً لمُوسكُو، واعتبرت مُوسكُو أن بحر قزوين ودُوله هي منطقة أمنية روسية ممنوع التصرُّف بها، دون الرجوع إلى مُوسكُو باعتبارها مناطق حدودية وجيو - استراتيجية لها.

ومصالح مُوسكُو لا تتحقَّق - فقط - بنقل الغاز والنفط عبر شركة غاز بروم وأراضيها، بل تعتبرها حديقة خلفية لها، فقد استطاعت إقامة (مركز إقليمي للسيطرة الجوِّيَّة) على منطقة القوقاز وأرمينيا؛ أيْ السيطرة على المجال الجوِّيِّ لمنطقة آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين حتَّى البحر الأسود.

ولعلَّ الاتِّفاقيَّات الجديدة بين مُوسكُو وطهران تعطيها القدرة على السيطرة الفعلية على مجمل المجال الجوي لبحر قزوين من كُلِّ أطرافه بهدف تحويل أنابيب النفط من المنطقة باتِّجاه أراضيها، لضمان وجودها وسيطرتها الإقليمية على أساس استخدام مرافئ إيران الشمالية، بهدف تحضير البديل عن خط (باكو ـ تبليسي ـ جيهان) باتِّجاه الخليج العربي، مع تنامي دور رُوسيا في الشمال، ودور إيران في الجنوب لاستثمار النفط والغاز، فإن الإدارة الأمريكية في عهد كلينتون، أو في عهد جورج بوش الابن، تهتمّ ـ بشكل واسع ـ بتنفيذ الخريطة الجيُوسياسيَّة لآسيا الوُسْطَى، بزيادة الحضور الأمريكي الفعَّال في المنطقة، عبر سلسلة أنشطة سياسيَّة واقتصاديَّة لتنشيط حضورها بشكل لم يسبق له مثيل على المدى القريب والبعيد، فهي تدعم دور تركيا باعتبارها تُمثِّل الجناح الشرقي الجنوبي (الحلف الناتو)؛ لأجل تحجيم الدور الإيراني والرُّوسي على السواء، بعد استمرار استثمارها الحظر الاقتصادي عليها لمُدَّة خمس سنوات قادمة حتَّى عام **2005**.

أ- الاستراتيجية الجديدة لواشنطن في بحر قزوين:

أحد أهمّ أسباب التدخُّل الأمريكي في أفغانستان نهاية عام **2001** بأُولى حُرُوب القرن الجديد؛ ظهور ملامح جديدة للاستراتيجية الأمريكية، وإعادة رسم الخرائط البولوتيكية في آسيا الوُسْطَى، من خلال التأثير المستمرّ على الرئيس الأذري حيدر علييف، وأهدافه العميقة في استبعاد إيران من المعادلة لصالح التعاون (الرُّوسي، الأذري، التركي، الإسرائيلي، الأمريكي)، وهذا ما أُعلن عنه صراحة في / **5**/ **8**/ **2001**، وعلى أنَّ كازاخستان وتركمانستان وأذربيجان لا يمكنهم الابتعاد عن مُوسكُو في رؤيتها الاستراتيجية، وخاصَّة بعد تهديد رُوسيا المُباشر لرؤساء الدُّول بإعادتهم إلى بيت الطاعة الرُّوسيَّة بالقُوَّة العسكرية، بينما انتقد علييف الموقف الرُّوسي والإيراني، الذي يرتكز على اتِّفاقيَّات سابقة مع الكرملين أيَّام الحُكْم الشيوعي من عام **1921** حتَّى عام **1949**، بتقاسم خيرات بحر قزوين بين دُوله فقط.

ولُوحِظَ أنَّ الولايات المُتَّحدة وتركيا دعمتا الموقف الذي أعلن عنه حيدر علييف، بينما عملت إيران على التفاهم مع تركمانستان بالبقاء على سياسة الحياد[1]، بينما كانت كازاخستان تجد في مُوسكُو ضالَّتها، ورغم أنَّ علاقات تلك الدُّول بتركيا ـ وخاصَّة مع تركمانستان ـ تصاعدت، وتأثُّر الدور

---

(1) الاتِّحاد / **14**/ **10**/ **2001**، خلافات أذربيجان ـ وإيران.

الإقليمي لتركيا، بدعم من (إسرائيل)، التي تجد نفسها مَعْنِيَّة في آسيا الوُسْطَى باقتسام الثروات، والتشديد على إبقاء الخلافات بين الدُّول تلك ومُوسكُو بأيٍّ شكل كان، بعد تعاظم أهمِّيَّة بحر قزوين، حينها دلَّلت الدراسات الفنِّيَّة على وجود احتياط نفط ضخم يُقدَّر بـ 250 مليار برميل؛ أيْ 16٪ من الاحتياطي العالمي، ما يعني أنَّ الاستراتيجيات الدخيلة ترسم خرائطها، وتمدّ خيوطها للسيطرة على المنطقة؛ خاصَّة إذا ما تمَّ التأكُّد من دراسات شركة (أكسون الأمريكيَّة) بأنَّه سيتمُّ استثمار 6 ملايين برميل يومياً خلال السنوات القادمة، وعلى أنَّه سيتمُّ استثمار مبالغ خيالية تُقدَّر بين 300 مليار إلى 500 مليار دولار من قبل الشركات النفطية الأمريكيَّة وحدها، على اعتبار أنَّ تقديرات وزارة الطاقة الأمريكيَّة أنَّه تمَّ اكتشاف 163 مليار برميل من النفط، و337 تريليون قَدَم مُكعَّب من الغاز الطبيعي، أمَّا الكونسورسيوم الأوروبي؛ فقد اكتُشف هُو الآخر في كازاخستان أيَّار/ مايو 2000م (بحراً) من النفط، يُقدَّر بـ 50 مليار برميل، وإضافة لذلك؛ تمَّ اكتشاف مناجم الألماس، والذهب، وبالأخصِّ؛ في كازاخستان؛ حيثُ تمَّ الكَشْف عن جبال الذهب 10 آلاف طن، واعتُبر ثاني أكبر احتياطي للذهب في العالم كُلِّه، أمَّا إدارة جورج بوش الابن؛ فسعت لإدارة الملفِّ الجديد لآسيا الوُسْطَى، وَتَلَقَّتْهَا من إدارة بل كلينتون السابقة؛ بهدف تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في بحر قزوين، على أساس ما اكتشفته وزارة الطاقة الأمريكيَّة، وما نبَّهت له دراسات الشركات النفطية الأمريكيَّة هُنالك، باعتباره مُهمَّاً جدَّاً، والسعي لتجاوز حقبة كلينتون الفاشلة، التي أدت إلى تركُّز النُّفُوذ (الفرنسي ـ والرُّوسي ـ والماليزي المُشترك) في إيران والمنطقة، بعد إصدار قانون (دماتو)، وبعد دخول اليابان وإسبانيا على خطوط الاستثمارات الجديدة للنفط والغاز، وربحت شركة (توتال) الفرنسية ما خسرته الشركات الأمريكيَّة، ونجحت اليابان في الفوز بعقود للتنقيب عن الغاز والنفط في حقول (آزاد)، وكانت مُستفيدة من غياب الشركات الأمريكية عن إيران والمنطقة، بكُلِّ تأكيد.

ومع زيادة الاهتمام الأمريكي بآسيا الوُسْطَى ـ حسب توصيات الدراسات والبحوث للمُؤسَّسات العلمية والجيولوجية والسِّياسيَّة الأمريكيَّة ـ فإنَّها قدَّرت ـ بشكل مُفاجئ وسريع ـ أهمِّيَّة بحر قزوين كمنطقة حيوية للمصالح الأمريكية بعد الخليج العربي[1]، وخاصَّة ما أورده كُلٌّ من

---

(1) ملامح جديدة للتوجُّه الأميركي في آسيا الوُسْطَى، صحيفة الخليج (6/ 9/ 2001) د. مصطفى اللبَّاد، كذلك أعلن البنك الدولي للإنشاء والتعمير يوم 20/ 11/ 2001 في مُوسكُو أنَّ الحرب في أفغانستان تُمَثِّل تحدِّياً كبيراً بالنسبة

معهد (كاتو) ومعهد (كارينجي أندومنت) للسلام الدولي من انتقادات لاذعة لمُحاولات بناء خطٍّ أنابيب (باكو ـ تبليسي ـ جيهان) لنقل نفط بحر قزوين؛ لأنَّه مُكلِف جدّاً، دون البحث عن البدائل المناسبة، ويبدو أنَّ إدارة البيت الأبيض مع بداية عام 2001 شعرت بأهمِّيَّة أنْ يكون لها استراتيجية جديدة في بحر قزوين؛ تعتمد على نظرية المؤامرة وسياسة المحاور، بهدف إشعار الآخرين بتوجُّهاتها الجديدة في منطقة آسيا الوُسْطَى، وكانت اعتداءاتها على أفغانستان، وترتيب عمليات 11/ 9/ 2001م مع المُنظَّمات المتطرِّفة الأمريكيَّة والصهيونية العالمية، وحركات إسلامية مُتطرِّفة "تناغم قوى الإرهاب"، مُبرِّراً متزايداً لتأكيد تلك التوجُّهات على الصُّعد السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنية، بهدف بذل الجهود المتزايدة لحَثِّ الشركات الأمريكيَّة على الدخول بقوة ودون خوف أو تردُّد في حلبة الصراع على النُّفُوذ بين الشركات الأجنبية الأُخْرَى، لما تجنيه شركات النفط الأمريكيَّة من فوائد على الاقتصاد الأميركي، وتحسين طُرُق المواصلات والاتِّصالات مع آسيا الوُسْطَى، والوقوف بوجه فرنسا واليابان وألمانيا، وتزايد أنشطتهم غير العادية في تلك المنطقة.

لذلك؛ لابُدَّ من تحديد النقاط التالية حول ذلك:

1 ـ تسعى الإدارة الأمريكيَّة للاستفادة من الدور التركي لكي يتوسَّع (حلف الناتو) باتِّجاه أذربيجان؛ بهدف تطوير الدور الأوروبي الاقتصادي ـ والعسكري في منطقة حيوية مثل بحر قزوين.

2 ـ محاصرة إيران لفترة أطول؛ كي تتمكَّن واشنطن من تحقيق أهدافها وخططها عبر أنقرة وباكو، وتقييم دورها باستمرار، وتوجيه الدعاية الإعلامية بأنَّها تُشجِّع الارهاب.

3 ـ محاصرة الاستراتيجية الرُّوسيَّة الهادفة إلى مَدِّ خطوط أنابيب طولها 1580 كم، انتهى منها النصف، ويربط بين حقول النفط (الكازاخية) وبين ميناء نوفوسيسك على البحر الأسود، وتنتقل إلى أوروبا، وتسعى لمحاصرة الدور الرُّوسي على مضيق البوسفور باتِّجاه البحر الأبيض المتوسط.

لطاجيكستان أفقر دُول آسيا الوُسْطَى، وفي تقريره السنوي عن التحوُّلات الحاصلة في آسيا الوُسْطَى " الجُمهُوريات السوفييتية السابقة" ودُول أوروبا الشرقية (المعسكر الشرقي السابق) قال البنك: إنَّه يتعيَّن على كازاخستان التي تقوم بإصلاحات لمكافحة الفساد في قطاعها الجمركي، والتخفيض من آثار الروتين والبيروقراطية، والسعي مع أوزبكستان لتحرير أسواقها المالية، والاتِّفاق مع صندوق النقد الدولي بعد التوتُّر الذي حصل في أفغانستان / المستقبل / 21/ 11/ 2001.

4ـ الضغط الأميركي على الرئيس الكازاخستاني (نور سلطان نزاربايف) آذار/ مارس 2001 من أجل الانضمام إلى خطٍّ باكو جيهان، بإقناعه بأنَّ دبلوماسية الطاقة وجدواها في بحر قزوين أخذت الأهمِّيَّة الكبيرة في الإدارة الأمريكيَّة واستراتيجيتها، ونجاح بعض الشركات الأمريكيَّة للاتِّصالات الدّوليَّة في استثمار الأموال كشركة (أي تي تي) بقيمة 100 مليون دولار.

ب- آفاق الصراع بين الدُّول الخمس في بحر قزوين:

كازخستان وأهمِّيَّتها الاستراتيجية لوجود المخزون النووي الاستراتيجي السوفييتي فيها[1].

ـ تمَّ تحرير اقتصادها، وهي أهمُّ دولة لما يوجد فيها من احتياطات نفط عالمية.

ـ **كازاخستان** وعاصمتها ـ (ألما آتا) نور سلطان نزار بايف (تعادل مساحتها مساحة أوروبا الغربية) سُكَّانها 5.300.000 نسمة.

ـ **اوزبكستان** وإسلام كريموف، نظام ديكتاتوري لقَمْع الحركات الإسلامية دون رحمة (طشقند) سُكَّانها 9.200.000 نسمة.

ـ **قرغيزستان** ـ عسكر أكاييف أُعيد انتخابه دُستُورياً، وصفت مُنظَّمة التعاون والأمن الأوروبية الانتخابات بأنَّها مهزلة، سُكَّانها 1.445.000 نسمة.

ـ **تركمانستان** صابر مُراد نيازوف / منحه البرلمان الرئاسة مدى الحياة "زعيم التركمان الأوحد"، سُكَّانها 1.525.000 نسمة.

ـ **طاجيكستان** ـ شهدت تغييرات بعد الحرب الأهلية، قُتل فيها عشرة آلاف بين 1992- 1997، سُكَّانها 7.155.000 نسمة[2].

ـ **شفروك اوزي مرادوف**: زعيم المعارضة الإسلامية الأوزبكية، قُتل أثناء اعتقاله من رجال الشرطة في الفترة بين 1999ـ2000م، ودخل ثُوَّار الحركة الإسلامية أوزبكستان وقيرغيزستان من طاجيكستان، وقتلوا عشرات الجنود، بعد الدَّعْم الذي قدَّمَتْهُ حركة طالبان لهم، وهدفهم كان إقامة

---

(1) سيَّار الجميل، التكوينات التَّاريخيَّة لآسيا الوُسْطَى، المستقبل العربي 181/ 1994/ ص39.

(2) د.نازلي مُعوَّض أحمد/ نظرة سوفيتية جديدة للصراع/ ص39/ م. الفكر الاستراتيجي العربي/ العدد25/ تمُّوز/ يوليو 1988.

دولة إسلامية مُعادية لأنشطة الولايات المُتَّحدة، التي توغَّلت كثيراً في تهديد أنشطة زعماء تلك الدُّول، الأمر الذي شجَّع الأُصُولية الإسلامية إلى النُّمُوِّ أكثر في تلك المناطق.

لعب زعماء تلك الدُّول دوراً مُهمّاً في القضاء على حركة طالبان، بالتعاون مع وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد.

- **خارطة جديدة واستقطابات:** أصبحت آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين موضع اهتمام كبير من قبل الاستراتيجيات العالمية، فتعدَّدت المصالح المتصارعة بين مصالح (رُوسيا وإيران) (وتركيا و(إسرائيل) وواشنطن)[1].

1 - **توتُّر العلاقات الإيرانية - الأذرية:** إجبار البَحْرِيَّة الإيرانية سفينتَيْن للتنقيب عن النفط في بحر قزوين تعملان لحساب أذربيجان بإيقاف أعمالها نهائياً، وتمَّ إرسال رسالة احتجاج لطهران مُؤكِّدة (باكو) أنَّ التشريعات الدّوليَّة لصالح أذربيجان، وتسمح لها بالتنقيب دون استشارة الدُّول الأُخْرَى.

2 - احتجاج طهران على دور باكو في توقيع عُقُود مع شركات أجنبية لاستغلال نفط بحر قزوين في مناطق مُتنازَع عليها من بحر قزوين، وتمَّ تبادل الاتِّهامات حول اختراق كُلّ منهما الأجواء، أو المياه الإقليمية في بحر قزوين.

3 - تصاعد اللهجة العسكرية بين الطرفيَنْ، وأكَّد مسؤول إيراني: «أنَّ بلاده عازمة على الدفاع عن مصالحها عسكرياً في بحر قزوين إذا استدعى الأمر ذلك» وهذا ما يُفسِّر التعاون الإيراني - الرُّوسي العسكري ضدَّ حيدر علييف، وتطوُّر علاقاته مع أنقرة، وتأييد واشنطن لتحركاته.

4 - تركيا على المستوى الإقليمي - والدولي دفعت أذربيجان للقيام بتصعيد الموقف، إلَّا أنَّ جهوداً دولية ودبلوماسية خفَّفت من حدَّة الصراع بينهما.

5 - أرسلت طهران إلى باكو وفداً رفيع المستوى للتباحث حول المسألة للتخفيف من حدَّة التوتُّر، كمبادرة حسن نوايا، وأرسلت باكو - أيضاً - وفداً رفيع المستوى بهذا الشأن، خشيةً من إيران

---

(1) مقاييس المخاطر السِّياسيَّة في الأزمة العالمة والتحوُّلات السِّياسيَّة ومستقبل أنظمة الحُكْم / خلدون حسن النقيب/ م المستقبل العربي / 253/ 3/ 2000م/ ص11-12/ .

وتوريطها في حرب إقليمية مُتعدِّدة الجبهات ـ إلَّا أنَّها لم تعترف (إيران) بقانونية صفقات حيدر علييف مع الشركات الأجنبية، لأنَّها مخالفة لاتِّفاقيَّات سابقة ـ وتسعى جدِّيّاً لمحاصرته.

6 ـ أمين مجلس الأمن القومي في إيران: حسن روحاني التقى في باكو مع المسؤولين على رأس وفد رفيع للتباحث حول:

" قضية النزاع في بحر قزوين، والأوضاع الأمنية في آسيا الوُسْطَى وأفغانستان".

7ـ تعزيز التعاون الثُّنائي والإقليمي ـ وعرض إيران ـ لحُكُومة باكو بإيقاف أنشطة الشركات الأجنبية التي تُنقِّب عن النفط في مناطق تتنازعان عليها في بحر قزوين، مقابل التعاون المُشترك.

8 ـ التخفيف من حدَّة التوتُّر والصراع المفتوح حول المصالح الاستراتيجيات الأصيلة ـ والدخيلة.

9ـ الخلاف على المناطق الجنوبية لبحر قزوين، وتعتقد إيران أنَّها تابعة لها، وهي مليئة فعلاً بكمِّيَّات كبيرة جدَّاً من احتياطي النفط.

10ـ يتركَّز الخلاف حول كيفية اقتسام خيرات بحر قزوين النفطية، وهل اعتباره بحيرة مُغلقة، أم لكُلِّ دولة مصلحتها باستغلال مياهها الإقليمية فيه؟! وتباينت المواقف:

1 ـ **رأي أذربيجان:** بحسب قانون البحار، فإنَّ بحر قزوين يُعدُّ بحراً يسري عليه القانون الدولي، وإنَّ لكُلِّ دولة مُطلَّة عليه مصلحة إقليمية يعمل بها حسب قانون البحار المنصوص عليه بالقانون الدولي.

هذا الرأي تدعمه واشنطن ـ وأنقرة، كي لا يتجاوز نصيب إيران 11٪ من الحجم الإجمالي من ثروة ذلك البحر، وعلى أنْ تحصل كل من كازاخستان وأذربيجان على 30٪.

2 ـ **الرأي الإيراني:** إنَّ بحر قزوين كتلة واحدة، لا يمكن تقسيمه إلى أقسام وقطاعات مُتعدِّدة للدُّول المُطلَّة عليه، وينصبُّ اقتراح إيران بأنْ تعمل كُلُّ الدُّول على استغلاله بشكل مُتساوٍ 20٪؛ إذْ تنحصر عائدات هذا البحر المغلق للدول الخمس دون غيرها.

3 ـ الرإي الرُّوسي: تُركِّز رُوسيا على الأمن الإقليمي ـ والاستراتيجي لبحر قزوين، وهي ملتزمة بالمعاهدات والاتِّفاقيّات الموقَّعة سابقاً، وتعدُّ المنطقة أمنية واستراتيجية بالنسبة لها؛ إذْ تعدُّ آسيا الوُسْطَى ذات أهمِّيَّة استراتيجية لروسيا وحديقة خلفية بكُلِّ المقاييس؛ لأنَّها حلقة وصل على مناطق حيوية في العالم: منطقة أوروبا عبر البوَّابة التركية ـ منطقة الخليج العربي[1] عبر إيران ـ منطقة آسيا وجنوب شرق آسيا عبر الصِّين وكازخستان، إضافة لأهمِّيَّة منطقة أفغانستان بالنسبة للمحيط الهادي، وقربها من باكستان والهند، وأيُّ تدهور للأوضاع يُؤثِّر ـ بشدَّة ـ في أوضاعها الأمنية الجيو استراتيجية.

4 ـ تقاطع المصالح: تتعاظم التناقضات بين مصالح دُول المنطقة على اعتبار أنَّ آسيا الوُسْطَى صارت في العقد الماضي منطقة استثمارات عالمية، ومصالح حيوية لُمختلف الاستراتيجيات العالمية؛ إذْ بعد تقاطع المصالح شهدت عمليات تجاذب بين الدُّول لاستثمار الغاز والنفط أو استثمار أنابيب النفط، أو التركيز على البُعْد الجيوسياسي للمنطقة، والصراع على مُثلَّث الموارد والمعادن الثمينة.

أمَّا مُساعد وزير الخارجية الأمريكيَّة للشؤون الاقتصاديَّة (ستيوارك أيزنستات)؛ فذكر أهمِّيَّة آسيا الوُسْطَى بالنسبة للاستراتيجية الأمريكيَّة الجديدة من استمرار الزيارات "السِّرِّيَّة والعلنية" لعواصم دُول آسيا الوُسْطَى، وشراء الأراضي، والتحضير لبناء شركات عالمية عليها، والتصوُّرات الأمريكيَّة تُحضِّر سيناريوهات عديدة لأجل الهيمنة على آسيا الوُسْطَى، واستبعاد كُلِّ ما يتعلَّق بالإسلام عنها، كدوافع سياسيَّة واقتصاديَّة وأمنية لأجل السيطرة الشاملة على القوقاز وبحر قزوين، وتعدُّ واشنطنُ تركيا وأذربيجانَ المدخل المُهمَّ الاقتصادي على أقلِّ تقدير لتحقيق أهدافها المُتعلِّقة بالبُعْد الجيوبولتيكي ـ الاستراتيجي.

لذلك؛ فإنَّ وجود الشركات الأمريكيَّة المُكثَّف في المنطقة لاستخراج النفط من بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى؛ سيكون له أهمِّيَّة اقتصاديَّة وسياسيَّة، قُدِّر لها أنْ تكون من المناطق الحيوية في آسيا والعالم، إلَّا أن الصعوبات الاقتصاديَّة التي تواجهها الشُّعُوب والدُّول في المنطقة؛ تتأتَّى من التَّنبُّه الدائم لاستنزاف خيراتها، دون بناء البنية الاقتصاديَّة الكفيلة بتطوير أوضاع المنطقة اقتصادياً وتكنولوجياً، وهذا ما تشير إليه الإرادات الحُرَّة بتحذير الشركات الأجنبية من مغبَّة القيام بأيِّ أعمال

---

(1) إسماعيل صبري مُقلّد/ العلاقات الأمريكيَّة ـ السوفيتية / مشكلات الأمن والتسلُّح (ذات السلاسل / الكويت/ 1987، ص164).

استثمارية لخيرات المنطقة، وبالأخصّ؛ لنفط بحر قزوين، دون وجود اتِّفاق شامل بين الدُّول الخمس ورُوسيا، ولهذا السبب؛ فإنَّ وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي أكَّد: «أنَّه لا يمكن لأيِّ دُول القيام بذلك ـ وخاصَّة أذربيجان ـ دون وجود اتِّفاقيَّات مُشتركة حول استثمار نفط بحر قزوين بين الدُّول الخمس ورُوسيا، وفقاً للقانون الدولي ».[1]

ج- الزيارات الإسرائيلية إلى تركيا وآسيا الوُسْطَى:

طالبت الشُّعُوب والدُّول العَرَبيَّة عامَّة، والشعب التركي خاصَّة، بعدم استقبال مجرم الحرب السَّفَّاح أرئيل شارون من قبَل الحُكُومة التركية الذي وصل لأنقرة[2] في وقت طالبت فيه بلجيكا ومحكمتها الدّوليَّة بمُلاحقته، والقبض عليه، إلَّا أنَّ رئيس الحُكُومة الإسرائيلية ما إنْ وصل لحضرة المُؤسَّسة العسكرية التركية، وأجرى لقاءات معها، حتَّى بدأ يُعبِّر عن نواياه في آسيا الوُسْطَى ودور (إسرائيل) واليهود فيها، مُؤكِّداً أنَّ الكيان الصهيوني ساند الجُمهُوريات الرُّوسيَّة في الاتِّحاد الرُّوسي ضدَّ إيران والأصولية الإسلامية، وهُو على الاستعداد الدائم لمساندة تركيا بهذا الخصوص، ومن خلال البوَّابة ـ التركية تتسلَّل (إسرائيل) باتِّجاه آسيا الوُسْطَى، وعبر الشركات الاحتكارية النفطية، وهي تسعى بكُلِّ السُّبُل لإثبات دورها كلاعب أساسي في المنطقة، حتَّى إنَّ أفيغدور ليبرمان قام مع وفد من رجال الأعمال لزيارة أوزبكستان وكازاخستان وقيرغيزستان، على أنْ تتمَّ اتِّفاقيَّات بين حُكُومات تلك البلدان وحُكُومة الإرهابي أرئيل شارون قريباً، ومن الواضح أن اليهود الروس ويهود آسيا الوُسْطَى الذين هاجروا إلى الكيان العُنصُري الصهيوني؛ يدفعون باتِّجاه الاستفادة من الصراع الحاصل بين تلك الدُّول في بحر قزوين ـ وآسيا الوُسْطَى، فإذا كان ليبرمان من المهاجرين الروس يعمل لتوطيد النُّفُوذ الإسرائيلي؛ فإنَّه قد سبقه للبيت الأبيض والكونغرس وفد من اللوبي اليهودي؛ لحَثِّ واشنطن على الاهتمام أكثر فأكثر بيهود آسيا الوُسْطَى، وبمصالح (إسرائيل) الاقتصاديَّة والاستراتيجية فيها، ويدفع بهذا الاتِّجاه العداء المستحكِم بين تركيا وأذربيجان من جهة، وبين إيران من جهة أُخرَى، بعيداً عن المسألة الإسلامية، التي يبدو فيها الصراع على المصالح أقوى

---

(1) د.فوزي درويش، السياسة الدّوليَّة / كانون الثاني/ يناير 2001"ص143 ـ إذْ تتعارض المصالح والثقافات القومية مع مصالح وثقافة العَوْلَمة الأمريكيَّة، تسعى واشنطن لأحدث الوسائل والدعائيات لإخفاء أهدافها الحقيقية والتناقض الصارخ بين السياسة الخارجية وبين مُختلف السياسات الأُخرَى، راجعْ ـ أيضاً ـ حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكيَّة / نعُوم تشومسكي، ت. عمر الأيُّوبي، مُؤسَّسة الأبحاث العَرَبيَّة، 1984/ ، لبنان، ص28/ 29.

(2) في أواخر الشهر التاسع / المستقبل 1/ 11/ 2001م.

من أيِّ اعتبار آخر؛ إذْ تضع إيران في حسبانها عداء الكيان الصهيوني لها، وتضع طهران بجدولها الجيوبوليتكي الدور الأميركي ـ الإسرائيلي المُشترك لتقويض مصالحها. والهدف من زيارة شارون والمسؤولين الإسرائيليين؛ التلميح الدائم على خطورة الجُمهُورية الإسلامية الإيرانية في بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى. وإذا كانت أذربيجان تواصل عداءها لإيران فإنَّها تلجأ إلى تركيا وحلف الناتو و(إسرائيل) لزيادة تفوُّقها وأنشطتها كقُوَّة إقليمية تلقى الدَّعْم والمهادنة الكبيرة من تركيا، ويتمُّ حشد الدعم الإعلامي والدبلوماسي والأمني الإسرائيلي التركي في المنطقة بدعم أميركيٍّ لزيادة الخلافات بين (طهران ـ وباكو) لتصفية الحسابات بين إيران ـ و(إسرائيل)؛ إذْ تستخدم الطائرات الإسرائيلية أراضي تركيا وأذربيجان لطلعات استكشافية وجوِّيَّة على الأراضي الإيرانية والعراقية، فإنَّ الامتيازات التي تحصل عليها حُكُومة شارون بدعم (أميركي ـ تركي ـ أذربيجاني) تُمثِّل (محوراً لحلف أمني ـ وعسكري) خطير ضدَّ ليس إيران فحسب، بل وضدَّ سورية ــ والعراق على السواء، والتحالف [الإيراني والرُّوسي والسوري] في المنطقة له أبعاد استراتيجية ضدَّ التحالف [الإسرائيلي والتركي والأذري]، الذي يُشدِّد من روابط إيران مع الدُّول العَرَبيَّة ورُوسيا ضدَّ (إسرائيل) وحُكُومة شارون، إلَّا أن التردد الرُّوسي تجاه ممارسات حُكُومة شارون، قد يُؤدِّي إلى إبراز مصالح إيران مع تركيا بزيادة المصالح المُشتركة فيما بينهما لمدِّ أنابيب الغاز والنفط من إيران إلى السواحل التركية على البحر الأبيض المُتوسِّط، إضافة لعزمها استيراد الغاز والنفط التركماني والأذري، وكسب عوائد مرور خطوط الغاز والنفط عبر أراضيها(1).

وقد أكَّد صموئيل بيرغر مستشار الأمن القومي في استشارته الخاصَّة على التقرير السِّرِّيِّ الذي أُعدَّ بمجلس الأمن القومي الأميركي، بالتعاون مع وكالة الاستخبارات المركزية، ووزارة الخارجية والموساد الإسرائيلي، بالعمل على توسيع نطاق التعاون الأمني في منطقة بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى، بمُحاولة دفع الكيان الصهيوني واستخباراته لمساندة المصالح الأمريكيَّة الاستراتيجية في تلك المناطق الحيوية، الأمر الذي سيُؤدِّي إلى التعاون المُشترك بين الشركات الأمريكيَّة ــ والصهيونية بتوجيه جهودهما الإقليمية نحو الجُمهُوريات الإسلامية الخمس في بحر قزوين، عدا عن الجُمهُوريات الصغيرة الأُخْرَى، كي يكون (لـ (إسرائيل)) نفوذ متكامل مع النُّفُوذ الأميركي على حَدٍّ

---

(1) في أواخر الشهر التاسع / المستقبل 1/ 11/ 2001م.

سواء، وبهدف أساسي؛ محاصرة إيران اقتصادياً وسياسياً، وفضلاً عن ذلك، منع تسرُّب الأسلحة النووية إليها من كازاخستان، أو من رُوسيا، إضافة للتكنولوجيا الحربية[1].

وتسعى الولايات المُتَّحدة إلى الضغط على جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى، كما ابتزَّت أذربيجان بالضغط عليها للتعاون المستمرّ مع الكيان الصهيوني، كي تضمن واشنطن نفوذها الواسع هُنالك، ويُظهر التقريرُ الأهمِّيَّةَ لتطوير العلاقات المحورية [بين تركيا ـ وأذربيجان ـ و(إسرائيل)]، ولعلَّ حضور حيدر علييف الرئيس الأذري للعرض العسكري في أنقرة الشهر التاسع من عام 2001 إلى جانب خبراء إسرائيليين وأميركيين؛ له دلالاته الاستراتيجية بالنسبة للنفوذ الإسرائيلي في المنطقة، وعمدت تركيا عام 1995 إلى عقد (مؤتمر سنوي للتعاون مع الشركات الإسرائيلية) حضره مُمثِّلون عن أكثر من (135) شركة إسرائيلية وتركية، للسعي المُشترك لإنشاء مشروعات في آسيا الوُسْطَى، وتضمين المشروعات تلك شبكة الري الزراعية الإسرائيلية المتطوِّرة في أوزبكستان، وتوسيع نطاقها كي تشمل الدُّول الخمس بهدف سياسيٍّ واضح تماماً:

1 ـ السعي التركي ـ الإسرائيلي لإبعاد كازاخستان باعتبار أنَّ لديها ترسانة من الأسلحة النووية من العهد السوفيتي السابق، ومنعها من توثيق علاقاتها بأيِّ شكل مع إيران، أو مع المملكة العَرَبيَّة السعودية؛ لأنَّ ذلك يُؤثِّر في مصلحة (إسرائيل) في الشرق الأوسط وقضية فلسطين[2].

2 ـ الاستفادة القصوى من الاستثمارات النفطية الجديدة في آسيا الوُسْطَى، وحماية خطوط النفط باتِّجاه ميناء جيهان.

3 ـ السعي الأميركي ـ الإسرائيلي المُشترك لضَمِّ دُول آسيا الوُسْطَى إلى حلف أمنيٍّ وعسكريٍّ يتزايد من خلاله (النُّفُوذ الإسرائيلي الإقليمي)، وكانت مادلين أولبرايت قد ضغطت على الجُمهُوريات الآسيوية لمحاربة التَّطرُّف الإسلامي، ومنع الاقتراب من إيران، وتشجيع عوامل الانفتاح على (إسرائيل)،

---

(1) صحيفة تشرين 1/ 4/ 1998/ حنان حمد.

(2) غريغوري بونداريفسكي الوجة الحقيقي لأعداء الشُّعُوب الإسلامية / 1985ــ مُوسكُوــ نوفوستني ص171-174-188- جاء في ص22: أنَّ الأوساط الحاكمة الأمريكيَّة تشنُّ حرباً غير معلنة ضدَّ أفغانستان الإسلامية، وتعمل كُلَّ ما بالإمكان لزيادة اشتعال حدَّة العلاقات بين أفغانستان وباكستان، وبين أفغانستان وإيران، وعلى الرغم من ذلك؛ تسعى واشنطن إلى دفع استمرار الحرب الدامية بين إيران والعراق، وتبثُّ التفرقة والشقاق بين البلدان الإسلامية، وكما وجَّه الصليبيون والمستعمرون البرتغاليون حروبهم الاغتصابية ضدَّ شُعُوب المشرق الإسلامي بشعارات الدفاع عن تابوت المسيح، ونشر المسيحية الغربية، تعمل واشنطن لمكافحة ما يُسمَّى بالشيوعية والإسلام!!

ويُظهر كلُّ ذلك الدور الإسرائيلي الذي يستفيد ـ بشكل كامل ـ من التَّوغُّل التركي ـ والأميركي في المنطقة لتحقيق الأهداف البوليتكية ـ الاستراتيجية للكيان العُنْصُري الصهيوني.

لاحظنا كيف حاول رئيس الحُكُومة الإسرائيلية الإرهابي شارون ادِّعاء المشاركة في الحملة الدّوليَّة لمحاربة الإرهاب في أفغانستان، رغم أنَّ معظم الدلائل تؤكِّد على كونه رأساً من رؤوس الإرهاب الدولي، وخاصَّة المُمارَس تجاه الشعب الفلسطيني وأبنائه، في الفترة التي وجَّهت الولايات المُتَّحدة ضرباتها العسكرية للشعب الأفغاني وحركة طالبان نهاية عام 2001م[1].

ولايزال التعاون السياسي والاقتصادي بين دُول آسيا الوُسْطَى فيما وراء القفقاس يأخذ أشكالاً مُتطوِّرة بين دوله والولايات المُتَّحدة. وبالأخصِّ؛ مع تطوُّر شبكات الاتِّصال، التكنولوجية الحديثة، والإنترنت، والاهتمام المتزايد للشركات الأوروبية – والأمريكية بالطاقات الكبيرة الموجودة في تلك المنطقة، عبر مجموعة هائلة من الإشعارات والعلاقات التجارية والزراعية والاستهلاكية، التي حوَّلت اهتمام الشُّعُوب والدُّول هُنالك إلى الاتِّحاد الأوروبي وحلف الناتو، أو للاهتمام أكثر بالنفوذ الأمريكي في المنطقة. ولكنْ؛ ماتزال مصالح الشُّعُوب هُنالك متضاربة مع التطلُّعات الاحتكارية والاستعمارية الجديدة؛ التي لا تجد فيها سوى طُرُقاً جديدة للنهب والسيطرة التي يمارسها نظام العَوْلَمَة الأمريكي، الذي يحاول السيطرة على مُختلف مناطق العالم للاستفادة من خيراتها، وبالأخصِّ؛ النفط، والذهب، والألماس، والغاز، والمعادن، وبالتَّالي؛ مواقفها الجيوبوليتكية المُهمَّة في خريطة الصراع على النُّفُوذ في العالم.

(1) باتريك سيل / مَنْ سينتصر في حرب واشنطن؟/ الحياة اللندنية / العدد 14117/ 9/ 11/ 2001م، ازدراء الرأي العامّ العربي/ والعامل الإسرائيلي؟!

رابعاً: آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط بين مخالب الدُّول الكُبْرَى

[طريق الحرير الأسود]:

1-آسيا الوُسْطَى بين مخالب الدُّول الكُبْرَى:

شهدت منطقة آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين تحوُّلات كبيرة ــ وتاريخ صراع جديد ــ بُعيد انهيار الاتِّحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة؛ حيثُ ظهرت تكتُّلات بولتيكية - استراتيجية في إطار مُنظَّمات إقليمية مُتعدِّدة المرامي والأهداف، عداك عن تضارب المصالح فيما بينها. وستلعب (إسرائيل) ــ بمساندة تركيا - الدور الأهمَّ في عملية الاستقطابات، وإذا استطاعات الحركة الصهيونية العالمية من التأثير المُباشر في غورباتشوف وشيفاردنادزه وحيدر علييف - بُعيد (إعلان الغلاسنوست) ــ فإنَّ هؤلاء تمَّ السيطرة عليهم بالإغراء تارة، وبدعمهم للوُصُول إلى مناصب عالية في جُورجيا ــ وأذربيجان، أمَّا غورباتشوف الساحر - كما وصفته وسائل الإعلام الأمريكيَّة -؛ فلم يكتفِ بالزيارات المُتكرِّرة لتلِّ أبيب والقُدْس وحائط المبكى، بل وتُقدِّره واشنطن، وتدعمه بقُوَّة، باعتباره شخصية مُهمَّة في حصان طروادة الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا، أمَّا السحر؛ فانقلب على الساحر، وعلى اعتبار أنَّ موقع آسيا الوُسْطَى الجيوبوليتكي - الاستراتيجي يُمثِّل مكانة مُهمَّة جدّاً في السياسات العالمية؛ التي لها مصالح أكيدة فيها، سنجد أنَّ اتِّفاقيَّات ومعاهدات سابقة بين رُوسيا وإيران والدُّول الخمس في بحر قزوين المتنازع عليها، تبدو أنَّها غير صالحة للعصر الحالي (عصر العَوْلَمَة الأميركي - الصهيوني)، وبالضبط؛ فإنَّنا نجد بين دُول بحر قزوين اتِّفاقيَّات تدخل فيها بشكل مُباشر إيران - ورُوسيا، إضافة لاتِّفاقيَّة منظَّمة التعاون الاقتصادي (إيكو) التي يوجد فيها (باكستان) وتركيا؛ أيْ (6+2) بدخول رُوسيا وأميركا على أجواء الاتِّفاقيَّة، لتحقيق التوازن في المصالح الإقليمية، إضافة لمجموعة (دُول شنغهاي) التي تضمُّ الصِّين ورُوسيا وقيرغيزستان وكازاخستان وطاجيكستان كمنظومة لها دورها الإقليمي، إضافة لكُلِّ تلك المجموعات هُنالك مجموعة (Guam) كتحالف رباعي يضمُّ أرمينيا، وأوزبكستان، ومولدوفيا، وجورجيا، لكنْ؛ اعتبرت مُوسكُو (مجموعة غوام) معادية لمصالح رُوسيا؛ لأنَّ الولايات المُتَّحدة و(إسرائيل) تساندانها بقُوَّة، على أساس تشكيل تحالف إقليمي بعيداً عن رُوسيا وإيران إلى حدٍّ ما؛ إذْ يعتقد الجنرالات الروس أن الخطر الأكبر يأتي من هذه المجموعة، وليس من الصِّين، أو من إيران، أو من الحركات

الإسـلامية الراديكاليـة[1]. لقـد جـذبت المنطقـة الاحتكـارات فـوق القوميـة الإنكليزيـة والألمانيـة والأمريكيَّة، أواخر القرن التاسع عشر، وخلال الحرب العالمية الأولى والثانية كان لكبار الجيولوجيين والمستثمرين وشركاتهم الدّوليَّة العملاقة من مثل (روتشيلد وروكفلر) الاهتمام الكبير جدّاً في منطقـة قزوين، حتَّى إنَّ تشرشل زار أذربيجـان وباكـستان وأفغانـستان، وأثنـى عـلى أنـشطة الاحتكـارات البريطانية في المنطقة بعد انتصاره على هتلر[2]، واهتمَّ الروس أيضاً في عهد الإمبراطوريات الرُّوسـيَّة، إضافة للثورة البلشفية التي كان لها الاهتمامات العُظْمَى بالمناطق الإسلامية في آسيا الوُسْطَى وبمنطقة القفقاس، لمحاربة الجماعات الاسلامية، عدا عن الاهتمام الفارسي والتركي بها عبر التـاريخ الحـديث، أمَّا الدُّول الناطقة بالفارسية(إيـران ـ أفغانـستان ـ طاجيكـستان)؛ فترتـبط بعامـل اللُّغـة، والـدين، والعادات، والثقافة، كثيراً.

وقاد انتصار الأفغان على القُوَّات السوفيتية والرُّوسيَّة فيما بعد عام (1989) إلى نـشر الـدعوة الإسلامية بطابعها الراديكالي، بدعم من واشنطن والـ(CIA) في أفغانـستان والشيـشان وأذربيجـان، وعلى امتداد آسيا الوُسْطَى حتَّى غرب الصِّين، والتي هدفت إلى إحياء الثقافة والتراث الديني بـشكل متعصِّب، وفي تشكيل حركات سياسيَّة مسلَّحة:

1 ـ الحركة الإسلامية الأوزبكية في أوزبكستان.

2 ـ الحزب الإسلامي، وحزب التحرير، وحزب النهضة الإسلامية في طاجيكستان.

3 ـ الحركة الإسلامية في الشيشان وداغستان وشركيسيا "مايكوب" "والادغية".

4 ـ حركة طالبان ومُنظَّمة القاعدة في أفغانستان.

5 ـ حزب الله والرفاه الإسلامي في تركيا.

6 ـ الحركة الإسلامية في غرب الصِّين.

(1) د.فوزي درويش السياسة الدّوليَّة / كانون الثاني/ يناير 2001- ص255.

(2) انظر بهذا الصدد/ الوجه الحقيقي لأعداء الشُّعُوب الإسـلامية، مـصدر سـابق،/ ص129/ 128/ 127/ أعلـن رجال الدين الإسلامي الجهاد ضدَّ المستعمرين البريطانيين وعملائهـم، وفي أواخـر عـام 1842، هـرب شـاهبور مـن كابول، وعاد الأمير دوست مُحمَّد إلى العاصمة الأفغانية، ومآثر الوطنيين الأفغان لا تُمحى في التقاليـد الـشعبية لمُـسلمي أفغانستان، وفي عام 1878، اعتدى الجيش البريطاني على كابول، وتآمر مع يعقوب خان على أبيه الأمير شير عـلي خـان عام 1879، وفقدت البلاد استقلالها، وسعى الجنرال مُحمَّد خان ورجال الدين للجهاد ضدَّ المستعمر.

واعتبرت الحركات الإسلامية الهوية الثّقافيّة والوطنية لها الإسلام باستخدامه كأداة للتحرُّر السياسي والاقتصادي والروحي، واستخدمت السلاح ضدَّ النظام الشيوعي في الاتّحاد السوفييتي، وبعد تفكُّكه؛ استقلّت الدُّول، وتشكّلت خريطة سياسيّة جديدة، وتاريخ جديد للمنطقة، ظهرت فيها (6) دُول مستقلّة عن مُوسكُو سُمِّيت رابطة الدُّول المُستقلّة؛ وهي: أوزبكستان، وكازاخستان، وأذربيجان، وطاجيكستان، وقيرغيزستان، وتركمانستان، علماً أنَّ الروس ينتشرون مُنْذُ زمن بعيد بشكل واسع بين السُّكّان في هذه الجُمهُوريات، ويشكّلون كتلة بشرية لا يُستهان بها من 20٪ إلى 35٪، ولديهم النُّفُوذ والخبرة الكبيرتان في المنطقة، ويعدُّ انقسام الدُّول واستقلالها وتعاونها الإقليمي - والدولي مدعوماً من الولايات المُتّحدة في برنامج ما يُسمَّى (من أجل السلام) انتقالها الصريح للنظام الليبرالي، رغم حرص بعض الزعماء كرئيس تركمانستان الالتزام بسياسة الحياد، وعدم إدخال القواعد العسكرية لبلاده، أو الأحلاف ذات القُطب الأحادي المُهيمن على العلاقات الإقليمية والدّوليّة؛ حيثُ عملت واشنطن - بقُوَّة - على تعزيز وجودها السياسي والاقتصادي والاستخباراتي عبر أذربيجان، بتشجيع المؤسَّسات والشركات الاحتكارية في بحر قزوين لكسب مناطق نفوذ جديدة، وقد وقَّعت وزارة الطاقة الأمريكيّة ووزارة العُلُوم الكازاخية وأكاديمية علوم كازاخستان قبل ثلاثة أعوام اتّفاقيّة استخدام طائرات أمريكيّة (p-3 أوريون المُخصَّصة للتجسُّس)، والتابعة للبحرية الأمريكيّة، بهدف التخطيط لتطوير الزراعة واستصلاح الأراضي، واكتشاف آبار الغاز والنفط، وشقِّ طرق المواصلات، والمسح الطبوغرافي، والكشف عن المعادن الثمينة كالذهب والألماس، ولمَّا كانت اهتمامات إدارة بل كلينتون تنصبُّ على استراتيجية واضحة بالسيطرة على آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين؛ فإنَّ إدارة كلينتون دفعت باتّجاه تقليص النُّفُوذ الرُّوسي - والتأثير الإيراني في المنطقة، وتبنَّت - بالوقت نفسه - بناء خط أنابيب النفط حتَّى ميناء (جيهان) التركي، لضمان وجودها الاستراتيجي والإقليمي، وكانت المُؤسَّسات البحثية الأمريكيّة المُتخصِّصة تُركِّز على أهمِّيَّة دور الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، باعتبارها مركزاً حيوياً للمصالح الأمريكيّة، وتمَّ بناء مركزَيْن للبحث الاستراتيجي في واشنطن (معهد كارينجي إندومنت للسلام الدولي، ومعهد كاتو) اللَّذَيْن انتقدا - بشدَّة - الجدوى الاقتصاديّة لخطِّ أنابيب النفط بين (باكو - تبليسي - جيهان)، الذي تبنَّته إدارة بل كلينتون، ونصحا إدارة بوش الثاني بأنْ تُركِّز جهودها باتّجاه آخر، بتشجيع الخصخصة في الدُّول الخمس المُطلّة على بحر قزوين، دون أنْ يكون هُنالك تناقضات في السياسة الأمريكيّة.

ورغم أنَّ بوش الثاني ـ ونائبه تشيني[1] لهما علاقات واسعة جدّاً مع الكارتلات النفطية الأمريكيّة، ويمثّلان المصالح العليا للشركات الاحتكارية النفطية العملاقة، فإنَّ إدارة بوش الثاني ـ بعكس إدارة كلينتون ـ تحاول انتهاج استراتيجية جديدة بإعادة ترتيب أولويّات السياسة الخارجية، لتحسين فرص الاستثمار الأمريكي في بحر قزوين، للحصول على الأرباح وعوائد النفط من هذه المنطقة بأسرع ما يمكن.

2- حلف الناتو وأوراسيا – خافيير سولانا يعلنها صراحة:

على اعتبار أنَّ الولايات المتَّحدة ـ وفقاً للخطط الاستراتيجية لمراكز الأبحاث الاستراتيجية فيها، وبالأخصّ؛ في وزارة الدفاع والخارجية ـ تسعى للهيمنة على مصادر الطاقة في آسيا الوُسْطَى والعالم، لدعم دورها في الاقتصاد العالمي، لاسيما أنَّ النفط والغاز لا توجد بدائل عنهما للحضارة الصناعية الغربية حتَّى الآن، ورغم أنَّ حوض بحر قزوين يحتوي على كَمٍّ هائل من الخيرات، فإنَّ دُوله تدفع باتِّجاه تطوير علاقاتها مع بعضها البعض، لاستغلال تلك الخيرات فيما بينها، رغم تعدُّد آرائها، بهدف تحسين وضعها الاقتصادي والتجاري، ونيل قسط أوفر من الأرباح، وتطوير الاتِّصالات وشبكة المصالح الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، وفضلاً[2] عن ذلك؛ إدخال التكنولوجيا العصرية إلى بلادها. وبتحسين دورها في العلاقات الاقتصاديَّة الدّوليَّة، بعد خروجها من القبضة السوفيتية، وتعزيز دورها، يجري ضمن معايير تتحدَّد من خلال موقعها الجيو ــ سياسي المُهمّ في الخريطة العالمية، وبالأخصّ؛ وجود احتياطي عالمي ضخم من النفط والغاز والمعادن الثمينة والموادّ المُشعَّة، التي من النادر الحديث عنها.

---

(1) ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي جورج بوش الثاني، كان نائباً لرئيس ومدير تنفيذي لشركة (هاليبرتون) العملاقة، التي تعمل في مجال الاستثمارات النفطية والغاز، وتتجاوز ميزانيتها (10) مليارات دولار، وكان لأرمتياج ـ ولايزال ـ دور مُهمّ في ملفِّ بحر قزوين، وقُربه من وزير الخارجية السابق كولن باول، وعملا سوية مع وزير الدفاع الأميركي كاسبار واينبرغر، وعمل أرمتياج مُساعداً للسناتور (بوب دُول) وسكرتيراً لوزارة الدفاع لشؤون الأمن الدولي، ومعظم طاقم كولن باول ، كانو إمَّا سفراء، أو خبراء، أو عسكريين في آسيا، أو آسيا الوُسْطَى، ومهمَّتهم تنظيم وإدارة المصالح الأمريكيَّة هُنالك، انظر بهذا الصدد صحيفة الخليج 16/ 9/ 2001 ملامح التوجُّه الأميركي الجديد في آسيا الوُسْطَى!.وقد ينصح تشيني الرئيس الأميركي الحالي بكسر الحصار عن إيران لإعادة الاعتبار لدور إيران جديد في بحر قزوين!.

(2) انظر مجلَّة المستقبل العربي / سالم النجفي / 238-12/ 1998/ ص17-18- العَوْلَمة الاقتصاديَّة (globali zation Economic) العَوْلَمة الأمريكيَّة هي نتيجة التكنولوجيا المُتقدِّمة، والتسارع باستخدام نتائج العلم الحديث، انظر أيضاً توفيق المدني / مجلَّة فتح/ العدد501/ ص30 ← أيضاً ص26/ .

ويُلاحَظ في الفترة الأخيرة تطوُّر مفاهيم جديدة للأمن الاستراتيجي في المنطقة المُمتدَّة بين أوروبا ـ وآسيا الوُسْطَى (أوراسيا) وبين الدُّول المُهتمَّة بالمنطقة، أو بين الدُّول الموجودة فيها، أو المحيطة بها، ولكنَّ بعض تلك الدُّول لها مصلحة باستثمار خيراتها ضمن رُؤيتها الخاصَّة، ويظهر ذلك في الاستراتيجية التركية الطورانية التي يُؤيِّدها (حلف الناتو)، وهي رؤية جديدة تماماً كما أعلن عنها خافيير سولانا بأنَّ الحلف سيتحوَّل من حلف دفاعي⇐ إلى حلف هجومي؛ ليشمل دُول آسيا الوُسْطَى ودُول أوروبا الشرقية، وهي رُؤية استراتيجية لتداخل المصالح الاقتصاديَّة والأمنية بين أوروبا وآسيا، حسب منظور الحلف الجديد، بينما يظلُّ الحلف دفاعياً بين الدُّول الآسيوية، وخاصَّة بين الصِّين ⇐ ورُوسيا ⇐ وإيران.

ويُلاحَظ أنَّ الأجواء الجيوبولتيكية الاستراتيجية بين الولايات المُتَّحدة وبريطانيا وألمانيا متواطِئة مع المصالح الإسرائيلية، ومع تداخلها الملحوظ في العلاقات بين رُوسيا والصِّين وماليزيا وفرنسا؛ حيثُ تتناقض رؤيتهم الاستراتيجية أو تتوافق في تنفيذ مصالحهم ضمن دُول بحر قزوين، وخاصَّة بعد ظهور دُول نووية لم تنتسب بعدُ للنادي النووي الدولي بشكل رسمي، ولم يُوافق على وجودها فيه (الهند + باكستان) أو بتطوُّر الأسلحة الاستراتيجية (لكوريا الشمالية + الصِّين)، إضافة لقرار الرئيس الرُّوسي بوتين بتحديث ترسانة الأسلحة النووية القديمة خلال السنوات القادمة، وردَّاً على برنامج الدفاع الاستراتيجي الذي شجَّعه الرئيس الأميركي جورج بوش الابن، ومُحاولات الاتِّفاق فيما بينهما لإعادة تقليص المشروع، وظهر ذلك جليَّاً باجتماعهما في البيت الأبيض بتاريخ **13/ 11/ 2001**، بما يعني التوافق على المصالح المُشتركة في آسيا الوُسْطَى وأفغانستان المنكوبة بعد قرارات البنتاغون الأميركي بتحطيم حركة طالبان الأصولية المتطرِّفة (وممارستها المُسيئة للإسلام)، وتأييد البلدَيْن لتحالف الشمال بقيادة شاه مسعود وبرهان الدين ربَّاني والملك ظاهر شاه.

المُهمُّ أنَّ هُنالك توافقاً للمصالح بين الدُّول الكُبْرَى على استثمار تلك المنطقة، وإنْ ظهر الخلاف جليَّاً أحياناً بين التكتُّلات فيها، أمَّا كازاخستان؛ فيُفرَض عليها اتِّجاه واحد من العلاقات، بعيداً عن إيران ورُوسيا؛ لأنَّها تحتوي على ترسانة كبيرة من الأسلحة النووية، وكذلك يُفرض على تركمانستان الحياد، باعتبارها تمتلك سُبع إحتياطي العالم من الغاز، وتحرص كازاخستان على مَدِّ أنابيب الغاز والنفط عبر سواحل بحر قزوين حتَّى مدينة باكو، وإبقاء العلاقة قوية مع رُوسيا، وتحرص إدارة الكرملين على تصدير نفط أذربيجان، وغاز تركمانستان عبر الموانئ الرُّوسيَّة على البحر

الأسود، وخاصَّة ميناء (نوفور سيسك)؛ حيثُ يقع هُناك التجمُّع العملاق لشركة غاز بروم، الذي يُوزِّع الغاز لُمختلف الأراضي الرُّوسيَّة، من سيبيريا الغربية حتَّى الشرق الأقصى، وقد شاهدتُ[1] فعلاً أنابيب الغاز في بيوت الفلَّاحين في قُرى ومُدُن سيبيريَّة مثل مدينة غورغان ونوفي سيبيرسك داخل إدغال سيبيريا الغربية، وهم يعتمدون عليه جيِّداً في حياتهم اليومية. ولغاز تركمانستان أهمِّيَّة اقتصاديَّة كبيرة في حياة الشُّعُوب الرُّوسيَّة عموماً.

وبسبب من قُرب الصِّين الغربية من حُدُود منطقة آسيا الوُسْطَى جغرافياً؛ تسعى (حُكُومة بكِّين) لتطوير علاقاتها مع الجُمهُوريات الإسلامية، وهُنالك مشروعات قيد التنفيذ لتزويد الصِّين بغاز أوزبكستان وتركمانستان بمدِّ خطوط وأنابيب الغاز والنفط، باعتبار أنَّ الصِّين واليابان كقوى اقتصاديَّة لا يُستهان بهما تتوجَّه أنظار آسيا الوُسْطَى إليهما أيضاً، خاصَّة مدُّ أنابيب الغاز والنفط حتَّى مدينة (شنغيسانغ)، والسعي الدؤوب والمُشترك بين الصِّين وكازاخستان لاستغلال آبار النفط بشكل أكبر في السنوات القادمة، رغم قساوة الطبيعة الفاصلة بينهما، إلَّا أنَّ انتشار المسلمين في الصِّين الغربية لا يمنع حُكُومة بكِّين المركزية من الاستفادة الدائمة من خيرات آسيا الوُسْطَى، وباعتبار الأسواق مفتوحة بينهما لتصريف البضائع بعد التقارب (الرُّوسي ـ الصِّيني) و(الصِّيني – الأمريكي) وتجاوز عداوات الماضي.

3- تداخل المصالح بين آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط:

تلك المعطيات الجديدة لابُدَّ من إعادة حسابها بدقَّة في قضية التحالفات الاستراتيجية البوليتكية، مع ظهور المصالح الاقتصاديَّة الجديدة، في منطقة حيوية مثل بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى كموقع استراتيجي مُهمٍّ بصفة عامَّة، مع الأخذ بعين الاعتبار موقع باكستان وأفغانستان دائماً بالحسبان، وبصفة خاصَّة باعتبارهما منطقتَيْن للنفوذ البريطاني مُنْذُ تشرشل، أو ما قبل في عهد روكفلر روتشيلد، والآن في عصر العَوْلَمَة الأميركي مع استمرار النُّفُوذ الرُّوسي والألماني والإسباني؛ جاءت مرحلة العَوْلَمَة وقطبها الأحادي الضاغط بشدَّة لإزاحة الاستراتيجيات غير الأمريكية بأيِّ شكل

---

(1) دراسة أكاديمية في الاقتصاد والسياسة ضمن رحلة براكتيك، نزلنا فيها في (فندق زرياب) بمدينة غورغان الباردة جدَّاً، والجدير بالذِّكْر هُنا أنَّ وجود المُدُن الكبيرة والحيوية في سيبيريا يُضفي القُوَّة والبهجة!

كان، وبحيثُ تسعى واشنطن لإنهاء تاريخ الشُّعُوب[1] لصالح دُول وزعامات تُؤمن بالمُطلق بالعَوْلَمَة الأمريكيَّة، وبالخصخصة كأسلوب جديد لبداية تاريخ اقتصاد السوق الليبرالي، كما أكَّد ذلك أو بالاتِّجاه نفسه (بريجنسكي، وهنتجتون، وفوكاياما)، إضافة (لدور جورج سويس الكبير هُنالك، وكذلك بإمكانية إنهاء تاريخ الشُّعُوب والدُّول، وقرع ناقوس العصر ببداية تاريخ القطب السياسي الأميركي الجديد، في إطار تمَّ تصويره على أنه صراع حضارات، وليس صراعاً للمصالح والنُّفُوذ.

لذلك؛ فإنَّ ارتباط الشرق الأوسط بآسيا الوُسْطَى والخليج أو تركيا أو العراق وسورية وإيران، وبالوقت نفسه؛ بمصالح بحر قزوين، ومصالح أنابيب النفط والغاز، فإن الاتِّجاه البوليتكي ـ الاستراتيجي لواشنطن يسعى لربط مصالحه بكل دقَّة، ومعنى (ببعضه البعض) وتلك السياسة لها دلالات عميقة لتحديد طبيعة المصالح الأمريكيَّة القادمة للقرن الجديد[2].

لذلك؛ فإنَّ الترابط التاريخي والاقتصادي بين دُول طريق الحرير القديم، يظلُّ ـ الآن ـ الترابط فيما بينها قائماً على طريق الحرير الأسود (النفط)، لتمايز العلاقات التَّاريخيَّة والثَّقافيَّة والروحية والدينية فيما بينها، وإدراك واشنطن ورُوسيا وألمانيا وإسبانيا تلك المُميِّزات المُهمَّة، وطبيعة الصراعات وخلفياتها الأساسية. ورغم ذلك؛ فإنَّ الدُّول تبحث عن مصالحها وعلاقاتها على أساس أنَّها علاقات ضاربة جذورها في تاريخ شُعُوب المنطقة وتداخل ثقافاتها؛ إذْ لا يمكن أنْ تنجح قضية صراع الحضارات فيها؛ لأنَّ حضاراتها غالباً متشابكة وواحدة، رغم تسميم الأجواء بين الطوائف والإثنيات العرقية هُنالك.

إلَّا أنَّ طموحات واشنطن الاستراتيجية لا تخلو مطلقاً من النوايا العدوانية، فهي تسعى بكُلِّ السبل إلى إيجاد صراعات جديدة، في إطار علاقات اقتصاديَّة جديدة تضمن لها استقطابات سياسيَّة وإقليمية لمصلحتها أوَّلاً وأخيراً، على أساس تدشين مشروعات مستقبلية سياسيَّة واقتصاديَّة أفضل،

---

(1) جورج سوروس / الأزمة الرأسمالية العالمية باريس / 2000م/ 1- وجود الإمبريالية (بريطانيا العُظْمَى) 2- أرست نظام الاستغلال العالمي، وارتقى بتحليله إلى: 3- وجود نظام نقدي عالمي فعَّال. 4- تضافر قيم وأخلاق المعايير المُشتركة الاقتصاد السوق وتقاليد (اليهودية-المسيحية) والإيمان والعقلانية واحتكار العلم إذْ كيف يمكن للبورصة - والنقد العالمي أنْ يكون قاعدة اجتماعيَّة جديدة. ج- سوروس ملياردير يهودي من أتباع اللوبي اليهودي في رُوسيا الآن، وله إمبراطورية إعلامية كبيرة في أوروبا وأميركا.

(2) فاروق برتو/ المستقبل العربي/ 25-3 / 2000- المخاطر على الأمن القومي العربي/ ص141- منظَّمة الصحَّة العالمية والبيئة، أيضاً أوهام الرأسمالية العالمية / الفجر الكاذب لقضايا العَوْلَمَة/ ثناء فؤاد/ ص90/ 105.

بعد سلسلة تجارب فاشلة خاضتها شُعُوب ودُول آسيا الوُسْطَى طيلة عُقُود بعيدة، التي خدعتها الأحلاف والمنظَّمات الدّوليَّة بالتنظير للتنمية والاستقرار والأمن، وهي ماتزال تجد نفسها تعيش في دوامة من صراع المصالح، وتدخل في حُرُوب أهلية لتدخل في حُرُوب وصراعات إقليمية، وهي تدرك سلفاً أنَّها لابُدَّ أن تقف مع القوي ضدَّ الضعيف، ومع نظام العَوْلَمَة الأميركي ضدَّ أيِّ نظام إقليمي آخر؛ لأنَّه يحقِّق لها مصالحها، وتبقى الولايات المُتَّحدة وربيتها (إسرائيل)[1] تسعيان بشكل مُشترك لشغل الدُّول والشُّعُوب بمشكلاتها الداخلية أو الإقليمية، على أساس سياسة ازدواجية المعايير أو الانفصام السياسي، واختراق حقوق الإنسان، وتشجيع الأنظمة الديكتاتورية، رغم مطالبة شعوبها بالديمقراطية والعدالة، وبحقوق الإنسان كما نصَّت عليها الأعراف الدّوليَّة وميثاق الأمم المُتَّحدة، وتُظهِر واشنطن حنكتها السِّياسيَّة حينما تؤكِّد أنَّه لا وجود للديمقراطية بدون انفتاح اقتصادي، وبدون خصخصة، بهدف إبقاء الصراع محتدماً بين دوائر المصالح بمُختلف أجنحتها؛ إذْ تعطي الصفة المطلقة لأنشطتها السِّياسيَّة والاقتصاديَّة ولحملاتها العسكرية على أنَّها حملة للعدالة المطلقة، متناسية تماماً أنَّه لا وجود للعدالة المطلقة والديمقراطية المطلقة إلَّا في الخيال، وفي ما وراء الطبيعة، وهي تتناقض جوهرياً مع إيمان الشُّعُوب والأديان بعدالة الله المطلقة لتحوُّلها إلى نهاية الفجر الكاذب للشُّعُوب، ومصاعب الدُّول الفقيرة، فهل العناية الآلهية هي دائماً مع الكتائب الأقوى، وهُنا تكمن عملية إعادة رسم خريطة جديدة للصراع العالمي، وليس للسلام العالمي كما تدَّعي واشنطن ومُفكِّروها؟!.

4- مَنْ يضمن سلامة واستقرار أمن الشُّعُوب في آسيا الوُسْطَى؟:

بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، وجدت الولايات المُتَّحدة أنَّه لابُدَّ من ملء الفراغ السياسي في الساحة الدّوليَّة عموماً، وفي آسيا الوُسْطَى خُصُوصاً، فالصراع على الشرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى (الشرق الأوسط الكبير) يتطلَّب الدعم الشامل من الكيان الصهيوني العُنصُري، الذي يستهتر ـ بعُمق ـ بمصالح وأمن الشُّعُوب واستقراراها، بكثير من التمادي، وبوضع الخطط الدخيلة لإضرام نار الخلافات والتطرُّف في العالم الإسلامي، طمعاً بمواقعه وخيراته من النفط

---

(1) المستقبل العربي/ 214/ 12/ 1996/ عبد المنعم السَّيِّد علي/ ص ب-5-6-7: لماذا فشل المشروع العربي للتكامل الاقتصادي، وكلفة البديل مشروع الشرق الأوسط الجديد تحقيق أهداف (إسرائيل) والتحكُّم بالمنطقة سياسياً واقتصادياً أقلّ تكلفة من الحرب المُدمِّرة مادِّياً وبشرياً، فهل تستطيع واشنطن الربط بين الشرق الأوسط الجديد أو مشروع آسيا الوُسْطَى الجديد؟.

والغاز والذهب والألماس، إلى الحَدِّ الذي تضرب المواثيق الدّوليّة والتعهُّدات الإقليمية عرض الحائط، بمشاركة مُطلقة من الولايات المُتَّحدة لاضطهاد وقهر الشُّعُوب واستنزاف إمكانياتها وخيراتها وتطلُّعها لمستقبل أفضل، ورغم أنَّ تفادي خطر الحُرُوب وسباق التسليح وعدم التدخُّل بالشؤون الداخلية للدول؛ تظلُّ (إسرائيل) تُشجِّعها تشجيعاً مطلقاً، فبدون ذلك لا تستطيع التغلغل أكثر فأكثر في نسيج العلاقات الإقليمية للوُصُول إلى مصالحها ومآربها؛ إذْ نُعيد للأذهان ـ وبشكل مُتجدِّد ـ ما ورد في اقتراحات إعلان المبادئ بين رُوسيا السوفيتية، وبين واشنطن ولندن وباريس في عام 1957 و11 شباط/ فبراير منه، لأجل رعاية وتحقيق السلام والأمن والاستقرار في آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط، وخاصَّة بعد القضاء على النازية في الحرب العالمية الثانية (1940 ـ 1945):

1 ـ حفظ السلام والأمن في آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط والمنطقة العَرَبيَّة، وتسوية الخلافات بالوسائل السِّلْمية.

2 ـ عدم التدخُّل في الشؤون الداخلية لدول وشُعُوب المنطقة، واحترام سيادتها الوطنية وحيادها واستقلالها.

3 ـ عدم جَرِّ الشُّعُوب والدُّول إلى الأحلاف أو الأعمال العسكرية التي تشترك فيها الدُّول الكُبْرَى.

4 ـ إزاحة القواعد الاستعمارية العسكرية والحربية، وسحبها من الشرق الأوسط والخليج وآسيا الوُسْطَى.

5 ـ العمل على تطوير البنى الاقتصاديَّة دون فرض شروط عسكرية أو اقتصاديَّة منافية لكرامة الشُّعُوب والدُّول وسيادتها على أوطانها.

تمَّ التأكيد على أهمِّيَّة السلام والأمن الجماعي في آسيا عموماً، واحترام سيادة وحرمة الشُّعُوب وأوطانها وعدم التدخُّل بشؤونها الداخلية أو ابتزازها أو الضغط عليها، والبحث عن الوسائل والطرق السِّلْمية لحَلِّ النزاعات والخلافات، وهُو دور مُهمٌّ من أدوار مُنظَّمة الأمم المُتَّحدة، وليس مهمَّة دولة بعينها بما تفرضه من مصالح خاصَّة بها، وعدم السماح للدول الكُبْرَى بتحطيم الدُّول الصُّغْرَى والفقيرة، والسعي الدولي المستمرّ لإزالة التخلف الاقتصادي، وتطوير العلاقات بين دُول الخليج وآسيا الوُسْطَى، أو بين تركيا ـ وإيران أو بين أذربيجان ـ وأرمينيا، وزرع الثقة والتعاون

والتوجُّه نحو السلام والاستقرار بديلاً عن مساندة الغطرسة العسكرية والعـدوان والهيمنـة العالميـة، والبحث المستمرّ عنه أفكار ومُعطيات فعَّالة لدى الأوساط السِّياسيَّة والديمقراطية الواقعيـة لتطـوير المُجتمعات الآسيوية المسحوقة، ولا يجري ذلك إلَّا بتضافر جهود الـدُّول والقـوى في المنطقـة ذاتهـا، بترسيخ مبادئ حسن الجوار، والتعايش السِّلْمي، ونزع السلاح غير التقليدي، وإيقاف سباق التسلُّح النووي بين الهند ـ وباكستان، والسعي المستمرّ لإيجـاد تـصوُّرات إقليميـة للنهـوض بعلاقـات أكثـر إنسانية وثقافية وتكنولوجية ذات النفع المتبادل، وفيما إذا نظرنا إلى الخريطة الجيو ـ سياسـيَّة لإيـران أو باكستان أو أفغانستان أو طاجيكستان؛ أيْ باختصار لأيِّ دولة من تلك الدُّول؛ سنجد أنَّهـا مُـشتركة مع الدُّول الأُخْرَى بحدود طويلة، وتاريخ بعيد، وثقافات واحدة مُتشابِهة، وبوحدة إقليميـة لابُـدَّ أنْ تُستغَلَّ جيِّداً بوجه التدخُّلات الخارجية، التي لا تـسعى مطلقـاً لإبقـاء عوامـل الـسلام والاسـتقرار والتنمية فيها فحسب، بل وتضرب سيادة الـدُّول، وكرامـة الـشُّعُوب، وتـسعى لاسـتفزازها ونهـب خيراتها بالتعاون مع النُّخب الحاكمة فيها، والهيمنة المُباشرة عليها[1]. خاصَّة إذا مـا نظرنـا إلى العـداء المستحكَمّ بين (إيران ـ وتركيا) أو بين (أرمينيا ـ وأذربيجـان) في آسـيا الوُسْـطَى والـشرق الأوسـط، لنجد أنَّ القوى الخارجية تستمر في عنادهـا وبلائهـا في تحـريض واسـتفزاز الـدُّول، وتحريـضها عـلى بعضها البعض؛ إذْ يُلاحَظ أنَّ هُنالك استراتيجيَّتَيْن في خضمّ الأحداث متنافراتان في المصالح، وبتنافر الاستراتيجية وتضارب المصالح؛ نجد أنَّ الاستراتيجيات الدخيلة لا تأخذ بالاعتبار عوامل الامتـداد التاريخي والديني والثقافة واللغـة؛ أيْ بمعنـى آخـر (العوامـل الحـضاريَّة) التـي تـربطهم ببعـضهم البعض، بل تسعى إلى توتير العداوة بينهم بآفاق (صراع المصالح والإرادات) وتداخلهما بشكل كبـير في المصالح النفطية والتجارية والأمنية والعسكرية.

سنجد أنَّ هُنالك مَنْ يُعلن تقرُّبه للأُمَّة التركية واللغة التركية، ويعتبر نفسه امتداداً للطورانية؛ إذْ أعلن رئيس أوزبكستان (إسلام كريموف) عـن سـيره الجـدِّي باتِّجـاه النمـوذج التركـي لأسـباب عديدة، باعتبار أنَّ الدولة في تركيا علمانيـة، ونمـوذجٌ يُحتـذى بـه، وكـذلك الحـال بالنـسبة للـرئيس الكازاخستاني (نور سلطان نزار باييف)، الذي أكَّد أنَّه سيعمل جدِّيّاً على إنشاء نظام قائم عـلى تجـارة

(1) تستطيع الرأسمالية العالمية تحديد مكاسبها بفضل تقدمها التقني والعلمي القوي، وثرواتها الهائلـة، وتطـوُّر جيـشها وأسطولها، وفرض الوسائل التابعة من قـدرتها بالـسيطرة عـلى العـالم بآفاقهـا الاقتـصاديَّة، والـسِّياسيَّة، والعـسكرية، والنفسية، والثَّقافيَّة / .

السوق، تماماً كما هُو الحال بالنسبة لتركيا، بينما اقترب الطوراني بأسلوبه الصريح (حسن حسنوف) رئيس وزراء نزار باييف إلى الحَدِّ بمطالبته لتركيا بتمثيل بلاده بحلف الناتو؛ إذْ يُلاحِظ المُحلِّل مقدار المواقف المهينة للارتماء بأحضان الاتِّحاد الأوروبي وحلف الناتو، فأيُّ دُول ترهن نفسها للغير مُستقلَّة إذاً في آسيا الوُسْطَى؟![1].

كُلُّ ذلك ينسف في حقيقة الأمر كُلَّ ما تمَّ بناؤه مع رُوسيا مُنْذُ نهاية الحرب العالمية الثانية، وما قبلها؛ إذْ تظهر رغبة زعماء دُول آسيا الوُسْطَى أهمِّيَّة دخولهم للأحلاف الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة بانهيار عوامل الثقة وجسور التعاون مع رُوسيا، والسبب؛ حُكَّام رُوسيا مثل يلتسين، وتدخُّل الصهيونية العالمية والإمبريالية الأمريكيَّة في شؤونهم الداخلية يُدلِّل ـ بعُمق ـ على نجاح المُخطَّط الأميركي ـ الصهيوني لابتلاع آسيا الوُسْطَى وخيراتها، وفيما كان يُسمَّى ـ سابقاً ـ بالجُمهُوريات الإسلامية السوفيتية في آسيا الوُسْطَى.

لقد اعترفت أنقرة علانية انتهاء وصاية الكرملين على تلك الجُمهُوريات، وسارعت للاعتراف بها كدول مُستقلَّة كاملة السيادة، بهدف مَدِّ الجسور وكُلِّ أشكال التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري والأمني معها، ودُعيت تلك الجُمهُوريات لاجتماع قمَّة للدول الناطقة باللغة التركية نيسان/ أبريل 1992، في تركيا، وحضر الاجتماع العديد من رؤساء دُول آسيا الوُسْطَى، وتسابق الجميع إليها، وأوَّلهم حيدر علييف، وكان عدد الرؤساء أحد عشر رئيساً، تمَّ ـ خلاله ـ تأسيس منظَّمة اقتصاديَّة للتعاون الاقتصادي الإقليمي (أيكو) وتزعمت أنقرة كُلَّ الأنشطة الضرورية في المؤتمر، لتعزيز أواصر التعاون والحوار والصداقة بينها وبين دُول بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى، وبالطبع؛ استُبعدت إيران ورُوسيا من الخطط الاقتصاديَّة والسِّياسيَّة الجديدة[2].

كذلك تمَّ إنشاء شركات الطيران والمصارف والبنوك الجديدة في عواصم دُول آسيا الوُسْطَى، ودُعمت أنشطتها الواسعة من قبل الولايات المُتَّحدة والعواصم الأوروبية والكيان الصهيوني، وربطها مع أنقرة، بهدف ترسيخ دور تركيا الطورانية الإقليمي بكُلِّ الاتِّجاهات للاستفادة من دورها الجيو ـ سياسي الاستراتيجي، وتوفير المناخات الخصبة للمشروعات الرأسمالية الضخمة، وأهمّها مَدُّ شبكة خطوط حديد عوضاً عن شبكة أنابيب النفط والغاز حتَّى ميناء (جيهان) على البحر الأبيض المتوسط.

---

(1) صحيفة الشرق الأوسط / لندن/ 14/ 4/ 1996.
(2) جمال سند السويدي / إيران والخليج/ ص258-264.

بهذه الصورة المُهمَّة جدّاً لأنقرة، ربطت تركيا العديد من الجُمهُوريات المستقلّة في آسيا الوُسْطَى مصيرها ومستقبلها بعيداً عن رُوسيا ـ وإيران ـ والصِّين، وتحالفت بقوّة ضدَّ أيِّ تصوُّرات لا تتّفق مع مصالحها للارتباط بالنموذج التركي ـ الأوروبي بطابعه العلماني؛ بعيداً عن الفوضى في رُوسيا، أو عن النموذج الخُميني للثورة الإيرانية وجُمهُوريتها، وبهذا الشكل؛ تستظلُّ عواصم آسيا الوُسْطَى ـ وبحر قزوين بالظلِّ التركي للخروج من حالة الفقر الاقتصادي إلى حالة الوفرة الاقتصاديَّة والتصوُّرات الحالمة بها[1] نحو مستقبل أفضل.

5- تركيا ومُنظَّمة التعاون الاقتصادي (أيكو):

يعزو بعض المُحلِّلين العَرَب أنَّ الاستعجال الأميركي بربط منطقة آسيا ودُولها بنظام العَوْلَمَة الأميركي، وبالتَّالي؛ الهيمنة على دولها من خلال منظَّمة (أيكو) إلى الاعتقاد بأنَّ الصِّين ستكون خلال العشر سنوات القادمة مركز ثقل واستقطاب اقتصادي في آسيا، فلابدَّ ـ إذاً ـ من الإسراع بمحاصرتها من كُلِّ جوانبها، كي لا تتمدَّد باتِّجاه نفط وغاز المنطقة، وهذا إنْ دلَّ على شيء جوهريٍّ فإنَّه يُدلِّل ـ بالعمق ـ على أهمِّيَّة إعادة رسم خريطة جديدة للصراع العالمي والإقليمي في آسيا الوُسْطَى، الهدف منه كبح جماح تطوُّر الصِّين، وتعاونها مع كازاخستان تحديداً، أو مع جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى، أو مع رُوسيا.

لكنْ؛ مهما يُقال، فإنَّ سعي دُول جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى للانفتاح الاقتصادي حقٌّ طبيعيٌّ من حقوق السيادة الوطنية، فيما إذا استطاعت دراسة نهوضها الاقتصادي بشكل لا يُعطي واشنطن الامتيازات الكُبْرَى لنهب خيراتها، رغم أنَّ التطلُّع للتعاون مع الإمبريالية الأمريكيَّة يعتبر بداية غير حسنة للبرامج الوطنية المطروحة في منظَّمة التعاون الاقتصادي، وهي ـ بذلك ـ لن تستطيع الحفاظ على سياسة الحياد.

أمّا السعي لتطوير بنيانها الاقتصادي ـ بالاستفادة من الاستثمارات الأجنبية للمنتَجات التركية والغربية ـ؛ فهي علامة بارزة على الارتباط بالسوق الاحتكاري العالمي، التي ستُؤدِّي ـ إنْ عاجلاً أو آجلاً ـ إلى برامج الخصخصة، وبهذا الشكل؛ ستجد تركيا وأوروبا والولايات المُتَّحدة في آسيا الوُسْطَى وجُمهُورياتها بؤرة جديدة لمعطيات حديثة، وخاصَّة ضمن اتِّفاقيَّات (الغات) التجارية، وليس ذلك فحسب، بل كمنطقة حيوية ـ استراتجية بكُلِّ المقاييس لربطها بعجلة نظام العَوْلَمَة

---

(1) صحيفة الحياة / 12/ 6/ 1996 حول تطوُّر العلاقات الرُّوسيَّة ـ الإيرانية!

الأميركي[1]، أو بحلف (الناتو)، وستكون تركيا ركيزة مُهمَّة، وبوَّابة استراتيجية للغرب فيما وراء القوقاز وبحر قزوين، وفضلاً عن ذلك كلِّه في سيبيريا الغربية، رغم اصطدام تلك المصالح الاحتكارية للوهلة الأولى بالمصالح الرُّوسيَّة ـ الإيرانية، والشراكة القائمة بينهما على المدى البعيد، إلَّا أنَّ تطوير علاقاتهم تطويراً مبدئياً؛ سيُؤدِّي إلى تحديث السكك الحديدية وخطوط الطيران بين عواصم تلك الجُمهُوريات، وطُرُق المواصلات والاتِّصالات مع أنقرة، الذي يضع المشروع الاقتصادي والثقافي لمصلحة تركيا. وطريق التواصل الحضاري للثقافة والاتصالات والعلاقات ليس نفسه طريق المصالح الاقتصاديَّة والتجارية وأنشطة رؤوس الأموال[2].

يتَّضح أنَّ آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط ـ وأوروبا التي تُشرف عليها تركيا كجُمهُورية علمانية؛ تستقطب طُرُقاً ومفاصل جيو ـ سياسيَّة مُهمَّة في خريطة الصراع الجديدة، بالرغم من الروابط التَّاريخيَّة والروحية فإنَّ تركيا المعاصِرة من المحتمل أنْ تتخلَّى ـ بشكل نهائي ـ عن علاقاتها بالشرق وبالإسلام لصالح التحاقها نهائياً كشريك كامل في المشروعات الإمبريالية الأمريكيَّة، ولعلَّ ما حصل لمشروع أربكان الإسلامي، أو للحركة الإسلامية التركية المُتأثِّرة بـ(إيران) ستُؤدِّي للفشل بسبب ارتباط تركيا بالأفكار والمشروعات الصناعية الأوروبية والأمريكيَّة، عداك عن المشروعات العسكرية والأمنية؛ التي تُشجِّع على استمرار خطابات سياسيَّة للدولة العالية التركية، وأفكار الإمبراطوريات البائدة، دون النظر لمصلحة الشُّعُوب ومستقبلها وتطلُّعها للاستقرار والأمن[3] والتنمية.

وإذا كانت منظَّمة التعاون الاقتصادي (أيكو) لها دورها المُهمُّ على صعيد حسن الجوار والتبادل المُشترك، لوجود القواعد المُشتركة بين دُول وشُعُوب المنطقة، الهادفة لتطوير أوضاعها الاقتصاديَّة ـ والاجتماعيَّة الاستراتيجية، بآفاق مفتوحة، فإنَّه سيكون بنيانها نافذة مفتوحة على العلاقات الإقليمية ـ والدّوليَّة، ولا تُؤثِّر في الأوضاع البولتيكية في المنطقة، فإنَّ ائتلافها طَموح وهادف، أمَّا إذا كان ائتلافها المقصود مُوجَّهاً نحو التأثير في علاقات بلدانها وشعوبها بالعلاقات مع إيران أو مع رُوسيا أو مع الدُّول العَرَبيَّة، فإنَّه ـ بذلك ـ تكون الولايات المُتَّحدة وتركيا قد أغفلت ـ حقّاً ـ الأبعاد التَّاريخيَّة والثَّقافيَّة والدينية والحضاريَّة للمنطقة.

---

(1) مجلَّة السياسة الدّوليَّة / السنة (136) العدد كانون الثاني/ يناير 2000م / المُنظَّمات غير الحُكُومية الأمريكيَّة في طليعة المُنظَّمات العالمية المُعارضة لنظام العَوْلَمة، واتَّهمت منظَّمة (public citizen) الرئيس الأميركي الجديد بأنَّه يتصرَّف وكأنَّه يريد الموت للعالم الثالث، وهذا نوع جديد من التَّطرُّف السياسي الليبرالي.

(2) صحيفة المجد / 12/ 11/ 2001/ ص11/ الحرب الأمريكيَّة ـ الأفغانية، وحيد عبيدات.

(3) تركيا بوَّابة استراتيجية للإمبريالية / نديم البتكين/ بيروت، الحقيقة برس، ـ ص(35-40).

إيران تُمثِّل موقعاً لا يُستهان به في خريطة الصراع الجديدة مع دُول آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين، رغم أنَّ تلك الدُّول الإسلامية تسعى حسب بعض المُعطيات لتحسين اتِّصالاتها الثنائية، وتعاونها المثمر، وهذا يُدلِّل على سعة ودراية مُهمَّة جدَّاً لزعماء المنطقة، وإدراكهم لأهمِّيَّة التعاون الإقليمي من منطلق النوايا الحسنة، والمصالح المتبادلة، ودور كُلّ من تركيا ـ وإيران في تلك المعادلة، أو في توطيد الخريطة الجديدة على أسس الاحترام المتبادل، وهذا يعيدنا إلى الوراء لتاريخ طويل ومُشترك، تاريخ طريق الحرير باتِّجاه الهند والصِّين، وتواصل الشُّعُوب الثقافي والإنساني والحضاري، بينما تظلُّ الاستراتيجيات الدخيلة على المنطقة، وبالأخصِّ؛ استراتيجية «(إسرائيل) وبريطانيا» بجعل طريق الحرير طريقاً للمصالح والتنافس بين الدُّول، لتقاسم الأرباح في طريق الحرير الأسود؛ أيْ بجعل المنطقة جسراً للعبور، أو طريقاً لتنفيذ مصالح الدُّول الكُبْرَى ونفوذها في المنطقة، والواضح أنَّ هُنالك اتِّجاهَيْن متصارعَيْن تماماً على النُّفُوذ في بحر قزوين، ولعلَّ تركيز واشنطن على أفغانستان بعد 11 /9 /2001 له دلالاته العميقة جدَّاً باختلاق قصَّة (رامبو) آسيا أسامة بن لادن، واعتباره مُفجِّر أحداث واشنطن ونيو يورك، رغم ضخامة الكارثة هُناك، إلَّا أنَّ المعطيات أكَّدت أن الكارثة ومفاعيلها أكبر من المذكور وجماعته، ولم تُطمئِن الإدارة الأمريكيَّة العالم بأدلَّة دامغة، الأمر الذي يدعونا للتأكيد والقول: إنَّ كُلَّ ذلك مخطَّطٌ له من الأجهزة الأمريكيَّة ـ والإسرائيلية سلفاً، لأنَّ أفغانستان والشيشان يُشكِّلان كابوساً مُرعباً للمصالح الأمريكيَّة في بحر قزوين، وبالقرب من منابع الغاز والنفط، ولإحكام السيطرة على تلك المنطقة؛ يتمُّ تشكيل تحالفات دولية ـ وإقليمية من أجل السيطرة الأمريكيَّة التامَّة على خيرات ومواقع مُثلَّث الخيرات الآسيوي ـ الشرق أوسطي، وتتقاطع مصالح الدُّول الكُبْرَى ضدَّ الإسلام والمسلمين، رغم أنَّ مصادر الطاقة الدّوليَّة تقع في أراضيهم وداخل دولهم المُستقلَّة!!

إلى جانب مُنظَّمة التعاون الاقتصادي (أيكو)، هُنالك مُنظَّمة (بحر قزوين)؛ أيْ الدُّول المُطلَّة على البحر المُغلق بوجود مصلحة روسية أكيدة في هذه المنظَّمة؛ إذْ تُركِّز إيران على أهمِّيَّة هذه المُنظَّمة، وأنْ تضع دولها بالحسبان استغلال خيراتها بنفسها، وتقاسمها دون تدخُّلات أمريكيَّة أو تركية.

استطاعت إيران إقامة علاقات وطيدة مع مُوسكُو وطاجيكستان، خاصَّة بعد زيارة الأدميرال الإيراني (علي شمخاني) وهُو من أصول عربية لتوقيع اتِّفاقيَّات الدفاع المُشترك مع مُوسكُو وطاجيكستان التي مثَّلها (الجنرال خير اللهوف) في طهران 29/ 12/ 1997 بهدف الوقوف بوجه

التوسع التركي، الذي بات يمثّل حلف الناتو والولايات المُتَّحدة في المنطقة، وهُو تأكيد إيراني ـ طاجيكي وروسي لتقوية دورهما في المنطقة، بهدف تحقيق التوازن والاستقرار والأمن، وعدم جرِّ الشُّعُوب والدُّول لأحلاف عسكرية وأعمال حربية خطيرة تُؤثِّر بقُوَّة في مستقبل دُول بحر قزوين وجُمهُوريات آسيا الوُسْطَى.

6- العلاقات الرُّوسيَّة ـ الإيرانية وآفاقها:

تمَّ تحديد وترسيم الحُدُود الرُّوسيَّة ـ الإيرانية في اتِّفاقيتي (غوليشتان ـ قره باخ عام 1813) و(تركمنشي تبريز عام 1828)، وظلَّت إيران منطقة للصراع بين رُوسيا القيصرية ـ والإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس، وإيران كمنطقة مُستعمَرة ظلَّت كبقية الدُّول الآسيوية ـ الوُسْطَى المُطلَّة على بحر قزوين تُمثِّل مصالح التاج البريطاني، إلَّا أنَّ أفغانستان ظلَّت دولة حيادية ـ حسب المفهوم البريطاني للقانون الدولي ـ ومن غير المسموح فيها لأيِّ نفوذ آخر غير النُّفُوذ البريطاني الدخول فيها تماماً كإيران؛ حيثُ ظلَّ الملوك هم المُسيطرون على هذَيْن البلدَيْن لفترة طويلة.

بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية عام 1917، ومساندة ألمانيا لها ضدَّ بريطانيا، ألغت حُكُومة السوفيتيات كُلَّ الاتِّفاقيَّات التي تمسُّ كرامة وسيادة الشعبَيْن الإيراني والأفغاني، والتي لا تتناسب مع طروحاتها السِّياسيَّة والفكرية لمصلحة شُعُوب تلك المناطق، وتمَّ سحب القُوَّات الرُّوسيَّة على حَدُّودهما على أساس أنَّهما حياديَّتان فترة العشرينيات من القرن العشرين، بينما أدخلت تركيا قُوَّات معادية لثورة أكتوبر بضغط من بريطانيا وفرنسا والولايات المُتَّحدة، منها قُوَّات الحرس الأبيض والكُولاك والعصابات الصهيونية من أوكرانيا وبولونيا وسيبيريا وبريطانيا.

خلال الحرب العالمية الثانية، حاول الجيش الألماني النازي السيطرة على بحر قزوين عبر تركيا وإيران، إلَّا أنَّ الاتِّحاد السوفيتي دعم حركة التحرُّر في تلك المنطقة، فتمَّ دعم الإيرانيين والأفغان والهنود إضافة للأكراد الذي شكَّلوا أوَّل جُمهُورية ـ كردية لهم في التاريخ المعاصر سُمِّيت بجُمهُورية [مهاباد]، وعند اندلاع الثورة الإيرانية عام 1979 رفعت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني شعاراتها ضدَّ الشيوعية، وتمَّ فضح أساليب ميخائيل غورباتشوف عميل الصهيونية و(إسرائيل)، الذي قلب النظام السوفيتي لمصلحة نظام ليبراليٍّ جديد، مدعوم من الولايات المُتَّحدة والصهاينة في الكرملين عام 1984، وكان نصيب الحزب الشيوعي الإيراني (حزب توده) التصفية الكاملة

والجسدية له من قبل قيادات الثورة الإيرانية، واضطرَّ الجيش السوفيتي بقرارات خاطِئة للدخول إلى أفغانستان لأسباب منها؛ فرض المصلحة الإقليمية على شعب مسالم وفقير ضمن صراع إقليمي ودولي واضح، وتمَّ دعم قيام حُكُومة ثورية في كابول للتخلُّص من الحركات الإسلامية المقاتِلة، التي سعت لإنشاء إمارات إسلامية، ودعمت مُوسكُو وواشنطن العراق في حربه ضدَّ إيران عام 1980 للتأثير في قُوَّة البلدَيْن في المنطقة، ولتوتير العلاقات الإقليمية بسبب من رؤية استراتيجية روسية وأمريكيَّة مُتناحرَتَيْن على المنطقة، إلَّا أنَّ العلاقات الرُّوسيَّة الإيرانية تطوَّرت ـ فيما بعد بشكل ملحوظ ـ بعد زيارة رفسنجاني لمُوسكُو بـ20/ 6/ 1989 بسبب تأزُّم العلاقات الإيرانية ـ الأمريكيَّة، وكانت الزيارة مدخلاً لتحسين العلاقات بين مُوسكُو ـ وطهران، وخاصَّة بعد تصعيد الولايات المُتَّحدة من حربها السِّرِّيَّة والعلنية ضدَّ إيران، وتعميق خلافاتها مع دُول الجوار (أذربيجان وتركيا ودُول الخليج العربي)[1].

مع تطوُّر العلاقات الإيرانية ـ الرُّوسيَّة تمَّ تحسين إمكانيات الجيش الإيرانية والحرس الثوري (الباسيج)، وزيادة آفاق التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري والعلمي فيما بينهما، إلَّا أنَّ بروز أحداث بين أرمينيا وأذربيجان، اعتبرتها (باكو) انتصاراً لأرمينيا في ناغورني كاراباخ، فسعى كُلُّ طرف منهما لتحديد علاقاته وروابطه مع الدُّول المعادية للطرف الآخر.

واستقطبت تركيا أذربيجان للتعاون الثنائي المُشترك، بهدف ضمِّها لحلف الناتو مستقبلاً، واقتربت أرمينيا شيئاً فشيئاً من مُوسكُو وإيران وسورية للتعاون المُشترك، إلَّا أنَّ نظام يلتسين الانقلابي ضدَّ النظام السوفيتي تسلَّم مقاليد الحُكْم في الكرملين بانقلاب عسكري ـ سِلْمي، لم تُرَقْ فيه الدماء إلَّا في بناء البرلمان ومحيطه، وضدَّ النُّوَّاب السوفييت الذين احتجوا عليه، وانتقلت رُوسيا إلى أحضان حفنة من الرأسماليين الروس اليهود، الذين وقف وراءهم جورج سوروس الملياردير اليهودي المُتمتِّع بالجنسية الأمريكيَّة، والذي تعود إليه الحملات الدعائية عبر (راديو بريطانيا الحُرَّة) المُوجَّه ضدَّ الاتِّحاد

---

(1) نضال من أجل السلام والأمن الدولي / معهد العُلُوم الاجتماعيَّة والعصر / مُوسكُو 1984/ 121002 أرابات 33/ 12/ مُوسكُو خاص هيئة التحرير / ليونتي كوتوف (ص114/ 115) أكاديمية العُلُوم الاجتماعيَّة:
" كان لدى ألمانيا النازية عند هجومها على الاتِّحاد السوفييتي 8.5 ملايين جندي امتلكت خلالها (214) فرقة عسكرية و(7) ألوية قوات خاصَّة، وأكثر من (10) آلاف طائرة، ووضع الحلفاء وألمانيا وهتلر عشرات الفرق العسكرية تحت خدمتها، ونشرت على طول الحُدُود السوفيتية (190) فرقة وحشد (4) آلاف دبابة و(5) آلاف طائرة كانت جيوش الغزو حتَّى بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى تمتلك مخطَّطاً شاملاً للاستيلاء نهائياً على المنطقة بدفع (5.5) ملايين جندي وضابط ألماني وإيطالي وفنلندي وهنغاري، انظر ـ أيضاً ـ قضايا التاريخ العسكري / ب-جيلين / مُوسكُو 1975/ ص193.

السوفيتي، وتوزَّعت الفوضى والانقسامات في أرجاء الجُمهُوريات الرُّوسيَّة، وكانت تلك الأعمال بداية للتخريب المُضادِّ، الذي دفع جُمهُوريات آسيا الوُسْطَى للاستقلال، ودفع بالجيش الرُّوسي للتنكيل بالشعب الأفغاني، وفيما بعد؛ بالشعب الشيشاني[1] والادغية بشكل سافر ووحشي.

تعقَّدت الظُّرُوف الإقليمية في الشرق الأوسط والخليج العربي، وظهرت أحداث اجتياح العراق للكويت ضمن خديعة أمريكيَّة عام 1991، تمَّ بموجبها توريط العراق بالدخول لدولة عربية عُضو في جامعة الدُّول العَرَبيَّة وهيئة الأمم، بهدف السيطرة على الساحل الكويتي ونفط الكويت، ثم مالبثت تلك الخديعة أن استخدمتها الولايات المُتَّحدة لإرسال قُوَّاتها للكويت والخليج للهيمنة على المنطقة بحراً وبراً وجوَّاً، وما خلَّفته أحداث حرب الخليج الثانية من تشديد الحصار على العراق ومفاعيلها الخطيرة، ثم تمَّ الزَّجُّ بحلف ـ غربي واسع النطاق ضدَّ بغداد لقيام الجيش العراقي ـ ولأوَّل مرَّة ـ بقصف تلِّ أبيب بصواريخ أرض ـ أرض، بهدف تهديد العمق الإسرائيلي، ما أثار التحالف الدولي وهيئة الأمم الذين يرعون ـ بشدّة ـ الكيان الصهيوني في المنطقة، فتمَّ إدانة العراق بسلسلة قرارات دولية، وشُنَّت عليه حملات جوِّيَّة، راح ضحيَّتها أكثر من مليون ونصف طفل وامرأة عراقية، عدا عن استخدام الولايات المُتَّحدة وبريطانيا (لليورانيوم النابض) في مناطق مُتعدِّدة من العراق، بهدف إحداث أكثر خسائر ممكنة بين المواطنين العراقيين، وكانت أعداد الضحايا تتجاوز المليون ونصف المليون ضحية.

كان الصراع على العراق واضحاً؛ إذْ تمسَّك العراق بنفطه وأرضه، ومنع الشركات البريطانية والأمريكيَّة من استثماره، وتمكَّنت واشنطن وتلُّ أبيب من استثمار الرأي العامّ العالمي والأوروبي ضدَّ نظام بغداد ـ وضدَّ نظام طهران على السواء، وظلَّت المحاكمات السِّياسيَّة ضدَّهما تتواصل، حتَّى ظهرت آراء ونظرية الاحتواء المزدوج (للعراق وإيران) من قبَل مارتن أنديك وطوني ليك لمحاصرتهما، ومنع أيّ حركة أو فعل إقليمي لهما حتَّى الآن [2] .

(1) وُجدت في رُوسيا، قيادات بيروقراطية، تراكمت أخطاؤها، وبثَّت الفوضى والانحراف اليميني، سياسة تلائم البورجوازية القومية، التي رسَّخت أركانها بالإرهاب عبر فئة الموظفين الكبار، الذين أشاعوا الأحكام الخاطئة والتوجُّهات المُضلِّلة، انظر بهذا الصدد وصية لينين / خرتشوف1956/ المؤتمر العشرون.
(2) إيران إلى أين؟ المُؤلِّف، / ص84/ علاقات إيران الإقليمية، / دمشق 1999/ الناشر، المؤلِّف مُحمَّد علي سرحان.

وظهرت نظرية الاحتواء المزدوج لإيران والعراق من قبل انطواني ليك ومارتن أنديك بهدف لجم قُوّة الطرفَيْن في تأثيرهما في الصراع العربي ـ الصهيوني، وتمَّت إشاعة استراتيجية جديدة لدول الغرب للقضاء نهائياً على أيِّ قُوّة عسكرية عراقية حتَّى لا تتأثَّر (إسرائيل) بها، وتمَّ التعاون بين لجان التفتيش على أسلحة الدمار الشامل، وبين الأجهزة الإسرائيلية والأمريكيَّة، والتجسُّس على العراق عبر لجان التفتيش التي تجاوزت مهامّها إلى مهامّ أُخْرَى، أثَّرت في سيادة العراق كدولة عربية مُستقلَّة، ونتيجة لتأزُّم العلاقات العراقية ـ الإيرانية بفعل الخُطط الأمريكيَّة لمنع الدولتَيْن الإسلاميَّتَيْن من تحسين علاقاتهما، لعبت مُوسكُو دور تقريب وجهات النظر بينهما، مع تعاظم الضغوطات الدّوليَّة على العراق، هذا في جانب مُهمٍّ من المعادلة، بينما الجانب الأهمّ فيها تكاتف الاستراتيجية البريطانية ـ الأمريكيَّة في الشرق الأوسط وآسيا والوُسْطَى سابقاً، بدعم الحركات الإسلامية ضدَّ الوجود السوفيتي في أفغانستان، الأمر الذي أدَّى إلى قيام باكستان بدعم حركة طالبان ومنظَّمة القاعدة بمساندة أمريكيَّة، وبتدريب عناصر تلك المجموعات فعلياً في الولايات المُتَّحدة، وتمَّ دعمهما بالنواحي المادِّية والمعنوية اللوجيسية، لإخراج رُوسيا من أفغانستان، فتمَّ قتل أكثر من 24 ألف جندي روسي، وتورَّطت حُكُومة يلتسين أكثر فأكثر بالعداء المطلق للشيشان وأفغانستان، وتمَّ تدمير البنية التحتية للبلدَيْن بشكل لم يسبق له مثيل، الإ أنَّ إيران في حينها التزمت الحياد تجاه الحرب الأهلية التي حصلت في أذربيجان، وتزايد دور حزب النهضة الإسلامي ضدَّ حُكُومة علييف، مع تصاعد أزمة (كاراباخ)، ودخلت رُوسيا فعلياً في أزمات عديدة، إنْ كان ذلك مع حلفائها في العراق وأرمينيا، أو في الدخول بحروب مُباشرة مع أفغانستان، ومن ثم في الشيشان، إلَّا أنَّ رُوسيا فتحت نافذة جديدة على طهران، طالما أنَّ عدوهما المُشترك واحد ومصالحهما مُشتركة.

ومن الناحية الجيو ـ سياسيَّة فإنَّ كلاً منهما بحاجة للآخر في توتُّر العلاقات الإقليمية الحاصلة، وتركيزها على مصادر الخطر الحقيقي التي يواجهانها من واشنطن والكيان الصهيوني وحلف الناتو، لاسيما أن إيران ورُوسيا تنظران للطورانية التركية وتحالف الدُّول الناطقة باللغة التركية في آسيا الوُسْطَى؛ كطموحات تركية جديدة للتمركز والهيمنة الإقليمية، والسعي لإيجاد مناطق نفوذ فيما وراء القوقاز، وهُنالك أذربيجان وصراعاتها مع (أرمينيا ـ باكستان ـ وإيران) وخاصَّة في مناطق أفغانستان الشمالية الشرقية والحدود مع أذربيجان؛ حيثُ توجد (حركة طالبان) المدعومة من باكستان، وكلاهما يسعيان للسيطرة ـ أيضاً ـ على آسيا الوُسْطَى والجُمهُوريات السوفيتية

السابقة، وتمدُّد الحركة الإسلامية إلى الشيشان وأذربيجان أَقلق فعلياً مُوسكُو وأنقرة وواشنطن بشكل مثير جدَّاً، وخوفهم من توسُّع الحركة الإسلامية لتشمل السيطرة على نفط وغاز بحر قزوين والمنطقة، حاولت الاستراتيجيات الرُّوسيَّة ـ البريطانية ـ الأمريكيَّة تحطيم الشيشان وأفغانستان بالتعاون مُتعدِّد الأوجه مع الدُّول الأوروبية، بالأخص (بريطانيا ـ وألمانيا) وعلاقة كلٍّ منهما بأطراف الصراع؛ حيثُ تحالفت (رُوسيا بوتين) مع ألمانيا لأجل مراقبة كل ما يحصل في الشيشان، عبر النُّفُوذ الألماني العسكري والأمني والاقتصادي في المنطقة.

عوضاً عن أن واشنطن تتخوَّف فعلياً من الحلف الاقتصادي الجديد بين دُول اتِّفاقيَّة شنغهاي أو التقارب الرُّوسي ـ الصِّيني..! ولعل اتِّفاق إيران مع شركة غاز بروم الرُّوسيَّة، وتوتال الفرنسية، وبتروناس الماليزية؛ حدَّد بالضبط الآفاق الجديدة للحلف الآسيوي ـ الفرنسي ضدَّ أميركا[1] .

7- لوس إنجلس تايمز. قادة اللوبي الصهيوني يعترفون بتشويه صورة المسلمين الأميركيين:

كشف تقرير نشرته صحيفة لوس إنجلس تايمز الأمريكيَّة **LATIMES** في الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر **2001** عن وقوف مجموعة من أكبر المنظَّمات اليهودية الأمريكيَّة وأكثرها انتشاراً داخل المُجتمع الأميركي خلف حملة التشويه التي تتعرَّض لها صورة مُسلمي أميركا وأكبر منظَّماتهم مُنْذُ الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، وقد أوضح التقرير أن الهجوم الإعلامي الذي تتعرَّض له بعض المنظَّمات المُسلمة الأمريكيَّة وقادتها خلال الأزمة الراهنة؛ هُو نتاج "حرب الفاكسات" والإنترنت، أطلقت مُنْذُ وقوع الهجمات (في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر الماضي: حيثُ قامت مُنظَّمات موالية لـ (إسرائيل)، أو مُنظَّمات يهودية مثل (لجنة مكافحة التشهير)، ورابطة الدفاع عن اليهود، ومركز أبحاث الشرق الأوسط؛ بمَدِّ وكالات الأخبار بحزم من الأخبار المضادَّة للقادة المسلمين خلال الأسابيع الأخيرة قبل الحادث!

وقد أوضح التقرير أن الحملة التي تعرَّضت لها بعض أكبر المنظَّمات المسلمة مُؤخَّراً زادت بعد التقاء القادة المسلمين بالرئيس جورج بوش الابن؛ حيثُ حاولت المُنظَّمات الموالية (لـ (إسرائيل)) التشكيك في مصداقية القادة المسلمين الذين اجتمعوا مع الرئيس ومع كبار مسؤولي الإدارة الأمريكيَّة[1] .

---

(1) شؤون الأوسط (العدد64/ شهر8/ 1997/ ص(90).

وتضمَّن تقرير صحيفة لوس إنجلس تايمز مقابلات مع 3 مديري منظَّمات اللوبي الإسرائيلي مثل (جيل جانز) مديرة مركز المعلومات بلجنة مكافحة التشهير اليهودية، التي قالت: إن منظَّمتها تعمل مُنْذُ فترة على "حصر تصريحات القادة المسلمين لمعرفة أين ومتى تمَّ التصريح بها، ومن المسؤول عنها؟ مضيفة أن القادة المسلمين منخرطون في حرب عصابات كلامية للمساواة بين حماية الحُكُومة الإسرائيلية لمواطنيها وبين الإرهاب"؟!.

وأشارت الصحيفة إلى دور كُلٍّ من (دانيال بيبس) مدير مركز أبحاث الشرق الأوسط ومقرُّه فيلادلفيا، واستيفين إمرسون في تنسيق حملة المنظَّمات المُوالية لـ (إسرائيل) ضدَّ المنظَّمات الإسلامية.

وترتبط حملة التشويه اليهودية بحملة النقد الشعبي الأميركي المتصاعِدة لسياسات الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية المحتلَّة؛ حيثُ يسود الرأيَ العامَّ الأميركيَّ حالياً جَدَلٌ واسعٌ حول أثر العلاقات الأمريكيَّة الإسرائيلية الحالية في مصالح أميركا في العالَمَيْن العربي والإسلامي، كجزء من مُحاولة الرأي العامّ الأميركي لفهم أسباب التوتُّر في علاقة أميركا بشعوب الدُّول الإسلامية.

وفي إطار التململ الشعبي الأميركي من اليهود نشرت صحيفة (بوسطن جلوب) في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر 2001 عن مظاهرات قامت بها بعض الكنائس المسيحية مُؤخَّراً بولاية ماساشوستس أمام القنصلية الإسرائيلية بالولاية، ما أثار حفيظة المنظَّمات اليهودية بالولاية التي اتَّهمت الكنائس المتظاهِرة بالتحيُّز ضدَّ (إسرائيل).

كما كشف تقرير نشرته صحيفة النيو يورك تايمز الأمريكيَّة في الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر 2001 عن وجود انقسام كبير في معسكر المُتخصِّصين الغربيين في قضايا الإسلام والشرق الأوسط بين فريقين:

أوَّلهما: مُتطرِّف في موالاته لـ (إسرائيل)، وفي خصومته للسياسات العَرَبيَّة والإسلام السياسي، يقوده مُفكِّرون مثل (دانيال بيبس) (ومارتن كرامر).

---

(1) لي براون/ المُنظَّمات اليهودية الأمريكيَّة ونشاطاتها في دعم (إسرائيل)/ ، مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينية، / 1986/ قبرص/ ص182/ (إيباك).

وثانيهما: يدعو إلى التعامل مع قضايا الإسلام السياسي، وتأييد المسلمين والعَرَب للقضية الفلسطينية بأسلوب أكثر تفهُّماً، ويقود هذا الاتِّجاه مُفكِّرون مثل البروفيسور (جون إسبوزيتو) مدير مركز التفاهم الإسلامي ـ المسيحي بجامعة جورج تاون.

8- شهر حرب في أفغانستان كَلَّف الأميركيين مليار دولار:

(حرب إبادة حقيقة ضدَّ الشعبَيْن الأفغاني والفلسطيني) علَّق مركز التقويمات الاستراتيجية والعسكرية، وهُو مُؤسَّسة مُتخصِّصة بالمسائل العسكرية في واشنطن، أنَّ شهراً واحداً من الحرب في أفغانستان كَلَّف الولايات المُتَّحدة ـ حتَّى الآن ـ نحو مليار دولار.

ورفضت وزارة الدفاع الأمريكيَّة من جهتها تقديم أرقام عن تكاليف العمليات الجارية، لكنَّ المُتحدِّثة (سوزان هانسن) لاحظت أن الوزارة تستطيع أن تعتمد على 12.8 ملياراً مُقتَطَعة من المبلغ الإجمالي البالغ 40 مليار دولار من الميزانية الطارئة التي صوَّت عليها الكونغرس بعد اعتداءات 11 أيلول/ سبتمبر 2001 لشنِّ حرب واسعة على الإرهاب الدولي. وكشف ستيف كوسياك خبير الموازنة في مركز التقويمات الاستراتيجية والعسكرية أن تقدير تكاليف عملية عسكرية صعب في حدِّ ذاته، وغير أكيد، وأضاف: لكنَّ الأمر أشدُّ صعوبة فيما يتعلَّق بالعملية الجارية في أفغانستان، لأنَّها مازالت مُستمرَّة، ولأن وزارة الدفاع قدَّمت معلومات أقلّ عن تلك المُتعلِّقة بالعمليات السابقة[1].

أمَّا كوسياك الذي استند إلى حرب الخليج في 1991؛ فأكَّد أن نحو 2000 طلعة جوِّيَّة لقاذفات أمريكيَّة كلَّفت نحو 860 مليون دولار، أمَّا في أفغانستان؛ فإن الجبال والقُرى والمُدُن تُحرث حَرْثاً، وتُضاف 90 مليون دولار تتعلَّق بإطلاق نحو 90 صاروخ توماهوك من سفن أمريكيَّة.

وأوضح كوسياك أن نشر قُوَّات برِّيَّة في أوزبكستان يُكلِّف ـ أيضاً ـ 25 مليون دولار، بالاستناد إلى عمليات سابقة، وأنَّ نشر قُوَّات خاصَّة يُكلِّف بضعة ملايين أُخْرَى.

وبالمقارنة مع الحرب في كوسوفو في 1999؛ فإنَّ الحرب الجارية في أفغانستان كلَّفت ـ حتَّى الآن ـ أكثر من 700 مليون دولار.

---

(1) د. باكينام الشرقاوي / مُدرِّسة في كُلِّيَّة الاقتصاد والعلوم السِّياسيَّة جامعة القاهرة/ ندوة كيف نواصل مشروع حوار الحضارات / دمشق 19/ 21/ 1/ 2002 بعنوان حوار الحضارات من منظور إيراني، ص (4)، أهمِّيَّة حوار الحضارات والرأي الآخر، انظر ـ أيضاً ـ في ملفِّ المحاضرات/ كلمة د. مُحمَّد علي أذر شب، ص (1) و(2)!.

وبالإجمالي؛ فإنَّ الحرب في كوسوفو التي تخلَّلتها 8500 غارة، كلَّفت الولايات المُتَّحدة نحو ثلاثة مليارات دولار.

9- أسلحة تخشاها الولايات المُتَّحدة:

(الجدري، المُتفجِّرات، الكيميائي، والنووي):

مع ظهور إصابات جديدة بمرض الجمرة الخبيثة، يزداد القلق في الولايات المُتَّحدة من هجمات أُخْرَى ضدَّ الدوائر الرسمية والصحافة والمباني الحُكُومية والمستشفيات والبريد.

وقد ركَّزت وسائل الإعلام الأمريكيَّة براجها ومقالاتها مُحذِّرة من سيناريوهات كارثية قد تحدث[1].

ورغم أن التهديدات من هجمات بيولوجية وكيميائية ونووية ليست محتملة نظرياً، لكنْ؛ لا أحد يجرؤ على تجاهلها، أو التعامل معها باستخفاف.

وحسب الإحصاءات الأخيرة؛ فإنَّ 42 بالمئة من الأميركيين يخشون ـ فعلاً ـ من هجمات كيميائية وجرثومية.

فيما يلي أحد السيناريوهات المُقترحة من قبل الإعلام الأميركي:

1 ـ الجدري: الخوف الكبير هذه الأيَّام من هجوم جرثومي يتعلَّق بفيروس الجدري.

هذا المرض يقتل 30 بالمئة من حالات الإصابة مقابل 90 بالمئة بالنسبة لبكتيريا الانتراكس الرئوي.. إلَّا أن الجدري خلافاً للانتراكس مُعدٍ جدّاً، وكان مرض الجدري اختفى تماماً عن سطح الأرض نهاية السبعينيات بفضل التطعيم الفعَّال، ومع اختفاء الجدري لم تعد اللقاحات تُعطى للأطفال مُنْذُ نحو عشرين عامّاً، إلَّا أن الاتِّحاد السوفيتي تابع إنتاج الجدري لاستخدامه سلاحاً، ووُجدت كمِّيَّات منه في العراق وكوريا الشمالية، وحسب الخبراء؛ فإنَّ الجدري صعب الإنتاج والنقل والاستخدام على عكس الانتراكس.

لكنْ؛ عندما تنتشر العدوى حتَّى بكمِّيَّات قليلة يمكن أنْ تتسبَّب بأضرار جسيمة، والحلُّ الوحيد لمقاومته هُو عبر التلقيح.

---

(1) صحيفة الشرق الأوسط / 9/ 11/ 2001/ ص12/ .

ولهذا؛ قرَّرت الولايات المُتَّحدة تسريع طلبية لأربعين مليون لقاح جدري تُضاف إلى كمِّيَّة 15 مليوناً مخزونة حالياً، وقد أجرت مؤسَّسة الدفاع الوطني تجارب على الإنذار المُبكِّر في شهر حزيران/ يونيو 2001 في ولاية أوكلاهوما (ماذا تعني هذه الأرقام بالحرب الكيميائية؟).

وكان السيناريو المُفترض قيام إرهابيين بنشر مرض الجدري في المراكز التجارية بمدن فيلادلفيا واتلانتا وأوكلاهوما سيتي.

الهجوم الوهمي لم يترك وراءه أيّ أثر.. لكنَّه بعد عشرة أيَّام امتلأت المستشفيات بالمصابين، وذلك بسبب انتقال العدوى من المصابين إلى المحيطين بهم، وبعدها لكُلّ أنحاء البلاد.. وتسبَّبت افتراضياً بوفاة مليون شخص خلال شهرَيْن.

2 ـ السلاح الكيميائي: مُنْذُ عدة أيَّام ازدادت الإنذارات الخاطئة والتحذيرات في مترو نيو يورك، والخوف يتركَّز في الممرَّات تحت الأرض من هجوم كيميائي.

فلم ينسَ أحد الهجوم بغاز سارين على مترو طوكيو حين تُوفِّي 12 شخصاً عام 1995، وحسب الخبراء؛ فإن هجوماً مماثلاً قليل الاحتمال، رغم أنَّ بعض الموقوفين من قبل (F.B.I) كانوا مُهتمِّين عن كثب بالطائرات الزراعية التي ترشُّ الأراضي بالمبيدات، رُبَّما لاستخدامها في رشِّ موادّ كيميائية، لكنَّ العملية صعبة كونها تتطلَّب إمكانات غير متوفِّرة للخزن والنقل والتوزيع.

3 ـ المتفجِّرات: معظم خبراء مكافحة الإرهاب مقتنعون بأن التهديد الأساسي للأراضي الأمريكيَّة اليوم هُو الهجوم التقليدي بالمتفجِّرات.

فالعملية ـ برأيهم ـ ممكنة؛ إذْ يكفي شحن كمِّيَّة من المُتفجِّرات على متن سيارة أو شاحنة صغيرة تمَّ توجيهها نحو مركز حُكُومي حسَّاس يتردَّد عليه كثير من الناس، علماً أن هُناك نحو نصف مليون شاحنة أمريكيَّة مُتخصِّصة بنقل المتفجِّرات، ومن الصعب حمايتها كلّها، أو مراقبتها.

إلَّا أن الشركات المُكلَّفة بهذه المهمَّات الخطرة بدأت تُجهِّز سيَّاراتها بأجهزة إلكترونية من أجل مراقبتها عبر الأقمار الصناعية، أو بوضع أجهزة إنذار لاسلكية بداخلها، يمكن للسائق تشغيلها في حال تعرَّضت للخطف.

وقد تبين لـ(F.B.I) عند التحقيق مع بعض الموقوفين أنَّهم على علاقة بشبكات إرهابية، ويحملون أوراقاً مُزيَّفة أو صحيحة لقيادة هذه الشاحنات، وقد اعتقلت أيضاً 160 طالباً يهوديّاً للتحقيق معهم بسبب أعمالهم المشبوهة في ملاحقة بعض العَرَب، والتنصُّت على البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية سرّاً.

4 ـ **القنبلة النووية**: (إنَّه الكابوس المطلق، إرهابي مع قنبلة نووية) الكلام للمُحلِّل (جايزون بات) من جامعة الدراسات الدّوليَّة في جامعة مونتيري.

لكنَّ هذا الاحتمال ضئيل جدّاً جدّاً، بالمقابل، يقول أنطوني كروسمان أحد الخبراء في مركز الدراسات الاستراتيجية الدّوليَّة بواشنطن: "استخدام الإرهابيون للسلاح النووي ضئيل، لكنَّه يمكن للإرهابيين الاستيلاء على قنبلة (ضائعة) من مخلَّفات الاتِّحاد السوفيتي السابق، لكنَّهم قد يصنعون واحدة".!؟.

وأعلنت مجموعة من العلماء والخبراء العاملين في مراكز المراقبة النووية في واشنطن أن الإرهابيين قد يتمكَّنون من صنع قنبلة خلال عام إذا حصلوا على الخبرة، وكمِّيَّة كبيرة من اليورانيوم 235 أو البلوتونيوم 239..!! والمشكلة بالنسبة لهم تبقى في توفير مثل هذه الكمِّيَّات، لكنَّ كلَّ تلك التحليلات وهمية، فالعراق لم يتمكَّن قبل حرب الخليج بسنوات طويلة من تأمين تلك الكمِّيَّات كدولة لها ميزانيتها وإمكانياتها الكبيرة، فكيف يمكن لمجموعات صغيرة أن تفعل ذلك؟!.

أمَّا الخطر الجدِّيُّ ـ برأي الخبراء ـ؛ فقد يأتي من قنبلة تقليدية ضخمة، تنفجر على مقربة من مصنع نوويٍّ، أو هجوم بطائرة انتحارية على مفاعل نوويٍّ، وهي ـ أيضاً ـ أوهام غير منطقية، لأنَّ تلك المناطق مَحميَّة جيِّداً من البنتاغون والجيش الأمريكي.

وقد كشفت دراسة أُعدَّت عام 1974 أنَّه في 86 بالمئة من الحالات، يمكن لطائرة تتحطَّم فوق مفاعل نوويٍّ، أنْ تُدمِّر كامل المجمع، وأن كارثة مماثلة مفترَضة على مفاعل قرب نيو يورك ستُؤدِّي لمصرع 50 ألف شخص.

باختصار؛ لخصت مجلَّة تايم في عدد 29 تشرين الأوَّل/ أكتوبر حالة الذّعر التي أصابت أميركا بعنوان على صفحتها الأولى يقول: "انعدام الأمن الداخلي"[1].

---

(1) صحيفة الشرق الأوسط / 9/ 11/ 2001/ ، ص12/ العدد 15775 .

10- الخارطة الجيُوسياسيَّة الرُّوسيَّة:

جُمهُورية رُوسيا الاتِّحادية، جُمهُورية فيدرالية مساحتها / 17/ مليوناً و/ 75/ ألف كم^2، عدد سُكَّانها / 150/ مليوناً منهم / 110/ ملايين روسي، وتسعة ملايين أوكراني، و/ 3/ ملايين بيلاروسي، وخمسة ملايين تتري، ومليون تشوفاشي، / 1,5/ مليون بشكيري، و/ 500/ ألف مرودفي، ومليون يهودي وهكذا.

تتألَّف رُوسيا من / 88/ وحدة إدارية فيدرالية، ومن مدينتيّن ذات تبعية فيدرالية: هما العاصمة مُوسكُو، والعاصمة السابقة سان بطرسبورغ (لينغراد)، هذه الوحدات تنقسم إلى / 21/ جُمهُورية و/ 66/ إقليماً، هذه الجُمهُوريات والأقاليم تتمتَّع باستقلالية اقتصاديَّة وسياسيَّة وإدارية متباينة إلى حَدٍّ ما.

والآن؛ سنُلقي نظرة سريعة على الجُمهُوريات الرُّوسيَّة:

1 ـ **جُمهُورية الشيشان:** مساحتها بحدود ثمانية آلاف كم^2، وعدد سُكَّانها بحدود المليون عاصمتها (غروزني).

2 ـ **جُمهُورية أوسيتيا الشمالية:** سُكَّانها / 700/ ألف، منها / 120/ ألف روسي، عاصمتها (فداديقفقاس).

3 ـ **جُمهُورية انغوشيتيا:** ظهرت إلى الوجود عام 1992 بعد أن انفصلت عن الشيشان، عدد سُكَّانها / 300/ ألف، العاصمة نازران.

4 ـ **جُمهُورية داغستان:** مساحتها / 50/ ألف كم^2، عدد السُّكَّان / 700/ ألف، عاصمتها مجح قلعة، من كبار أدبائها رسول حمزاتوف.

5 ـ **جُمهُورية كابار دينو بالكاريا:** مساحتها 1205 آلاف كم^2، سُكَّانها نحو / 715/ ألفاً منهم / 290/ ألف روسي، عاصمتها (نالتشيك).

6 ـ **جُمهُورية اديغيا:** مساحتها / 750/ ألف كم^2، تقع شمال القفقاس. عدد سُكَّانها نصف مليون؛ منهم / 100/ ألف أوديغي مسلم، والباقي من الروس، عاصمتها (توابسي)[1].

---

(1) مرتقوه قاسم، الشركس حضارة ومأساة، دمشق 1996/ ت عزّ الدِّين سطاس 24/ 25/ 104.

7 ـ **جُمهُورية /كرايتشايفو ـ شركسيا/:** مساحتها / **14**/ ألف كم^2، سُكَّانها / **400**/ ألف؛ منهم / **100**/ ألف كراتشاي و/ **50**/ ألف شركسي، والبقية من الروس.

8 ـ **جُمهُورية /كلميكيا/:** مساحتها / **76**/ ألف كم^2، تقع في المنخفض القزويني - الساحل الشمالي لبحر قزوين، عاصمتها / ايليتسا/ ، عدد سُكَّانها / **300**/ ألف، نصفهم روس. والكلميك هم الشعب الوحيد الذي يعتنق البوذية في رُوسيا.

جميع الجُمهُوريات آنفة الذِّكْر تقع في منطقة القفقاس وبحر قزوين، وهي كما يُلاحَظ جُمهُوريات صغيرة، وبالتَّالي؛ فقيرة.

9 ـ **جُمهُورية تاتارستان:** تقع وسط رُوسيا على نهر الفولغا مساحتها / **68**/ ألف كم^2، وعدد سُكَّانها أربعة ملايين؛ منهم مليون و/ **800**/ ألف تتري، ومليون و/ **700**/ ألف روسي. والدين فيها إسلامي، واللغة تركية عاصمتها (قازان)، وهي مركز صناعي كبير ومتطوِّر.

10 ـ **جُمهُورية بشكيريا**، أو كما سُمِّيت من جديد بشكورتوستان: مساحتها / **143**/ ألف كم^2، تقع في منطقة جنوب الأورال وسط رُوسيا، عدد سُكَّانها أربعة ملايين؛ منهم مليون بشكيري، والبقية من الروس والتتر والأوكرانيين، عاصمتها (وفا). تعدُّ بشكيريا جُمهُورية إسلامية، وهي ثالث جُمهُورية روسية من حيثُ الغنى، غنية بالنفط، بالإضافة إلى أنها مركز صناعيٌّ كبير.

11 ـ **جُمهُورية /ياقوتيا/:** مساحتها ثلاثة ملايين ومئة ألف كم^2؛ أيْ ستَّة أضعاف مساحة فرنسا، أو تسعة أضعاف مساحة ألمانيا، تقع في سيبيريا الشرقية، عدد سُكَّانها مليون نسمة؛ منهم / **300**/ ألف ياقوتي، والباقي من الروس، عاصمتها / ياقوتسك/ ، غنية جدَّاً بالغاز والذهب والألماس.

12 ـ **جُمهُورية /تومي/:** مساحتها **419** ألف كم^2، تقع بين جبال الأورال والمحيط المُتجمِّد الشمالي، عدد سُكَّانها مليون و/ **200**/ ألف؛ منهم / **330**/ ألفاً من القومية الكومية، عاصمتها / صيكتيفكار/ تحتوي على أكبر احتياطات البترول والغاز والفحم، وتستقطب نسبة عالية من الاستثمارات الأجنبية.

يمكن إدراج الجُمهُوريات آنفة الذِّكْر في قائمة الجُمهُوريات الغنية، وهذا يعني أن الجُمهُوريات الباقية فقيرة، وهي:

13 ـ جُمهُورية /كاريليا/: تقع شرقي فنلندا، وكانت سابقاً جزراً من فنلندا، مساحتها / **173**/ ألف كم^2، عدد سُكّانها / **800**/ ألف؛ منهم / **100**/ ألف كاريلي فقط.

14 ـ جُمهُورية /ماري/: مساحتها / **23**/ ألف كم^2، تقع إلى الجنوب الشرقي من مُوسكُو، عدد سُكّانها / **750**/ ألفاً؛ منهم / **320**/ ألف ماريي.

15 ـ جُمهُورية /مردوفيا/: تقع بالقرب من جُمهُورية / ماري/ ، مساحتها / **16**/ ألف كم^2، عدد سُكّانها مليون و/ **100**/ ألف؛ منهم نحو / **450**/ ألف مرودفي و/ **650**/ ألف روسي، عاصمتها سارانسك. من مشاهيرها الموسيقي العالمي / تشايكوفسكي/ والمخترع / كلاشينكوف/ .

16 ـ جُمهُورية /هاكاسيا/: مساحتها / **62**/ ألف كم^2، عدد سُكّانها / **600**/ ألف؛ منهم / **70**/ ألف هاكاسي، عاصمتها / إيكان/ ، تقع في جنوب سيبيريا الشرقية بالقرب من قرغيزيا وكازاخستان.

17–جُمهُورية /توفا/: تقع جنب هاكاسيا، مساحتها / **170**/ ألف كم^2، كانت محمية روسية، ثم أصبحت تابعة لمنغوليا حتّى عام **1942**، ثم أتبعها ستالين للاتّحاد السوفيتي، عدد سُكّانها / **257**/ ألف؛ منهم / **145**/ ألف توفي.

18–جُمهُورية تشوفاشيا: مساحتها / **18**/ ألف كم^2، عاصمتها / تشيبوكاري/ ، عدد سُكّانها مليون و/ **400**/ ألف؛ منهم نحو مليون تشوفاشي.

19 ـ جُمهُورية /أومورتيا/: تقع شرقي القسم الأوروبي من رُوسيا، مساحتها / **42**/ ألف كم^2، عدد سُكّانها مليون ونصف؛ منهم / **550**/ ألف أومورتي، عاصمتها أيجيفسك مشهورة بالصناعة العسكرية.

20 ـ جُمهُورية /بورياتيا/: تقع على الضفة الشرقية لبحيرة انبايكال، وتحدُّها من الجنوب منغوليا، مساحتها / **350**/ ألف كم^2، عدد سُكّانها بحدود المليون، عاصمتها / أولان أوده/ .

21 ـ جُمهُورية /التاي الجبلية/: تقع على الحُدُود مع الصِّين، مساحتها / **93**/ ألف كم^2، عدد سُكّانها / **180**/ ألف نسمة فقط.

كان لابُدَّ من هذه الوقفة السريعة على الجُمهُوريات الرُّوسيَّة، بغية إظهار الموزاييك الرُّوسي، وتعدُّد القوميات والشُّعُوب، والجدير ذِكْرُهُ هُنا أن هذه الجُمهُوريات كانت حتَّى عام 1991 مناطق (حُكْم ذاتي)، أو كما كانت تُسمَّى جُمهُوريات حُكْم ذاتي، وخلال الصراع الذي قاده بوريس يلتسين ضدَّ الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشوف؛ كان يُطالب بمنح الجُمهُوريات السوفيتية المزيد من الاستقلال، وبغية دعم موقفه في الصراع، طالب بمنح المقاطعات الرُّوسيَّة المزيد من السيادة، وعندما أعلنت رُوسيا عن نفسها جُمهُورية مستقلَّة ذات سيادة، دفعت بمقاطعات الحُكْم الذاتي إلى رفع مستوى سقف سيادتها، فسارعت هذه المقاطعات إلى إعلان نفسها جُمهُوريات مُستقلَّة ذات سيادة، وكان ذلك عام 1991 ـ 1992.

وفي عام 1992، وقَّعت هذه الجُمهُوريات المعاهدة الاتِّحادية الجديدة لروسيا الفيدرالية، أمَّا تاتارستان وبشكيريا؛ فرفضتا المعاهدة، وأصرَّتا على توقيع معاهدة ثنائية متساوية الحقوق، فيما رفضت جُمهُورية الشيشان حتَّى صيغة تاتارستان، وأصرَّت على الاستقلال، وهذا كان السبب المُباشر للحرب مع الشيشان وبشكيريا، ومعاهدة تاتارستان وبشكيريا مع رُوسيا لا تختلف عن أيِّ معاهدة روسية مع دولة أجنبية، باستثناء الأمن والدفاع.

وهكذا؛ يُلاحَظ أن الجُمهُوريات الغنية تنزع نحو المزيد من الاستقلال والسيادة، ولا تدفع حصَّتها إلى الميزانية الاتِّحادية، ويُعزِّز من موقف هذه الجُمهُوريات، الشركات مُتعدِّدة الجنسيات الطامعة بخيراتها، والتي سارعت إلى عقد صفقات مُغرية مع تلك الجُمهُوريات.

فالشركات الكُبْرَى مَعنيَّة بعقد صفقاتها مع جُمهُوريات محدودة السُّكَّان والإمكانيات السِّياسيَّة، ولذلك تدفع باتِّجاه تعميق استقلال تلك الجُمهُوريات عن المركز في مُوسكُو.

أمَّا الجُمهُوريات الفقيرة؛ فإنَّها تريد البقاء في الاتِّحاد؛ لأنَّ ما تأخذه من الميزانية الاتِّحادية أكبر بكثير من مساهماتها في تلك الميزانية، لكنَّ جُمهُوريات القفقاس الفقيرة ـ ولاسيما الشيشان ـ خرجت عن هذه القاعدة، كونها دخلت في لعبة الصراع الدولي مع رُوسيا، التي تُهيمن على خيرات بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى.

11-رُوسيا في ظلِّ المتغيرات الدّوليَّة:

إذا عُدنا إلى كلام بريجينسكي ـ الذي عبَّر فيه عن تخوُّفه من كبَر رُوسيا ـ فإنَّ ثمَّة سؤال يطرح نفسه: هل ستبقى رُوسيا مُوحَّدة؟! هل ستقدِر رُوسيا الحفاظ على وحدتها أمام الدفع الأمريكي لإضعاف دورها الإقليمي والدولي؟! يقول بريجينسكي في كتابه الجديد "رقعة الشطرنج" عن مركز القارَّة الأوروبية ـ الآسيوية: إنَّ تلك المنطقة ستظلُّ بمنزلة ثقب أسود، إلى أن تحلَّ رُوسيا صراعاتها الداخلية، وتُحدِّد دورها في مرحلة ما بعد الإمبراطورية.

مرحلة ما بعد الإمبراطورية ـ برأي الاستراتيجي الأمريكي ـ هي مرحلة ما بعد الدولة العُظْمَى؛ لأنَّ رُوسيا ـ برأيه ـ لم تعد دولة عُظْمَى، ولكنَّها مازالت كبيرة جدَّاً، والتذكير بكِبَرها يعني الخوف من عودتها إلى دورها الإقليمي والدولي، ولذلك؛ فإنْ استطاعت رُوسيا حلَّ صراعاتها الداخلية، وجدَّدت دورها، فستصبح ـ بالفعل ـ بمنزلة ثقب أسود يبتلع مخطط الهيمنة الأمريكية على العالم. بريجينسكي يريد تفكيك رُوسيا وإضعافها كي يقدر الثقب الأسود الأمريكي على ابتلاعها(1).

إذاً؛ الهموم الأمريكيَّة تتمحور حول إضعاف رُوسيا قدر المستطاع، وتفكيكها إنْ أمكن ذلك، ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي تتحرَّك الولايات المتَّحدة على محورَيْن؛ المحور الإسلامي، والمحور الأوكراني، ولفَهْم الأسباب الكامنة وراء اختيار هذَيْن المحورَيْن؛ لابُدَّ من التوقُّف عند بعض المحطَّات التَّاريخيَّة، مع العلم أنَّه لا يمكن فصل المحور الأوَّل عن الثاني؛ إسلامياً: من المعروف أنَّ الدولة الرُّوسيَّة بوضعها الجغرافي الحالي لم تظهر إلى الوجود دفعة واحدة، لقد تمَّ تجميع الأراضي الرُّوسيَّة على مراحل امتدَّت مُنْذُ عام (988م) واكتملت عام (1480م) بالانتصار على مملكة / أوردا/ التترية المنغولية.

الانتصار الرُّوسي شكَّل بداية الإعلان عن الدولة الرُّوسيَّة المُوحَّدة، ولكنَّه جعل من العُنصُر الإسلامي عاملاً أساسياً في بنية الدولة الرُّوسيَّة، فالأراضي التي كانت تابعة لمملكة / أوردا/ تقع في قلب رُوسيا، وهي ـ الآن ـ تعود إلى جُمهُوريَّتَيْ تاتارستان وبشكيريا وحوض الفولغا، ولا يمكن تصوُّر رُوسيا دون هذه الأراضي، يُضاف إلى ذلك الامتداد الرُّوسي نحو الجنوب إلى حوض قزوين والقفقاس، وهي أراضٍ يسكنها مسلمون، وهذا الأمر زاد من حدَّة الصراع الرُّوسي العثماني في تلك المرحلة.

---

(1) الأوج / العدد 8/ شباط/ فبراير، ص35/ 36/ .

إذا عُدنا إلى المحور الأوكراني؛ نجد أنَّ نُواة الدولة الرُّوسيَّة بدأت في عاصمة أوكرانيا الحالية كييف، ومدينة كييف كانت عبر التاريخ ـ وحتّى الآن ـ شمس أُمّ المُدُن الرُّوسيَّة في أواخر القرن التاسع، وتحديداً مُنْذُ عام 1888م؛ حيثُ اعتنق الأمير أُوليغ الديانة المسيحية، وأعلن قيام الدولة الرُّوسيَّة، وجعل مدينة كييف عاصمة لها، وبذلك كانت أُوكرانيا أساس الدولة الرُّوسيَّة. وأُوكرانيا لم تعرف السيادة والاستقلال إلّا عام 1922، عندما قام مُؤسِّس الاتِّحاد السوفيتي فلاديمير لينين بتقسيم الامبراطورية الرُّوسيَّة على أساس قومي، ووضع حقول النفط تحت هيمنة الثورة!! وبقيت أُوكرانيا جزءاً من الاتِّحاد السوفيتي حتّى عام 1991؛ حيثُ انفصلت مع المنفصلين.

لم تكن الصليبية مُوجَّهة فقط ضدَّ بلدان الشرق العربي، بل كانت ضدَّ الشرق الرُّوسي أيضاً، ونتيجة تلك الحُرُوب أُخضعت بولونيا ودُول البلطيق وشرق أُوكرانيا إلى الكنيسة الكاثوليكية.

أوكرانيا الحالية تعادل من حيثُ المساحة وعدد السُّكّان فرنسا، وكذلك من حيثُ الإمكانيات الاقتصاديَّة، ولكنَّها مُقسَّمة إلى قسمَيْن: غرب أُوكرانيا الكاثوليكي، ذات الأغلبية الأوكرانية، وشرق أُوكرانيا الأرثوذكسي، ذات الأغلبية الرُّوسيَّة.

بعد سقوط القسطنطينية، طرحت رُوسيا نفسها كحاضرة أرثوذكسية في مواجهة روما، وهذا الأمر ساهم ـ إلى حدٍّ كبير ـ في تعميق مُعاداة الغرب لها، وعدم السماح لها في الدخول إلى البيت الأوروبي، أو إلى النادي الصناعي، ومن المعروف أنَّ الهدف الأوَّل لزعيم ثورة أكتوبر 1917 لينين؛ تطوير الصناعة السوفيتية بغية فرض الوجود الرُّوسي في النادي الصناعي الأوروبي بالقُوَّة، ورُوسيا مازالت ـ حتّى الآن ـ تحاول الدخول إلى هذا النادي، دون جدوى.

وسنحاول ـ الآن ـ معرفة كيفية استخدام المحورَيْن الإسلامي والأُوكراني لإضعاف رُوسيا، أو للحفاظ على ضعفها الحالي:

على الصعيد الإسلامي: تعمل الولايات المُتَّحدة الأمريكية على خَلْق حالة من العداء بين رُوسيا والمسلمين، وتعميقها قدر المستطاع، فهي تستفيد أيَّما فائدة من ذلك(1).

في البدء كانت حرب البلقان بين الصرب والبوسنيِّيْن، الصرب تاريخياً أجداد الروس، وهم الفئة الوحيدة في يوغسلافيا التي تعتنق الأرثوذكسية (ولو أنَّ اليونان لم تكن في حلف شمال الأطلسي،

(1) د. مصطفى اللبَّاد / صحيفة الخليج – 16/ 9/ 2000م.م / ملامح السيطرة على بحر قزوين.

لما ظلَّت بعيدة عن تلك الحرب، ونزولاً عند عوامل تاريخية وعِرْقية وكذلك دينية، وجدت رُوسيا نفسها مَعنيَّة ـ إلى حَدٍّ كبير ـ بتلك الحرب، ولم تمنعها رغبتها في الدخول إلى البيت الأوروبي من الوقوف إلى جانب الصرب).

فالاعتبارات الداخلية ذات الأبعاد العِرْقية والدينية كانت أكبر من رغبتها والتزاماتها الأوروبية، وهكذا ظهرت رُوسيا وكأنَّها تحارب المسلمين في البلقان، وهي تُقدِم على ذلك فعلاً مع تعاظم دور الشوفينية الرُّوسيَّة، أو على أقلِّ تقدير؛ تدعم الصرب ضدَّ البوسنيِّين، ويرى الكثير من المراقبين أنَّ حرب البلقان كانت بمنزلة بروفة الجنرال (لحرب الشيشان) يُضاف إلى ذلك أنَّ جُمْهُوريَّتَيْ تاتارستان وبشكيريا الإسلاميَّتَيْن رفضتا التوقيع على المعاهدة الفيدرالية الرُّوسيَّة الجديدة، وأصرَّتا على عقد معاهدة ثنائية مع رُوسيا، ووسائل الإعلام الرُّوسيَّة التي تقع تحت سيطرة العناصر الصهيونية ساهمت ـ هي الأُخرَى، إلى حَدٍّ كبير ـ في خَلْق وتعميق حالة العداء بين الروس والمسلمين، فقد دأبت تلك الوسائل على بَسْط عناصر المافيا والإجرام في الساحة الرُّوسيَّة بالعناصر الجنوبية المسلمة، فكلُّ ما هُو سيِّئ وله طابع إجرامي ـ برأي وسائل الإعلام الرُّوسيَّة ـ يُنفَّذ من قِبَل عناصر جنوبية إسلامية، والهدف من وراء ذلك إبعاد رُوسيا عن أيِّ تنسيق أو تعاون مع المسلمين والعالم الإسلامي.

فمن المعروف أنَّ العداء الغربي الكاثوليكي لروسيا شكَّل جداراً أمام تطلُّعاتها الغربية، وبحُكْم انتمائها إلى الأرثوذكسية ـ كعقيدة شرقية ـ تركَّز الطموح الرُّوسي نحو الجنوب إلى العالم الإسلامي، وفي ظلِّ الظُّرُوف الدّوليَّة الجديدة والمُتغيِّرات الدّوليَّة الراهنة، يصبح التعاون الرُّوسي الإسلامي خطراً كبيراً على الاستراتيجية الأمريكية، فما يجمع الروس والمسلمين أكثر بكثير ممَّا يُفرِّقهم، إنَّهم ينتمون إلى عقيدة شرقية، والعالم الإسلامي مع رُوسيا يُشكِّلان امتداداً جغرافياً وثقافياً واقتصادياً، وتجمُّعاً ديمغرافياً هائلاً، وسوقاً اقتصاديَّة ضخمة، تملك أكثر من سبعين بالمئة من احتياط النفط العالمي، والكثير من الموادّ الاستراتيجية الأُخرَى، والطرفان مرفوضان غربياً، وهما الضحية الأُولى للنظام العالمي الجديد، ولذلك؛ فإنَّ أيَّ تعاون أو تنسيق بينهما؛ يعني ظهور تجمُّع أو كتلة بشرية اقتصاديَّة سياسيَّة ضخمة قادرة على أنْ تقول (لا) للنظام العالمي، الذي تسعى الولايات المُتَّحدة إلى فَرْضه وتكريسه على العالم.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة؛ تعمل الدوائر الغربية والأمريكية على تكريس حالة العداء والكراهية بين المسلمين والروس، وفي إطار مُحاولات إضعاف رُوسيا وإبعادها عن المسلمين أو إبعاد المسلمين عنها، سارعت هذه الدوائر إلى مُحاولة ضمِّ دُول آسيا الوُسْطَى إلى حلف شمال الأطلسي، عبر مقولة الشراكة من أجل السلام، وعبر السيطرة على اقتصاديات تلك الدُّول، والاتِّفاقيَّات التي وقَّعتها الشركات الأمريكية مع أذربيجان وتركمانستان، ومَدّ خطوط نقل الغاز والنفط بعيداً عن الأراضي الرُّوسيَّة؛ ويندرج في هذا السياق حرب الشيشان، والحلف الإسرائيلي ـ التركي ـ الأمريكي.

فلهذا الحلف أبعاد وأهداف كثيرة ـ كما تحدَّثنا سابقاً ـ ولكنَّ ما يجب قوله: إنَّ من أحد أهدافه الإبقاء على الدور التركي بعد زوال الاتِّحاد السوفيتي الذي كان مُسيطراً إقليمياً، نشطاً، ومتوافقاً مع الخطط الجديدة[1].

تركيا كانت في المرحلة السابقة رأس جسر أمريكي ـ أطلسي في مواجهة الاتِّحاد السوفيتي، ويجب أنْ تبقى كذلك في مواجهة أيِّ تقارب روسي مع العالم الإسلامي، ورأس جسر أمريكي إلى آسيا الوُسْطَى وخيراتها، وفي مواجهة رُوسيا للولايات المُتَّحدة الأمريكية لا تريد أنْ تصبح تركيا دولة قوية؛ لأنَّ تركيا المسلمة القوية ستساهم في استقطاب العالم الإسلامي، وفي التقارب الرُّوسي الإسلامي، ولمنع ذلك لابُدَّ من ربطها بالمشروع الصهيوني الأمريكي، كي تبقى حاجزاً ومانعاً لأي تقارب، وفي الوقت الذي تستخدم فيه الولايات المُتَّحدة كلَّ وسائل الضغط المتاحة لمنع أي تعامل روسي مع إيران، تعمل على تقوية الدور التركي في مواجهة الدور الإيراني من جهة، وللحَدِّ من النُّفُوذ الرُّوسي في منطقة القفقاس والبحر الأسود وبحر قزوين حتَّى المحيط الهادي، والبحر الأبيض المُتوسِّط.

وهكذا يبدو واضحاً أنَّ التحالف الإسرائيلي ـ التركي ـ الأمريكي لا يهدف ـ فقط ـ إلى العبور الأمريكي عبر تركيا إلى آسيا الوُسْطَى، بل لضرب النُّفُوذ الرُّوسي في كامل المنطقة.

نعود إلى أُوكرانيا وإمكانياتها الكبيرة وإطلالها على البحر الأسود. فأُوكرانيا تُشكِّل الامتداد الطبيعي الجنوبي لروسيا، إنَّها البوابة الرُّوسيَّة إلى البحر الأسود، ومنه إلى الجنوب إلى أرض المسيحية الأرثوذكسية، والعالم الإسلامي، ولقد خاضت رُوسيا عبر التاريخ حروباً طاحنة من أجل القرم

---

(1) د. نجيب غبرة عن نوفوستي / 14/ 4/ 2001 / ، الناتو يندفع نحو القوقاز – امتداد الناتو والبنتاغون المتنامي نحو آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين، الهيمنة السِّياسيَّة والعسكرية والاقتصاديَّة..!

والسيطرة على البحر الأسود، وعندما تمَّ لها ذلك أصبحت إمبراطورية، وبالفعل؛ يقول زبيغنيو بريجينسكي في كتابه "رقعة الشطرنج العظيمة": أُوكرانيا تُشكِّل منطقة جديدة ومُهمَّة في القارَّة الأوروبية ـ الآسيوية؛ لأنَّ وجودها كدولة مُستقلَّة سيكون مُهمّاً بالنسبة إلى تحويل رُوسيا في المنطقة إلى دولة مُحاصَرة وهزيلة؛ إذْ إنَّ هذا الوجود المُستقلَّ سيحول دون تحوُّل رُوسيا إلى إمبراطورية بامتدادات أوروبية وآسيوية. والولايات المُتَّحدة الأمريكية تُدرك جيِّداً أهمِّيَّة أُوكرانيا الاستراتيجية بالنسبة لروسيا، وتدرك ـ أيضاً ـ أنَّ أُوكرانيا كانت عبر التاريخ عنصراً أساسياً في بنية الدولة الرُّوسيَّة، فالدولة الرُّوسيَّة بدأت من أُوكرانيا، وما يجمع البلدان ـ من عوامل اللغة والثقافة والانتماء العرقي والديني والتاريخي ـ كبير ومُهمٌّ، ولذلك عملت في السنوات الأخيرة على تكريس الاستقلال الأُوكراني عن رُوسيا، في البدء؛ دفعت الكنيسة الأُوكرانية للمُطالبة بالانفصال عن الكنيسة الرُّوسيَّة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ الكنيسة في غرب أوكرانيا تابعة للفاتيكان! ثمَّ عملت على مدِّ يد المُساعدات الاقتصاديَّة، فمَنَحَتها القروض، ووقَّعت معها الاتِّفاقيَّات ذات التسهيلات الخاصَّة، وساهمت ـ إلى حَدٍّ كبير ـ في تضخيم الخوف من نزعة الهيمنة الرُّوسيَّة عليها، وصولاً إلى دعوتها للدخول في حلف شمال الأطلسي، لمُساعدتها على مواجهة الضغوط الرُّوسيَّة، أو ما يُسمَّى بالنفوذ الرُّوسي.

وقد انعكس ذلك باتِّجاه خلافات حادَّة بشأن أسطول البحر الأسود، أو بشأن السيادة على شبه جزيرة القرم وقاعدة الأسطول بمدينة سيفاستوبل، وتمَّ ـ فيما بعد ـ تقاسم ذلك الأسطول بشكل مُخزٍ حقّاً.

وهكذا يبدو واضحاً أنَّ سياسة توسيع حلف شمال الأطلسي شرقاً، وصولاً إلى التخوم الرُّوسيَّة في الغرب والجنوب، وتعزيز التحالف التركي ـ الإسرائيلي، ودعم (إسرائيل) ومَدِّها بكلِّ وسائل القُوَّة والسيطرة، ومُحاولة احتواء العراق وإيران، وضرب التعاون الإيراني ـ الرُّوسي، والأوكراني ـ الرُّوسي، وتكثيف الوجود العسكري في الخليج، وصولاً إلى ضرب العراق، والتهديد بضرب إيران وسورية؛ هي سياسة استراتيجية كونية واحدة ذات أهداف محدَّدة: ضرب العالم الإسلامي وتفتيته، وضرب النُّفُوذ الرُّوسي، ومنع أيِّ تقارب بين رُوسيا والعالم الإسلامي، وتحقيق هذا الهدف شرط أساسيٌّ لتكريس وتثبيت النظام الأمريكي في العالم، ويبدو واضحاً ـ إلى حدٍّ ما ـ الموقف الرُّوسي من أزمة العراق مع الولايات المُتَّحدة، ومن عملية السلام في الشرق الأوسط، وكذلك من التحالف التركي ـ الإسرائيلي، ومن العلاقة مع الصِّين، والدعوة إلى عالم مُتعدِّد

الأقطاب، والسؤال المطروح: هل تستطيع رُوسيا مع الصِّين أنْ تقودا مَنْ يعاني من الظلم الأمريكي لمواجهة مشروع النظام العالمي الأمريكي المتوحِش؟ أم أنهما ستقعان في النهاية بالحفرة الأمريكية[1]؟.

سؤال كبير يتطلَّب الولوج فيه إلى متاهات البيت الرُّوسي الداخلي، وآفاقه الحالية والمستقبلية على السواء، وأنشطته الأخيرة وتحوُّل السياسة الرسمية إلى سياسة قومية مُتعصِّبة!

12- المملكة العَرَبيَّة السعودية ودورها الإقليمي:

أبلغ خادم الحرمَيْن الشريفَيْن الملك فهد بن عبد العزيز الرئيسَيْن الأمريكي بل كلينتون، والفرنسي جاك شيراك في اتِّصالات هاتفية ضرورة تحريك عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط!!

وأكَّد خادم الحرمَيْن ضرورة الاعتماد على المرجعية الدّوليَّة وقرارات الشرعية الدّوليَّة التي انطلقت من أساسها على عملية السلام بصيغة "الأرض مقابل السلام" صيغة مؤتمر مدريد، وتحقيق التقدُّم على كُلِّ المسارات التفاوضية، بغية تحقيق السلام العادل والشامل.

وطالب الملك فهد الولايات المُتَّحدة الأمريكية وفرنسا بالضغط على (إسرائيل) للتقيُّد بتنفيذ قرارات الشرعية الدّوليَّة، ولوقف الاستيطان والتهويد في الأراضي العَرَبيَّة المحتلَّة.

بحث الملك فهد مع هاشمي رفسنجاني الرئيس الإيراني السابق في لقاء مُشترك بالرياض دراسة التطوُّرات والوضع في منطقة الشرق الأوسط، ودراسة الأزمة العراقية والعلاقات الثنائية بين المملكة العَرَبيَّة السعودية وإيران، ولاسيما في مجال تعزيز التعاون الإقليمي مع بعضهما البعض، وفي مجال النفط بين إيران والسعودية، في إطار السعي إلى تحقيق استقرار أسعار النفط من خلال (مُنظَّمة أوبك) التي تجمع البلدَيْن، وتحقيق الاستقرار في آسيا الوُسْطَى.

وانتقد الرئيس الإيراني السابق - رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام - هاشمي رفسنجاني التحالف (التركي – الإسرائيلي) وقال: "إنَّ ما فعلته تركيا في تحالفها مع (إسرائيل) سيِّئ جدّاً وخطير، مُشيراً إلى أنَّ التقارب بين تركيا و(إسرائيل)، الذي أدَّى إلى خفض التبادل الدبلوماسي بين طهران وأنقرة، قد أدَّى إلى توتير أجواء المنطقة كُلّها.

---

(1) مايكل هيرش / صقور وحمائم بوش للهيمنة على العالم، نيوزويك العَرَبيَّة 3/ 9/ 2002- ص25.

كما أكَّد رفسنجاني أنَّ إيران والسعودية يمكنهما أنْ يكونا (حليفَيْن استراتيجيَّيْن)؛ مشيراً إلى أنَّ زيارته الأخيرة للسعودية كانت ناجحة، وأنَّ السعودية قدَّمت اقتراحاً يُجدِّد شكل التعاون مع إيران في المجالات المُختلفة.

وأشار السيد رفسنجاني إلى أنَّ التقارب العربي – الإيراني يُضيِّق الخناق على (إسرائيل)، مُوضِّحاً أنَّ النضال ضدَّ (إسرائيل) صعب من دون مصر، مُؤكِّداً أنَّ إيران ملتزمة بمجابهة المُخطَّطات الإسرائيلية في المنطقة، وأنَّ النضال من أجل (إقامة دولة فلسطينية) حقٌّ لا يمكن التغاضي عنه، وقد أيَّدت تركيا وحُكُومتها هذا المطلب بقُوَّة، وتعتبر نقطة التقاء إيجابية بين إيران وتركيا.

وأكَّد رفسنجاني "أنَّ (إسرائيل) لا تريد السلام، وهي مُستمرَّة في عنجهيَّتها، وتعنُّتها، وخاصَّة خلال انتفاضة الأقصى المباركة"، واستمرار أعمال القتل والتدمير والاغتيالات أمام صمت المُجتمع الدولي!

ثمَّة شراكة مَبنيَّة على أساس التفاهم العميق بين بريطانيا والعالم العربي، وإنَّ بريطانيا خلال رئاستها للاتِّحاد الأوروبي ستعمل على تعزيز هذه الشراكة، وتقويتها، ولكنْ؛ لايزال الدور البريطاني داعماً للولايات المُتَّحدة بشكل مطلق، وخاصَّة في التخطيط لغزو العراق، والمشاركة في حملة الضربات الوقائية ضدَّه(*).

لكنَّ "روبن كوك" أضاف: إنَّ للرئاسة البريطانية للاتِّحاد الأوروبي هدفَيْن واضحَيْن؛ هما توفير العدل للفلسطينيين، و(الأمن) للإسرائيليين على أساس القرار 242، وهُو القرار الذي وضعت بريطانيا مُسوَّدته في ظلِّ حُكُومة عُمَّالية سابقة، وقال: إنَّ اتِّفاق أوسلو، ومبدأ الأرض مقابل

(*) انظر بهذا الصدد السياسة الدّوليَّة – العدد 150 – 2003 – المجلّد 37 – اللواء حسام سويلم / ص290:
لم يتحقَّق الاستقرار السياسي المنشود الذي سعت وراءه واشنطن وحُلفاؤها في أفغانستان أو العراق، رغم وجود قيام لنظام جديد "نظام قرضاي" الموالي للولايات المتَّحدة، وتورَّطت ـ يوماً بعد يوم ـ بالمستنقع الأفغاني، وازدادت خسائرها وكراهية الشعبَيْن الأفغاني والباكستاني لها، إضافة لكراهية الشُّعُوب الاسلامية للوجود الاستعماري الجديد؛ حيثُ لم يعد يشغل بال الأمريكيِّيْن الرسميِّيْن سوى المُنظَّمات الارهابية والدُّول التي تُؤدِّيها، وكُلّ سياستها الخارجية انصبَّت على ذلك، أمَّا نظريات الرَّدْع والضربة الوقائية؛ فكان رامسفيلد وزير الدفاع قد أكَّد أهمِّيَّتها في 6/ 6/ 2003 لوزراء دفاع الناتو لتأكيد السيادة الأمريكية، وكان ستيفن يونغر مدير وكالة تخفيض أثر المخاطر وكشفها المُبكِّر على أهمِّيَّة الضربة المباغتة.
- انظر ـ أيضاً ـ بهذا الخصوص مايكل هيرش / صقور وحمائم بوش / نيوزويك العَرَبيَّة 3/ 9/ 2002 ص 25.

السلام يمثّلان ـ الآن ـ أفضل فرصة للتسوية، مشيراً إلى أنّ عملية السلام لن تنجح إذا حاول أيٌّ من الجانبَيْن التخلّي عن فقرات الاتّفاق التي لا تعجبه، أو إذا تُرك الطرفان وحدهما للبحث في الترتيبات اللازمة للوُصُول إلى هذه الغاية، وطرح خُطَّة للاتّحاد الأوروبي لإنعاش عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط، وهي تتألّف من ثلاثة أجزاء؛ أوّلاً: القيام بستَّة تدابير فورية لإعادة الثقة بين الجانبَيْن، وثانياً: تقديم مُساعدات عملية من الاتّحاد الأوروبي، بما في ذلك المُساعدة على تحرير الاقتصاد الفلسطيني من الحصار الاسرائيلي، ودعم تطلُّعات الشعب الفلسطيني المُستقلَّة، وضمان حقّ العودة للّاجئين الفلسطينيين لوطنهم.

وثالثاً: تجديد النشاط الدبلوماسي، وتعزيز الدور الأوروبي في المنطقة لتنشيط عملية السلام.

خامساً: الأمم المُتَّحدة والحُكُومة العالمية الخفية:

كان للأمم المُتَّحدة خلال فترة الحرب الباردة ـ في كثير من الأحيان ـ دور متواتر في العلاقات الدّوليّة بسبب من دور طرفَيْ الصراع فيها بين أعوام (1945 ـ 1986) وتحكمها آفاق العمل السياسي والاقتصادي، واحتدام الصراع، وبتناقض المصالح المثير بين القُوَّتَيْن العُظميَيْن ـ في ذلك الوقت ـ ما حكَّم الميزان العالمي توافق المصالح، أو توافق ميزان القوى، لكنْ؛ بعد ذلك، انهارت المعادلة بين النقيضَيْن لصالح صعود الليبرالية ونظامها العالمي، وأفول الاشتراكية ونظامها، ما فرض على هيئة الأمم المُتَّحدة ذاتها أنْ تحكمها القُوَّة المهيمنة في العالم، وهي الولايات المُتَّحدة الأمريكية. وسعت واشنطن أنْ يكون على رأسها شخصية تتوافق مع مصالحها وقراراتها، وتغيَّرت طبيعتها ودورها في العقدَيْن الأخيرَيْن، مع تغيير ملحوظ لدور تلك الشخصية من خلال البون الشاسع مثلاً بين مواقف فالدهايم وكوفي عنان، الأوَّل حاربته الصهيونية العالمية، وشهَّرت به، والثاني تحتضنه أيّ احتضان دوائر الصهيونية والإدارة الأمريكيَّة، وترعاه جيِّداً[1].

أدَّت هيمنة الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة على مجرى مصالح الاحتكارات والدُّول السائرة في تلك العَوْلَمَة، بعد تكيُّفها الشديد مع العلم والاتِّصالات والثقافة الجديدة للحُكُومة العالمية الخفية، لا، بل سهَّلت أنشطتها لمصلحة سيطرتها الكونية، بتوافق ملحوظ مع المنظَّمات والهيئات الدّوليَّة التابعة للأمم المُتَّحدة ذاتها، فعملت على إبقاء مناطق النُّفُوذ، والمضائق البحرية والأقاليم تحت السيطرة

(1) السفير اللبنانية / 20/ آب/ أغسطس –2001ص–21/ .

العسكرية الأمريكيَّة، رغم ثورة الاتِّصالات التقنية، وأحكمت قبضتها أكثر من ذي قبل على منابع الخيرات بأسلوب سياسي وعسكري قديم، وأوجدت في خضمِّ الأحداث مَنْ يرعى دورها، ويُبرِّر لها أفعالها، ويدعمها تحت حُجج كثيرة، ولم تسلم سياسات الأمم المُتَّحدة ودور رئيسها أو أمينها العامّ من التواطؤ الصارخ مع السياسة الخارجية الأمريكيَّة، وهُنالك أدلَّة كثيرة عليها، ولاحظنا أنَّ معظم المؤتمرات التي تقيمها هيئة الأمم لا تُراعى فيها مصالح الأقاليم والشُّعُوب كما كانت سابقاً، أو بفرض السلام والعدل فعلاً، بل راعت فيها ـ بشكل جوهري ـ مصالح وسياسة واشنطن، وصارت فرعاً من فروع وزارة خارجيتها، وليست مُعبِّرة مطلقاً عن ميثاقها وهموم ومصالح الشُّعُوب كما وردت فيه، فنجد الاهتمامات تنصبُّ في مكان دون مكان آخر، بما ينسجم مع المصلحة المعلَنة للإدارة الأمريكيَّة[1].

إنَّ ما حصل في المؤتمرَيْن الأخيرَيْن (جنيف ـ ودوربان) حول العُنصُريَّة والتبريرات المؤسِفة التي حملها الأمين العامّ لهيئة الأمم، وتناسي الماضي الإجرامي لحُكَّام بريتوريا، أو الكيان الصهيوني، تُغطِّي الشمس بالغربال صراحة على أفعال حُكُومة الفاشي أريل شارون والكيان العُنصُري الصهيوني[2]، ويتهرَّب علانية من توجيه أصبع الاتهام للصهيونية، كونها عُنصُريَّة وفاشية منفلتة من وحل الزمن، ووريثة النازية الألمانية في الشرق الأوسط، وتبرز ها هُنا حقيقة التناقض بين مشروع الشروق أوسطية بأهدافه الحقيقية، كمشروع للقتل والإجرام وتبرير سياسات شارون وحلمه التوسُّعي، ولا يوجد فارق بين مشروع بيريز ومشروع شارون؛ حيثُ نُسفت مُقرَّرات مدريد وأوسلو، وقُتلت عملية السلام على أيدي برابرة الهمجية الصهيونية، ولم نجد كوفي عنان يُكلِّف نفسه حتَّى بانتقاد تلك الأعمال، وانشغاله المفرِط بقضية (مزارع شبعا)، وتخفيض قوات الطوارئ الدّوليَّة فيها، دون النظر ـ أساساً ـ لمصلحة الشعب والدولة اللبنانية وحقوقها في المزارع، باعتبارها أراضيَ

(1) انظر اتِّفاقيَّات جنيف وبروتوكولاتها / اللجنة الدّوليَّة للصليب الأحمر/ 1949، إنَّ هُنالك قواعد إنسانية مُعيَّنة يتعيَّن على البشر أو على هيئة الأمم ذاتها مراعاتها في زمن الحرب حتَّى تجاه العدو، والنظر إلى موضوع سُكَّان الأراضي المُحتلَّة مُراعاة وضع الأطفال (ج50، 40) وتأمين الخدمات الصّحّيَّة والطِّبِّيَّة (ج65، 4) بينما سلطات الاحتلال الصهيوني لم تراع كُلّ ذلك، ووجدنا كوفي عنان غير مُهتمٍّ مطلقاً لممارسات الجيش الصهيوني؛ إذْ تؤكِّد اتِّفاقيَّة جنيف الرابعة بشأن حماية السكان المدنيِّيْن وقت الحرب أنْ يكون للنساء والأطفال احترام خاصٌّ جدًّاً، وهذا لم يحصل أبداً، لا في العراق، ولا في الأراضي الفلسطينية المُحتلَّة، ولا في أفغانستان!!.

(2) جورج جبُّور / مقاربات العُنصُريَّة الصهيونية/ القرار رَقْم 3379 ومؤتمر دربان، دار طلاس، 2001/ ص35/ عشية مؤتمر مدريد (والقرار 3379).

لبنانية، مُصرّاً ـ في الوقت نفسه ـ على إغماض عينيْه عن دعوة حُكُومة الإرهابي شارون للانسحاب من الضِّفَّة والقطاع، أو من الجولان باعتبارهما مناطق مُحتلَّة، إلامَ يمكننا أنْ نعزو تصرُّفات عنان هذه الأيَّام؟! إنَّها تصرفات مرهونة بمصلحة الولايات المُتَّحدة والكيان الصهيوني في لبنان والمنطقة، بأنْ يبقى عامل التَّوتُّر موجوداً، ولا يُكلِّف نفسه مطلقاً لتطبيق أُسٍّ واحد من أسس الميثاق الدولي للأمم المُتَّحدة، أو اتِّفاقيَّات جنيف ولاهاي في الطرف الفلسطيني، أو اللبناني، أو السوري، أو حتَّى العراق وأفغانستان، ويمكن النظر هُنا إلى ضعف دور وشخصية الأمين العامّ في مواجهة الحقائق، وردع الطرف الآخر عن عدوانه وممارساته المتوحِشة في القتل والإجرام والتوسع الاستيطاني المدروس، وهي مواقف مُثيرة للتساؤل حقّاً!!.

المعطيات السِّياسيَّة التَّاريخيَّة قبل وبعد وُصُول السيد د.بطرس غالي للأمم المُتَّحدة ورفضه لأنْ يكون الرجل الهزيل المتوافق مع مشروعات العَوْلَمَة الأمريكيَّة، وليس لديه المقدرة على الوقوف بوجه معقل الإرهاب الدولي في البيت الأبيض، وما يمكن أنْ يقوله للشُّعُوب والدُّول في المنطقة؛ إنَّما سجّل الصراع الخفي بينه وبين وزيرة الخارجية الأمريكيَّة (أولبرايت)، مفترق طرق كبير لدوره وإمكانياته في الرفض والتنديد (بعملية قانا)؛ حيثُ أصرَّ الجيش الصهيوني على توجيه ضرباته لمقرَّات الأمم المُتَّحدة في تلك المنطقة، ولم ترعَ واشنطن إلَّا الهمجية الصهيونية وحدها، فأثَّرت في موازين القوى داخل الأمم المُتَّحدة لطرد بطرس غالي، زعيم الفرنكفونية الثَّقافيَّة، وما تطرحه من حوار حضارات بديل عن حوار السلاح والقتل والإجرام الانغلوسكسونية ـ البريطانية ـ الأمريكيَّة، فجلبت لهيئة الأمم سكسونيا من نوع جديد يُؤمن بهيمنة الفاشية والصهيونية العُنصُريَّة في المنطقة مقابل تحرير مصالحه الخاصَّة، أكان ذلك في العراق، أم في البوسنة، وهُنالك أدلَّة دقيقة على تحرير مصالحه ومصالح ابنه في تجارة النفط وغير النفط، وعقد الصفقات الضخمة، فأدار ظهره لإحياء القرار 3379 الذي يَصِمُ الصهيونية بالعنصرية[1]، ورضخ للتهديد الأميركي في المؤتمر آنف الذِّكْر، ولا شكَّ في أنَّ المشكلة الرئيسة ليست في كوفي عنان، أو في قدرته على اتِّخاذ القرارات المناسبة، أو إدارة المخاطر المُحدقة في المنطقة، من إمكانية حدوث واشتعال حرب جديدة، بين مُحرِّكيها وبين العَرَب، الذين ناموا على وسادة مدريد وأوسلو إلى فترة طويلة، وهذا ما تريده تلك الحُكُومة، رغم تحذيرات السيد فاروق الشرع المُتكرِّرة من أنَّ أيَّ اتِّفاق أو لقاء مع العدو الصهيوني، لابُدَّ أنْ يأخذ

(1) جورج جبور، مصدر سابق.

جُملة مُعطيات تعتمد على قرارات الشرعية الدّوليَّة، قبل أيِّ اعتبار آخر في مُختلف المسارات، الأمر الذي تجاوزه بعض العَرَب إلى الرضوخ لمصالحة غيبية (من الغيبوبة) السِّياسيَّة المرهونة مع مصالح الولايات المُتَّحدة، وشروطها للسلام الأميركي!! ففي الوقت الذي أقامت هيئة الأمم (ومجلس الأمن) الدنيا، ولم تقعدها، لإزاحة ما يُسمُّونه الأسلحة الشاملة في العراق، ماتزال تغضُّ الطرف، وتدفن رأسها بالرمال تجاه ممارسات الحُكُومات الصهيونية العدوانية، وترسانة الأسلحة الموجودة لديها، ولا تنظر لانتهاكات حُكُومة شارون الفاشية عملياً في الضفَّة والقطاع إلَّا بأسلوب التهرُّب والسذاجة والتبريرات غير المنطقية[1].

لقد أكَّد شمعون بيريز وغيره من قادة الإرهاب الصهيوني أنَّ وجود كوفي عنان في رأس الهيئة الدّوليَّة عظيمٌ للكيان الصهيوني والسلام في المنطقة، ويباركونه بشكل مثير للاشمئزاز، في الوقت الذي يقود عنان سياسة دولية متناقضة مُسيطَراً عليها من قبل (الحُكُومة الخفية العالمية)، التي تحرِّكها دوائر البيت الأبيض والكونغرس الأميركي المُهيمَن عليه من اللوبي الصهيوني الأميركي، والحركات السِّرِّيَّة ـ الصهيونية النشيطة عالمياً، التي لا تكتفي مطلقاً بهدم الاتِّحاد السوفيتي السابق، أو بهدم وتحطيم الاتِّحاد اليوغسلافي، أو أيّ دولة ـ مهما بلغت من قُوَّة ـ في سبيل إعادة هيكلة بنود وأهداف الحُكُومة العالمية تلك، وإعادة وَثَنية المال والقُوَّة اليهودية العالمية. لقد أكَّد فُوكُوياما المستشار السابق في البيت الأبيض أو بريجنسكي صاحب نظرية "أميركا بين عصرَيْن تكنو ـ نتروني"؛ أيْ عصر العَوْلَمَة الجديد، بأقوالها المثيرة للجدل والتحفُّظ أنَّ الاتِّجاه السائد في السياسة الأمريكيَّة، وحتَّى في هيئة الأمم ذاتها، هي سياسة إعادة تفكيك الدولة المُتَّحدة، لتصبح دُولاً مُتفرِّقة، أو في مُحاولات تقسيم الدُّول، أو أيّ دولة فيها طائفياً كما يحصل في (الصومال ـ والسودان)، أو في (أفغانستان) بتضارب المصالح والإرادات، وتشجيعها على الانقسامات، والدور الخفي للكيان الصهيوني في أحداث (رواندا) وغيرها كان ماثلاً لنا جميعاً، مُؤكِّدين أنَّ أيَّ دولة في العالم تحاول مواجهة نظام العَوْلَمَة، أو نظام الحُكُومة العالمية الخفية، ستلقى مصيراً أسوأ ممَّا تتوقَّعه، ولعلَّ ما يحصل للألبان، أو للمقدونيين، أو بشكل عامٍّ؛ للاتِّحاد اليوغسلافي؛ يمكن أنْ يحصل في أيِّ منطقة من العالم، ولعلَّ توافق مصالح بعض الدُّول الصناعية الكُبْرَى لضرب العراق وشعبه، ومحاصرته وإقامة المناطق العازلة، والموقف المخزي لكوفي عنان من ذلك، له دلالاته التَّاريخيَّة المُهمَّة على مصائر الشُّعُوب

(1) المحاكم البلجيكية والمصرية والتونسية والعَرَبيَّة والايرانية عموماً، تطالب بمحاكمة شارون في محكمة دولية 2001م.

والدُّول المنضوية تحت لواء هيئة الأمم المُتَّحدة، لا شكَّ أنَّ البُعْدَ الجوهري للصراع السياسي الدائر، أَكان في لبنان، أم في العراق، أم في ألبان كوسوفو، أم في الضفَّة والقطاع، دفع القوى الفاشيَّة والعُنصُريَّة كالصهيونية والصرب والمُنظَّمات اليهودية المُتطرِّفة في الولايات المُتَّحدة وفلسطين وغيرهما، للأعمال الخارجة عن القانون والميثاق الدولي "وتناغمت ممارساتها مع الأعمال الإرهابية الدّوليَّة"، وانفتحت أمامهم الأضواء الخضراء للمَسِّ بأمن وسلامة الشُّعُوب، لنهبها والسيطرة عليها، وإعادة أساطير الماضي تحت شعارات مُزيَّفة من الديمقراطية وحقوق الإنسان، في الوقت الذي تُنتَهَك وتُذبَح فيها حقوق الإنسان العربي أمام هيئة الأمم ومجلس الأمن والعالم.

لعلَّ روجيه غارودي المُفكِّر والكاتب الفرنسي المعروف قد حدَّد ـ بالضبط، ودون موارية ـ أنَّه لا ديمقراطية مطلقة، ولا حُرِّيَّة مطلقة في أيِّ مكان من هذا العالم[1]، حتَّى هيئة الأمم بدورها الضعيف والهزيل في عهد كوفي عنان لا يمكنها إلَّا أنْ تكون الأداة الطَّيِّعة بأيدي الولايات المُتَّحدة وإدارتها التي تُحرِّكها الأيدي الخفية من الصهاينة في (إيباك وبناي بريث وجويش إيل)، ومهزلة الديمقراطية في (رُوسيا)، أو في (أندونيسيا)، وإعادة الملك الأفغاني ظاهر شاه إلى أفغانستان مُؤخَّراً؛ ما هي إلَّا لذَرِّ الرماد في العيون، والعودة بعالمنا إلى مرحلة جديدة ومفتوحة من الصراعات، وإعادة ترتيب حياة البشر والعالم، وفقاً للمصلحة الكونية الأمريكيَّة، التي تُكرِّس شريعة الغاب بديلاً عن الشرعية الدّوليَّة وقراراتها، ولعلَّ دور كوفي عنان لا يعدو كونه وكيلاً تجارياً، أو سياسياً، أو استشارياً لتلك الحُكُومة العالمية، وما لم يستطع القيام به د.بطرس غالي تحوَّل لعنان للقيام به، لتكريس استغلال وانقسام الدُّول ونهبها، وهلاك شعوبها، واستثمار صراعاتها نحو أهداف هي ليست ـ بالضرورة ـ أهداف ومبادئ الأمم المُتَّحدة وميثاقها، بل أهداف الحُكُومة الخفية العالمية!.

---

(1) الأساطير المُؤسِّسة للصهيونية؟!.

القسم الرابع:

أوّلاً: العَوْلَمَة الأمريكية وأولويّات العلاقات العَرَبيّة التركية والآسيوية

يبدو لنا المُجتمع التركي بكُلِّ تفاصيل حياته اليومية وعاداته وتقاليده، أقرب إلى المُجتمع العربي والإسلامي من أيِّ مُجتمع آخر، رغم السعي المُستمرّ لتركيا الدولة والمُؤسَّسات للشراكة والتعاون مع أوروبا، والدخول في الاتّحاد الأوروبي.

لذا؛ فالدول العَرَبيّة في فترة العَوْلَمَة الأمريكية بكُل تجلّياتها تحتاج - فعلياً - إلى إعادة النظر بالعلاقات، ليس مع تركيا كشعب ومُؤسَّسات ودولة فحسب، بل ومع مجموع الدُّول في آسيا الوُسْطَى الناطقة بالتركية والعَرَبيّة والفارسية؛ إذْ ماتزال هُناك روابط تاريخية وثقافية وحضارية تجمع شُعُوب المنطقة ودُولها بمنظومة أعمال اقتصاديّة وحضارية وروابط روحية وثقافية، ولايزال العالم الصناعي ينظر للعرب والأتراك وشُعُوب آسيا الوُسْطَى نظرة عداء وازدراء؛ لأنّهم ينتمون للإسلام ولتراثه التاريخي المُميَّز. وجامعة الدُّول العَرَبيّة مَدْعُوَّة في الفترة الحالية، للقيام بخطوات جديدة لإنشاء أقسام أو دوائر أو مراكز أبحاث تختصُّ - فعلياً - بتطوير مُختلف العلاقات البنَّاءة مع تركيا وشعبها ومُؤسَّساتها الثَّقافيّة والإعلامية والاقتصاديّة، وأيضاً؛ مع دُول وشُعُوب آسيا الوُسْطَى، وهذه دعوى جادة للجامعة باعتبار أنَّ الحديث يدور الآن حول الإهمال العربي الشديد لإمكانات ومستلزمات التعاون (العربي[*] التركي) أو (العربي - الآسيوي)، وخُصُوصاً في بحر قزوين، وعلى

(*) قدَّم حلف الناتو دعوات تاريخية لعضوية سبع دُول كانت ذات مرَّة من أهمِّ الدُّول التابعة للاتّحاد السوفيتي، رغم التفاوت الكبير بين قدرات الولايات المُتَّحدة العسكرية والاستخباراتية والاقتصاديّة، وبين أوروبا الشرقية أو الغربية / كان المُؤرِّخ بول كيندي من جامعة (بييل) الذي اشتُهر بتحذيره للولايات المُتَّحدة في الثمانينيات حول التحدُّد الامبريالي المبالغ فيه؛ حيثُ.....القُطبيَّة الأمريكية من الاختلافات الأساسية مع أوروبا حول قضايا مُتعدِّدة بما فيها شؤون الأمن والتسليح والبيئة والتطوُّر الإنمائي والتجارة والثقافة. وتطوَّر العمل التجاري وتوسَّعت النشاطات التجارية، فدخلت بلغاريا قبل تركيا بالاتّحاد الأوروبي وحلف الناتو؛ حيثُ أعلن روبرت كيفان.... مُؤسَّسة كاريجي للسِّلْم العالمي "أن هُنالك خلافات كبيرة بين أميركا وأوروبا حول استخدام القُوَّة العسكرية في آسيا الوُسْطَى والمنطقة، وتختلف الرُّؤى الأمريكيَّة عن الأوروبية خاصَّة بالنسبة للنواحي الاستراتيجية والعالمية الكُبْرَى.

جامعة الدُّول العَرَبيَّة (والدُّول العَرَبيَّة منفردة) أنْ تـدرك أنَّ الـشُّعُوب الناطقـة بالتركيـة والفارسـية ـ وما بينهما العَرَبيَّة ـ تتطلَّع إلينا برغم عدم المبالاة وعدم الاهتمام بتلك الشُّعُوب والمناطق التي تـرتبط معنا بمصيرها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها بشؤون عديدة، ومن حقِّ المُثقَّفين ورجال الأعمال ومُختلف الفئات الناشطة في تلك المناطق معرفة قضايانا العَرَبيَّـة مُبـاشرة، وذلـك لـن يحـدث إلَّا بـزرع بـذور الاهتمام السياسي والاقتصادي والحـضاري المُـشترك بيننـا، ولـيس زرع بـذور الـشكوك والخلافـات خُصُوصاً في هذه الفترة بالذات، التي تقوم على توازن المصالح وانتشار العَوْلَمَة الثَّقافيَّـة والاقتـصاديَّة والتكنولوجية إلى حُدُود واسعة. والمُثقَّفـون العَـرَب والأتـراك والآسـيويون لـديهم مـن الإمكانـات الثَّقافيَّـة والحـضاريَّة مـا يُمكِّـنهم مـن رَدِّ الأضـاليل والأكاذيـب الـصادرة عـن الـدوائر الأمريكيـة والصهيونية، واتِّهامنا بما ليس فينا[1].

كيف يمكن للعداء أنْ يستشري بين دُول وشُعُوب المنطقة، بدلاً من أنْ يكـون هُنـاك تواصـل وحوار حضاريٌّ وتقارب للمصالح؟ ومَنْ لـه مـصلحة بإبقـاء العلاقـات غامـضة إلى هـذا الحَـدِّ في الوقت الذي يُطرَح فيه شعار حوار الحضارات؟ علماً أنَّ الأَولى هُـو تقـديم العلاقـات بـين الـشُّعُوب العَرَبيَّة والإسلامية، قبل سعينا للحوار مع الآخرين. وهذا يتطلَّب التركيز على ما يأتي:

ــ إنَّ المُثقَّفـين العَـرَب والأتـراك والآسـيويِّيْن والإيـرانيِّيْن، إضـافة إلى المثقَّفـين الأوروبيِّـيْن (أوراسيا) مطالبون ـ الآن ـ بإيجاد صيغ التعاون والحـوار الـسلمي والحـضاري، وتطـوير العلاقـات الروحية والثَّقافيَّة في مواجهة العَوْلَمَة الأمريكية المعتمدة على الحلول العسكرية.

ـ التعـاون بـين المُؤسَّـسات والجامعـات ووسـائل الإعـلام للـدول العَرَبيَّـة – والآسـيوية – والأوروبية، وإقامـة النـدوات الثَّقافيَّـة والإعلاميـة، والمـشاركة الاقتـصاديَّة الـشاملة، وتعزيـز روح الصداقة والتعاون بين جميع شُعُوب منطقة أوراسيا والوطن العربي. وعلى جامعـة الـدُّول العَرَبيَّـة أن

راجع / الثقافة العالميـة – 122 / الـسنة 23 – شـباط/ فبرايـر 2004 – ص54- 55- 56. اعـتلاه عـبر الأطلـسي. صامويل إف ويلز / ت. فرج الرهوني

(1) انظر بهذا الصدد / صحيفة تشرين – ص11- حول التوجُّه الإسباني وتوحيد أوروبا في وجـه محـور الحـرب بعـد أحداث مدريد المُؤلمة 11 آذار، والتي راح ضحاياها من المدنيِّيْن والعُمَّال والمُوظَّفين.

تُركّز ـ بقوّة ـ على هذه المنطقة الجيو – بوليتيكية المُهمّة جدّاً في صياغة برامج وأنشطة العمل في السنوات المقبلة، ومنح الدعم المادي والمعنوي لها.

ـ إنّ الشارع العربي والتركي والآسيوي ـ بشكل عامٍّ ـ مُتفهِّم للعديد من القضايا في المنطقة، لكنّ ما ينقصه للانطلاق نحو مستقبل أفضل؛ هُو الاهتمام العربي والخليجي عموماً بتطوير العلاقات مع الشُّعُوب والدُّول الآسيوية، والتركيز على الاهتمام بالشباب المُنتِج والمُثقّف في هذه المنطقة الحيوية!!

ـ لا نجد ـ حتّى الآن ـ أيَّ مظهر من مظاهر التعاون بين جامعات تركيا وأذربيجان ودُول آسيوية مع الدُّول العَرَبيّة، أو العكس، حتّى تعاون على صعيد تجاري، أو اقتصادي شامل، الأمر الذي يدع للكيان الصهيوني تشكيل لجان ومُؤسّسات وعلاقات مع تلك الدُّول على حساب الشُّعُوب والدُّول العَرَبيّة، وهذا ما نواجهه ـ بشكل مُستمرٍّ ـ في حديثنا مع المُثقّفين الأتراك والأذريّيْن والأرمن والروس، ولسان حالهم؛ أين العَرَب واستراتيجيتهم في آسيا الوُسْطَى؟!

ـ الاهتمام بدور الصحافة والإعلام التركي في إظهار القضايا العَرَبيّة، وعلاقات حُسْن الجوار، والتعاون بكُلِّ أشكاله، وطيّ صفحات الماضي المؤلِمَة لمصلحة الأجيال المقبلة.

وصحيح أنَّ ظُرُوف الصراع العربي – الصهيوني المُعقّدة جدّاً أثّرت ـ بشدّة ـ في مُحاولات تكوين علاقات أفضل بين الدُّول العَرَبيّة والآسيوية، ومنها تركيا، إلّا أنَّ ظُرُوف الصراع ـ الآن ـ تفرض إعادة النظر بطبيعة العلاقات الرسمية والشعبية، وإذا كانت (إسرائيل) تسعى دائماً لبَثِّ التفرقة والخلافات فيما بينها، فإنَّ التّطلُّع للمستقبل والعمل المُشترك الثقافي والروحي والحضاري يُبعد الكيان الصهيوني عن استغلال إمكانات تركيا ضدَّ الشُّعُوب والدُّول الأُخْرَى، ولعلَّ قيام صيغة من الشراكة التركية – الأوروبية – العَرَبيّة في هذه الظُّرُوف والمناخات الإقليمية والدّوليّة؛ تفتح آفاقاً جديدة على مسار الفعل الإقليمي، وتجعله متماسكاً وقوياً في دفاعه عن الإسلام وحضارته العالمية.

والمثقّفون العَرَب والأتراك وكُلّ مثقّفي الشرق العربي والإسلامي مطالبون ـ الآن ـ بأنْ يكونوا في جبهة ثقافية وحضارية واحدة؛ لأنّهم كمسلمين مستهدفين قبل غيرهم من أساليب الصهيونية الجديدة، ويجب أنْ تتلاقى مصالحهم في جبهة واحدة ضدَّ نظام العَوْلَمَة الأمريكي

العسكري والحربي. ومن الأهمِّيَّة بمكان أنْ يُترجم ذلك بلقاءات وحوارات وأنشطة ثقافية وإعلامية وتجارية، وإقامة المعارض والمُؤسَّسات المُشتركة بدلاً من بلاغة الكلام عن "التضامن" ضدَّ العَوْلَمَة ليس إلَّا.

لاشكَّ أنَّ تحسين العلاقات العَرَبيَّة التركية والآسيوية الوُسْطَى، ووصولها إلى وسائل مُتقدِّمة من التعاون، وتحقيق أهداف وغايات جديدة لمصلحة شُعُوب ودُول المنطقة؛ هي تزيل آفاق القلق والتَّوتُّر عن كاهل مجمل المنطقة، وخاصَّة الصراعات التي تُؤثِّر - بشدَّة - في مستقبلها وتطورها، رغم أنَّ موقف تركيا من شمال العراق كان بمنزلة الموقف المُنتظَر والمُهتمّ لما يحصل هُنالك، قبيل وبعد الاجتياح الأمريكي للعراق، إلَّا أنَّ ما يزيد قلق العَرَب والمسلمين عموماً؛ هُو زيادة النُّفُوذ الاسرائيلي المدني والعسكري في شمال العراق، كامتداد لذلك الوجود في آسيا الوُسْطَى؛ حيثُ وصلت العلاقات الثنائية بين تركيا و(إسرائيل) إلى مستوى لا يُستهان به في مُختلف المجالات، لذلك فإنَّه لا يمكن الخوض في تاريخ سحيق من العداء العربي – التركي أو العكس، الذي استفادت منه (إسرائيل) رغم ما توضَّحت له من توتُّرات عديدة نتيجة عوامل التصعيد والتَّوتُّر السياسي الذي قامت به (إسرائيل) تجاه ايران، إلَّا أنَّ الأتراك يُصرُّون دائماً على إبقاء علاقاتهم الواسعة مع (إسرائيل) تجاه إيران لأسباب مُختلفة، ويطرحون شكوكاً وأسئلة عديدة!!

في حقيقة الأمر؛ هُنالك أسباب منطقية للخلل في العلاقات العَرَبيَّة – التركية لا يمكن أنْ يكون سبباً واحداً فقط، بل العديد من الأسباب، لاسيما أنَّه لا يوجد فارق كبير في الثقافة والعادات بين العَرَب والأتراك، وهُنالك تداخل واسع جدَّاً اجتماعيٌّ وثقافيٌّ كان سببه السياسة العثمانية في تتريك العَرَب واستغلالهم، التي كانت سائدة في المنطقة طيلة عُقُود طويلة، وكانت السبب الأكيد في إحداث قطعية واسعة مع الأتراك، من أهمّها سياسة التتريك والتخلِّي عن اللغة العَرَبيَّة والإسلام بشكل رسمي، والانتقال إلى العلمانية والليبرالية الجديدة وغيرها، وجعل مصطفى كمال أتاتورك رمزاً للدولة التركية.

وهُنا؛ لعبت الولايات المُتَّحدة وأوروبا و(إسرائيل) أدواراً مُتعدِّدة لاستبعاد تركيا عن وسطها العربي الإسلامي، وتقديم شتَّى ألوان المُساعدات لها، وتطوير وضعها الاقتصادي والاجتماعي، حتَّى تلحق بركب الحضارة الأوروبية والدُّول الصناعية، وطموح الأتراك عموماً لايزال ينصبُّ على الدخول للاتِّحاد الأوروبي لنيل الامتيازات الخاصَّة بذلك.

في هذا السياق؛ يمكن لنا الدخول إلى العديد من التفاصيل الأساسية للتعاون العسكري والاقتصادي والأمن التركي – الاسرائيلي على مدى عُقُود عديدة، وهُنالك مصادر عديدة تذكر الحقائق والأرقام عن طبيعة تلك العلاقات المتقدِّمة، لاسيما أنَّ (إسرائيل) تعتبر تركيا بوَّابة سياسيَّة واقتصاديَّة وأمنية للتَّوغُّل في آسيا الوُسْطَى، أَكان عبر المُؤسَّسة العسكرية والأمنية، أم عبر المُؤسَّسة الاقتصاديَّة، ولا نغالي إذا قلنا: عبر المافيات المُتعدِّدة الأمريكية ـ التركية والرُّوسيَّة والأذرية...إلخ.

ظُرُوف العَوْلَمَة الأمريكية الحالية المفروضة على المنطقة[1] عموماً فتحت الاحتمالات كلّها على أبواب عديدة، جعلت العديد من الدُّول العَرَبيَّة تتقدَّم خطوات نحو تحسين العلاقات مع تركيا والعكس، لاسيما أنَّ الأتراك يعيشون بأسى ولوعة وحذر من الدعم الأمريكي البريطاني للأكراد في شمال العراق؛ الذين يسعون لإنشاء دولتهم الكردية ذات الحُكْم الذاتي بالقرب من الحُدُود مع تركيا ودُول أُخْرَى لها وزنها في المنطقة.

(1) راجع / صحيفة السفير 9/ 3/ 2004 – الأسلوب الخاطئ في بيع الديمقراطية / زبينعيو برجنسكي – مستشار الأمن القومي في إدارة الرئيس الأسبق جيمي كارتر.
"تستحقُّ إدارة بوش الفضل لالتزامها طويل الأمد بالديمقراطية في الشرق الأوسط، لكنْ؛ حتَّى الأفكار الطَّيِّبة يمكن أنْ تفسد بسبب التنفيذ السَّيِّء. وأسوأ من ذلك إنَّ الفكرة يمكن أنْ تعطي نتائج عكسية خُصُوصاً ما اشتبه به الناس من أنَّ هناك دوافع تتحرَّك خفية "يجب أنْ تعي المبادرة أنَّه دون احترام سياسي نابع من حقِّ تقرير المصير لا يمكن أنْ تنشأ ديمقراطية."

ثانياً: تركيا "العدالة والتنمية"

آفاق إدارة الأزمات وتحسين صورة الجُمهُورية

مهَّدت الانتخابات التشريعية الأخيرة في تركيا، والانتصار الساحق لحزب العدالة والتنمية المنبثق عن حزب الفضيلة المحظور الذي كان يتزعَّمه أربكان؛ حيثُ أحدث انتصار أردوغان وعبد الله غول هذه عنيفة في الأوساط السِّياسيَّة التركية وأحزابها العتيقة، واستطاع الحزب الجديد المنتصر وبفترة قصيرة جدّاً قياساً لعُمر الأحزاب الأُخْرَى، وخبرتها العريقة في مجال الانتخابات التشريعية والحياة السِّياسيَّة، من فرض شروط انتصاره، ودوره الراديكالي على المُجتمع التركي، كُلّ تلك الأحداث صنعت حالة الإرباك للأوساط السِّياسيَّة والعسكرية والرسمية في الجُمهُورية التركية، التي تدين بالولاء المطلق لدُستُور وأفكار العلمانية والأتاتوركية، التي لم تَحِد عنها الجُمهُورية مُنْذُ زمن بعيد، وأمام الزعيم الجديد وحُكُومته حالة انبهار كبيرة للمُجتمع التركي عموماً، وهُنالك مهامّ صعبة مُتراكمة على الأوضاع الداخلية والخارجية، من الصعب حلُّها بسهولة دون صراعات جديدة على اللائحة الحزبية والسِّياسيَّة، خاصَّة ما يسبِّبه انضمام تركيا للاتِّحاد الأوروبي من قلق دائم للقوى والشعب التركي، ومسؤولية، في فترة طالب الأوروبيون فيها تركيا بمزيد من الانفتاح والالتزام بإطلاق الحُرِّيَّات العامَّة، والاعتراف بمبادرات الأمم المُتَّحدة حيال قضية قبرص المتأزِّمة مُنْذُ عام 1974 حتَّى الآن، والمطالبة بإلغاء العديد من الأحكام القسرية، التي لا تتوافق مع مزايا أيِّ دور جديد يقوم به الاتِّحاد الأوروبي في مجال التنمية أو حقوق الانسان، ومعارضته الدائمة لممارسات المُؤسَّسة العسكرية التركية المعروفة بتدخُّلاتها السابقة في الحياة البرلمانية والسِّياسيَّة، وفرض مصالحها، وهذا ما لا تستطيع أوروبا الرضوخ له، فيما إذا لم يتمّ تبييض صفحة تركيا وملفَّاتها تجاه الآخرين[1].

كما هُو معروف تشكَّل حزب العدالة والتنمية في صيف 2001م، وقادته شخصية سياسيَّة واقتصاديَّة مرموقة في الأوساط الأوروبية والعَرَبيَّة والإسلامية، ويُمثِّل ـ الآن ـ التَّيار التحديثي – الإصلاحي في الحركة الإسلامية التركية، التي تزعَّمها أربكان سابقاً، وعبَّر عن اتِّجاهها المحافظ

---

(1) كان أردوغان مسؤولاً كبيراً في بنك التنمية الإسلامي.

رجائي كوتان، واستطاع عبد الله غول وأردوغان من خوض العديد من المعارك المُهمَّة، ونجحا فيها أيّما نجاح، مع تقدير دورهما في البنك الاسلامي للتنمية، ورئاسة بلدية مدينة تاريخية وعريقة مثل "اسطنبول"، حرصاً على محاربة الفساد المُتفشّي في المُؤسَّسة الرسمية، والتحريض ضدَّ الفئات المُنتفعة والوصولية التي تريد وضع الشعب كُلّه في خدمة مآربها، بتشجيعها للحجاب في الجامعات والدوائر الرسمية، لما احتلَّه الحجاب من أهمِّيَّة معنوية للحركة الإسلامية التركية طيلة السنوات الماضية، ومحاصرة أساليب التحايل على الشعب لتمرير صفقات المافيا الرسمية، التي كثر الحديث عنها في الآونة الأخيرة في تركيا، ودور تانسو تشيلر وبعض الضباط الكبار فيها، وعلاقاتهم مع المافيا الأذرية والجورجية في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا، وتهريب مليارات الدولارات للخارج.

من الواضح أنَّ للحُكُومة الجديدة طموحات عديدة لمُحاولة التغيير والتحديث من خلال ما يصرِّح به عبد الله غول وأردوغان في الوسائل الإعلامية التركية، وقيادة برنامج إصلاحي على مُختلف المستويات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، فضلاً عن السياسة الخارجية - التي يراها أردوغان أنَّها بحاجة لتغيير شامل - لتعزيز دور تركيا الإقليمي والدولي، وخاصَّة السعي بقُوَّة للخروج من أزمة العلاقة مع الاتِّحاد الأوروبي، التي تعني لتركيا الشيء الكثير؛ إذْ ينطلق الخطاب السياسي لأردوغان كالسهم في قلوب ومسامع الشعب التركي، مُؤكِّداً في خطاباته أنَّه سينهي السجل الحافل بحقوق الإنسان والتعذيب الذي تقوده المُؤسَّسة العسكرية في طول البلاد وعرضها عمَّا قريب[1].

لا شكَّ أنَّ البرنامج الجديد الذي يحمله أردوغان وعبد الله غول بما فيه إعلانهما عن ضرورة تغيير دستور الجُمهُورية ليتلاءم مع المُتغيِّرات المعاصرة الجديدة، أحدث زلزالاً كبيراً، وأسقط من حسابات الناخب التركي دور الأحزاب التركية المُؤثِّرة في الأحداث السِّياسيَّة التركية طيلة عُقُود ماضية. خاصَّة ما يُظهره زعماء الأحزاب الكبيرة من تخوُّف جديد إزاء الحالة الجديدة التي لم يتعوَّدوا عليها بعد في حزب الوطن الأُمّ، أو الحزب الديمقراطي، أو حزب الطريق القويم، أو حزب الشعب الجُمهُوري، ودور زعمائها بولنت أجاويد، ورجائي كوتان، ومسعود يلماز، وتانسو تشيلر، وإسماعيل جيم، إضافة لأنصار تورغوت أوزال، الذين فشلوا في مُحاولاتهم ضمَّ تركيا إلى الاتِّحاد الأوروبي،

---

(1) تورغوت أوزل رئيس وزراء تركيا الأسبق، من كبار أصحاب رؤوس الأموال واقتصادي ناجح، اغتيل لأسباب سياسيَّة.

أو حلّ الملفّات الساخنة، ونجح أردوغان في المسابقات الماراثونية – الجديدة لكسب ثقة الناخب والجُمهُور التركي، والوقوف بوجه السياسة التقليدية الفاشلة أمام المعطيات الجديدة، وخاصّة كسب عطف الناخب الكردي في المناطق الشرقية من البلاد، بعد اتّباع أسلوب خطابي حيادي، بعيد عن التَّطرُّف والاستفزازات التي تجاوزها حزب العدالة والتنمية بامتياز دون تردُّد، وبأسلوب حضاري، ولايزال البعض في الإعلام التركي يتحدَّث عن أنَّ ذلك النجاح سينتج عنه طريق جديد، تتجسَّد فيها خريطة جديدة لدور الجُمهُورية التركية، وبالأخصّ؛ في نقاط جوهرية؛ أهمّها:

ـ موقف حزب العدالة والتنمية من المُؤسَّسة العسكرية التركية؛ من دون أدنى شكٍّ أفرزت أحداث 11 سبتمبر/ أيلول واقع فرض القُوَّة العسكرية الأمريكية على المنطقة، ومن دون أن تُراعى أوضاعها العامَّة خوفاً على مصالح أنظمتها السِّياسيَّة وقواعدها الديمقراطية.

ـ من دون شكٍّ أنَّ الرعب طال دولاً لها دورها الاقتصادي مثل أوروبا التي باتت مصالحها الجيو ـ اقتصاديَّة تحت المجهر الأمريكي باتّجاه ضربها (سياسياً) وتقزيم نفوذها في آسيا وأفريقيا، ومن الطبيعي استهداف ماليزيا وأندونيسيا واليابان والصِّين ورُوسيا أيضاً، وهي القوى التي يتعاظم نُمُوُّها الاقتصادي والسياسي بخطوات متسارعة لتشمل مناطق شاسعة من العالم.

أمَّا بريطانيا (الدولة الأوروبية الوحيدة) شريك أمريكا بحُكْم تاريخها الاستعماري؛ فلا تختلف مع سياسيات واشنطن، باعتبارها المُؤيِّد الأوَّل لها، فقد لعبت دور الشرطي الأمريكي في القارَّة الأوروبية، فعطَّلت قرارات أوروبية مُهمَّة، أو رُبَّما سعت لتجميدها، بمعنى؛ أوجدت الإرباك السياسي داخل الاتِّحاد الأوروبي نفسه، فشاركت عملياً وعسكرياً وعلى الأرض في أفغانستان وفي الأراضي العراقية، جنباً إلى جنب مع القُوَّات الأمريكية.

ونجد أيضاً "الحرب على الإرهاب" تُسوُّقها أمريكا يومياً استراتيجتها الجديدة التي تنوي فرضها على العالم بالقُوَّة العسكرية لتحقيق "العدالة والديمقراطية" لشُعُوب العالم، والمقصود دُول وشُعُوب العالم النامي، وهي أبعد ما تكون عن هذه السياسة، بحُكْم كونها الشريك الفعلي والداعم الكلي لسياسة (إسرائيل) الوحشية ضدَّ الشعب الفلسطيني والعربي عموماً، وعلى مبدأ "مَنْ ليس

معنا، فهُو ضدَّنا" تضع البعض ضدَّها، وهي تتغاضى عن سياسة (إسرائيل)، وعن رفضها (أمريكا) ميثاق كيوتو والاتِّفاق على إقامة محكمة دولية لجرائم الحرب، ورفضها التوقيع على مواثيق تحريم الألغام الأرضية، وتبتزُّ ـ في الوقت ذاته ـ الأمم المُتَّحدة من خلال الفيتو الأمريكي والمدعومة عسكرياً بكُلِّ أسلحة الدمار الشامل. يحاول الفلسطينيون والعَرَب وحتَّى الأوروبيون الخروج من هذا الواقع بأي طريقة ممكنة، فيما أوروبا مطالبة بالخضوع لدكتاتورية أمريكا العسكرية، علماً أن حلف شمال الأطلسي سيكون حلفاً على ورق أبيض تُسطِّر عليه أمريكا أوامرها كي تُنفَّذ، وفرض التبعية على حلف شمال الأطلسي مستمرّ، وسيستمرُّ.

وكذلك حال رُوسيا أيضاً، فقد أعلنت في تشرين الثاني/ نوفمبر لعام 2002 عن نيَّتها تعديل قوانين الخدمة العسكرية؛ لتصبح تعاقدية، بمعنى جيش يقوم على التعاقد مع مُتطوِّعين؛ حيثُ يفتح ذلك على خفض عدد أفراده، والمقابل مليارات الدولارات، وإطلاق يدها في الشيشان، مع دعم حصَّتها في نفط بحر قزوين! والصِّين واليابان ـ أيضاً ـ مطالبتان بأنْ تقوم الأُولى بخفض تنمية قُوَّتها العسكرية، والثانية عليها الالتحاق بالسياسة الأمريكية.

بالنسبة إلى العَرَب – وهُم المُستهدَف الأوَّل بعراقهم وفلسطينهم بداية – يفيد التذكير بقصور القراءة العَرَبيَّة في استشراف المستقبل، وفَهْم حقيقة ما يجري. وهُنا مثال على ذلك: لقد حاولت الحركة الوطنية الفلسطينية في بداية عهدها تظهير الهجرة اليهودية كعدو رئيسيٍّ، لكنَّها ـ في الوقت نفسه ـ اعتبرت بريطانيا صديقة لها، ومعلوم ماذا حدث بعد ذلك، وحتَّى الآن. والقضاء التابع لها بالمطلق، وانكشاف دورهما في الفساد وسوء الادارة، إضافة لتعاونها مع الكيان العُنصُري الصهيوني والمافيا الدّوليَّة، وموقف الحزب من قضية انتفاضة الشعب الفلسطيني، وتأييده لإقامة الدولة الفلسطينية، واختلاف موقفه حول القضايا الإقليمية الأُخْرَى.

ـ الوقوف بوجه المُؤسَّسة العسكرية وتعاونها المكشوف في البداية مع تصعيد الحملة العسكرية الأمريكية على العراق، مع الاعتبارات التي وضعها زعماء حزب العدالة والتنمية لمواجهة أساليب القمع والتخلُّف، وتراجع دور تركيا الاقتصادي، وتعرضها للأزمات المُستمرَّة، واعتمادها الكبير على

الولايات المُتَّحدة ومُساعداتها، وسعيهم لوضع قيود واسعة ضدَّ أساليب نهب المـال والثـروات العامَّـة في البلاد، التي بلغت نسبة تهريبها بحدود 200 مليار دولار، عوضاً عن أساليب المافيا الرسمية، بإبقاء النخبة قابضة على الحياة العامَّة، وتتخوَّف ـ بجدِّيَّة ـ من دور "حزب العدالة والتنمية" الجديد.

ـ موقفه من تصعيد إجراء الإصلاحات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة لتطال دستور البلاد، للتوافق مع مبادئ الانضمام للاتِّحاد الأوروبي، وتسوية وضع قبرص، ومـا اتَّفـق عليـه في القمَّـة الأوروبيـة في هلسنكي عام 1999، التي أعلنت ترشيح تركيا للاتِّحاد، وكذلك التأكيد على ضـمِّ قـبرص اليونانيـة للاتِّحاد الأوروبي عام 2004، والقبول بمشروع وحـدة البلـد الـذي قدَّمـه كـوفي عنـان ـــ إنْ سُـوِّيَ موضوعها مع قبرص الشمالية "التركية" أم لم يسوَّ بعد ـ وهي مسألة تهديد لتركيا واضحة من الأمـم المُتَّحدة والاتِّحاد الأوروبي.

ـ اعتراض زعيم المعارضة البرلمانية لحزب الشعب الجُمهُـوري دينـز بايكـال عـلى تـصريحات وخُطَّة أردوغان تجاه قبرص، التي يلمِّح فيها إلى إجراء تـسوية تاريخيـة لتوحيـد قـبرص في جُمهُوريـة واحدة، لإنهاء النزاع التاريخي مع اليونان.

ـ قيام رجـب طيِّـب أردوغـان بجولتـه الأوروبيـة في "فنلنـدا والـدنمارك والـسويد وفرنـسا وهولندا ولوكسمبورغ" وكذلك جولة الرئيس أحمد نجدت سازار لألمانيـا لتـسهيل عمليـة دخـول تركيا في حلف الناتو غير العضوية في الاتِّحاد أو النادي الصناعي الأوروبي، ويحاول أردوغان اكتساب الفرصة التَّاريخيَّة لتحسين صورة تركيا أمـام أوروبـا والعـالم، وإعـادة ثقـة المـواطن التركـي بـبرامج الإصلاح والتغيي، لكنَّ البرلمان الأوروبي لايـزال يطالـب حُكُومـة أنقـرة الجديـدة بتـسوية أوضـاع ملفَّاتها، وإحداث تغييرات إيجابية من قبـل حُكُومـة أردوغـان وتطبيـق معـايير واتِّفاقيَّـة كوبنهـاغن الخاصَّة بالانضمام للاتِّحاد الأوروبي، وكان (غوست لاجيندك) رئيس اللجنة البرلمانيـة الأوروبيـة قـد أكَّد أهمِّيَّتها وضرورتها في المرحلة القادمة، لكنْ؛ باعتراف سُبِقَ بمبادرة عنان.

كما حُدِّد أهمِّيَّة إحداث تغييرات مُهمَّة على صعيد داخلي وخـارجي، كـي تـتمكَّن أنقـرة مـن الحصول على الامتيازات الضرورية بعلاقاتها مع أوروبا حتَّى عام 2004، لكنْ ـ وحـسب غوسـت ـ

ليس قبل أنْ تعترف أنقرة وحُكُومتها الجديدة ـ بشكل مُسبق ـ بأهمِّيَّة خُطَّة الأمم المُتَّحدة لتوحيد جزيرة قبرص في دولة واحدة، وتسوية ملفِّها نهائياً أمام البرلمان التركي، وإحداث تغييرات جوهرية ببرنامج التغيير والتحديث تجاه هذه المعضلة.

إلَّا أنَّ أهمَّ من ذلك كُلّه أنَّ تركيا عانت كثيراً من أبعاد التدخُّل الأمريكي في الخليج العربي وآسيا الوُسْطَى، والاستفراد بدورها وقراراتها دون الرجوع للأمم المُتَّحدة ومجلس الأمن، والكيل بمكيالَيْن تجاه أزمة الشرق الأوسط، والتي آخرها التهديد بغزو العراق، وإسقاط نظامه، ومُحاولة جرِّ تركيا لهذه الأعمال، وإنَّ مصادر الكونغرس توقَّعت من حُكُومة أردوغان الجديدة الموافقة المسبقة على استخدام القواعد العسكرية في تركيا ضدَّ العراق، وتوجيه ضربة عسكرية في تركيا ضدَّ العراق، لكنَّها لم تنتج كفاية لأسباب واهية موقف البرلمان التركي، وتوجيه ضربة عسكرية للعراق، وتأمين الدعم الكامل كما فعلت الحُكُومات السابقة، إلَّا أنَّ حُكُومة أردوغان وعبد الله غول يبدو أنَّها تتحفَّظ على ذلك الدور الأمريكي التصعيدي(3)، لأنَّه ـ برأيها ـ سيُعرِّض تركيا لهزَّة اقتصاديَّة وأزمة سياسيَّة واجتماعيَّة من جديد، وتركيا بغنى عنها، لاسيما أنَّها ـ الآن ـ يحكمها حزب إسلاميٌّ عصريٌّ، سيكون له دور مُهمٌّ في المؤتمر الإسلامي القادم، أو تطوير علاقاته وحُكُومته مع الدُّول العَرَبيَّة بشكل أفضل ممَّا سبق.

---

(3) السير كولن باول – وزير الخارجية الأمريكية – صحيفة السفير 3/ 1/ 2004 – العدد 9687 صفحة رَقْم 17/ بعنوان رؤية أمريكيَّة للعام الجديد، استراتيجية الشراكة، أكَّد فيها أنَّ استراتيجية الأمن القومي الأمريكي بشنِّ ضربات وقائية في بعض الظُّرُوف المحدَّدة!!.

ثالثاً: العَوْلَمَة الأمريكية والدور الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى

يبدو أنَّ المُتتبِّع والباحث في أوضاع آسيا الوُسْطَى سيُلاحظ ـ عملياً ـ خريطة جديدة جيو – استراتيجية للصراع تتشكَّل نتيجة الاهتمامات العالمية بتلك المنطقة الغنية بالنفط والغاز، خُصُوصاً في أوزبكستان، وكازاخستان، وأذربيجان، وتركمانستان؛ إذْ بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي؛ سعت الجُمهُوريات السوفيتية في آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين إلى سلوك طريق الاستقلال عن مُوسكُو، واتَّخذت عدداً من التدابير، التي جعلتها تمتلك القرار في إقامة علاقاتها الإقليمية – والدّوليَّة، فمنظَّمة التعاون الاقتصادي (إيكو) التي لتركيا دور مُحرِّك فيها. استبعدت (إيران وأرمينيا ورُوسيا) عنها، وأعلنت (أنقرة) ـ مراراً ـ انتهاء وصاية رُوسيا على تلك الجُمهُوريات، وسارعت للاعتراف بها كدُول مُستقلَّة كاملة السيادة، بهدف مَدِّ جسور التعاون معها، وإذا كانت مُنظَّمة (إيكو) التي تضمُّ جُورجيا (شيفارد نادره) ـ أيضاً ـ قد تحالفت علانية ضدَّ الكرملين، فإنَّ أهداف ذلك الحلف كانت واضحة، ومن ضمنها إدخال (جُورجيا – وأذربيجان) في نطاق العَوْلَمَة الأمريكية وحلف الناتو، لتحقيق المصالح القريبة والبعيدة لتوسع حلف الناتو في المنطقة من البوابة التركية، كما ذكر غير مرَّة خافيير سولانا، إلَّا أنَّ الموقف الرُّوسي بات ينظر بعين الشكِّ والريبة لدور أذربيجان وتركيا، وخُصُوصاً بعد عقد اجتماع قمة الدُّول الناطقة باللغة التركية عام 1992؛ حيثُ تسابقت الدُّول الناطقة بالتركية لحضورها؛ بمَنْ فيهم الرئيس الأذري حيدر علييف، كان عدد الرؤساء أحد عشر رئيساً، وتمَّ من خلال اجتماع القمَّة تشكيل منظَّمة التعاون الاقتصادي (ايكو)، وتزعَّمت تركيا كلَّ الأنشطة الضرورية في المؤتمر، وشجَّع رئيس وزراء كازاخستنان حسن حسنوف ـ بكُلِّ وضوح ـ الطورانية التركية، ودعا أنقرة لأنْ تكون مندوبة فوق العادة لدول (إيكو) في حلف الناتو والاتِّحاد الأوروبي.

أمَّا الاجتماع الأخير الذي حضره حيدر علييف في أنقرة مع كبار ضباط المؤسَّسة العسكرية التركية، ومع ضباط من الجيش الصهيوني، خلال العرض العسكري في أيلول/ سبتمبر الماضي؛ فأظهر ـ بشكل دقيق ـ حرص تركيا على دورها الجديد ضمن خريطة جيو ـ استراتيجية جديدة في آسيا الوُسْطَى محورها «أذربيجان ـ وتركيا ـ و(إسرائيل)»، ولا يمكن بهذه الصورة اعتبار زيارة علييف لأنقرة زيادة عادية، أو للاستجمام، بل لها أبعاد استراتيجية ولوجستية بعيدة المدى. وإذا

رجعنا قليلاً إلى الوراء لِما تسرَّب في وكالات الأنباء العالمية والصحف العَرَبيَّة؛ بأنَّ صموئيل بيرغر مستشار الأمن القومي السابق، أعدَّ دراسة للرئيس كلينتون واستشارة مُهمَّة جدّاً دُعيت "بالتقرير السِّرِّيّ" للتعاون بين وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الخارجية مع الاستخبارات التركية (الميت) والاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) بالعمل المُشترك لتوسيع نطاق التعاون الاقتصادي – والأمني في منطقة بحر قزوين – وآسيا الوُسْطَى، وبمُحاولة دفع الكيان الصهيوني وشركاته لمساندة المصالح الأمريكية الاستراتيجية في منطقة حيوية مثل بحر قزوين، الأمر الذي سيُؤدِّي ـ حتماً ـ للتعاون بين الشركات الأمريكية – والإسرائيلية، وبتوجيه جهودها نحو الجُمهُوريات الإسلامية الخمس في بحر قزوين، بالأخصِّ؛ التي لها حُدُود مع إيران، أو مع الصِّين، على وجه التحديد، وبخاصَّة منع تسرُّب الأسلحة النووية ومُعطياتها من كازاخستنان إلى إيران؛ حيثُ عمدت تركيا عام 1955 في بداياته إلى إنشاء مؤتمر سنوي للتعاون مع الشركات الإسرائيلية؛ حضره مُمثِّلون عن أكثر من (135) شركة إسرائيلية – وتركية للتباحث في كيفية استغلال أسواق وخيرات آسيا الوُسْطَى، بالتعاون والتنسيق المُشترك، ووضع برنامج لتقويض أنشطة الحركات الإسلامية – السلفية – والقضاء عليها ضمن خُطط استراتيجية، فضلاً عن التعاون المستقبلي في مجالات تطوُّر الاتِّصالات، والبُنى التحتية، وتعميق التعاون الاقتصادي، وبالأخصِّ؛ في مجالات الزراعة، وشبكة الري الزراعية المتطوِّرة لصالح أوزبكستان، وتوسيع نطاقها لتشمل دُول بحر قزوين، والسعي للاستفادة من الاستثمارات النفطية، ومدِّ أنابيب النفط، والعزم على استيراد الغاز والنفط التركماني والأذري، وكسب عوائد مرور وحماية أنابيب الغاز والنفط عبر الأراضي التركية (باكو – تبليسي – جيهان)، والذي تبنَّته إدارة بل كلينتون، ونصحت إدارة جورج بوش الابن بأنْ تُركِّز جهودها باتِّجاه آخر، لأنَّ تكلفة تلكم الأنابيب حتَّى ميناء جيهان التركي على البحر الأبيض المُتوسِّط باهظة الثمن، وإنَّما باتِّجاه تشجيع الخَصْخَصَة في الدُّول المُطلَّة على بحر قزوين، يكتسب المشروع الأمريكي – الإسرائيلي أهمِّيَّة أكبر، لاسيما أنَّ ديك تشيني يُعتبر المدير التنفيذي لشركة (هاليبرتون) العملاقة التي تعمل في مجال الاستثمارات النفطية – والغاز وتتجاوز ميزانيتها قزوين والنفط المكتَشف فيه؛ إذْ تعتبر ثالث منطقة تتواجد فيها احتياطات عالمية للنفط المُركَّز الخالي من الكبريت، وأرميتاج لايزال من المُقرَّبين جدّاً لوزير الخارجية كولن باول، وعملا سوية في وزارة الدفاع الأمريكية أيَّام كاسبار واينبرغر، وعمل أرميتاج كمُساعد للسيناتور (بوب دُول) وسكرتيراً لوزارة الدفاع لشؤون الأمن القومي والدولي،

وإنَّ معظم طاقم كولن باول؛ إمَّا سُفراء أو خُبراء أو عسكريون لهم علاقـة مُباشرة بآسـيا الوُسْـطَى وملفّاتها، ومهمّتهم إدارة الأخطار أو المصالح في منطقة جيو – بوليتكية مثل بحر قزوين!!

لقد عملت واشنطن ـ بقوَّة ـ خلال السنوات الماضية عبر «تركيا – و(إسرائيل)» بشكل مُشترك على تعزيز وجودها السياسي والاقتصادي والاستخباراتي، لتشجيع الشركات الاحتكارية والكارتيلات النفطية العملاقة في آسيا الوُسْطَى، لكسب مناطق النُّفُوذ والسيطرة، ووقَّعت وزارة الطاقة الأمريكية ووزارة العُلُوم وأكاديمية العُلُوم الكازخستانية قبل ثلاثة أعوام عقوداً لاستخدام الطائرات الأمريكية من طراز (ذ – 3 أوريون) المُخصَّصة للطَّلْعَات التَّجسُّسية، واشتركت وزارة الحرب الإسرائيلية في هذا المشروع، بهدف قريب؛ وهُو التخطيط لما يُسمَّى بالتطوير الزراعي، واستصلاح الأراضي الزراعية، واكتشاف آبار النفط والغاز والمعادن الثمينة كالذهب والألماس، وشقّ طُرُق المواصلات والمسح الطبوغرافي وسكك الحديد، وتسعى وزارة الدفاع الأمريكية بالاشتراك مع (إسرائيل) وتركيا وأذربيجان لتنفيذ الخطط القريبة والبعيدة لتطبيق استراتيجية جديدة، بترتيب الأولويَّات لتحسين فرص الاستثمارات الأمريكية العملاقة في بحر قزوين ومنطقة القوقاز، واستبعاد إيران والصِّين من الخريطة الجديدة.

من الملاحظ أنَّ تشيني ورامسفيلد وجورج بوش الابن يُمثِّلون ـ خير تمثيل ـ كارتيلات وكونسر سيومات نفطية (شيفرون وإكسون وتكساكو وستاندار أويل)، ويسعى هؤلاء لتطبيق المصالح المالية والإدارية والنفطية والاستثمارية والصناعية والتجارية لتلك الشركات ومصالحها فوق القومية؛ إذْ أعلن حيدر علييف عن خُطَّة بتاريخ 5/ 8/ 2000 عن عقد اجتماع بشأن التعاقد معها، واستثمار النفط المكتَشف لتقسيم موارد الطاقة في بحر قزوين برعاية أمريكيَّة وإسرائيلية دون مشاركة إيران، مُؤكِّداً أنَّ الدُّول المتبقية مثل كازاخستان وتركمانستان إضافة لأذربيجان يمتلكون تصوُّرات مُشتركة مع مُوسكُو لتقاسم وظائف خيرات المنطقة، وإنَّ المنطقة بأمسِّ الحاجة للكارتيلات النفطية؟ مركزة من قبَل وزارة الطاقة الأمريكية، وأدَّى هذا المُكتَشف الجديد إلى تأكيد الأقمار الصناعية الأمريكية والرُّوسيَّة على وجود مخزون نفطي هائل جدّاً، ما كرَّس عملية التنافس للاستئثار بمصادر الطاقة من قبَل المصالح المُشتركة للدول، بينما ركَّزت إيران على أهمِّيَّة استثمار النفط، ما أدَّى إلى تأزُّم الوضع السياسي بينهما في قزوين من قبل الدُّول الخمس المُطلَّة على البحر المُغلق، وتوزيع خيراته بالتساوي 20 بالمئة لكُلِّ دولة، رفضت أذربيجان الاقتراح الإيراني، وأرسلت سفينة خبراء أمريكيَّة لأخذ عيِّنات من النفط، ما أدَّى إلى تأزُّم الوضع السياسي بينهما، وبهذا الشكل؛ فإنَّ الاستراتيجيات

الإقليمية والخريطة الجديدة للصراع تشغل مخاوف إيران ورُوسيا وغيرهما لما تُرتِّب إليه واشنطن والكيان الصهيوني لتطويق المصالح الإيرانية، لمنعها من المشاركة أو الشراكة في التنقيب عن النفط وإنتاجه، بينما فتحت معاهدة الصداقة وحسن الجوار بن (رُوسيا وإيران) أو بين (رُوسيا والصِّين) شهيَّة الولايات المُتَّحدة وحليفها الكيان الصهيوني لزيادة حِدَّة الصراع في المنطقة لتحقيق النُّفُوذ الأمريكي والأوروبي المكثَّف؛ كَرَدٍّ فعل عنيف وساخط على رُوسيا نفسها، وسياسة بوتين تجاه المنطقة، وهُنا يُؤكِّد مستشار شركة (أكسون) العالمية أنَّ المنطقة بكُلِّ المقاييس الدّوليَّة حيوية للاستثمار المالي العالمي، وبخاصَّة في صناعة النفط والذهب والموادّ المُشعَّة[1]، وقدَّرت وزارة الطاقة الأمريكية عام **1999** أنَّ هُنالك ثروة تتمثَّل بـ**163** مليار برميل من النفط و**337** تريليون قَدَم مُكعَّبة من الغاز الطبيعي، وأنَّه تمَّ اكتشاف **50** مليار برميل من النفط المُركَّز على سواحل كازاخستان؛ إذْ تؤكِّد شركة أكسون وستاندارد أويل أنَّه يمكن استثمار **500** مليار دولار في منطقة بكر لم يتمّ وضع أيِّ أموال فيها بعد للاستثمار المالي والاقتصادي، وهي مُؤهَّلة بكُلِّ المقاييس لذلك، إضافة للتأثير فيها كمنطقة نفطية حيوية، واستهداف تحسين أوضاعها السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة. وإذا رجعنا لمحاضرة ألقاها نائب رئيس شركة (Kermcgee) السَّيِّد إدوار باريغو في معهد النفط الأمريكي بمدينة هيوستن في **2/ 11/ 1965** نجد أنَّه أكَّد فيها بشدَّة أهمِّيَّة مستقبل النفط وحاجته الماسَّة في الدُّول الصناعية الكُبْرَى بمقدار **28** مليون برميل سنوياً حتَّى عام **2000**، ذاكراً أهمِّيَّة آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط، وأنَّه وجب السيطرة عليها بشكل مُباشر[2].

الدور الأمريكي الجديد باستثمار جهود الشركات النفطية العالمية الضخمة لتحسين فرص الاستثمار فيها تدعمها سياسة (البنتاغون) في حصار الحركات الإسلامية في آسيا الوُسْطَى، وهي رسالة واضحة لإيران والدُّول العَرَبيَّة للابتعاد عن المنطقة، بينما تتسرَّب المصالح الإسرائيلية ونفوذ شركاتها عبر الكارتيلات النفطية الأمريكية، التي تُهيِّئ لها الأجواء المناسبة للاستفادة من خريطة الصراع الجديدة، والحفاظ على الدور الإسرائيلي الجديد عبر البوَّابة التركية والأذرية لفرض الوقائع الإقليمية الجيو ـ بوليتيكية لإنجاح مشروع الشرق الأوسط الجديد، مقابل مشروع آسيا الوُسْطَى الجديد!

---

(1) انظر صحيفة المستقبل.

(2) انظر إلى الفكر العربي المعاصر ـ **127** ـ **126** ـ مركز الإنماء العربي ـ صيف وخريف **2003** ص**130** ـ عدنان بدر/ باحث سوري مقيم في باريس. إذا ما دقَّقنا في متابعة الأدوار الكبيرة لمجموعة ديك تشيني ورامسفيلد وبول وولفويتز نجدهم ينهجون منهجاً استعماريًّا قد عفى عليه الزمن.. لكنَّهم يحاولون استرجاع سياسة المجمع العسكري الأمريكي إلى سابق عهده من الغزو المُباشر.

رابعاً: التَّغلغل الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى وما وراء القفقاس

"حقيقته وطبيعته، وأهدافه، ومخاطره"

شكَّلت منطقة آسيا الوُسْطَى على مدار عُقُود كثيرة أهمِّيَّة كُبْرَى للاستراتيجيات المُتعدِّدة في المنطقة والعالم، إلَّا أنَّ تنامي دور الاستراتيجيات الدخيلة شكَّل نقطة تحوُّل مُهمَّة، خاصَّة بعد الانهيار الكبير لنظام السوفييت بطبيعته، التي لم تمنحه الفرصة للاستمرار أمام التحدِّيات الإقليمية الأُخْرَى. بما فيها التغلغل الصهيوني في منطقة تُعدُّ حيوية ومصدر عالمي للطاقة والذهب والألماس والمعادن والخيرات بما فيها "الموادّ المُشعَّة"، ففي خضمِّ الأحداث العالمية وجدنا دُول بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى تُطالب بالاستقلال عن الكرملين لأسباب كثيرة؛ أهمّها الأسباب السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والأمنية المُتراكمة على خريطة الصراع فيما بينها، وتبدو مسألة إعادة رسم خريطة جديدة جيو - استراتيجية للصراع في آسيا الوُسْطَى وما وراء القفقاس قد دخلت مرحلة جديدة فعلياً، نتيجة للاهتمامات العالمية المتزايدة بها، لكونها مصدراً كبيراً للطاقة، وسعت مُختلف الدُّول فيها إلى سلوك طريق الاستقلال عن مُوسكُو، واتَّخذت الكثير من التدابير التي جعلتها تبحث عن التطوُّر الخاصِّ بها، وإقامة علاقات إقليمية ودولية من منظور مصالحها القومية، التي شكَّلت فيها مُنظَّمة "إيكو" للتعاون الاقتصادي أهمِّيَّة، ولتركيا دور مُهمٌّ فيها على مُختلف المستويات، نتيجة الاصطفاف السياسي لبعض الدُّول مع بعض ضدَّ الدُّول الأُخْرَى، فيما استُبعدت (إيران - أرمينيا - ورُوسيا) من معاهدة "إيكو"، سعت الدُّول المنضوية تحت لوائها، إلى تعزيز علاقاتها مع الولايات المُتَّحدة وربيبتها في المنطقة العَرَبِيَّة (إسرائيل)؛ حيثُ عملت قيادات المنظَّمة الصهيونية ووكالاتها والمؤسَّسات والوزارات في ذلك الكيان للتغلغل شيئاً فشيئاً في نسيج حياة المنطقة ومُختلف النواحي فيها؛ إذْ ذكر الكاتب الإسرائيلي شلومو بورخوف وهُو في الوقت ذاته رئيس بنك التطوير الصناعي والتجاري ناتان شرنسكي أنَّه قام في نهاية شهر حزيران/ يونيو 1998 بزيارة إلى دُول آسيا الوُسْطَى من أجل التوقيع على اتِّفاقيَّات كثيرة، بما فيها اتِّفاقيَّة تجارية طارحاً سؤالاً مُفاده:

هل سنخسر خياراتنا الاقتصاديَّة في آسيا الوُسْطَى كما خسرناها في رُوسيا؟.

بعد الفضائح التجارية والمالية لجماعات اللوبي الصهيوني في رُوسيا وزعمائها أمثال ايغور غيدار رئيس الوزراء الرُّوسي السابق، وألكسندر ياكفليف، وسيرغي ياستر المستشار السياسي للرئيس الرُّوسي السابق بوريس يلتسين، وآرسون، وسوروس، وتشوبايس، ونيمستوف إضافة لدور (غوسينسكي، وبيريزوفيسكي، وخودوردفسكي) في تنظيم عمليات التغلغل في رُوسيا وآسيا الوُسْطَى لمصلحة (إسرائيل)، وربط دور المافيا الدّوليَّة مع المافيا الرُّوسيَّة، التي يُقدَّر عددها بـ(8000) عصابة تُغطِّي مُختلف مناطق العالم، لكنَّها مُلاحَقة من السلطات الرُّوسيَّة والأنتربول الدولي وأوروبا، وللمافيا دور كبير في آسيا الوُسْطَى في هدم الحياة الاقتصاديَّة أيضاً. من هُنا يُلاحَظ أنَّ الخطط الصهيونية ـ الإسرائيلية تحاول التغلغل في تلك المنطقة من خلال علاقاتها الواسعة مع الشركات التركية، التي تُشبه أنشطتها تماماً أنشطة الشركات الإسرائيلية، لكنَّ هُنالك تردداً واضحاً حول توسيع التعاون الاقتصادي مع رُوسيا، لذلك سعت خلال الفترة السابقة إلى الاستفادة من العلاقات بين تركيا واللوبي الصهيوني في رُوسيا، إضافة إلى دور الطائفة اليهودية ورجالاتها في المنطقة المذكورة، لتحسين صورة التوغُّل أكثر فأكثر، لقد عيَّن شمعون بيريز حينما كان رئيساً للحُكُومة مُستشاره اللواء الاحتياط (رفائيل فردي)، بمنصب رئيس اللجنة بمكتب الارتباط القومي للكيان الصهيوني في رابطة الدُّول المستقلَّة مع يهود آسيا الوُسْطَى ومُنظَّمتها المُسمَّاة "مُنظَّمة يهود آسيا الوُسْطَى ـ ناتيف"[1] بسبب أنَّ رئيس الحُكُومة تلقَّى في حينها مُسوّدة تقرير، عرض فيه طبيعة دور ونشاط اليهود الضعيف في تلك المنطقة؛ حيثُ استعرض في التقرير الخلافات الحادَّة بين الأطراف اليهودية ـ والصهيونية الإسرائيلية من النواحي المالية، ودور مُنظَّمة "ناتيف" المُزدوَج، والتنافس

(1) أُسِّست منظَّمة "ناتيف" كمنظَّمة استخباراتية على غرار جهاز الموساد والموازي له في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا مُنْذُ عام 1952 كتنظيم سرّي يتبع لديوان رئيس الوزراء مُباشرة، والهدف من تأسيسها إجراء اتِّصالات وعلاقات سرِّيَّة خاصَّة مع يهود الاتِّحاد السوفيتي وآسيا الوُسْطَى لدعم الكيان الصهيوني، ومحاربة السوفييت ونظامهم الاشتراكي، إضافة إلى تضليل اليهود وتنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين المُحتلَّة، ويتبع التنظيم كُلّه إلى هيئة الاستخبارات العامَّة الإسرائيلية.

أ ـ تقوم "ناتيف" بإعطاء تأشيرات دخول للكيان الصهيوني في إدارة المراكز الثَّقافيَّة الإسرائيلية والاهتمام بالشباب اليهودي، وإحضارهم لبرامج ترفيهية خاصَّة داخل الكيان بشكل دوري، وتشرف ناتيف على هيئات وجمعيات يهودية في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا مُنْذُ فترة طويلة.

ب ـ هُناك خلافات واحتجاجات على تدخُّل مُنظَّمة "ناتيف" في شؤون وزارة الخارجية ـ ووزارة التعليم، ووزارة الاستيعاب، ووزارة الداخلية، ودور الوكالة اليهودية، وتلقى تصرُّفاتها احتجاجات واسعة من تلك الوزارات.

ج ـ دعا رئيس لجنة مراقبة ممارسات الدولة عضو الكنيست يوسي كاتس إلغاء صلاحيات "ناتيف" وتوزيعها بين وزارات الحُكُومة.

القائم فيما بينها وبين الهيئات الصهيونية المُتعدِّدة للتوسُّع في رابطة الدُّول المستقلَّة وآسيا الوُسْطَى، وشرح في التقرير طبيعة الخلافات بين (يعقوب كأدمي رئيس مُنظَّمة ناتيف) الذي سيطر على ميِّزاتها وتوجُّهاتها بدون إشراف الكيان الصهيوني، وخاصَّة خارج نطاق (وزارة الخارجية، الموساد)، وبعيداً عن الوكالة اليهودية العالمية أيضاً.

فمن الواضح عند التركيز على التقرير المذكور آنفاً وغيره من التحليلات والأخبار الإسرائيلية وعند متابعتها بين فترة وأُخرَى؛ أنَّ الكيان الصهيوني رسم لنفسه خُططاً خاصَّة به، يُساند فيها الاستراتيجية الأمريكية، أو الاستراتيجيات الحليفة لها، للتوغُّل أكثر فأكثر في المنطقة، لكنَّ الخلافات الحادَّة بين أطراف العمل الصهيوني تغدو طبيعية لما تُعبِّر عنه التناقضات والفوضى والمصالح المتضارِبة في استثمار الأموال اليهودية والصهيونية لمصلحة يهود آسيا، أم لمصلحة الكيان الصهيوني، أو لأجل التهجير والاستيطان داخل الأراضي الفلسطينية المحتلَّة والجولان السوري المُحتلّ، ودعم سياسة الحُكُومات الإسرائيلية التي تسعى لدور كيانها المركزي بالنسبة ليهود آسيا الوُسْطَى والعالم! مع تصاعد الخلافات طُلِب من رئيس الحُكُومة اتِّخاذ قرار بضرورة حَل منظَّمة "ناتيف"، أو بقائها، وتحديد أدوارها، وماهيَّة العمل الذي ستتقاسمه مع الوكالة اليهودية ومع وزارة الخارجية الإسرائيلية والموساد، والصهيونية في رُوسيا.

وحتَّى ندرك ـ بعُمق ـ ما هي مُنظَّمة "ناتيف" وطبيعة أعمالها (الاستخباراتية ـ السِّرِّيَّة) في آسيا الوُسْطَى وجب التطرُّق إلى ما يلي:

أوَّلاً: تعتمد المُنظَّمة على العناصر اليهودية ـ والصهيونية في أنشطتها الكثيرة، ويُمنع التحرُّك لعناصرها إلَّا بأوامر من قادتها، وبالتعاون الكبير مع وزارة (الخارجية والموساد) فهي تعدُّد الذراع وسيبيريا الغربية ورُوسيا.

ثانياً: جميع أجور ورواتب العاملين في المُنظَّمة تُصرف من الإدارة المالية التابعة لها، وتُدفع لهم رسوم ومصاريف إضافية، وقام المحاسب العامّ في المنظَّمة بأوامر من (يعقوب كأدمي) رئيس مُنظَّمة "ناتيف" بإنفاق أموال على أنشطة إضافية، غير معروفة، الأمر الذي سبَّب خلافات حادَّة بين (وزارة الخارجية والوكالة اليهودية) ومسؤولين في المُنظَّمة المذكورة من جهة ثانية.

ثالثاً: الخلافات الحادَّة والنزاع حول المناصب والمال والإدارة، ودور مدير عامّ مكتب رئيس الوزراء في حينها (شمعون شيفتس) أيّار/ مايو 1994 بحَلِّ الخلافات، وتنظيم العمل والإدارة لتحسين فُرص التوغُّل الصهيوني أكثر.

رابعاً: تُنسِّق "ناتيف" مع الإدارات الحُكُومية الرُّوسيَّة أكثر ممَّا تُنسِّق مع وزارة الخارجية الإسرائيلية، فهناك زيارات متبادلة بينهما أكان في مُوسكُو، أم في مكتب "ناتيف" في أذربيجان، أم في تلّ أبيب دون علم السفيرة الإسرائيلية في مُوسكُو (عاليزا شنهار)، التي حذَّرت من دور منظَّمة "ناتيف" الاستخباراتية، وتعاونها مع الإدارة الرُّوسيَّة والدُّول الأُخْرَى، دون أنْ تتَّصل مع وزارة الخارجية الإسرائيلية[1].

ـ لقد أكَّد رئيس الموساد السابق في عهد إسحق رابين (يتسحاق حوفي) عام 1992: "أنَّه ليس من الضروري إغلاق مكاتب منظَّمة يهودية ـ صهيونية مُهمَّة جدَّاً عملت فترة طويلة داخل الاتِّحاد السوفيتي، وكان لها دور مُهمٌّ في مكاتب التهجير، ويعود لها ـ بالضبط ـ تقدير مَنْ يستحقُّ الهجرة إلى (إسرائيل) من يهود رابطة الدُّول المُستقلَّة وآسيا الوُسْطَى ورُوسيا"، وأنشطة تلك المنظَّمة تتبع مُباشرة لمكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي، الذي يُوكِل لها أنشطة تخريبية خطيرة مثل الاغتيالات والتخطيط للفوضى، والرشاوي، والفساد، والانقلابات في دُول آسيا الوُسْطَى، أو مُساندة التغلغل الإسرائيلي في مجالات الزراعة والتجارة ومُختلف أنواع الأعمال التي تخدم الكيان الصهيوني والوكالة اليهودية العالمية.

من ضمن أنشطتها التعاون مع وزارة الخارجية الإسرائيلية والاقتصاد والتجارة لتصدير الفنيين والعمَّال للعمل في دُول رابطة الدُّول المُستقلَّة، ضمن المركز الدولي للتعاون من أجل المهامِّ الفنيَّة، والمهنية خارج الكيان بالتعاون المُسبَق مع "الموساد" الإسرائيلي في دُول مثل (داغستان، أوزبكستان، قرغيزستان، طاجاكستان، تركمانستان، أذربيجان، تركيا) ودُول أُخْرَى، وتلك الدُّول تُجري اتِّصالات مُستمرَّة مع الشركات الإسرائيلية للتعاون المُشترك في مجالات أساسية، كالزراعة وتقنياتها، ومكاتب السياحة والتجارة، والدعاية والإعلان والتطوير الإعلاني، وحقول الغاز والنفط والكهرباء، وسكك الحديد والمبيدات الكيميائية وصناعة الماس.

---

(1) صحيفة هاآرتس 21/ 6/ 1996.

وقد زار وفد أمني صهيوني قرغيزستان آذار/ مارس 1995 لبحث الاتِّفاق المُشترك بين هذه الدولة والكيان الصهيوني على مُختلف أنشطة العمل المُشترك؛ أكان ذلك في آسيا الوُسْطَى، أم في رُوسيا، أم الدُّول الإسلامية..؟!

كذلك؛ فإنَّ رئيس تركمانستان قام بتوقيع عدد من الاتِّفاقيَّات مع شمعون بيريز، وتمَّ فتح سفارات للكيان الصهيوني في هذه الدولة، وفي معظم دُول آسيا الوُسْطَى و"رابطة الدُّول المُستقلَّة"، وبالمقابل؛ قامت تلك الدُّول بمُحاولات فتح سفارات أو مُمثِّليات لها في الكيان نفسه.

وعند افتتاح تلك السِّفارات، وخاصَّة في ألماآتا عاصمة كازاخستان، أو في تركمانستان؛ أثارت هذه التصرُّفات الدُّول العَرَبيَّة والإسلامية، واعترضت على ذلك، وقدَّمت احتجاجات لتلك الدُّول، لما تُشكِّل تلك العلاقات من خطر وتأثير في قضايا العَرَب العادلة، إلَّا أنَّ دُول آسيا الوُسْطَى ماتزال تبحث عن مصالحها الخاصَّة، دون النظر لعلاقاتها ومصالحها مع الدُّول العَرَبيَّة والإسلامية، لأسباب تعود إلى الدور الإسرائيلي النشط في مجالات تقنيات الزراعة والبيئة والاستثمارات التجارية والغاز والنفط، وعدا عن ذلك دعم تطوير التسلُّح لبعض تلك الدُّول، ومحاربة ما يُسمَّى الإرهاب الذي تقوده مُنظَّمات إسلامية لها علاقة مع حركة طالبان ومنظَّمة القاعدة.

عمل رجل الأعمال (مناحيم شافي) في كازاخستان، وهُو من مجموعة استثمارية إسرائيلية تُوظِّف أموالاً تُقدر بـ 250 مليون دولار في مشروعات زراعية ضمن الأراضي الكازاخية؛ حيثُ تتعاون (مجموعة إيزنبرغ) الإسرائيلية مع مجمع الشركة (البريطانية ـ الهندية) والحُكُومة، إلَّا أنَّ الرئيس نزار باييف اكتشف طبيعة التلاعب الذي تقوم به المجموعة الإسرائيلية في قضية (كارمت)[1] وقضايا الفساد والرشوة، وعدم صحَّة الجداول المالية. فعَمِل على استبعاد المجموعة الإسرائيلية لأجل تجنيد الشركات الإسرائيلية الصناعية الأُخْرَى عند زيارته لمدينة تلِّ الربيع (تل أبيب)، وزيارته لإدارة شركة آسيا اليهودية التي تعمل في الكثير من دُول العالم، ويشرف الموساد ووزارة الخارجية الإسرائيلية على مجموع الشركات الإسرائيلية المعروفة وغير المعروفة، وخاصَّة "مجموع شركات إيزنبرغ ـ مجموع شركة آسيا ـ شركة مرحاف ـ وشركات أُخْرَى"..؟.

---

(1) قضية كارلت: قضية فساد إداري لم تُقدِّم مُنظَّمة "ناتيف" للعُمَّال فيها حقوقهم المالية، وبسبب انتشار فساد المُنظَّمة واحتجاجات العمال اليهود والأجانب على ممارستها، مَنَعَت إحدى الشركات الإسرائيلية التي تسيطر عليها "ناتيف" من مزاولة أعمالها هُنالك.

ويبدو جليّاً ممَّا تقدَّم أنَّ مفردات وتفاصيل الأنشطة الإسرائيلية والصهيونية؛ تهتمُّ كُلَّ الاهتمام بأسواق آسيا الوُسْطَى، وهُناك طاقات كبيرة اقتصاديَّة وبشرية وأمنية يستفيد الكيان الصهيوني منها، لاسيما أنَّ دُول تلك المنطقة المذكورة تنظر لهذه الأنشطة والدور الجديد من زاوية حاجتها للاستثمارات الكبيرة، يجري ذلك في الوقت الذي لا تولي فيه الاستثمارات العَرَبيَّة والإسلامية اهتماماً كبيراً بمنطقة حيوية ومُهمَّة مثل آسيا الوُسْطَى، بالإضافة إلى شعور دُول هذه المنطقة بانتمائها الروحي واللغوي للدول العَرَبيَّة ولتركيا، باعتبار أنَّ معظمها ناطقة باللغة التركية، وترتبط بالعالم الإسلامي مُنْذُ فترة طويلة، ويُلاحظ أنَّ الاقتصاد الإسرائيلي يتوسَّع بشكل فوضويٍّ تارة، أو مدروس تارة أُخْرَى، للهيمنة على الأسواق التجارية، والزراعية، والتكنولوجية؛ إذْ صدَّق إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق لكلٍّ من شاؤول إيزنبرغ ويوسي ميمان وشركة آسيا على مبلغ **120** مليون دولار من أجل تحسين وتطوير كُلِّ ما يتعلَّق بالقماش والقطن والألبسة في أوزبكستان وكازاخستان، وإقامة صندوق إسرائيلي ـ يهودي مُشترك (EBRD) لتمويل المشروعات في آسيا بدعم إسباني وتركي وبريطاني، وبخاصَّة دعم جماعات الضغط اليهودية في رُوسيا. وأكَّد رئيس مجلس إدارة بنك التطوير الصناعي في الكيان الصهيوني (شلومو بورخوف) **21/ 6/ 1998** "أنَّ مثل ذلك الصندوق كان لابُدَّ أنْ ينتعش ويتقدَّم لاحتلال أسواق آسيا الوُسْطَى فور انهيار الاتِّحاد السوفيتي" ورغم ذلك فإنَّ المشروعات الصهيونية تتعاون مع تركيا والإدارة الأمريكية بقُوَّة لأجل أنْ تكون المُحرِّك الأساسي للهيمنة على سوق التكنولوجيا المُتطوِّرة.

كذلك؛ فإنَّ شركة بيتسان الصهيونية في حيفا تهتمُّ بمنطقة آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين في مجالات النفط والغاز، وتتعاون مع شركات حُكُومية ليس في آسيا الوُسْطَى فحسب؛ بل مع شركات في أوروبا الشرقية واليابان، فقد تعاونت مع شركة "تي سهو" إحدى أكبر الشركات التجارية اليابانية المعروفة، من خلال علاقة تجارية مُشتركة بالاستيراد والتصدير (المعادن، الآلات الزراعية والتكنولوجية الحديثة، والمحروقات، والمنسوجات والأقمشة، وصناعة الأخشاب، والموادّ الكيماوية والغذائية على نطاق آسيا الوُسْطَى وأوروبا الشرقية ودُول أُخْرَى)..!

لقد عُدَّت العلاقة الناشئة بين الشركة الإسرائيلية ـ والشركة اليابانية علاقة مميزة تُغطِّي منها دُول كثيرة، وتُصدِّر لها ما يتعلَّق بصناعة الطائرات والبواخر والأنشطة التجارية، وكان الرئيس الجورجي إدوارد شيفاردنادزه وهُو وزير خارجية الاتِّحاد السوفيتي سابقاً، وبعض زعماء آسيا

الوُسْطَى قد اطَّلَعوا على طبيعة أنشطة شركة بيتسان الإسرائيلية للتعاون المُشترك، ودعمت (إسرائيل) شيفاردنادزه عندما كان وزيراً للخارجية في الاتِّحاد السوفيتي بعد زيارته المتكرِّرة لها مع الرئيس السوفيتي السابق ميخائيل غورباتشوف، لإجراء مباحثات سياسيَّة واقتصاديَّة قُبيل انهيار الاتِّحاد السوفيتي وبعده، وحتَّى الآن لها علاقات استثمارية معها ومع لاتيفيا وإستونيا، وتُؤمِّن الشركات الإسرائيلية كلَّ أساليب الدعم والتعاون مع زعماء آسيا الوُسْطَى وجورجيا، أمَّا الهدف الاستراتيجي للكيان الصهيوني في آسيا الوُسْطَى؛ فيتركَّز -بشكل كبير- على دولتَيْن تُشكِّلان أهمِّيَّة خاصَّة في محور عملها الأساسي:

- **كازاخستان**: إذْ تُعدُّ هذه الدولة من الدُّول الكبيرة، ولها أراضٍ زراعية كبيرة تُعادل أوروبا الغربية، وهي فاصلة بين رُوسيا والصِّين، ويوجد فيها قُوَّة عسكرية ضخمة، ومركز الصواريخ النووية البالستية العابرة للقارَّات، التابعة سابقاً لُموسكُو، ولكنْ؛ بعد ذلك ضغطت أمريكا والكيان الصهيوني على نزار باييف الرئيس الكازاخي لتدميرها خوفاً من تسرُّبها لإيران -حسب زعمها- وعملت الولايات المُتَّحدة وتحت الحراسة المُشدَّدة -وبخُطَّة سرِّيَّة- إلى نقل "أسلحة وموادّ اليورانيوم" من كازاخستان إلى البنتاغون.

- **اذربيجان**: تُمثِّل بكُلِّ المقاييس أهمِّيَّة استراتيجية -وجيو سياسيَّة حيوية بالنسبة للولايات المُتَّحدة والكيان الصهيوني، ليس لكونها من أغنى دُول العالم بموارد الغاز والنفط والطاقة وامتلاكها لاحتياطات ضخمة في بحر قزوين، وعلاقاتها الوطيدة مع تركيا فحسب؛ بل لتمتُّعها بحدود مع إيران أيضاً، ويعتقد الأذريون أنَّ عدد الأذريين في إيران 15 مليون نسمة، تعدُّهم تركيا من أصول تركية، كذلك للأذريِّيْن دور مُهمٌّ في أفغانستان وباكستان، ويُشكِّلون نسبة كبيرة هُنالك، ويُعدُّ يهود الأذريِّيْن البالغ عددهم في الكيان الصهيوني 40 ألف نسمة من المجموعات السُّكَّانية الاستيطانية دائمة الاتِّصال باليهود في آسيا الوُسْطَى وأذربيجان نفسها، وقد تمَّ قيام تحالف رباعي بين الولايات المُتَّحدة والكيان الصهيوني وتركيا وأذربيجان لامتلاك أوراق الضغط والابتزاز الكبيرين على رُوسيا وإيران وأرمينيا، ويُعدُّ الرئيس الأذري حيدر علييف من القيادات السوفيتية السابقة الذي كان له دور كبير في انهيار الاتِّحاد السوفيتي، وحينها أصبح رئيساً لأذربيجان نال مُساعدات إسرائيلية ضخمة ضدَّ أرمينيا، إضافة لتجارته (بمادة الماس) التي يبلغ حجمها التجاري سنوياً (3) مليارات دولار، لكنَّ وزير الخارجية الأذرية توفيق زولغو غاروف "اعتبر أنَّ العلاقة مع الكيان الصهيوني هي علاقة

وطيدة جدّاً، نابعة من التعاطف، والتطوُّر الموجود عسكرياً واقتصادياً من أجل الاستعانة بقدرات (إسرائيل) في المستقبل"، وهُنالك مراسلات سرِّيَّة بين الخارجية الأذرية ـ والإسرائيلية تستهدف الأنشطة المُشتركة بينهما ضدَّ إيران وأرمينيا، وقد استطاع اللوبي الأرميني في الولايات المُتَّحدة من الضغط على الإدارة الأمريكية في عهد كلينتون لحرمان أذربيجان من المُساعدات المالية، إلّا أنَّ الرئيس علييف أرسل وفداً من يهود آسيا الوُسْطَى وأذربيجان لواشنطن ونيو يورك لدفع المجلس اليهودي الأمريكي "إيباك وبناي بريث" لدعم التوجُّهات الأذرية في بحر قزوين وآسيا الوُسْطَى.

كذلك عملت واشنطن بقُوَّة خلال العشر سنوات السابقة، عبر (تركيا ـ و(إسرائيل) ـ وأذربيجان ـ وجورجيا) وبشكل مُشترك معهم على تعزيز وجودها السياسي والاقتصادي والاستخباراتي، وخاصَّة فتح مكاتب لـ CIA ومركز للتنصُّت في باكو، لتشجيع دور الشركات الاحتكارية النفطية والتجارية والاستثمارية بين دُول آسيا الوُسْطَى، ووقَّعت وزارة الطاقة الأمريكية ووزارة العُلُوم وأكاديمية العُلُوم الكازاخية عقوداً لشراء طائرات تجسس أمريكيَّة وإسرائيلية المخصَّصة للتجسُّس على الصِّين أو إيران، إضافة لاكتشاف آبار النفط وجبال الماس والذهب والموادّ المُشعَّة، والمسح الطبوغرافي، والاستشعار عن بُعْد عن طريق الأقمار الصناعية، وجرى ذلك من بداية التسعينيات حتَّى هذه اللحظة، وتُعدُّ الحملة الأمريكية على أفغانستان جزءاً من تلك الخطط وذرائعها العديدة المنافية لميثاق الأمم المُتَّحدة.

لابُدَّ من الإشارة هُنا إلى أنَّ ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع وأرميتاج نائب وزير الخارجية والرئيس جورج بوش الابن يُمثِّلون ـ فعلياً ـ كارتيلات وكونسرسيومات نفطية عالمية (شيفرون وأكسون وتكساكو وستاندر أويل في آسيا الوُسْطَى والعالم)، ويعمل هؤلاء ـ بقُوَّة ـ من أجل توسيع نفوذهم ومصالحهم واستثماراتهم المالية والإدارية والنفطية والصناعية والتجارية والعسكرية، وتقسيم مناطق النُّفُوذ بمشاركة (أذربيجان و(إسرائيل) وتركيا) واستبعاد رُوسيا وإيران وأرمينيا والصِّين، وتشكيل حلف عسكري وأمني للهيمنة على المنطقة، واستجرار كلِّ الإمكانيات للتعاطف والتعاون ضدَّ ما يُسمُّونه "الإرهاب الإسلامي" لاستبعاد أيِّ استثمارات أو جهد عَرَبي أو إسلاميٍّ في آسيا الوُسْطَى، تحت حُجج وذرائع كثيرة، للاستقرار بنفط وغاز ومصادر الطاقة فيها، إضافة لحماية طريق إيصال النفط والغاز لميناء جيهان التركي على البحر الأبيض المتوسط، ومنع إيران ورُوسيا من الاستفادة منها.

وإنَّ من مصلحة العَرَب عموماً أنْ يكون لهم في آسيا الوُسْطَى استراتيجية واضحة بشأن العمل العربي المُشترك والنَّشط في تلك المنطقة، التي تربطهم بها علاقات روحية وثقافية وتاريخية واسعة، وبالوقت نفسه؛ محاصرة وتفكيك الأنشطة الصهيونية المعادية المُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بخطط الولايات المتَّحدة و(إسرائيل) ونفوذهما هُنالك[1].

لا شكَّ أنَّ طبيعة التغلغل الصهيوني في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا وما وراء القفقاس له أهداف عديدة متناقضة تماماً مع أهداف الأمة العَرَبيَّة والإسلامية ومصالحها الاستراتيجية؛ حيثُ يستهدف ذلك التغلغل إلى تزويد الكيان الصهيوني بمصادر الطاقة، والنُّفُوذ المتزايد، وزيادة عدد المهاجرين اليهود الذين يحملون الأفكار العُنصُريَّة ويستوطنون في فلسطين المحتلَّة والجولان، ويتحوَّلون إلى قوَّة تحريضية وإرهابية لطرد العَرَب من أرضهم ووطنهم لتحقيق أحلام توراتية بائدة لا أساس لها في الواقع، وتستخدمهم الصهيونية بأعمالها الإرهابية والاستيطانية وتُجيِّشهم في إطار الأعمال العدوانية والتوسعية التي تُنافي كُلَّ الأعراف والقوانين وقرارات الشرعية الدّوليَّة، بما فيها قرارات الأمم المُتَّحدة وبروتوكولات جنيف ولاهاي؛ التي تُركِّز على عدم تغيير المعالم الثَّقافيَّة والديمقراطية والروحية للأراضي المحتلَّة، وعدم التعرُّض للنساء والأطفال وأماكن العبادات والأوابد التَّاريخيَّة، لذلك؛ تُعتبر آسيا الوُسْطَى ساحة للمواجهة بين الاستراتيجيات الأصيلة والاستراتيجيات الدخيلة[2].

أوَّلاً: الصهيونية الفاشية استمدَّت ممارستها من شعار هتلر فوق الجميع!!

هُنالك دائماً فارق كبير بين الليبرالية القديمة المَدَنيَّة التي تدخل في العديد من البلدان لتُحدِث تغييرات اقتصاديَّة بالطُّرُق السِّلْميَّة لأجل تنمية قدرات بعض الدُّول وفئاتها الحاكمة، كي تكون بركب الحضارة الصناعية، على اعتبار أنَّ التطوُّر الصناعي والتكنولوجي يحتاج دائماً إلى مصادر الطاقة الأساسية، وموارد مُهمَّة من المعادن، لكنْ؛ في فترات مُعيَّنة، تُدافع تلك الليبرالية عن مصالحها بالقُوَّة إذا وجدت أنَّها مُعرَّضة للانهيار، أمَّا الليبرالية الجديدة أو ما يُسمَّى النيوليبرالية؛ فهي ـ بكُلِّ الظُّرُوف والأحوال ـ تُسفِر عن وجهها العدواني، ولا تفسح المجال للدول النامية والشُّعُوب بالتطوُّر والمضي قُدماً بالتنمية، إلَّا تحت الإشراف المُباشر لنظام سباق التسلُّح والعسكرة والحرب. من هُنا؛ نجد أنَّه في الحديث عن الصهيونية العالمية كمنظَّمة تمتلك قدرات سياسيَّة واقتصاديَّة وعسكرية

---

(1) هاآرتس: 6/ 1/ 1998 النُّفُوذ الإسرائيلي في أذربيجان ومنظَّمة "ناتيف".
(2) هاآرتس: 21/ 6/ 1996.

ومالية، حديث يتوافق بالكامل مع مصالح التروست والاحتكار العالمي والعسكري، الذي يسعى دائماً مع الليبرالية القديمة والليبرالية الحديثة لاستغلال مواقعها ونفوذها لمصلحته قبل كُلِّ شيء، وبالتَّالي؛ السمسرة لها والتعاون لأجل تحقيق أحلام توراتية بائدة تَنزِع إلى البدائية أكثر ممَّا تنهج الأفق الحضاري الحقيقي.

لم تهدأ أوروبا ـ أبداً ـ من مكر وخداع الليبرالية الصهيونية بكُلِّ أنواعها ـ بما فيها الليبرالية النَّقْديَّة ـ إلَّا حينما تخلَّصت منها، فعملت على دمجها بالنهضة الصناعية الأوروبية، وإجبارها على الخروج من الغيتو إلى المدينة المعاصرة. وحينما حاول النظام النازي الكريه تأسيس ليبرالية عِرْقية شديدة التَّطرُّف تعتمد أكثر ما تعتمد على نقاء العنصر والجنس، استفادت النازية كُلَّ الفائدة من جمعية الصهاينة الفكرية، وخاصَّة ما نضحت به من نوازع بدائية حُبَّاً بالقتل وسفك الدماء، ولكن عن طريق المكر والخداع وقلب الحقائق، هُنا نجد أنَّ الثورة البلشفية احتوت ـ فعلاً ـ على فلاسفة يهود، وزعماء لهم شهرتهم العالمية (كاوتسكي ـ وتروتسكي)[1]، وكذلك النازية الألمانية احتوت (على زعماء وفلاسفة يهود)، لكنْ؛ عملت الدعاية الصهيونية على إخفاء حقيقتهم، عوضاً عن أنَّ هتلر أُمُّه يهودية، واستفاد من نفوذ شركة (هآفارا) اليهودية واليهود في ألمانيا، ووضعهم في جهاز الأس.أس والجستابو، وهم أساساً يهود، وأنَّ فرع (فلسطين) (11 ـ 112) هُو مُؤسَّس من قبل اليهود الصهاينة (شتيرن وآرغون) فإنَّ (موسى هس) مسؤول الدعاية النازية كان أيضاً يهودياً، وساعد الصهيونية ومُنظَّماتها (شتيرن ـ وآرغون ـ وبيتار) لتهجير اليهود بالإرهاب والقُوَّة وسفك الدماء، وبالتدقيق قليلاً سنجد أنَّ روزنبيرغ (فيلسوف النازية الألمانية) كان من أشدِّ المُعجبين "ببروتوكولات حكماء صهيون" وأفكار فريدريك نيتشه، وصرَّح مراراً في الصحف الألمانية ومطبوعات النازية أنَّه استفاد ـ بشكل عميق جدَّاً ـ في دعم سياسة هتلر والنازية منها، وكان عوناً للسياسة الشوفينية "هتلر فوق الجميع"، واستبداده ورجعيته هي في حقيقة الأمر مصادرها التعصُّب القومي والعملي للأيديولوجيا النازية، لقد أخفى الصهاينة طيلة العُقُود الماضية تعاونهم مع هتلر والنازية وتحريضهم لغزو الاتِّحاد السوفيتي، واحتلال منابع النفط في بغداد وباكو..!! ودفعوا هتلر لهذا السبيل أيضاً.

---

(1) أحد أهمّ قياديَّيْ الثورة البلشفية في رُوسيا، له مجموعة مُؤلَّفات فكرية مُهمَّة. انتقد ـ بشدَّة ـ العقلية الإدارية والبيروقراطية لستالين وأفكار بعض قيادات الثورة، ودعا إلى الثورة المُستمرَّة في ألمانيا وأوروبا ـ خطَّط ستالين لقتله، وقبل ذلك ملاحقته في عدة دُول، نُفي إلى آسيا الوُسْطَى، وحتَّى الأرجنتين، واغتيل هُنالك.
انظر بهذا الصدد لينين ـ المُجلَّد 2 ـ الجزء 1 ـ 1976 ـ دار التقدُّم، ص168 ـ 169.

الصهيونية الفاشية والنازية وجهان لعُمْلَة واحدة:

لا تختلف شعارات النازية عن شعارات الصهيونية هُنا في الشرق الأوسط؛ حيثُ نجد الشعار المرفوع شبيه تماماً بشعار هتلر السابق "هتلر فوق الجميع"، أو قُلْ "شارون فوق الجميع" هذا ما يُوضِح أنَّ سياسة شارون تجاه الشعب الفلسطيني والشُّعُوب العَرَبيَّة هي مُستمدَّة من سياسة النازيِّيْن في جُمهُوريات البلطيق، ورومانيا، وهنغاريا، وتشيكيا، وبولونيا، وألمانيا. مَنْ يُقدَّر له الاطِّلاع على مجموعة كبيرة من الحقائق الدامغة عن الصهيونية، وتعاونها مع النازية سيُدرِك بقوَّة حقيقة البشاعة والدموية والخطورة في الحركة الصهيونية العالمية التي ابتزَّت وضلَّلت ليس يهود مُختلف بلدان العالم فحسب؛ بل وضلَّلت الأمم المُتَّحدة ومعظم الدُّول المنضوية تحت لوائها بما فيها الدُّول الكُبْرَى، ولطالما أنَّه في العُلُوم السِّياسيَّة؛ بما فيها علم الاجتماع (أنَّ القُوَّة والخداع) تلعبان دوراً حاسماً في الانتصار على العدوِّ؛ كانت الصهيونية تُجسِّد هذه المقولة، ولكنْ؛ بطُرُق بربرية ووحشية. لقد صرَّح ناعوم غولدمان ذات مرَّة أنَّ الصهيونية بفضل الدعم الرسمي وغير الرسمي (الأمريكي والبريطاني) حظيت بما تريده ويحلم به اليهود ومُنْذُ مئات السنين، ولكنْ؛ تناسى غولدمان دور الصهيونية وما قاله الدكتور والصحفي هرتزل بنفسه بأنَّ (المسألة اليهودية) في الأساس ذات منشأ أوروبي، قبل أيِّ اعتبار آخر، ومادامت الصهيونية العلمانية تتبع هرتزل وزعماء آخرين؛ فإنَّ الصهيونية الليبرالية الحديثة هي ذاتها النازية الهتلرية بثوب جديد؛ ثوب القتل والتدمير والاغتيالات والتهجير والاستيطان، لا، بل وأخطر منها بكثير، وما يدور في الكيان الصهيوني نفسه بين الحُكُومة الرسمية ومجالس الحاخامات الفاشيِّيْن الذين يتطلَّعون لإيجاد "(إسرائيل) ذات العِرْق اليهودي النقي"، ويُطبِّقون الشعار والأسلوب النازي الذي رفعه هتلر والهتلريون "ألمانيا ذات العِرْق الألماني النقي"، لكنَّ هُنالك سؤالاً كبيراً: هل حقّاً اليهود يتمتَّعون بما تتمتَّع به الأُمَّة الألمانية؟!. وهل حقّاً اليهود يمثِّلون أُمَّة؟ أم إنَّهم مجموعة طوائف في لوحة فسيفسائية وخليط من جميع دُول العالم؟! أصولهم وأوطانهم الأساسية معروفة، اليهودي الرُّوسي، واليهودي الليتواني، واليهودي الأوزبكي؛ إذْ ماذا يجمعهم في أرض فلسطين ـ وهي أرض ووطن بعيدة كُلَّ البُعْد عن أوطانهم الأصلية التي جاؤوا منها مُكرَهين أو بطواعية ـ ماذا سيحلُّ بهم فيما إذا ظلَّت الممارسات النازية والفاشية تأكل عقولهم، ويتقمصون هتلر وشعاراته؟! وبين العقليَّة الليبرالية القديمة والعقليَّة النيو ـ ليبرالية خطوط

واضحة، بين الحضارة والمدنية المعاصرة وبين البربرية والتَّوحُّش المعاصر، يُعلِّق جورج بوش الابن ومعه شارون قُمصانهما باللون الدموي على شمَّاعة هتلر صاحب أكبر مجزرة بشرية في التاريخ مع عملائه من شتيرن وآرغون ومُنظَّمة البوكر الرُّوسيَّة وبيريا ومنظَّمة جابو تنسكي "وبيتار" القادمة من (ريغا) في البلطيق، هؤلاء هم أصحاب (يوسف بارناس) و(أدولف روتفيلد) ؛حيثُ علَّقت (غولدا ميرسون) غولدا مائير بأنَّهم فاشيون وقَتَلَة في مُذكّراتها الخاصَّة، (وإسحاق يرزنتسكي) الإرهابي الدولي المُلاحَق من قِبَل العديد من الدُّول الأوروبية، والذي يُسمِّي نفسه (إسحاق شامير)، وغيرهم من قادة الإرهاب والقتل والاغتيالات والنازية الألمانية، وعلينا أنْ نراجع التاريخ جيِّداً لنعرف مَنْ هم عملاء النازية وهتلر، ومَنْ هم الذين قادوا يهود أوروبا الشرقية وليتوانيا ولاتفيا وإستونيا ورومانيا وهنغاريا إلى حتفهم؟! - وهذا ما ذكره أيضاً الكاتب الأمريكي فنكستاين في أحد كُتُبه - ومَنْ هي مجموعات القتلة والإرهاب؟ "مجموعة بنيو" النازية في مقرِّ الصهيونية الألمانية بشارع "ماينيكر شتراسه" في برلين، وكيف تعاون الإرهابي مناحيم بيغن مع النازي (بينو) مع أجهزة الاستخبارات الألمانية لقتل اليهود والألمان والروس والليتوانيين واللاتفيين والهنغار والبولونيين دون رحمة، من أجل تهجيرهم قسراً إلى أوروبا الغربية، أو إلى أمريكا، ثم إلى فلسطين.

ومَن الذي قاد عمليات التنسيق المُشتركة مع الصهيوني (بولكيس) الصديق الحميم لإسحاق شامير وبيغن؟ وكيف سنجد أنَّ إيخمان نفسه كان تحت تصرُّفهم في إدارة جهاز الأمن الخاصّ بفرع (11 - 112)؟ ومَن هم الإرهابيون فعلاً سوى جابوتنسكي ورازين وشتيرن وآرغون وإسحاق شامير؟ مجموعة (كانا ريس - شتيرن) المُرتبطة أشدَّ الارتباط بالأجهزة النازية الاستخباراتية الألمانية (1933 - 1945)، ومَن الذي خطَّط لقتل العديد من اليهود المتنوِّرين المعادين للصهيونية في رُوسيا البيضاء وليتوانيا وبولونيا وهنغاريا وبلغاريا وفلسطين، وخاصَّة (يعقوب دهان)[1]؟!، التاريخ حافل بذكر أحداث وأسماء القَتَلَة والمجرمين في أوروبا الشرقية والغربية وجُمهُوريات البلطيق، ولعلَّ

---

(1) تاريخ الهاغاناه - المجلَّد الثاني / تلّ أبيب 1964 - مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينية - ص216 - 217 قامت مجموعات من شتيرن - التي كانت بقيادة إبراهام شتيرن - بقتل رجال البوليس البريطاني ،1942 عُرفت باسم (لوحمي حيروت (إسرائيل) المقاتلون من أجل الحرية من الاحتلال البريطاني (....) اعتبر الاحتلال البريطاني بأنَّ ليحي - وشتيرن هما أخطر من النازية على بريطانيا. - انظر بهذا الصدد يهود سلوتسكي من النضال إلى الحرب (تاريخ الهاغاناه) المجلد الثاني / تلّ أبيب 1964، مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينية.

دور (مائيرا ميت) أحد قادة المخابرات الخارجية للمُنظَّمة الصهيونية العالمية، الذي كشف وجود إذاعة الشيوعيِّيْن والميليشيات للنازية حينما كان من ضمنها مجموعة يهودية تعمل لحساب الاتِّحاد السوفيتي والشيوعية، فعمل الجستابو وقيادة وجهاز أمن القُوَّات الخاصَّة الألمانية لكَشْفهم، وقَتْلهم؛ حيثُ شارك الإرهابيون الصهاينة في قتل الآلاف من اليهود في باحات السجون النازية، لا، بل وحقَّقوا معهم إلى جانب ضُبَّاط هتلر من الأس.أس، ولماذا تُلاحق الصهيونية العديد من العملاء من الجستابو والأس.أس؟ لأنَّهم يُدرِكون بعُمق أسرارهم، ويعرفون طبيعة التعاون الفاشي الذي كان قائماً بين (إسحاق شامير ومناحيم بيغن وبن غوريون) مع النازية الألمانية، والفاشية الإيطالية، ولعلَّ تدريب موسوليني لأربعين ألف مجرم وإرهابي من العصابات الصهيونية في الميناء الإيطالي الحربي (تشيكا ـ فيكا) لدليلٌ قاطع على دورهم الماكر والخطير في المنظَّمات الفاشية في إيطاليا، ولعلَّ دورهم في الصراع مع الهاغاناه التي أسَّستها بريطانيا قبل عام **1948** حيثُ ارتكبوا المجازر في المدن والقرى الفلسطينية، حتَّى ضدَّ بعضهم البعض دليلٌ على فاشيتهم، وضمَّت وثائق الحرب العالمية الثانية والرايخ الألماني في برلين وثائق عن حقيقة المكر والخداع الذي مارسته القيادات الصهيونية، ودورها في تشريد أو قتل أو تهجير اليهود من ألمانيا وهنغاريا ورومانيا وبلغاريا وليتوانيا ولاتفيا وإستونيا، من بحر البلطيق إلى فلسطين، وهي بمنزلة البروفة لإعادة ارتكاب المجازر ضدَّ الشعب الفلسطيني بمُساعدة بريطانيا قبل وبعد **1948** في قتل وتهجير الفلسطينيين من وطنهم، وارتكاب المجازر بحقِّهم لتحقيق المآرب الاستعمارية والتعاون بين الصهيونية والاستعمار نفسه.

إن حقد الصهاينة على اليهود من انتماءات فكرية وسياسيَّة أُخرَى هُو حقد دمويٌّ ووحشيٌّ، وإلا ماذا لو عُدنا لقراءة مذكرات (فتاة بنسك الفقيرة) غولدا مائير إحدى زعيمات حزب العمل الإسرائيلي حينما علَّقت على ممارسات (شامير وبيغن) وأنصار شتيرن وآرغون وبيتار، "إنَّ هؤلاء يتمسَّكون بالعنف الشوفيني"؛ إنَّها النيوليبرالية الجديدة، ولكنْ؛ مع وضع شارب هتلر على وجه شارون وبوش من جديد[1]!!

فيما بعد؛ تمَّ تهريب كاستنر من برلين، ووضع عام **1948**، وتمَّ تعيينه مديراً للعلاقات العامَّة بوزارة التجارة والصناعة الإسرائيلية باسم جديد، ثم أسَّس إذاعة باللغتَيْن الهنغارية والرومانية

---

(1) مُذكّرات غولدا مائير.

لتضليل الرأي العامّ فيها، وقضية كاستنر معروفة جيِّداً في ملفَّات الموساد والمُنظَّمات الفاشية الصهيونية، التي توحَّدت ـ فيما بعد ـ تحت ما يُسمَّى "الجيش الإسرائيلي"، والذي شكَّلت نُواته تلك المُنظَّمات الفاشية، واستخدمت أساليبها الدموية لتشويه وسرقة تاريخ وأرض الشعب الفلسطيني، وتشريده من وطنه ودياره، ولعلَّ مجازر دير ياسين وكفر قاسم، وفيما بعد مذابح صبرا وشاتيلا وجنين تُؤكِّد أنَّ ذلك الجيش هُو جيش فاشيٌّ ودمويٌّ على الطريقة النازية، ووجب محاكمة مجرمي الحرب الصهاينة بمحاكم دولية مُتخصِّصة، وخاصَّة مجرم الحرب أرئيل شارون! لقد ذكرت الأحداث التي كتبها الكاتب الرُّوسي فيباينيلون في دراسته "إرهابيو الموساد" حول صداقة مناحيم بيغن وبينو في أنشطتهم بمقرِّ الصهيونية بشارع "ماينكر شتراسه" ببرلين تُدلِّل بعُمق على ما رمى إليه، وكان "كاناريس" وبعض أصدقائه فاشيِّيْن كباراً في أعمالهم السِّرِّيَّة في أجهزة الاستخبارات الألمانية، وخاصَّة دور جابوتنسكي[1].

إنَّ الصهاينة الفاشيِّيْن والنازيِّيْن الجُدد في الكيان الصهيوني لم يتعلَّموا من دروس التاريخ المعاصر شيئاً سوى ما يُحقِّق لهم طموحاتهم العُنصُريَّة والإرهابية. والتعاون مع الشَّخصيَّات ذوي الميول العُنصُريَّة، وتأجيج الصراع بين القوميِّيْن الليتوانيِّيْن والروسيِّيْن مع الصهيونية ومنظَّماتها قديم وليس وليد المرحلة، لذلك سنجد أنَّ الحرب ستظلُّ مفتوحة بين هؤلاء وبين الكيان العُنصُري الصهيوني، لاسيما أنَّ "فرقة كوماندوس" أو "كتيبة اس باس في ليتوانيا" يفقدون الثقة بحُكُومتهم، وخاصَّة أعضاء البرلمان الليتواني لشعورهم أنَّ أنشطة الموساد و"ناتيف" والسفارة الإسرائيلية في ريغا بدأت مُنذُ فترة ملاحقتهم كمُحاولة لتجاوز كُلِّ الحقائق التي اكتشفتها المحاكم الأوروبية والدّوليَّة حول دور المنظَّمات الفاشية الصهيونية في تهجير اليهود إلى وطن ليس وطنهم، وأرض ليست أرضهم.

(1) التقى ترامبدور وجابوتنسكي في مصر بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى البريطانيِّيْن، وحاول كلٌّ منهما إقناعهم بتشكيل الوحدات العسكرية ـ اليهودية من مقاتلي (بيتار) وحمالة البغال الحربية للخدمة على جبهة غاليبولي عام 1916 وقتذاك تمَّ تأليف مجموعات الفيلق 6400 جندي سُمِّيت بـ"الفيلق اليهودي" كان وراء التأسيس بريطانيا التي دعمتهم بكلِّ الإمكانيات الحربية، وضمَّتهم إلى الجيش البريطاني، انظر بهذا الصدد دراسات فلسطينية، مصدر سابق، ص71.

ثانياً: جُمهُوريات البلطيق تواجه الابتزاز

"عُنصُريُّون وحاقدون وحَفَّارُو قُبُور"

تثير الأوساط الحُكُومية الإسرائيلية وأجهزة استخباراتها مُنْذُ فترة اهتماماتها المركّزة على جُمهُوريات البلطيق السوفيتية السابقة، ولأهمّيّة تلك الجُمهُوريات ودورها في الحرب العالمية الثانية وما تبقى منها؛ تغزوها الآن العديد من الشركات اليهودية التي لها صلات مع (فنلندا والسويد والنرويج)؛ أيْ مع الدُّول الاسكندنافية، وتُعزِّز من مواقعها هُنالك بدعم ملموس من وزارات الدفاع والخارجية والتجارة الإسرائيلية، بهدف إصباغ طابع جديد من العلاقات معها، وملاحقة أشخاص وشركات كان لها علاقة مع النظام الهتلري النازي، لكنَّ أشدَّ ما يهتمُّ به الصهاينة الآن بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي؛ هُو البحث عن الشّخصيّات (العسكرية والأمنية) التي كانت تتعاون مع المخابرات الألمانية الأس.الأس. أو مع القُوّات الخاصّة الألمانية، أو جهاز أمنها، وخاصّة مجموعات (الكوماندوس الليتوانية) ومجموعة "الكوماندوس إرياس" التي يعتبرها اليهود مسؤولة عن ملاحقة وقتل آلاف اليهود في ليتوانيا، أو في البحث عن أشخاص من بقايا الـ KGB بعد انهيار السوفييت، وهذا له حديث آخر ليس هُنا.

لماذا ماتزال تصرُّ الأجهزة الصهيونية مثل منظَّمة "ناتيف" والموساد الإسرائيلي من خلال قسم البحث والاستخبارات أو قسم "التقييم والمراجعة" في الأجهزة الإسرائيلية إصراراً رهيباً لإعادة فتح ملفّات الماضي، وحفر القبور؟! أَليس انتقاماً من المُنظّمات والهيئات القومية الرُّوسيَّة والليتوانية واللاتفية والإستونية، والسعي لتتبع أماكن وجودهم وعائلتهم وأبنائهم للانتقام منهم، باعتبارهم معادين للصهيونية وأساليبها، أو باعتبارهم يعرفون حقائق كثيرة عن علاقتها بالنازية؟! لقد اتُّهمت تلك المنظّمات والهيئات القومية بتشكيل مجموعات كوماندوس ضدَّ الصهاينة واليهود لمعرفتهم بأنَّ منظَّمة "بيتار" التي أنشأها الإرهابي (جابوتنسكي) في (ريغا) بداية القرن العشرين كانت تقتتل وتُشوِّه بشكل بشع وفاشيٍّ أيَّ زعيم أو كاتب أو تاجر ليتواني ينتقد الصهيونية، لكنَّ الشُّعُوب في جُمهُوريات البلطيق ليسوا بعيدين عن معرفة جابو تنسكي ومُنظَّمته الفاشية حتّى خلال ثورة أكتوبر 1917. الكيان الصهيوني يفتح بعد عدَّة عُقُود ملفّات جُمهُوريات البلطيق، وخاصّة ملفّات بعض الشّخصيّات المُهمَّة فيها بشكل منافٍ لكُلِّ الأعراف والقوانين الدّوليّة، باعتبارهم

مجموعة مجرمين مطلوبين لاشتراكهم بالحرب في "وحدات الكوماندوس الليتوانية" ومنهم الـضُّبَّاط (كارليس اوزو لاس ـ وكوندر كاليـاس) المُتَّهمـون بإبـادة آلاف اليهـود في مدينـة (ريغـا)، أو مُـدُن رُوسيا البيضاء (بيلاروسيا)، أو في (أوكرانيا) مدينة (مينسك ـ وبنسك)، هذا ماذكرتـه غولـدا مـائير عن القوزاق من الليتوانيِّيْن، أو اللاتفيِّيْن، أو من رُوسيا البيضاء في تعقُّب اليهود والـصهاينة وخـوف ورُعب اليهود منهم[1].

لكنْ؛ لايزال معظم الشعب الليتواني ينظر نظـرة ازدراء واحتقـار لليهـود ومنظَّمـة "بيتـار" الصهيونية ودورهم التآمري في تاريخ رُوسيا ـ وبيلاروسيا ـ وجُمهُوريـات البلطيـق، وحيـنما حرَّكـت كُلٌّ من (منظَّمة ناتيف) و(الموساد) أنصارهما في (ريغا) لتقديم دعاوي ضدَّ المذكورين، أكَّـد المُـدّعي العامّ الليتواني (ستارليس) أنَّ المسألة قديمة، ومرَّ عليها أكثر من خمسين عامَّاً، وليس لديه أيُّ مادَّة، أو معلومات بخصوصها، وأكَّد المُدَّعي العامّ أنَّ تاريخ اليهود والصهيونية في البلاد هُو تـاريخ إجرامـيٌّ وأسود، لكنَّ الصهاينة دفعوا الرشاوي لإقالته من منصبه، وملاحقته بتحريض من بعض المـسؤولين في ليتوانيا المتعاونين مع الصهاينة وكيانهم الاستعماري في فلسطين.

حتَّى إنَّ الصهيونية العالمية والكيان الإسرائيلي يضغطون الآن على الرئيس الليتـواني أولمـانيس متَّهمين إيَّاه بأنَّه كان مُتورِّطاً أيضاً بأعمال إرهابية، وتوزيع منشورات معاديـة لليهـود، أو مـا يُـسمَّى "مُعاداة السَّاميَّة" وخاصَّة منشورات كان قد ألَّفها "آدولف سيلد" من قسم الدعاية النازيـة خـلال الحرب العالمية الثانية، بينما أولمـانيس وهُـو في سنين صـباه في الدراسـة، وكذبـة الدعايـة الـصهيونية تتوضَّح حينما نعرف أنَّه لم يكن عُمره إلَّا خمس سنوات، وغير قادر على فَهْـم تلـك الأوراق الممهـورة بالشعار النازي، ومن خلال تلك المعلومات عن الرئيس الليتواني الحالي تبتزُّ الصهيونية ليتوانيا ابتزازاً استفزازياً، حتَّى إنَّ الصهاينة احتجُّوا بشدَّة إليه حينما أعلنت الناطقة باسمه "بأنَّ اليهـود والـصهاينة في رُوسـيا وبيلاروسـيا تـاريخهم أسـود وحافـل بالقتـل والإجـرام، وهـم يُـضلِّلون الـرأي العـامّ، ويكذبون"، وأنَّهم يفتحون ملفَّات من عهود سابقة لعب اليهود فيها دور المجرم والضحية بآن واحد ضدَّ الشعب الليتواني، وتآمروا مع النازية لتهجير يهود ليتوانيا، أو تعذيبهم، أو قتلهم، فيما إذا امتنعـوا عن تحقيق أهـداف الـصهيونية واتَّهمـوهم بـأنَّهم مُعـادون للـسَّاميَّة ومُعـاداة الـصهيونية، لأنَّ تلـك

---

(1) راجع مُذكّرات غولدا مائير ـ مصدر سابق.

المجموعات الرُّوسيَّة والبيلاروسية اعتبرت توزيع الكُتُب والمنشورات ضدَّها كان أمراً مشروعاً تماماً، كدفاع عن النَّفْس من الإرهاب اليهودي والصهيوني في حينها، وأكَّدت أنَّه حتَّى منظَّمات (آرغون وشتيرن) و(مناحيم بيغن وإسحاق شامير) كانوا عُملاء للمخابرات الألمانية حينذاك.

إلَّا أنَّ الرئيس الليتواني حاول محاباة الصهيونية، وخاصَّة عند زيارته الأخيرة للولايات المتَّحدة عام **1998**م، واعترف أمام المجلس والهيئات الأمريكية واليهودية بأنَّ بعض المواطنين الليتوانيين مسؤولون عن الكارثة التي حلَّت بآلاف اليهود في ريغا، وحاول الصهاينة ابتزازه ومحاصرته بقُوَّة عبر أسئلة مُحرِجة له كرئيس دولة، حينما طُرِحت عليه أسئلة عن: هل في بلدك مجرمو حرب من الذين لم ينالوا العقاب، ويحظون بمكان آمن مثلما يحصل في لاتفيا؟!

لقد أجاب الرئيس الليتواني بدافع الخوف على مصالحه وموقفه كرئيس دولة، وطمعاً في بعض المُساعدات، حينما أكَّد لهؤلاء أنَّ هُنالك تدقيقاً شاملاً بهذا الصدد، وقال: "لكنْ؛ لا يوجد الآن أيٌّ من مجرمي الحرب في بلدي؛ فمعظمهم غادروا ليتوانيا، وخاصَّة بعد انضمام ليتوانيا للاتِّحاد السوفيتي، وانتقلوا للعيش في دُول أوروبية وأُستراليا، مضيفاً أيضاً: إنَّه وجب على الجميع تعقُّب مجرمي الحرب، ونسعى لمُعاقبتهم إذا كانوا موجودين على قيد الحياة..؟!" نستدلُّ ممَّا تقدَّم أنَّ الصهاينة يعتبرون أنفسهم أبرياء، وهم يفتحون ملفَّات الماضي حتَّى قُبيل الحرب العالمية الأولى والثانية؛ كي ينتقموا بحقد وتعصب عنصريٍّ فاشيٍّ ضدَّ شُعُوب الدُّول الاسكندنافية، بينما يتناسى هؤلاء أنَّهم مجرمون وقتلة بامتياز في فلسطين المحتلَّة ومناطق أُخْرَى.

أوَّلاً: استقبال الرئيس الليتواني في الكيان الصهيوني:

عند البحث عن تطوُّرات الأحداث في ليتوانيا، واستقلالها عن مُوسكُو، سنجد أنَّ (أولمانيس) الرئيس الليتواني الحالي هُو حفيد عائلة الرئيس السابق في الثلاثينيات من القرن العشرين (كارليس أولمانيس)، وقد وُلد (غزنتيس أولمانيس) عام **1939**؛ أيْ كان طفلاً خلال الحرب العالمية الثانية (**1939**-**1945**)، ولم يستطع - بأيِّ شكل من الأشكال - أنْ يُوزِّع منشورات النازية كما تدَّعي الدعاية الصهيونية في رُوسيا البيضاء؛ لأنَّ عمره لم يتجاوز الـ **6** سنوات فقط، وفي عام **1940**، دخل الجيش السوفيتي ليتوانيا لتحريرها من النازيِّيْن، لكنْ؛ أعاد النازيون احتلالها عام **1941**، وقبل

دخول الجيش الهتلري إلى ريغا؛ نقل الجيش الأحمر عائلة الرئيس (كارليس أولمانيس) إلى سيبيريا مُحتجَزاً فيها مع أفراد أسرته، بمَنْ فيهم الطفل أولمانيس[1]!!

وبعد اندحار النازية الألمانية ودخول الجيش السوفيتي لبرلين، وسيطرته على الأرشيف النازي، تبيَّن أنَّ لعائلة كارليس أولمانيس مواقف معادية للنظام السوفيتي حينذاك، وفي نهاية الحرب؛ أُعيدت العائلة إلى ليتوانيا، ووُضعت تحت المراقبة، وبعد ثلاث سنوات، صدر أمر بنفيهم من جديد، إلَّا أنَّ والدة الرئيس الحالي - حسب ما كتبه (يوسي ملمان) - تزوَّجت للمرة الثانية، وغيَّرت اسم عائلتها، كي تحظى بالإقامة في ريغا، دون أنْ يتعقَّبها البوليس السِّرِّيُّ التابع لستالين، والمخابرات العسكرية للجيش السوفيتي، واختفى أيُّ أثر لها خلال ذلك، إلَّا بعد مقتل ستالين من قبل وزير داخليته ومستشاره بيريا، أُعيد الاعتبار للعديد من الشَّخصيَّات المعارضة، بمَنْ فيهم والدة الرئيس الحالي. درس الرئيس الليتواني (غزنيتس أولمانيس) في أكاديمية العُلُوم الاقتصاديَّة السوفيتية، وتخرَّج فيها. ثُمَّ أدَّى خدمته العسكرية في الجيش السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية، وعمل محاضراً في جامعات ليتوانيا وبيلاروسيا، وبالأخصِّ؛ في مدينة (ريغا) مدينة الشهداء[2]. وعند انتسابه للحزب الشيوعي، أُثيرت الشكوك حوله وحول عائلته، وظلَّ في الحزب كعُضو عادي ومُدرِّس جامعي خلال 24 عامًا، وعند استقلال ليتوانيا؛ كان مع أخيه من زعماء (حزب اتِّحاد المزارعين الليتوانيِّيْن) الذي كان تنظيمه (سرِّيًّا) طيلة العهد السوفيتي، وقام هذا الحزب وأنصاره القوميون باستلام الحُكْم، وخلال عام واحد؛ تحوَّل غزنيتس من عضو في البرلمان الليتواني إلى رئيس لِجُمهُورية ليتوانيا. وقد انتُخب للولاية الثانية حتَّى الآن، لاسيما أنَّ ليتوانيا كانت دولة زراعية، لكنَّ النظام السوفيتي تمكَّن من بناء العديد من المصانع والمعامل الضخمة، وخاصَّة الصلب والحديد والسيَّارات، ورغم ذلك؛ فإنَّ بعض أعضاء اتِّحاد المزارعين أدّوا خدمة بجلاء للولايات المتَّحدة وحلف الناتو فيما بعد، إلى الحدِّ الذي تنظر فيه حُكُومة ليتوانيا الحالية إلى ضرورة إقامة علاقات طبيعية مع (إسرائيل) وحلف الناتو.

يعترف الرئيس الليتواني أنَّ بلاده تشتري - الآن - من الكيان الصهيوني المعدَّات العسكرية وتبادل المعلومات الاستخباراتية، وهُنالك تعاون في مُختلف المجالات وخاصَّة تصريحاته الواردة في الصحف الليتوانية الرسمية بأنَّه مَعْنيٌّ مع حُكُومته لإقامة أنظمة عسكرية وأمنية واقتصاديَّة، ليس مع

---

(1) صحيفة هاآرتس / يوسي ملمان 25/ 2/ 1998.

(2) المصدر السابق نفسه.

(إسرائيل) فحسب، بل ومع (حلف الناتو) أيضاً، وذلك يُؤهِّله تماماً للدخول في الاتِّحاد الأوروبي عمّا قريب، وهذا ما تريده ليتوانيا للرجوع للحظيرة الأوروبية والبيت الصناعي - الأوروبي وحلف الناتو، وجاءت زيارة الرئيس الليتواني للكيان الصهيوني تحت مُبرِّرات غير منطقية، لاسيما أنَّه ادَّعى أنَّ ذوبان الثلوج بشكل سريع جدّاً، وحدوث فيضانات في جُمهُوريات البلطيق بما فيها ليتوانيا؛ أدَّى لطلب المُساعدة والذهاب لـ (إسرائيل) ليتلقَّى المُساعدات وتوقيع اتِّفاقيّات اقتصاديَّة، والتعاون في مكافحة الجريمة والإرهاب، وتهريب الممنوعات والبضائع.

ودعا وزير الداخلية (لـ (إسرائيل)) "أفيغدور كهلاني" للتنسيق مع وزير داخلية ليتوانيا بشأن مكافحة الجريمة والإرهاب، وتعقُّب مجرمي الحرب الليتوانيِّيْن، إضافة لتطوير العلاقات مع الأجهزة الإسرائيلية "الموساد" و"ناتيف" في رُوسيا وبيلاروسيا.

بعد كُلِّ ما تعرَّض له وما يتعرَّض له الشعب الفلسطيني والشُّعُوب العَرَبيَّة والشُّعُوب الرُّوسيَّة والبيلاروسية من الحُرُوب الدموية، خلال العُقُود الماضية وخاصَّة في انتفاضة الأقصى والحرب المُجرِمة التي يشنُّها شارون وحُكُومته اليمينية، وارتكاب المجازر بحقِّ الأطفال والنساء، وارتكاب قادة الجيش الإسرائيلي لأبشع المجازر بروح عُنصُريَّة، وحرب الإبادة والاغتيالات، وما حصل في مخيَّمات جنين ونابلس ورام الله، ومحاصرة كنيسة القيامة، ومُحاولة قتل كلِّ من كان فيها. جاءت اعتذارات الرئيس الليتواني لـ(إسرائيل) في الولايات المُتَّحدة ــ والكيان الصهيوني لتضلِّل الرأي العامّ في ليتوانيا وجُمهُوريات البلطيق على حقيقة الكيان الصهيوني الفاشية والدموية، ودور مجرم الحرب أرييل شارون فيها مع مجموعته النازية (بن أليعازر ـ وموفاز) وغيرهم الكثير..

لقد قام الرئيس الليتواني وأمام مُمثِّلي المُنظَّمات والأحزاب الإسرائيلية المتطرِّفة، وبالأخصِّ؛ مُمثِّلي الليكود في مدينة القُدْس المُحتلَّة بتقديم اعتذاره على ما أصاب اليهود في ليتوانيا، وبسبب حقيقة مشاركة مواطنين ليتوانيِّيْن في تصفية اليهود أيّام الكارثة، وكان ذلك أمام النصب التذكاري لضحايا النازية "يد فاشيم"، لكنْ؛ أصرَّ بعض اليهود على مواجهته، مُؤكِّدين له أنَّ تعاون الليتوانيِّيْن مع النازيين كان ظاهرة سائدة في ذلك الحين، وبشكل عامٍّ، وليس صحيحاً أنَّ البعض كان يتعامل معهم. وكتب يوسي ميلمان في دراسته أنَّ الإسرائيليِّيْن يُكذِّبون ما قاله الرئيس الليتواني، واعتبروها متناقضة جدّاً، ولابُدَّ من إيراد الملاحظات التالية:

*) لُوحِظ بأنَّ 95٪ من يهود ليتوانيا؛ أيْ 67 ألفاً من أصل 70 ألفاً طُردوا نهائياً من ليتوانيا، لكنْ؛ لم يُفسِّر ميلهان كيف تسنَّى لهؤلاء أنْ طُردوا أو هاجروا تحت ضغط وابتزاز (شتيرن وآرغون) و(منظَّمة بيتار) التي كانت تستخدم الأعمال الإرهابية ضدَّ اليهود أنفسهم لتهجيرهم إلى الولايات المُتَّحدة، أو إلى فلسطين بالقُوَّة؟!

*) كذلك هُناك 14 ألف يهودي من أصل 20 ألف يهودي ليتواني كانوا في النمسا وألمانيا وتشيكيا، وتعاون الليتوانيون في الأجهزة النازية مع السُّكَّان المحلِّيِّين لإبادتهم؛ حيثُ كان المُتطوِّعون الليتوانيون في الوحدات الخاصَّة الألمانية يلاحقون العصابات الصهيونية وأنصارها في النمسا وألمانيا خاصَّة (عصابة شتيرن وآرغون ومنظَّمة بيتار)[1]، وإذا رجع هؤلاء الصهاينة بما فيهم الدكتور زوروف والدكتورة دينا بورات إلى مُذكّرات غولدا مائير أو مُذكّرات تشرشل سيعرفون ـ بالضبط ـ مَنْ هم الفاشيون والمتعاونون مع النازية والفاشية الألمانية والإيطالية وخاصَّة في قضية "كاستنر والجستابو". وقد أكَّد الكاتب اليهودي "بن هيتحا" في كتابه بعنوان (الغدر) ذلك:

"كان كثير من يهود هنغاريا على بُعْد ثلاثة أميال عن حُدُود رومانيا تحت حراسة الجستابو، دفع بهم كاستنر إلى الموت، دون وازع من الضمير، أو الشفقة".

وقد اعترف كاستنر أمام محكمة نيزرنبرغ التي حاكمت مجرمي الحرب بأنه غطَّى على قسم كبير من أجهزة الأمن والمباحث المُشتركة بين النازية والمُنظَّمات الفاشية الصهيونية، وأنَّ اليهود قُتِلوا غدراً بتعاون صريح بين الجستابو والصهيونية؛ لأنَّهم لا يريدون مغادرة بلادهم إلى (إسرائيل) القادمة، بل إلى الولايات المُتَّحدة فقط.

ثانياً: ابتزاز الرئيس الإستوني:

وزَّعت إحدى الجهات الرُّوسيَّة القومية منشوراً تتَّهم فيه الرئيس الإستوني (مارت لار) بأنَّه عميل للصهيونية العالمية، بينما يتَّهمه الصهاينة بأنَّه مُعادٍ للسَّاميَّة، ويبدو أنَّ الحقائق ضائعة بينهما.

إلَّا أنَّه في حقيقة الأمر يحاول الرئيس الإستوني كسب رضى الصهيونية وربيبتها (إسرائيل) من أجل التعاون الأمني والاقتصادي، ويُؤكِّد على ذلك بنفسه قائلاً:

---

(1) المصدر السابق نفسه.

"يوجد في إستونيا طاقات بشرية واقتصاديّة كبيرة، وعندنا موانئ بحرية جديدة، استُخدمت عبر التاريخ جسراً للعبور بين أوروبا شرقها وغربها، وإنَّ مصادر المعادن والفوسفات تهمُّ العديد من الدُّول، ولابُدَّ أنْ يتطوَّر هذا التعاون بين إستونيا و(إسرائيل)، وزيادة حجم التبادل التجاري".

فيما بعد؛ تمَّ التوقيع على صفقة تجارية تُقدَّر بـ10 ملايين دولار، أشرف عليها المحامي (ران جزيت) لبيع السلاح الصهيوني إلى إستونيا، بما فيها الأسلحة الخفيفة (بنادق ورشَّاشات ومدافع هاون عديمة الارتجاج وذخيرة) لدعم البنية التحتية والشرطة الإستونية؛ حيثُ وصلت صفقة السلاح إلى إستونيا أواخر عام (1993) اعتبر الرئيس الإستوني أنَّه ليس بحاجة لسلاح جوٍّ، أو سلاح مُدرَّعات؛ لأنَّ جيشه صغير، ولا يحتاج إلى عتاد ثقيل؛ معتبراً أنَّ السلاح من رُوسيا أرخص بكثير من (إسرائيل)، لكنَّه يريد الاعتماد على السلاح والخبرات الإسرائيلية أكثر، أو إعادة خَلْق إجراءات معنوية ونفسية جديدة بين الشعب الإستوني و(إسرائيل)، وإيجاد قاعدة للتواصل الثقافي والاقتصادي، ويمكن خلال ذلك تشجيع السياحة بين البلدَيْن[1].

ثالثاً: رُوسيا لا تُشجِّع على صفقة السلاح تلك:

وافق البرلمان الإستوني على صفقة السلاح الإسرائيلي لإستونيا، لكنَّ العديد من الأعضاء في البرلمان احتجُّوا على تلك الصفقة، وأكَّدوا: "أنَّ ذلك سوف يُعكِّر صفو العلاقات بين إستونيا ورُوسيا"، واعتبرت رُوسيا بأنَّ التَّصرُّف الإسرائيلي خطأ فادح وكبير، ويُؤثِّر في العلاقات بين إستونيا و(إسرائيل)، وستُعتبر دُول البلطيق بؤرة للتَّوتُّر في المنطقة الرُّوسيَّة ورُوسيا البيضاء؛ حيثُ رفضت حُكُومة إستونيا منع أكثر من 50٪ من السُّكَّان الروس في إستونيا من العمل، أو منحهم الجنسية الإستونية، وخاصَّة في المُدُن الصناعية مثل (تالين ـ ونارفا) بينما في نارفا يُقدَّر عدد السُّكَّان الروس 95٪ من السُّكَّان على الحُدُود مع رُوسيا، ومُنِع الروس من الحقوق المادِّيَّة والاجتماعيَّة والحقوق المدنية، أو شغل وظائف حُكُومية وصناعية أساسية.

هذه الممارسات للحُكُومة الإستونية تزيد من الصراع الداخلي بين القوميِّيْن الروس والقوميِّيْن الإستونيِّيْن والمُتطرِّفين منهما، وتتحقّق الاستراتيجية الصهيونية ـ الجديدة في دُول البلطيق وخاصَّة في إستونيا ولاتفيا، لتعميق الخلافات بينها وبين رُوسيا من جهة، وبالتَّالي؛ إعادة النُّفُوذ الصهيوني

(1) هاآرتس 16/ 7/ 1993، مُؤسَّسة الأرض للدراسات.

الإسرائيلي، ليأخذ دوره أكثر فأكثر من الوجود الرُّوسي ـ الألماني في تلك الدُّول، من خلال سياسة الانتقام الصارخة والمخطَّط لها.

تتوجَّه العلاقات الجديدة بين الكيان الصهيوني ـ وإستونيا نحو ما يُسمَّى محاربة الإرهاب، والعمل المُشترك ضدَّ العَرَب والمسلمين في رُوسيا وأوروبا؛ حيثُ رفضت السويد وغيرها من الدُّول بيع السلاح لإستونيا؛ لأنَّه يُصعِّد من حِدَّة التوتُّر مع مُوسكُو إلى حُدُود بعيدة(1).

رابعاً: جُمهُورية لاتفيا على خُطا ليتوانيا:

هذه الأنشطة المتزايدة للكيان الصهيوني في جُمهُوريات البلطيق، وخاصَّة في ليتوانيا ولاتفيا؛ تظهر بين الحين والآخر زيارات (رسمية وسرِّيَّة) لمسؤولي تلك الدُّول إلى الكيان الصهيوني، وذلك من أجل التعاون في مجالات اقتصاديَّة وعسكرية وأمنية، بما فيها تفضيل تجارة السلاح؛ حيثُ عمل وزير داخلية لاتفيا لإجراء محادثات للتنسيق الكامل مع وزارة الحرب الصهيونية والداخلية في الكيان الصهيوني، وخاصَّة في زيارته في شهر آب/ أغسطس **1993** أو بين أعوام (**1995 ـ 2002**)؛ حيثُ تمَّت زيارات مُكثَّفة (سرِّيَّة وعلنية) بين الطرفَيْن، بما فيها زيارة رئيس مجلس المديرين في الصناعات العسكرية الإسرائيلية "دان شمعون" إلى لاتفيا؛ حيثُ زوَّدت حُكُومة الكيان الصهيوني لاتفيا بمجموعة أسلحة مُتقدِّمة، وتعاونت معها في مجال الصناعات العسكرية، بعد أنْ استفادت (إسرائيل) من تعاونها مع ألمانيا وبريطانيا طيلة العُقُود الماضية مع التطبيع العسكري، كذلك كانت زيارة رئيس حُكُومة لاتفيا ووزير داخليته ومُختلف فروع ووزارات الحُكُومة إلى الكيان الصهيوني مراراً لأجل تقديم الحماية الأمنية المناسبة والتعاون بين وزارتي الداخلية اللاتفية ـ والإسرائيلية في العديد من الأمور أهمّها:

* إنَّ تشبرس الذي كان وزيراً لداخلية لاتفيا، استطاع توظيف وحدات إرهابية وكوماندوس إسرائيلية مُسلَّحين بالرشَّاشات الإسرائيلية (عوزي) ومُلثَّمين، بالقيام بمجموعة عمليات ومطاردات في شوارع (ريغا) ومدن أُخرَى، عُرِضت في الوسائل الإعلامية الإسرائيلية ضمن أفلام وافيا سريعة.

---

(1) معاريف 5/ 1/ **1994** شلومو افنيري.

* تعاون تشبرس مع رجل الاستخبارات الإسرائيلية (دافيد ميرزا) في سلاح البحرية الإسرائيلية، وهذا لأنَّ صاحب شركة "ماجارا فنطاحا"، وأقام مع شريك له في لاتفيا شركة "أي.أس.أس"، وموَّلتها وزارتا الداخلية في كلا البلدين وأنشأتا "أكاديمية دولية للحراسة البحرية في البلطيق"؟!.

* أقام الإسرائيليون عبر رحلات سياحية على شركة طيران العال إلى لاتفيا علاقات جديدة مع يهود لاتفيا وليتوانيا، وخاصَّة مع طبيب يهودي مُتخصِّص بأمراض الروماتيزم بالتعاون مع دافيد ميرزا ووزير الداخلية اللاتفي.

* وقام دافيد فارحو صاحب شركة الصادرات الإلكترونية العسكري الإسرائيلية "تندو" بتوظيف العشرات من اللاتفيِّيْن في أنشطة سياسيَّة، وترويج شاملة، وقام رئيس شعبة التحقيق في شرطة القُدْس "عوزي بيرغر" وهُو شريك في شركة "تندو" بتقديم كُلِّ المعدَّات والتسهيلات لشرطة لاتفيا.

* لعب صاحب شركة المُنتجات التجميلية "ليف سلفين" الدور المُهمَّ في جلب المجموعات السياحية اللاتفية من لاتفيا إلى الكيان الصهيوني، وأقام معهم صلات وروابط (سياحية وأمنية) حقَّقت لهم وله أرباح كبيرة، ما أدَّى إلى وضعه في مَنصب "القنصل الفخري لجُمهُورية لاتفيا في (إسرائيل)"؟!

يتنافس ديفيد ميرزا، وشركته (مآجار أفطاحا) مع الشركات الإسرائيلية الأُخرَى مثل شركة الصناعات العسكرية (تندو)، وبتقديم الخبرات والمعدَّات الأمنية الخاصَّة، وهُو يقوم بالسمسرة والوساطة مع الشركات الأمريكيَّة المتخصِّصة في هذا المجال، وعقد الصفقات معها للتغلغل أكثر فأكثر في جُمهُوريات البلطيق.

* أمَّا شركة "تندو"؛ فإنها تتعاون مع شركات أوروبية للمعدَّات الأمنية والعسكرية، وتنافس شركة ميرزا في سوق السلاح داخل الجُمهُوريات تلك.

* معظم الشركات التي يتسابق الصهاينة على السمسرة لها والتعاقد معها هي شركات في مجال تسويق المعدَّات الصناعية والزراعية والأمنية، ومُختلف صنوف الأسلحة وأعمال الملاحقة

والاغتيالات في بحر الشمال ووزارات داخليتها، بما فيها وزارة الداخلية الرُّوسيَّة، وحقَّقت أرباحاً خيالية قُدِّرت بمئات الملايين من الدولارات، وهي مُهمَّة لتحسين الصناعات العسكرية الإسرائيلية في أسواق جُمهُوريات البلطيق.

* كذلك حقَّقت الهيئات والأجهزة الأمنية الإسرائيلية "ناتيف" و"الموساد" نجاحات عديدة في جُمهُوريات البلطيق ورُوسيا بتجارة الأسلحة والمعدَّات الخاصَّة بتدريب الشرطة والوحدات الخاصَّة في وزارات الداخلية والجيش هُنالك، وخاصَّة في مجال التأهيل والتدريب، أو التدخُّل السريع، ومُحاولات إنقاذ ما يُسمَّى بالرهائن..! ولاسيما أنَّ محاربة شبكات تهريب المُخدِّرات عبر جُمهُوريات البلطيق وفنلندا ورُوسيا تتزايد باستمرار مع ازدياد تجارة الزئبق الأحمر والرقيق الأبيض وتجارة المخزونات النووية بين آسيا الوُسْطَى ورُوسيا وجُمهُوريات البلطيق، أو مع أوروبا الشرقية!

كذلك تعمل تلك الشركات عموماً تحت إشراف وزارتي الحرب والخارجية الإسرائيلية، وتحت الإشراف السري لمنظَّمات "ناتيف" و"الموساد" والفرع الخارجي للمخابرات العسكرية الإسرائيلية "أمان"، وهدفها تأمين انحياز دُول البلطيق للكيان الصهيوني والتعاون العسكري والأمني ضدَّ الدُّول العَرَبيَّة والإسلامية والحركات الإسلامية الراديكالية تحت حجج محاربة الإرهاب.

خامساً: العودة إلى الجُذُور والانتقام:

لقد أكَّد الكاتب الإسرائيلي (هوفمان) أن هُناك سياسة إسرائيلية جديدة وخاصَّة تهتمُّ بجُمهُوريات البلطيق، باعتبارها تُمثِّل آفاقاً جديدة لاستثمارها سوق للتسلُّح والعسكرة بعقد العديد من الصفقات بين شركات إسرائيلية وبعض الوزارات في تلك الدُّول، بما فيها وزارة الداخلية لكُلِّ دولة، ولكنْ؛ يبدو أنَّ الاهتمام بدول البلطيق بالنسبة للإسرائيليِّين هي عودتهم لجذورهم الأساسية، فكثير من زعماء الكيان الصهيوني بمَنْ فيهم شارون وبيريز ورابين وغيرهم من اليهود المهاجرين هم من لاتفيا وليتوانيا ورُوسيا البيضاء وآسيا الوُسْطَى؛ أصولهم من تلك المناطق، وعائلات أجدادهم هُناك، وتُمثِّل عودتهم عبر الشركات التجارية والعسكرية رُؤية مُهمَّة للتغلغل من جديد، وإعادة فرض التعاون مع سُكَّان تلك المناطق من موقع القُوَّة، ولاسيما أنَّ الانتقام الصهيوني ما زال

هُو المُحرِّك الأساسي لملاحقة كُلّ فلول ومراكز قوى الأحزاب القومية واليسارية، بما فيها النازية المعادية للكيان الصهيوني واليهودية. خاصَّة فيما إذا نظرنا إلى أنَّ معظم يهود ليتوانيا ولاتفيا وإستونيا وبيلاروسيا يتطلَّعون في السنوات الماضية للهجرة المعاكِسة من وطن ليس وطنهم بالرجوع إلى أرض آبائهم وأجدادهم، فقد ذكرت بعض المصادر في دُول البلطيق وأوروبا الشرقية وخاصَّة "وكالة الأنباء الألمانية" وأيضاً "البولونية" أنَّ دخول دُول أوروبا الشرقية وجُمهُوريات البلطيق في الاتِّحاد الأوروبي وحلف الناتو؛ سيجعل من يهود تلك المنطقة المقيمين والمستوطنين في (إسرائيل) يهاجرون من جديد إلى أوطانهم، والمطالبة مُجدَّداً بعودة جنسياتهم البولونية والألمانية والليتوانية واللاتفية لكي يتمكَّنوا من استخدام جنسياتهم للعمل في الاتِّحاد الأوروبي، والاستفادة من مُمَيِّزات دخول بلادهم الأصلية إلى النادي الصناعي الأوروبي، وقد ازدادت أعمال الوكالات اليهودية الخاصَّة في الكيان الصهيوني أو في البلدان الأصلية لإجراء وإعداد الأوراق المطلوبة، للعودة من جديد للحصول على الجنسيات دون العودة إلى الجحيم الذي يعيشون فيه داخل (إسرائيل)، فقد ذكرت بعض المصادر البولونية والرُّوسيَّة أنَّ أكثر من 200 ألف يهودي من المجر يطالبون ـ الآن ـ بجنسياتهم، والعودة إلى موطنهم الأصلي، وكذلك يفعل يهود رومانيا ولاتفيا وليتوانيا، لاسيما أنَّ العديد منهم بدأوا ـ فعلياً ـ في إنشاء شركات سياحية أو مكاتب خاصَّة للتجارة والاستثمار، وهي سلوكية جديدة استطاعت مُؤثِّرات انتفاضة الأقصى من إلحاقها بالاقتصاد الإسرائيلي وبالمستوطنات داخل الضفَّة والقطاع؛ حيثُ يشعر المستعمرون أنَّهم غير آمنين في تلك المستعمرات، ولابُدَّ لهم من الهجرة مرَّة أُخرَى إلى أوطانهم الأصلية، خوفاً على مستقبل أولادهم، ما أدَّى إلى زيادة الهجرة المعاكِسة بشكل كبير خلال العامَيْن الماضيَيْن، مُنْذُ اندلاع انتفاضة الأقصى حتَّى الآن، وما أثَّرت به العمليات الاستشهادية في نفسية وسلوك المستوطنين، إضافة لعوامل عديدة، وخاصَّة الخسارات الفادحة في الاقتصاد.

سادساً: لجنة المُؤرِّخين الجُدد في إستونيا:

أكَّد رئيس شرطة الأمن المحلِّي (الأمن العامّ) في إستونيا "يوري فيحل" أنَّ جنود الكتيبة (36) من شرطة الأمن الإستونية لم يشتركوا ـ بأيِّ حال من الأحوال ـ بعمليات القتل الجماعي ضدَّ اليهود في إستونيا في مدينة "نوفوغرودوك" في رُوسيا البيضاء في آب/ أغسطس 1942، وما أكَّده يوري فيحل لا يتعارض مع نتائج دراسات وتحقيقات لجنة المؤرِّخين التي عيَّنها الرئيس الإستوني من أجل التحقيق الشامل فيما يُسمَّى جرائم الحرب في فترة الحرب العالمية الثانية، التي نسبها الصهاينة

وعصاباتهم الإرهابية إلى شرطة إستونيا حينذاك، والذين زعموا أنَّ شرطة أو جنود الكتيبة (36) تعاونوا ـ فعلياً ـ مع النازيِّين للقضاء على اليهود ومنظَّماتهم في رُوسيا البيضاء، والتي زعم اليهود بأنَّه قُتِل خلالها 2500 يهودي[1].

سابعاً: زيارة رئيس إستونيا إلى الكيان الصهيوني:

زار رئيس إستونيا "مارتا لار" ومرافقوه (إسرائيل) لُمدَّة يومَيْن فقط، وصرَّح لصحيفة هاآرتس: "نحن دولة صغيرة تضمُّ مليوناً ونصف مليون نسمة، ونحرص ـ الآن ـ على بناء علاقات بين شعبَيْنَا بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي..".!

من المعلوم بأنَّ ثلث سُكَّان إستونيا هم من السُّكَّان الروس والأوكرانيِّين، ومازال توجد فيها قُوَّات روسية، ولا تُمنح الحُرِّيَّة للأقلِّيَّات في إستونيا، وخاصَّة في عهد بوريس يلتسين؛ حيثُ كانت إستونيا مثل جاراتها في بحر البلطيق (ليتوانيا ولاتفيا) جُزءاً لا يتجزَّأ من الاتِّحاد السوفيتي أو رُوسيا فيما بعد.

ويُعتبر الرئيس الإستوني من المُختصِّين بالتاريخ الرُّوسي والأوروبي، وعمد إلى التصريح في زيارته لـ (إسرائيل) إلى إثارة حفيظة غُلاة اليهود ضدَّه حينما قال:

"إنَّ النازيِّين والشيوعيِّين مُتساوون؛ لأنَّهما كليهما قاما بقتل الإستونيين واليهود في إستونيا، وإنَّ الجيش الرُّوسي قام بنفي اليهود من إستونيا ودُول البلطيق إلى سيبيريا عام 1940 وحتَّى بعد انتصاره عام 1945".

وقامت منظَّمة يهودية تُدعى (يادفشيم) لإحياء ذكرى ما يُسمَّى "بالمحرقة" ومعهد (فيزنتال) بالبحث عن بقايا اليهود المتعاونين مع العصابات الصهيونية مثل (بيتار وشتيرن) لقتل اليهود والضغط عليهم ولتهجيرهم إلى ما يُسمَّى أرض الميعاد، حسب رواية دزرائيلي والبروتوكولات.

لكنْ؛ ادَّعى (أفريم زودوف) ممثِّل معهد (فيزنتال) أنَّ الرئيس الإستوني يجانب الحقيقة: "فهُو صاحب مفهوم مُزيَّف للتاريخ، خاصَّة حينما يدَّعي أنَّ الإستونيِّين لم يتعاونوا مع النازيِّين، وسوف نُزيل فيما بعد وهذا لا يُؤكِّده وثائق العصابات الصهيونية". لكنَّ الرئيس الإستوني يردُّ على زوروف "أجلب لنا الوثائق الصحيحة وليس المُزوَّرة عن تعامل الإستونيِّين مع النازيِّين". وقدَّم الرئيس

(1) هاآرتس 26/ 7/ 2002/ يائير شيلع/ .

الإستوني رسالته للدُّكتُوراه بموضوع مُهمٍّ حول "اليقظة القومية في إستونيا" ويترأَّس ـ الآن ـ "حزب الاتِّحاد المسيحي الديمقراطي"؛ وهُو حزب ليبراليٌّ يمينيٌّ [1].

يُلاحَظ في هذه الدراسة أنَّ الأنشطة العُنصُريَّة والعدوانية للكيان الصهيوني مُنْذُ اغتصاب وطننا فلسطين من قبل العصابات الصهيونية والفاشية (آرغون وشتيرن والهاغاناه وبيتار) وتأسيسها لكيان مُرتبط بمخطَّطات الاستعمار ومصالحه، قد حوَّلت اهتماماتها ليس باتِّجاه مناطق النفط ومثلَّث الخيرات، والتعاون مع الاستعمار، وبكلِّ أشكاله لتحقيق نفوذها وهيمنتها [2] فحسب، بل سعت مُنْذُ عام 1952، للانتقام بدموية من البلدان في رُوسيا وبيلاروسيا "رُوسيا البيضاء" وليتوانيا ولاتفيا وإستونيا واليهود المتنوِّرين في أوروبا الشرقية وآسيا الوُسْطَى و"أوروسيا" لأجل إعادة أمجاد العصابات الصهيونية فيها عبر الأجهزة الإرهابية الاستخباراتية "الموساد" و"منظَّمة ناتيف" من خلال كيان صهيونيٍّ يمتلك كُلَّ القدرات العسكرية والتكنولوجية والاقتصاديَّة، بدعم مطلق من بريطانيا وألمانيا والولايات المُتَّحدة، ولم يكتفِ هؤلاء بتحقيق النُّفُوذ والتجارة واحتكار الأسواق؛ إنَّما ملاحقة الماضي، وحفر القبور تحقيقاً لمقولات توراتية وصهيونية، للقبض على تاريخ ومصير العالم وشعوبه. والصهيونية في الممارسة والتطبيق، وفي العمل الفكري والتحريض ماتزال تمارس كُلَّ أنواع القهر والقتل وحرب الإبادة، وبروح الفاشية التي زرعتها في كُلِّ مكان حلَّت به من باكو إلى مينسك، حتَّى مُوسكُو وأدغال سيبيريا، وصولاً إلى مدينة الشهداء (ريغا) في رُوسيا البيضاء ودُول البلطيق، ظلَّت الصهيونية تحارب بأذرعتها الضاربة شُعُوب ودُول العالم، وماتزال المعركة بينها وبين الشَّخصيَّات والقوى والأحزاب الوطنية والقومية قائمة، ومصادر قُوَّتها ونجاحاتها تكشفها وتُبيِّنها المزيد من الدراسات والبحوث، التي من خلالها يمكننا فَهْم كيفية العمل من أجل دحرها، والانتصار عليها، وإلَّا فإنَّ التاريخ والأسلوب الفاشي الأسود للصهيونية وكيانها الاستعماري؛ سيظلُّ عبئاً كبيراً على الشُّعُوب والدُّول والأمم والدُّول والقوى المُحِبَّة للسلام والتقدم، فالقُوَّة والإرهاب لا يُواجَهان إلَّا بالقُوَّة والعمل المُضادّ السِّلْمي والجماهيري، وبدونها تضرب الصهيونية المسامير في نعوش عديدة منها، لكنْ؛ بالوحدة والنضال والتعاون من أجل السلام والتقدُّم تُدحَر الصهيونية والإمبريالية في جبهة قومية وعالمية، يمكنها تحقيق الانتصار على ذلك السرطان العُنصُري في وطننا ومنطقتنا والعالم.

---

(1) هارتس 16/ 7/ 1993 مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية.

(2) معاريف ـ 15/ 1/ 1994 شلومو أفينزي.

القسم الخامس

العَوْلَمَة الأمريكيَّة ومدلولات الدَّعْم الأميركي لـ (إسرائيل)

شارك المُجتمع الدولي ومُؤسَّساته بالقضاء على نظام الفَصْل العُنصُري في جنوب أفريقيا، ويتمتَّع شعب تلك المنطقة ـ الآن ـ بالاستقلال، واستبعد نهائياً نظام الأقلِّيَّة البيضاء، إلَّا أنَّ الأمم المُتَّحدة وعلى رأسها كوفي عنان يُعطي ـ الآن ـ المُبرِّرات غير القانونية أو المنطقية للنظام العُنصُري الصهيوني للتغطية على الجرائم التي ارتكبها بحقِّ الشعب الفلسطيني في الضِّفَّة والقطاع عامَّة، وفي مُخَيَّم جنين خاصَّة، ويشاطر عنان كولن باول في تبريراته وأكاذيبه بأنَّ المشكلة كُلَّها تتحدَّد في شخصية رئيس السلطة الفلسطينية، بهدف تقزيم قضية الشعب الفلسطيني واختزالها بأسباب غير واقعية، بينما معظم دُول العالم باتت تعرف ـ الآن ـ الطبيعة الإجرامية والإرهابية لحُكُومة السَّفَّاح أرئيل شارون، وما ارتكبه جيشه ضدَّ أبناء الشعب الفلسطيني[1].

رغم أنَّ ما حصل مسؤولية دولية وعجز دُول المنطقة إزاءها، التي لم تدفع المُجتمع الدولي للقضاء على النظام العُنصُري الصهيوني، ومواجهة الخطاب المنحاز لأمريكا مع حُكُومة شارون، وما اقترفته تحت حجج محاربة الإرهاب؛ إذْ كيف يمكن أنْ يكون سفَّاح صبرا وشاتيلا بنظر الإدارة الأمريكيَّة رجل سلام، ولم تعد الإدارة الأمريكية هذه الأيَّام إلَّا البوق الإعلامي للكيان الصهيوني، والمُدافع الأوَّل عن إرهاب الدولة الرسمي لـ(إسرائيل) وقياداتها الفاشية؟!.

ناضلت الشُّعُوب وقوى التَّحرُّر الوطني على الدوام ضدَّ التمييز العُنصُري والاحتلال الأجنبي الغاشم، وبحثت في سُبُل تخطِّي العقبات التي تحول دون تعزيز السلام والحقّ، إلَّا أنَّ الدُّول الاستعمارية الليبرالية وشركاتها فوق القومية ساندت الظُّلم والقهر بكُلِّ أوجهه، واستخدمت العنف والإرهاب المُنظَّم في العلاقات الدّوليَّة، للتأثير في الدُّول الوطنية وحركات التَّحرُّر الوطني والاجتماعي، بأساليب الأعمال التخريبية والانقلابية، إضافة لقيامها بعمليات الاغتيال السياسي،

(1) مدلولات الدعم الأميركي لـ (إسرائيل) / الأسبوع الأدبي- 14/ 9/ 2002، العدد 824.

أو الخطف، والمثال القوي الماثل أمامنا ما حصل في فنزويلا مُؤخَّراً؛ حيثُ أعرب جميع زعماء ورؤساء أمريكا اللَّاتينية عن تنديدهم بالانقلاب العسكري، بعكس ما أعلنت عنه مستشارة الرئيس الأميركي للأمن القومي كوندوليزا رايس التي رحبت به، لا، بل يعود إليها إرسال إيليوت إبراهمز كمستشار خاصّ لها لما يُسمَّى حقوق الإنسان والديمقراطية في أميركا اللاتينية؛ حيثُ كان له دور مع وكالة الـ (سي آي إيه)، وبدعم المجموعات الإرهابية في نيكاراغوا، وإيليوت وكولن باول وأتورايش، الذين سعوا إلى تنظيم العصابات الإرهابية ضدَّ نيكاراغوا لهم أدوار كبيرة وخبرة في الانقلابات العسكرية، أمَّا السفير الأميركي الحالي في فنزويلا؛ فسعى ـ مُنْذُ فترة ـ لتنظيم التَّمرُّد العسكري بدَعْم من الـ (سي آي إيه) ضدَّ الرئيس الفنزويلي (هوغو شافيز) المُنتَخب من الشعب، وما حصل ـ فيما بعد ـ بات معروفاً للجميع، وهذه المؤامرة هي جزء يسير من المؤامرات الأمريكيَّة في دعمها لكُلِّ أشكال التآمر والتحريض السياسي والأيديولوجي، ودعم الأعمال التخريبية ضدَّ الشُّعُوب والدُّول المستقلَّة، واستغلال الصراعات الداخلية لمصالحها الخاصَّة، وفيما إذا أدركنا أنَّ فنزويلا مثل ليبيا والعراق والبلدان الغنية بالنفط ومصادر الطاقة محطّ أنظار الإدارات الأمريكيَّة المُتعاقِبة؛ خاصَّة إدارة بوش الابن وجماعته، والذين يُوجِّهون الأعمال غير القانونية تحت حُجج كثيرة، من ضمنها مواجهة الأعمال الإرهابية الدّوليَّة، وإدارتها بكُلِّ سبل الضغط الممكنة لإسقاط النُّظُم التي لا تروق لواشنطن، إلَّا أنَّ الكاتب الأميركي أ.م. ليليانتال، والذي كان مُوظَّفاً في الإدارة الأمريكيَّة، وبالأدلَّة الدامغة ربط بين التعاون في مجال الإرهاب الدولي والأعمال التخريبية بين الأجهزة الأمريكيَّة الخارجية والمُنظَّمات الصهيونية وأجهزتها وشركاتها المُنتشرة في أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، والتعاون الوثيق فيما بينها ضدَّ الدُّول ذات العضوية في هيئة الأمم المُتَّحدة.

وتزجُّ الإدارات الأمريكيَّة المُتعاقبة ببعض الكُتَّاب والمُفكِّرين، وحتَّى ببعض رؤساء الهيئات الدّوليَّة ومُؤسَّساتها في دوائر تُوجِّه الاتِّهامات والأفكار المُضلِّلة والمسمومة ضدَّ حركات التَّحرُّر الوطني والدُّول الوطنية، وبالأخصّ؛ ضدَّ المقاومة الوطنية الفلسطينية وسورية ولبنان، وتستغلُّ نقاط ضعفها لتحقيق الأهداف العدوانية المعادية للاستقرار والسلام في المنطقة العَرَبيَّة، وضرب حقوق وأماني الشعب الفلسطيني العادلة في تحقيق برنامج الاستقلال الوطني لديه، وتشنُّ حملات دعائية

مُشوَّهة وخطيرة ضدَّ النضال الوطني للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلَّة، ويتَّهم الرئيس الأميركي الحالي وسياسيُّو الإدارة الأمريكيَّة ذلك الشعبَ كُلَّه بأنَّه إرهابي، بينما يتمُّ التغاضي المقصود عن الأعمال الإرهابية الرسمية لحُكُومة الحرب في (إسرائيل)، وتتكشَّف السياسة الأمريكية بصراحة عند ضغطها الكبير على أمين عامّ هيئة الأمم المتَّحدة كوفي عنان لإلغاء أعمال (لجنة تقصِّي الحقائق) التي كان من المفترض أنْ تقوم بأعمالها حسب ما ورد في مُختلف الوسائل الإعلامية والفضائيات العالمية، لتدرك هول وحجم الجريمة البشعة المرتكبة بحقِّ الشعب الفلسطيني في جنين ونابلس، وإلغاء دور اللجنة بتواطؤ واضح بين الإدارة الأمريكيَّة وكوفي عنان نفسه، الذي له مواقف مخزية بهذا الاتِّجاه، وخاصَّة في مؤتمر دوربان بجنوب إفريقيا، ويُؤكِّد على التوالي عدم نزاهة رئيس الهيئة الدّوليَّة ورضوخه للضغوطات الأمريكيَّة والصهيونية إزاء ما حصل لشعبنا، رغم إمكانية جمع آلاف الوثائق والمشاهد المرئية وشهادات أبناء المُخيَّم والأشخاص، والتحقُّق ممَّا حصل فترة الاجتياح الإسرائيلي لأراضي الضّفَّة والقطاع ومخيم جنين، وتلك الجرائم الدّوليَّة المُرتكَبة بحقِّ الجنس البشري لا يمكن أنْ تذهب دون محاسبة.

كلُّ الأعمال الإرهابية والإجرامية وحرب الإبادة التي ارتكبتها حُكُومة شارون كانت تحت أنظار مبعوثي الإدارة الأمريكيَّة.

فبعد كُلِّ ما حصل في جنين وكنيسة القيامة، مَنْ الذي سيطارد القَتَلَة ومجرمي الحرب الصهاينة وارتكابهم لأبشع المجازر ضدَّ أبناء المُخيَّمات؟ ومَنْ سيُحاسب حُكُومة القَتَلَة التي اتَّخذت من الحرب والإرهاب مبدأ لها في سياستها الحُكُومية لتنفيذ جرائمها ضدَّ السلام والإنسان والأرض دون عقاب أو حتَّى مساءلة؟

ولابُدَّ من استدراك أنَّ المواقف الأمريكيَّة والبريطانية تُعزِّز من دور الإرهاب والهمجية الصهيونية ليس ضدَّ الشعب الفلسطيني فحسب، بل وضدَّ الشُّعُوب العَرَبيَّة وقواها الوطنية، ويفتح المجال أمامها لارتكاب المزيد من العدوان والمجازر والخروقات الدّوليَّة، بتغطية تتجاوز هيئة الأمم والمعايير الدّوليَّة، وبموافقة من الولايات المُتَّحدة، ومن رئيس هيئة الأمم، بينما من الواضح أنَّ

الإرهاب الرسمي لِحُكُومة شارون هُـو إرهـاب دولي مُوجَّـه ضـدَّ إبـادة الجنس البـشري(*)؛ حيـثُ تعاونت الإدارة الأمريكيَّة مع الفِرَق الإرهابية العسكرية النظامية الصهيونية بقَتْل قادة فلـسطينيِّيْن في بيروت، وفي تونس، وفي قَتْل بعض العلماء العَرَب في القاهرة، وبعض العواصم الأوروبية، ومن ثـمَّ؛ سرقة شحنات نووية من عواصم أوروبية تحت مسمع ومـرأى هيئـة الأمـم المُتَّحـدة ووكالـة الطاقـة الدّوليَّة والوكالة الأوروبية للطاقة النووية.

لقد أكَّد بولانزاس مدير معهد النظـام الـدولي للقـانون الـدولي في كَنَـدَا أنَّ سرقـة الأسـلحة النووية من الولايات المُتَّحدة، بما فيها الأسلحة الكيميائية والجرثوميـة مـن قِبَـل العـصابات والفِـرَق العسكرية الصهيونية؛ هي أعمال إرهابية بالمقاييس الدّوليَّة، ويشمل الإرهـاب الـدولي المُـمارَس ضـدَّ دُول أوروبية أيضاً:

-اعتراض أيِّ سفينة أو باخرة أو طائرة هي من مُمتلكات الدُّول الأُخْرَى.

-نسف أو حجز أيّ سفينة أو طائرة أو ممتلكات لدول أو شخصيَّات خـارج الحُـدُود ودائـرة اختصاص أي دولة مهما كانت.

-سرقة موادّ مُتفجِّرة أو أسلحة ـ مهما كان نوعها ـ من مستودعات دُول أُخْرَى لـصالح دولـة بعينها وغيرها عبر البحار أو عبر الجوّ يُعتبر من أعمال القرصنة والإرهاب الدولي، وأظهـرت اتِّفاقيَّـة لاهاي في 16 كانون الأوَّل/ ديسمبر عام 1970 وجهة نظـر القـانون الـدولي مـن عمليـات خطـف الأشخاص أو الطائرات، والتعاون المُشترك بين دولة أو مجموعة إرهابية، وكذلك اتِّفاقيَّة مونتريال في 23 أيلول/ سبتمبر عام 1971 لوضع حَدٍّ للعمليـات الإرهابيـة ضـدَّ الـسُّفُن أو الطـائرات المَدَنيَّـة، أو تدمير الطائرات المَدَنيَّة أثناء تحليقها في الأجـواء الدّوليَّـة، أو اعـتراض الـسُّفُن في ملاحتهـا بالميـاه الدّوليَّة وتهديد سلامتها، فَمَنْ أعطى الحقَّ للكيان الصهيوني ـ عملياً ـ بتعقُّب الـسُّفُن واحتجازهـا في المياه الدّوليَّة، أو تشكيل عصابات وفِرَق الاغتيال أو احتجاز شخصيَّات سياسيَّة أو قتلها ـ كما حصل ضدَّ (أبو جهاد الوزير) ـ أو بنَقْل شخصيَّات مُعيَّنة لدول أُخْرَى، وبالتعاون معها؟!

(*) راجع بهذا الصدد بيان صادر عن الاجتماع الوزاري للجنة المُتابعة والتَّحرُّك، دمشق 20-21/ 11/ 2002، مُلحق رَقْم / 3/ .

إنَّ كُلَّ الأعمال الإرهابية والإجرامية وحرب الإبادة التي ارتكبتها حُكُومة شارون كانت تحت أنظار مبعوثي الإدارة الأمريكيَّة الرسميَّيْن (زيني) و(كولن باول) و(تشيني)، وهؤلاء لم يُحرِّكوا ساكناً إزاءها، حتَّى إنَّ كولن باول لم يُكلِّف نفسه مطلقاً بزيارة الأماكن والمُخيَّمات والمُدُن التي تعرَّضت للتدمير والقصف، بما فيها كنيسة القيامة التي تعرَّضت للحصار، وهي من أقدس الأماكن المسيحية في العالم، ولم ينظر وزير الخارجية الأمريكي للمسألة إلَّا من وجهة نظر أنَّه صديق حميم لشارون وللحُكُومة الإسرائيلية، وتصريحاته الخطيرة المنافية للقوانين والأعراف الدّوليَّة، وغير ملتزمة بالحياد.

إنَّما نجد الولايات المُتَّحدة تستخدم جهازها السياسي والدبلوماسي بشكل صريح لمعاداة الشُّعُوب العَرَبيَّة والإسلامية، ومصادرة قضية الشعب الفلسطيني بشكل تُكرِّس كُلَّ الجهود لتشجيع العدوان الإرهابي الصهيوني ضدَّ المقاومة الوطنية الفلسطينية، التي كافحت ضدَّ الاحتلال الصهيوني وممارساته التعسُّفية والإجرامية بحقِّ أبناء الشعب الفلسطيني وممتلكاته وسيادته، وتساند وكالات الأنباء الأمريكيَّة ووسائل إعلامها العديد من الحملات العدوانية من خلال الحرب النَّفْسية، والتضليل البشع، وقلب الحقائق، وتُصاغ الحملات لمصلحة حُكُومة الإرهاب والقَتَلَة في الكيان الصهيوني، وهي أساليب ومناهج إعلامية وفكرية تُظهِر طبيعة الاستراتيجية الأمريكيَّة المُوجَّهة ضدَّ شُعُوب منطقتنا.

لقد تعاونت الإدارة الأمريكية مع الفِرَق الإرهابية العسكرية النظامية الصهيونية بقتل قادة فلسطينيِّيْن في بيروت وتونس، وسخَّرت لها كُلَّ الإمكانيات للقيام بأعمالها الوحشية[1].

كذلك نجد من أهمِّ أذرع الحركة الصهيونية العالمية مُنظَّمة (بناي بريث) المُتنفِّذة في الولايات المُتَّحدة الأمريكيَّة في المُؤسَّسات المالية والاستثمارات الضخمة والاتِّصالات، وتحتكر رجال السياسة والإعلام والقضاء، وهي من أكبر المُنظَّمات في العالم التي تدَّعي حماية يهود العالم[2]، وتُدافع بقُوَّة عن الإرهاب الصهيوني وحرب الإبادة التي تشنُّها حُكُومة شارون في الأراضي المُحتلَّة، وهي تتخطَّى أراضي الولايات المُتَّحدة بطقوسها وعاداتها السِّرِّيَّة، لتُغطِّي مساحات واسعة من الدُّول الأُخْرَى،

---

(1) انظر المجازر الصهيونية المرتكَبة بحقِّ الشعب الفلسطيني / جيش التحرير التوجيه المعنوي – 2001/ ص87.

(2) لي أوبرين – المُنظَّمات اليهودية في الولايات المُتَّحدة – دراسات مُؤسَّسة الدراسات الفلسطينية، 1986/ ص107.

وتدافع بشكل واسع عن مصالح الكيان الصهيوني، ويتحدّى الرسميون في الولايات الأمريكيّة مشاعر الشُّعُوب والدُّول الأُخرَى فيما يتعهّدون أمام بناي بريث بالدفاع عن (إسرائيل) ونشاطها التخريبي والإرهابي كدولة للإجرام المُنظَّم تحت ستار كاذب ومُضلِّل للدفاع عمّا يُسمَّى الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، بينما هي دولة عُنصُريَّة وإرهابية بكُلِّ المقاييس والأعراف الدّوليَّة.

إنَّ كُلَّ تلك الإشارات السابقة طبّقتها (إسرائيل) علانية دون أنْ يقوم المُجتمع الدولي بالتحقيق بأيٍّ من الجرائم الدّوليَّة التي ارتكبتها حُكُومات الكيان الصهيوني جميعها.

لقد كان المجلس الأوروبي في 16 أيّار/ مايو 1973 قد أدان عبر الجمعية الاستشارية في توصياته رَقْم 703 عمليات الإرهاب الدّوليّة، واتُّخذت إجراءات تقضي باتِّخاذ عقوبات جنائية لمرتكبيها باعتبارها جرائم عنيفة تتمثّل في الاغتيالات والاختطاف، والسعي لاتِّخاذ تدابير سريعة لصياغة العقوبات الفعّالة. وكذلك تمَّ في 26 كانون الثاني/ يناير 1977 في ستراسبورغ التوقيع على اتّفاقيّات لمقاومة الإرهاب، وعمل مجموع أعضاء المجموعة الاقتصاديّة الأوروبية عام 1978 في دبلن على تنفيذ اتّفاقيّة ستراسبورغ في المجلس الأوروبي؛ إذْ هُنالك اتّفاقيّات إقليمية ودولية لا تغضُّ النظر عن الإرهاب الصهيوني المُرتكَب، والذي ينطبق عليه تماماً كُلُّ ما اتَّخذته أوروبا في مقاومة الأعمال الإرهابية تأسيساً على إجراءات المحاكم الجنائية الدّوليّة التي وقَّعت عليها 13 دولة، كان من بينها إنكلترا والنمسا والسويد وألمانيا والدنمارك وقبرص، وأُضيف إلى بنودها:

1 ـ الأعمال الإرهابية والعدوانية التي تُخرِّب الممتلكات العامَّة المُخصَّصة للاستخدام البشري العامّ، وهذا ما قامت به حُكُومة شارون بتخريب ونسف وتدمير الممتلكات العامَّة التي قامت ببنائها الدُّول الأوروبية في الضّفَّة والقطاع.

2 ـ الأعمال التي تهدف إلى الإفناء البشري بطريق العدوان وحرب الإبادة، وخاصَّة أنْ تلقى الأعمال التي منعها الصليب الأحمر الدولي والمؤسَّسات الإنسانية والبرلمانية والدفاع أو التحقيق، وإيقاف تلك الأعمال التي مارستها قُوَّات الاحتلال الصهيوني في الأراضي المحتلَّة.

3 ـ حجز حُرِّيَّة رئيس السلطة الفلسطينية والعديد من مُساعديه والشَّخصيَّات الدّوليَّة ذات الصفة الدّوليَّة، والذين يشغلون مناصب ثقافية وقانونية واجتماعيَّة، وهي أفعال إرهابية وإجرامية قام بها جيش الاحتلال بقرار صريح من رئيس الحُكُومة الإسرائيلية ومُساعديه، وبتأييد الحُكُومة الأمريكيَّة.

4 ـ إنَّ ما اتَّخذته اللجنة السادسة لمشروع اتِّفاقيَّة تدابير منع الإرهاب الدولي في 23 تشرين الأوَّل/ أكتوبر 1972، والموقَّع عليها من الولايات المُتَّحدة؛ لم تُكرِّس الإدارة الأمريكيَّة أيَّ جهد لتطبيقها، وخاصَّة إذا نظرنا لطبيعة الموادّ الأساسية فيها، وأهمّها: تهديد حياة الناس الأبرياء، وتحطيم سَكَنهم وحياتهم وإبادتهم، باعتبار هذا العمل شكل صريح من أعمال الإرهاب الدّوليَّة.

أمَّا في 18 كانون الأوَّل/ ديسمبر 1972؛ اتَّخذت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المُتَّحدة في دورتها (27) القرار رَقْم (3034) بالموافقة على مشروع دُول عدم الانحياز على بطلان وعدم شرعية نسب النضال الوطني التَّحرُّري بأنَّه من أعمال الإرهاب.

ولابُدَّ لنا من التساؤل هُنا:

*كيف لا تُعتَبر الغارات الإسرائيلية على جنوب لبنان إرهاباً واختراقاً لأجواء السيادة اللبنانية؟

*كيف لا تُعتَبر الغارات الجوِّيَّة وتدمير ونسف القرى والمُدُن ومحاصرتها عملاً إرهابياً في الضَّفَّة والقطاع، أو ما حصل في مُخيَّم جنين أساساً..؟!..

*كيف لا يُعتَبر تهديد دُول وشُعُوب المنطقة بشَنِّ حملات عسكرية عليها خرقاً صريحاً للقوانين الدّوليَّة؟

لقد أصدر قاضي روما (فرانتشيسكو اماتو) حُكْماً قضائياً بإلقاء القبض على 12 إسرائيلياً بتهمة انتمائهم إلى الدوائر السِّرِّيَّة الإسرائيلية في إيطاليا؛ إذْ تمَّ التأكيد على أنَّ هُنالك تعاوناً ملحوظاً بين قيادة المخابرات الأمريكيَّة في أوروبا وإيطاليا مع الدوائر السِّرِّيَّة الإسرائيلية، التي نفَّذت أكثر من

18 عملية إرهابية وإجرامية في إيطاليا، ومن اغتيال المناضل والقائد ماجد أبو شرار في روما، إذاً؛ لم يذهب سُدى التعاون العسكري والأمني بين الولايات المُتَّحدة و(إسرائيل).

وفي مُذكّرة التفاهم الاستراتيجية 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1981 قامت الولايات المُتَّحدة بالتغطية على كُلِّ الأعمال الإرهابية والعدوانية التي قامت بها (إسرائيل) ضدَّ المفاعل النووي السِّلْمي في العراق (مفاعل تمّوز)، وهي مُستعدَّة لوضع قُوَّاتها تحت خدمة النجمة الصهيونية، وتغلغلها في المنطقة والمناطق الأُخْرَى، تحقيقاً للمآرب والمصالح المُشتركة.

أخيراً؛ أكَّد العديد من المسؤولين في الولايات المُتَّحدة أنَّهم سيقطعون المُساعدات عن هيئة الأمم المُتَّحدة فيما إذا اتَّخذت أيَّ إجراءات ضدَّ (إسرائيل)، وهذا ما جرى في 5 شباط/ فبراير 1982، وما يجري الآن في الأراضي المُحتلَّة، وموقف الإدارة الأمريكيَّة بعدم استخدام الفصل السابع من ميثاق الأمم المُتَّحدة ضدَّ الكيان الصهيوني، وتمييع وشَلِّ القرارات الدّوليَّة المُتَّخَذة بحقِّها هي جزء من الأعمال الحاقدة البعيدة عن ميثاق الأمم المُتَّحدة وقرارات الشرعية الدّوليَّة.

الخاتمة

يُعدُّ التغلغل الأميركي قديماً في بعض المناطق الحيوية والاستراتيجية في العالم، على مُختلف الصُّعُد، أنَّه إنَّما جاء نتيجة انهيار نظام الاتِّحاد السوفيتي كقُطب سياسي وعسكري مواجه للولايات المُتَّحدة، وليُعزِّز تفوُّقها وقدراتها العالمية، مع قُدراتها الواسعة في استخدام إمكانياتها الاقتصاديَّة والعسكرية الضخمة للتَّفوُّق على دُول العالم والتأثير في العلاقات الإقليمية والدّوليَّة.

ونجاح النيوليبرالية الجديدة والاتِّجاه المسيحي – الصهيوني المُتطرِّف في الولايات المُتَّحدة مع صعود دور الحزب الجُمهُوري، ورئيس الولايات المُتَّحدة جورج بوش الابن، حقَّق آمال وطموحات المجمع العسكري ـ الحربي الأميركي في توسيع هيمنته وسيطرته على الشرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى ومناطق أُخْرَى من العالم، بعد خَلْق الذرائع لتطبيق تلك الآمال الاستراتيجية، وبعد سلسلة بحوث ودراسات عميقة أمريكيَّة وصهيونية، ركَّزت فيه على أنَّ العالم بحاجة أكثر فأكثر إلى القُوَّة الأمريكيَّة، التي تُغطِّيها مجموعة إعلامية ودعائية ضخمة على مستوى العالم، تجد في أفكار حقوق الإنسان والديمقراطية واقتصاد السُّوق، الوعاء المناسب، والدعاية الناجحة لإعادة صياغة نظام عالمي جديد، تكون فيه الولايات المُتَّحدة قائدة لهذا العالم، من منطلق القُوَّة، ومن آفاقٍ أعلن عنها جورج بوش الابن مراراً أنَّه سيقود حملة صليبية ضدَّ التَّطرُّف الإسلامي، والإسلام السياسي، وهذه اللهجة الخطابية ـ الجديدة، تمَّ التحضير لها مُسبقاً في دوائر الاتِّجاه المسيحي ـ اليميني المتطرِّف، الذي كرَّس جهوده مُنْذُ عُقُود من الزمن على حماية الكيان الصهيوني، والتعاون معه في التغلغل أكثر فأكثر في آسيا الوُسْطَى والشرق الأوسط ودُول البلطيق، ودعمه بكُلِّ سُبُل وإمكانيات التَّفوُّق العسكري والتكنولوجي على دُول المنطقة.

لقد كشفت تقارير مُتعدِّدة نُشرت في الصُّحُف الأمريكيَّة، بما فيها صحيفة نيو يورك تايمز في 3/ 11/ 2001م عن وجود اتِّجاهات مسيحية ـ صهيونية مُتطرِّفة تجد في (إسرائيل) واحة ديمقراطية، وجب الدفاع عنها بكُلِّ السُّبُل، ويقف هذا الاتِّجاه وجهاً لوجه وبتشديد الصراع مع الإسلام والمسلمين والعَرَب، وهُو مُوالٍ لـ (إسرائيل) كُلَّ الموالاة، يقوده مُفكِّرون مثل دانييل بيبس ومارتن

كرامر، إضافة إلى اتِّجاه أقلّ خطورة يرى في الحوار والتعاون قضية مُهمَّة، يقوده (جون أسبوزيتو) مدير مركز التفاهم الإسلامي ـ المسيحي في جامعة جورج تاون، لذلك؛ فإنَّ السياق العامَّ لهذا الكتاب بأجزائه، عن تغلغل العَوْلَمَة الأمريكيَّة في الشرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى ودُول البلطيق يرصد مساحات واسعة لذلك التغلغل، وتعاونه مع الحركة الصهيونية العالمية ومُنظَّماتها، وبالتَّالي؛ مع الكيان الصهيوني، وعموماً؛ إنَّ العالم اليوم يشهد عصراً جديداً من العَوْلَمَة الأمريكيَّة، قد تكون التقنيات العلمية وتكنولوجيات العصر لمصلحة البشرية من طرف، ولكنَّها ـ بالقدر نفسه ــ وبال عليهم، وتُستخدَم للغزو، والقتل، وإعادة رسم الخرائط من جديد، لمصلحة أمركة العالم كُلّه.

المصادر والهوامش الأساسية للكتاب

1-صحيفة تشرين 17/ 2/ 2001 الإخفاقات السِّياسيَّة، ص الرأي.

2- الكفاح العربي 13/ 12/ 2001 العَوْلَمَة الأمريكيَّة تجتاح أسوار الصِّين.

3- الحوادث 21/ 12/ 2001/ ص17.. 16 ألف صاروخ أمريكي على 300 عراقي/ دور المعارضة الكردية ـ والشعبية تزحف إلى بغداد.

4- المشاهد السياسي العدد 179 ـ السنة 15/ 21/ آب/ أغسطس، ص10/ 11/ 12/ مَنْ يحفظ التوازن الاستراتيجي في الشرق الأوسط؟/ هشام الديوان.

5- انظر الصَّيَّاد / 20/ كانون الأوَّل/ ديسمبر 2002/ ص48-49 وص 51/ 52/ رامسفيلد والسيناريو الأمريكي في الشرق الأوسط، الحرب الأمريكية ضدَّ العراق.

6- الصَّيَّاد/ العدد 2860/ 27/ آب/ أغسطس 1999/ موقف أولبرايت من أوضاع المنطقة.

7- صحيفة السفير 20/ آب/ أغسطس 2001 / ص21/ كوفي عنان والأمم المُتَّحدة.

8- الدراسات الإعلامية / المركز الإقليمي/ حزيران/ يونيو 2001/ ص 125/ 141 حول الدور العُنصُري الإسرائيلي وعدم التزامها بقرارات الشرعية الدّوليَّة.

9- صحيفة الشرق، عدد / 15543-2/ 12/ 2001 حول قضية لوكربي.

10-الوسط، العدد 43/ 4/ 2000/ شهر 12- العدد 76.

11- الاعتصام العراقية / 1997 شهر 12- العدد 76.

12- الأسبوع العربي، 13/ 10/ 1997.

13- مجلّة Z الأمريكية 10/ 1/ و 13/ 1/ 2001م نعُّوم تشومسكي.

14- اللوموند الفرنسية، العدد 15/ 11/ 1977/ أمنون كابليوك.

15- البيان الوزاري، لجنة المتابعة العَرَبيَّة / دمشق/ 20-21/ 11/ 2002.

16- الشرق الأوسط، 6/ 10/ 2002 عدد رَقْم / 8713/ بلال الحسن.

17- خطابات الرئيس بشّار الأسد في القمم العَرَبيّة السابقة.

18- تشرين 7/ 12/ 2001، العدد 7924/ ص10.

19- اللوموند الفرنسية، العدد 15/ 11/ 1997/ أمنون كابيلوك.

20-الشرق الأوسط 6/ 10/ 2002، عدد رَقْم / 8713/ بلال الحسن.

21- خطابات الرئيس بشّار الأسد في القمم العَرَبيّة السابقة.

22- تشرين 7/ 12/ 2001، العدد 7924 / ص10/ .

23- إيران إلى أين... في عهد الرئيس مُحمَّد خاتمي؟ / ص40/ 1999/ المُؤلِّف.

24- السياسة الدّوليّة، العدد 150/ أكتوبر/ تشرين الأوّل 2002 حول إيران والخليج/ مُحمَّد إدريس، ص 104.

25- New york times 11/12/2002 patrick. E. tyler حول ندوة لمعهد السلام الأمريكي / واشنطن ـ 18/ .

26-2002 فيكي سلفر ومان.

27- النشرة الإخبارية ل. س. الأمريكية بدمشق 13/ 11/ 2002.

28- الواشنطن بوست 11 ديسمبر/ كانون الأوّل 2001.

29- صحيفة الدستور الأردنية 4/ 1/ 2002 موقف الرئيس بل كلينتون.

30- مجلّة النبأ / نيسان/ أبريل 2001/ ص15 عن أولبرايت والسلام في المنطقة.

31- صحيفة السفير 19/ 6/ 2002 مفارقات أمريكيّة.

32- تصريحات نائب وزير الخارجية الأمريكي / أرميتاج/ 20/ 11/ 2002.

33- الصَّيّاد / العدد 2860 / 27/ آب/ أغسطس 1999 دراسة ألمانية عن معهد الدراسات الاستراتيجي الألماني.

34- مُلحق (1) القُدْس العربي 9/ 10/ 2002 العدد 4194 النصّ الكامل.

35- مُلحق (2).

36- صحيفة العَرَب اليوم 28/ 10/ 2001م.

37- الفكر السوري المعاصر – مركز الإنماء العربي ـ صيف وخريف 2003/ ص130 عدنان بدر/ باحث سوري مقيم في باريس.

38- الأسلوب الخاطئ في بيع الديمقراطية، زبيغنو بركنيسكي، مستشار الأمن القومي السابق في عهد كارتر / صحيفة السفير اللبنانية 9/ 3/ 2004.

39- العَوْلَمَة الأمريكيَّة تجتاح أسوار الصِّين 13/ 2/ 2001 الكفاح العربي.

40- بيير غالو – حرب المئة الثانية / الولايات المُتَّحدة وحرب النُّجُوم جبرائيل بيكار ـ مركز الدراسات العسكرية، 1986ـ ص113.

41- أوروبا والعَرَب، العدد 186 تشرين الثاني/ نوفمبر 2001، الاعتداءات على واشنطن ص 72. د.جمال زهران.

42- م. الدراسات الإعلامية ـ المركز الإقليمي ـ حزيران/ يونيو 2001- ص 125، الدور العُنصُري لـ (إسرائيل) وعدم التزامها بالشرعية الدّوليّة.

43- مجلَّة Z الأمريكيَّة 15/ 13/ 1/ 2001م.

44- أمنون كابليوك، اللوموند الفرنسية، العدد 15/ 11/ 1977.

45- البيان الوزاري الصادر عن الاجتماع الوزاري للجنة المتابعة العَرَبيَّة 20/ 21/ 11/ 2002.

46- إيران إلى أين؟ / مصدر سابق ص40.

47- السياسة الدّوليَّة العدد 150/ 2002 أكتوبر/ تشرين الأوَّل، إيران والخليج د.مُحمَّد إدريس ص 104/ 1.

48- عراقيون وعرب يناقشون أوضاع العراق في ندوة لمعهد السلام الأميركي بواشنطن 18/ 11/ 2002 فيكي سلفرومان.

49- موقف الرئيس كلينتون من الإرهاب / الدستور الأردنية 4/ 1/ 2002، ص13.

50- مفارقات أمريكيَّة في توجُّهات عهدَيْن / صحيفة السفير 19/ 6/ 2002.

51- يفغني بريماكوف / الشرق الأوسط، 9 و11/ 5/ 2000م.

52- تصريح عَمرو موسى الأمين العامّ للجامعة العَرَبيَّة / صحيفة الحياة 8/ 11/ 2001م.

53- أبو بكر الدسوقي، تطوُّر العلاقات الصِّينية الأمريكيَّة، مجلَّة السياسة الدّوليَّة رَقْم 143 عام 2000/ ص179.

54- هشام الصادق/ المصدر السابق نفسه، العدد 153 يوليو/ تموز، 2003، ص 244.

55- السفير – 6 ديسمبر/ كانون الأوَّل 1999، قضايا وآراء، المُؤلِّف.

56- كيهان العربي، 6/ 11/ 2001، العدد 4037، المحور السياسي، سياسة أميركا الخداع والتضليل.

57- صحيفة الشرق الأوسط، 9 و11/ 5/ 2000م، يفغيني بريماكوف.

58- السفير 17 تموز/ يوليو 2000، والعَرَب والمصلحة القومية في آسيا الوُسْطَى.

59- وثائق المؤتمر القومي العربي، 2000م.

60- صحيفة تشرين 6/ 6/ 1999، ص10، إخفاقات السياسة الأمريكيَّة.

61- بربارا بروان 1999، كي نفهم الإسلام.

62- السفير 30/ 7/ 2001م المؤلِّف.

63- مجلَّة التمويل والتنمية، صندوق النقد الدولي عدد يونيو/ حزيران 1998 ـ ص14 ـ 26 مانويل جويتيان وفرانك فوجل.

64- رفائيل دينكيار، مدير عامّ وزارة الخارجية الإسبانية، صحيفة العَرَب اليوم 28/ 10/ 2001، ص 8.

65- بروتوكولات حكماء صهيون ـ مُحمَّد خليفة التونسي، 952، انظر بنود البروتوكولات.

66- الإرهاب بين الدين والسياسة / لعنة المعايير المزدوجة/ علي الأمين ــ الكفاح العربي 8/ 11/ 2001.

67- صحيفة المستقبل، مؤتمر دولي لتحديد مستقبل أفغانستان.

68- السفير 7/ 12/ 2001 – ص18- تعهّد وزراء حلف الشمال الأطلسي في بروكسل بمكافحة الإرهاب كأطول فترة ممكنة.

69- مجلَّة نيوزويك 6/ 11/ 2001م، يقتُل شارون ويدمِّر، بينما يطالب بوش الفلسطينيين بضبط النَّفْس.

70- الكفاح العربي 8/ 11/ 2001، أيضاً؛ الحياة 8/ 11/ 2001 تصريح عَمرو موسى أمين عامّ الجامعة العَرَبيَّة.

71- مجلَّة الهلال/ أيّار/ مايو 2001 ـ ص183 ـ أماني عبد الحميد ــ دعوة للحفاظ على الشخصية القومية.

72- ملفّ حوار – الصادر عن المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، العدد 27 ـ 2004 ـ مارك لينش، التفكير في التعامل بجدِّيَّة مع العَرَب، ص 5/ 6.

73- إدريس هاني – العَرَب والغرب ـ دار الاتّجاه ـ لبنان ـ 1998 ـ صفر 189.

74- د. علي البيكدلي – دور النهضة الإسلامية في النهضة الأوروبية ـ مجلَّة الصَّيَّاد، عدد 77 السنة 14 آب/ أغسطس 1995 – ص68.

75- مُحمَّد علي سرحان، إيران إلى أين؟ 1999 – دمشق ـ ص (43ـ44).

76- بدور مُحمَّد / لندن – مجلَّة النور ـ العدد 116 ـ كانون الثاني/ يناير 2000–ص48.

نبذة عن المؤلف

*** مُحمّد علي سرحان:**

* باحث وكاتب في الشؤون السِّياسيَّة، والاقتصاديَّة، والقضايا الاستراتيجية، وقضايا حوار الأديان والحضارات.

* له دراسات وأبحاث ومقالات عديدة في الصُّحُف والدوريات السورية، واللبنانية، والعَرَبيَّة، ومشاركات في المؤتمرات، والندوات الفكرية، والاقتصاديَّة، والعلمية.

* درس العُلُوم السِّياسيَّة، والقضايا الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والفلسفية، والإسلام، في آسيا الوُسْطَى، والتطوُّر الاقتصادي والاجتماعي في رُوسيا وأوروبا والولايات المُتَّحدة، ودور النقابات والأحزاب والحركات الاجتماعيَّة، إضافة لعلوم البيئة والفضاء، في الكُلِّيَّة العُليا بأحد المعاهد العُليا بمدينة مُوسكُو 1980.

* له برامج تلفزيونية، إعداد سيناريو وتعليق، وثائقية، منها برنامج رَقْم 14270، أرشيف التلفزيون السوري 2003.

* عُضو في الاتِّحاد العامّ للكُتَّاب والصُّحُفيِّيْن الفلسطينيِّيْن.

* عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب، جمعية البُحُوث والدراسات.

* مُؤلّفاته:

* الاقتصاد الصهيوني وبوادر الانهيار، بيروت.

* السياسة الأمريكية والاقتصاد العالمي، دار الجليل، 1986م.

* استراتيجية السلام العالمي، والعلاقات الدّوليَّة (طباعة خاصَّة).

* النظام العثماني والهجرة اليهودية إلى فلسطين ـ دار دمشق ـ 1993م.

* إيران إلى أين في عهد الرئيس خاتمي؟ (طباعة خاصَّة) 1999م.

* اللوبي الصهيوني العالمي، والحلف الاستعماري 2002م ـ اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب.

* العَرَب والمصلحة القومية في آسيا الوُسْطَى وبحر قزوين (طريق الحرير الأسود)، 2002.

* الستار النووي الإسرائيلي، دار الزاوية ـ عمّان، 1993.

* قضايا الشباب العربي المُعاصر.

* النيوليبرالية الأمريكية وأزمة النظام الاقتصادي العالمي.

* أمركة العالم في الشرق الأوسط وآسيا الوُسْطَى (مُثلّث الخيرات) 2006، دار الأوائل، دمشق.

صفحات للدراسات والنشر
سورية ـ دمشق ـ ص.ب: 3397
تلفاكس: 00963112233013
info@darsafahat.com

1) فن السيناريو في قصص القرآن (حوار فكري وحضاري جديد في النص)، د.جمال شاكر البدري.
2) اليد عجائب وأسرار في ضوء القرآن والسنة والضمير الإنساني، د. محمد عبد الباقي فهمي
3) اللغة السيكولوجية في العمارة المدخل في علم النفس المعماري، د. الحارث عبد الحميد حسن.
4) الصراع والمواجهة بين المثقف والسياسي، صاحب الربيعي.
5) سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور، صاحب الربيعي.
6) رؤية الفلاسفة في الدولة والمجتمع، صاحب الربيعي.
7) دور الفكر في السياسة والمجتمع، صاحب الربيعي.
8) المرأة والموروث في مجتمعات العيب، صاحب الربيعي.
9) تقنيات وآليات الإبداع الأدبي، صاحب الربيعي.
10) مهام الثقافة والمثقف، صاحب الربيعي.
11) دفاعاً عن الجهاد، آرشي أوغوستاين، ترجمة، مُحمَّد الواكد.
12) وُجهة نظر مسيحيّة، تفجيرات انتحاريّة أم استشهاد؟! آرشي أوغوستاين، ترجمة :مُحمَّد الواكد.
13) الموارد والمتطلبات المائية في حوضي (سوس ـ ماسة ودرعة) المغربي، صاحب الربيعي.
14) العشق والعاطفة (آراء وتصورات) ، صاحب الربيعي.
15) التلوث المائي الأسباب والمعالجات، صاحب الربيعي.
16) مؤسسات المياه وإعداد الكادر، صاحب الربيعي.
17) الفقه السّياسي عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، د. خالد سُليمان الفهداوي.
18) منهج التّعايش بين المُسلمين واستراتيجيّة التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة ، د.خالد سُليمان الفهداوي.
19) العلامة مُحمَّد رشيد رضا عصره وتحدّياته ومنهجه الإصلاحي ، د.خالد سُليمان الفهداوي.
20) التّشيُّع والعولمة رُؤية في الماضي والمُستقبل، د. جمال البدري.
21) السّيف الأخضر دراسة في الأصُوليّة الإسلاميّة المُعاصرة ، د. جمال البدري.
22) اليهُود وألف ليلة وليلة ، د. جمال البدري.
23) فعّاليّة القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النّصّ القرآني ، جهلان مُحمَّد.
24) أنماط العلاقات الاجتماعيّة في النّصّ القرآني دراسة سُوسيُولُوجيّة لعمليات الاتّصال في القصّة القرآنيّة (قصّة مُوسى تطبيقاً)، د.عبد العزيز خواجة.
25) أصالة الوُجُود عند صدر الدّين الشّيرازي من مركزيّة الفكر الماهوي إلى مركزيّة الفكر الوُجُودي، كمال عبد الكريم حُسين الشّلبي، تقديم : د صلاح الجابري.
26) تدويل الإعلام العَرَبي الوعاء ووعي الهُويّة، د. جمال الزرن.
27) رحلة الرّصافي من المُغالطة إلى الإلحاد دراسة تحليليّة نقديّة لكتابه الشّخصيّة المُحمّديّة د. مُحمَّد بن مُوسى بابا عمي وآخرون.

(الشّخصيّة المُحمَّديّة) كتاب ألّفهُ الشّاعر معروف الرّصافي، مَنْ يتأمّله يتيقَّن أنَّ ما جاء فيه من ادّعاءات وافتراءات على الله تعالى، وعلى القُرآن الكريم، وعلى الرّسول الأمين ، يتيقّن أنَّ نَشْرَ الكتاب في هذه المرحلة بالذّات، له أهداف، وأيّة أهداف!!.. يأتي كتابنا هذا رَدّاً عَقْليّاً منطقيّاً فلسفيّاً علميّاً، يكاد يكون خالياً من العواطف والانفعالات ورُدُود الفعل الآنيّة، التي تزخر بها الرُّدُود على كُتُب ما تُنشَر. وقد أقام الرّصافي فكرتَهُ كُلَّها على أساس أنَّ مُحَمَّداً عظيم من عُظماء البَشَر، ولكنّه ليس نبيّاً، وليس مُوحىً من الله، وأنَّ القُرآن من اختراعه، وأنَّ الإسلام من بنات أفكاره!! اشترك في تأليف هذا الكتاب ثُلّة من الأساتذة الدّكاترة، كُلّ حسب اختصاصه (دُكتُوراه فلسفة ومنطق، دُكتُوراه دولة في العقائد ومُقارنة الأديان، وفي اللُّغة العَرَبيّة، وفي علم الفَلَك، وفي اللُّغة والدّراسات القُرآنيّة).

28) أمْرَكَةُ العولمة في الشّرق الأوسط وآسيا الوُسطى مُثلّث الخيرات ، مُحمَّد سرحان.

ما هي خُطَّة الدّفاع الاستراتيجي الأمريكيّة لإعادة إحياء الحرب الباردة؟ قراءة في الإخفاقات المُتكرِّرة لسياسة الولايات المُتحدة..وهل ستنهج الإدارة الأمريكيّة سياسة مُتوازنة؟ وما هي سياسة واشنطن ورياح التّغيير في المنطقة العَرَبيّة؟ وهل الحرب مرآة لعصر التّكنولوجيا أم لسباق الهيمنة؟ وكيف اجتاحت العولمة الأمريكيّة أسوار الصّين؟ ولماذا تتخوّف أمريكا من الصّين

وكُوريا الشّماليّة؟ العَرَب والمصلحة القوميّة في آسيا الوُسْطَى.. ما هي الخريطة الجديدة للصّراع الحلف الأذري الإسرائيلي؟ أُوراسيا والمُخطّط الجيواستراتيجي..آسيا الوُسْطَى والشّرق الأوسط بين مخالب الدّول الكُبْرَى ..الأُمم المُتّحدة والحُكُومة الخفيّة العالميّة..العولمة الأمريكيّة وأولويّات العلاقات العَرَبيّة التّركيّة.. التّغلغل الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا ودُول البلطيق..

29)*ناستراداموس الألفيّة الجديدة ، جُون هُوغ ، ترجمة ، مُحمّد الواكد.*

مَنْ هُو ناستراداموس؟ كيف جمع بين الطِّبِّ والتّنبُّؤ؟ نماذج من نُبُوءاته..كيف تنبّأ بـ: مقتل هنري الثّاني؟ بحروب الدِّين في أوروبا؟ باغتيال هنري الثّالث؟ بحرب ضدَّ إمبراطُوريّتَيْن عَرَبيّتَيْن؟ بولادة الإمبراطُوريّات الجُمهُوريّة؟ بنابليون بونابرت؟ بالثّورة الفرنسيّة؟ بأعمال وحشيّة إرهابيّة؟ بمنطاد مُونت غاليفير؟ بسُقُوط رُوبيسبيري؟ بأنَّ نابليون هُو عدوُّ المسيح الأوّل؟ بالحرب الفرنسيّة الرُّوسيّة؟ بنابليون الثّالث والرّابع الثّاني؟ بانحطاط ما بعد الإمبراطُوريّة؟ بهتلر، وبمُوسُوليني، وبالشّخص الأحمر العظيم، وبراسبُوتين، وبلُغز قَتْل رُومانُوف، وبتنازل إدوارد الثّامن عن العرش، وبهيفتر عدوّ المسيح الثّاني، وبسُقُوط فرنسا، وبمعركة بريطانيا، وبباربارُوسا، وبهرمجدون، وبموت مُوسُوليني، وبموت عدوّ المسيح الثّاني، وبإلقاء القنبلة الذّرّيّة على هيروشيما، وبإسرائيل وفلسطين، وبالثّورة الهنغاريّة، وبتشارل دي غُول، وبالثّورات الثّقافيّة الصّينيّة، وبمقتل الأخوة كينيدي الثّلاثة، وبنُزُول أبولو على القمر، وبكارثة تشيرنُوبل، وبنهاية الشّيُوعيّة، وبكارثة تشالينجير، وبإطلاق النّار على رُوي ريب "رُونالد ريغن"، وبنكسة سُوق الأسهم الماليّة، وبمعاهدات تخفيض الأسلحة الاستراتيجيّة، وبمُذنّب هالي، وبالطّاعون، وبالبابا جُون الثّالث والعشرين، وبالبابا بُول السّادس، وبالاغتيال البابوي، وبالفضائح الماليّة في الفاتيكان، وبانتشار الإيدز، وبأنَّ ثُلثي العالم سينتهيان ويضمحلان، وببابُوس عدوّ المسيح الأخير(صدَّام حُسين، وجورج دبليو بوش، وأُسامة بن لادن)، وبالعقيد مُعمَّر القذّافي، وبياسر عرفات، وبتفجيرات 11أيلول (سبتمبر)2001 (الهُجُوم على الجبال المُجوّفة)، وبعمليّة عاصفة الصّحراء، وبحرب أمريكا المُفجعة ضدَّ الإرهاب، وبسلام في الأرض لوقت طويل، وبالحرب المنغوليّة العظيمة، وبالحرب العرْقيّة العالميّة العظيمة، وبإيحاء تأثير البيئة على المناخ، وبالجفاف العظيم النّاجم عن ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبأنَّ ملك الإرهاب الحقيقي هُو ارتفاع درجة حرارة الأرض، وبالكُسُوف العظيم في 11أغسطس/ آب 1999، وبرجال الرُّؤيا الجُدُد؛ مثل سُون ما يُونج، والحلاج، وبدي لاما، وبماهيش يُوغي، وبمهير بابا، وبالسّوامي باراماهانسا يُوغانادا، وبما بعد الألفَيْن، وبألفيّة من السّلام، وبكيف سينتهي العالم عام 3797بعد الميلاد!!

30)*أصُول البرمجة الزّمنيّة في الفكر الإسلامي دراسة مقارنة في الفكر الغربي ، د. مُحمّد بن مُوسى بابا عمي.*

مُحاولة أصيلة لإبراز نُقطة الالتقاء بين عناصر الحضارة الثّلاثة:(الدّين"أو القيَم"، والزّمن، والإنسان). بدأ المُؤلّف بالمُصطلح والعُلُوم الزّمنيّة والدّراسات الإسلاميّة، واهتمَّ بالأُصُول العقيديّة والتّقنيّة والغايات والأهدف، ثُمَّ اقترح أُصُولاً تقنيّة من خلال فقه الأولويّات والعقيدة وأُصُول الفقه، ثُمَّ اهتمَّ بالبرنامج اليومي من خلال القُرآن والسُّنّة النّبويّة، وحلَّل إشكاليّة المُصطلح العَرَبي في الفكر الإسلامي وفي الدّراسات الإسلاميّة الزّمنيّة خُصُوصاً، ثُمَّ أحصى جُملة العُلُوم التي لها علاقة عُضويّة بالبرمجة الزّمنيّة، ثُمَّ حلَّل الدّراسات الإسلاميّة في الزّمن والوقت و.. و..البحث – في مُجمله – لا يخرج عن كونه عملاً تأصيليّاً أوّليّاً، سعى جهده إلى التّدليل على أنَّ للبرمجة الزّمنيّة أُصُولاً وجُذُوراً دينيّة، وثقافيّة، وحضاريّة، وليست مُجرَّد عادات شكليّة، أو تصرُّفات ظاهريّة، وهذه بعينها هي الأطروحة التي يهدف الباحث إلى إظهارها، والدّفاع عنها.

31)*الإنسان ولُغته من الأصوات إلى اللُّغة (الكلام)، مارسيل لُوكان - ترجمة، د. ماري شهرستان.*

كيف تطوَّرت الجُمجُمة عند البشر؟ تسلسل الأحداث التّاريخيّة العامّة للجنس البشري، ما هي المناطق الحسّيّة والحواسّيّة، والمناطق المُحرّكة المُرتبطة بالسَّمْع ؟ هجرات الإنسان الماهر والمُنتصب والعاقل، مَنْ هُو الإنسان؟ ما هي الذّاكرة البيُولُوجيّة؟ نغنغة الطّفل وذاكرته اللُّغويّة، توازي التّطوُّر واللُّغة، الخيال التّطوُّري الطّوطمة، البشر في الماضي، الإرث اللُّغوي القبْتاريخي (قبل التّاريخ)، بداية العصر الجليدي المُعاصر، نتائج بُركان هائل، أوائل البشر المُتكلّمين، أقدم إنسان عُرف حتّى الآن، كيف تطوَّرت اللُّغات وتنوَّعت؟ ما هي مصادر اللُّغة؟ أصداء نموذجيّة أصليّة في الكلام، أصوات الكلام النّموذجيّة الأصليّة للإنسان المُنتصب، ثُمَّ العاقل، المُساعِدات الصّوتيّة، بدايات النُّموّ، هكذا تكلّم الإنسان المُنتصب قبل حوالي مليون سنة، ازدياد السُّكّان وتنوُّع اللُّغات، هجرات ولُغات أحفاد آدم، أحفاد حوّاء، هجرات العرب، مَنْ هُم العيلاميُّون؟ نُشُوء العَدِّ والصّناعة، نُشُوء الفنّ وتطوُّره، نهاية ما قبل التّاريخ، بدايات الاتّصال بين المُدُن، من اليد إلى اللّسان، بُنية الأُذن وتطوُّرها، حواسُّنا الخمسة، التّسلسل التّاريخي الحديث للُغات المحكيّة والمكتوبة، تطوُّر اللُّغة وإبداعيّتها، من التّصوُّر العقلي المجازي إلى المفهوم، نماذج المجاز، اتّصال، وعي، ثقافات، طُرُق انتقال المعرفة، التّكييف الاجتماعي باللُّغة، طُقُوس غذائيّة، ما هُو مُستقبل اللُّغات؟ ومَنْ هُو الإنسان النّاطق في المُستقبل؟ رُؤية مُستقبليّة.

32) ***العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن تفسير ابن كثير أنموذجاً، وحيد السّعفي.***

لنُبادر إلى طَمْأنَة القارئ؛ فهُو مُقبل على قراءة كتاب شيّق يتعلّق - لا محالة - بعلْم التّفسير؛ وهُو علم يقتضي الإلمام به معارف دقيقة، إلاّ أنّه - بكُلّ تأكيد - ليس كتاباً في التّفسير يُضاف إلى التّفاسير التي يضعها عُلماء الدّين. هُو كتاب يستعصي على التّصنيف بحسب المعايير المَدْرسيّة، ولعلّنا لا نتعسّف عليه تعسُّفاً كبيراً إنْ اعتبرنا أنّه أقرب ما يكون إلى الإناسة التّاريخيّة. وهُو - إلى جانب ذلك - مكتوب بلُغة أنيقة راقية مُمتعة تشدُّ القارئ شدّاً، وتُحلّق به - برفق وأناة - في دُنيا الظّنّ والأُسطُورة مثلما تجول به في قضايا الفكْر والمُجتمع ومجالات العقائد والمشاعر، وتنتقل به - من حيثُ لا يتوقّع - في الزّمان والمكان، من فترة البدايات إلى عصر المُفسّرين، وبين بيئات العَرَب، واليهُود، واليُونان، والهُنُود، وغيرهم، ثُمّ هُو كتابٌ طريفٌ من حيثُ رَبْطه بين عناصر مُستقلّ في الظّاهر بعضها عن بعض؛ حيثُ يطّلع عليها قارئ التّفسير الغُرّ، والذي ليست له هواجس وحيد السّعفي المعرفيّة وسَعَة اطّلاعه على تُراث الشُّعُوب، وعلى اتّجاهات البحث المُعاصر ومنهاجه.

33) ***المرأة عبر التّاريخ البشري الحضارات القديمة العبرانيّون - التّوراة - الفراعنة - الشّرق الأقصى - البُوذيُون - الصّينيُون - اليُونانيُون - رُوما القديمة - المسيحيُون الجاهليُون - الإسلام د. عبد المُنعم جبري.***

لعلّ هذا الكتاب هُو الأشمل والأدقّ في بحثٍ مُهمٍّ كبحث المرأة ... استعرض فيه مُؤلّفه تطوُّر حُقُوق المرأة عبر التّاريخ البشري، بدءاً من الحضارات القديمة، مُرُوراً بالعُصُور الوُسطى في أُوروبا والجاهليّة والإسلام، ثُمّ تحدّث عن أنّ المرأة، هل هي الّتي تُحدّد مصير العالَم؟ ومَنْ هي المرأة في أُنوثتها الأُولى والمُراهقة، وسنّ النُّمُوّ العقلي والجسدي؟ ثُمّ عرّج إلى المرأة في حضارات الشّرق الأوسط (بابل، التّوراة، الفراعنة، الكَهَنُوت) ثُمّ المرأة في حضارات الشّرق الأقصى (اليابان، الصّين)، (اليُونان، رُوما القديمة..) المسيحيّة والمرأة، عداء الكَهَنَة للمرأة، تحرير المرأة في نظام العائلة البّلشفي الشُّيُوعي الرُّوسي، المرأة الفارسيّة، المرأة في عصر النّهضة، الطّبيعة والتّاريخ في حقّ المرأة، واقع المرأة عبر العُصُور، المرأة العربيّة، (البداوة والإسلام وعصر النّهضة)... البغاء ودوافعه، اللُّواط، السُّحاق، المرأة المُسلمة عبر التّاريخ، المُساواة بين المرأة والرّجل (قانونيّاً)... وغيرها من الموضوعات المُهمّة جدّاً جدّاً.

34) ***التّوراة اليهُوديّة مكشوفة على حقيقتها رُؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأُصُول نُصُوصها المُقدّسة على ضوء اكتشاف علم الآثار، أ. د إسرائيل فنكلشتاين، فيل أشر سيلبرمان، ترجمة: سعد رُستم.***

الكتاب مُهمٌّ جدّاً جدّاً؛ لأنّه إقرار على لسان مُحقّقَيْن يهُوديّيْن؛ إسرائيلي وأمريكي، صاحبَيْ خبرة طويلة في التّنقيبات الآثاريّة، وعلم الآثار، بأنّ التّوراة الحاليّة ليست كُلُّها كلمة الله، فجاء كتابها هذا مُثيراً جدّاً، واستفزازيّاً جدّاً لليهُود؛ حيثُ أثبتا أنّ التّوراة الحاليّة قد كَتَبَهَا كَهَنَةُ يهُود في عهد الملك المُستقيم (يوشيا) ملك يهُوذا في القرن السابع ق.م، فيبدأ كُلّ فصل من فُصُول الكتاب بعرض الرّواية التّوراتيّة، ثُمّ يُعقّب بذكْر ما تقترحه المُكتشفات الآثاريّة، فكانت النّتائج التي وصل إليها المُؤلّفان العلمانيّان طعنة نجلاء في صميم المُعتقدات اليهُوديّة التّقليديّة، وتحطيماً للرُّمُوز الدّينيّة التّقليديّة لليهُود. ولعلّ أهمّ نُقاط الكتاب: 1- لا تُؤيّد الأدلّة الآثاريّة رواية الخُرُوج الجماعي من مصر بالشّكل والأعداد والطّريقة التي تذكرها التّوراة العبريّة. 2- لم يقم يشوع بن نُون بحملة غزوات مُوحّدة لفتح أرض كنعان. 3- داود سُليمان وُجدا تاريخيّاً، لكنْ؛ كانا أقرب إلى رئيسَيْ عشيرة منهما إلى مَلكَيْن، كما أنّ سُليمان لم يبن أيّ هيكل (معبد) هائل. 4- لم يكن هُناك دينٌ يهُودي مُوحّد في أغلب تاريخ يهُوذا (إسرائيل القديمة). 5- ليس هُناك دليل علمي على الوُجُود الحقيقي لشخصيّات مثل إبراهيم أو إسحق أو يعقوب. إنّ قُوّة وإفادة هذا الكتاب هُو بُطلان الدّعاوى الصّهيونيّة في أرض فلسطين استناداً لتواجدهم القديم فيها، أو أنّها أرض الميعاد، على لسان اثنَيْن من كبار عُلمائهم أنفسهم، اللّذَيْن أكّدا أنّ فلسطين كانت - وظلّت دائماً - مسكونة من عدّة شُعُوب تتالوا عليها كاليبوسيّيْن والكنعانيّيْن، والفلسطينيّيْن، والعماليق، والعَرَب، وأنّ الإسرائيليّيْن لم يكونوا إلاّ مجموعة هامشيّة فوضويّة نَمَتْ وسيطرت لفترة قصيرة على منطقة محدودة من المُرتفعات والتّلال المركزيّة في فلسطين، في حين كانت بقيّة فلسطين مسكونة من الكنعانيّيْن والفلسطينيّيْن وغيرهم.

35) ***خفايا الصراع بين العرب واليهودية الصهيونية الإسرائيلية، مُوفّق صادق العطّار.***

إنّ النُّصُوص الواردة في التّوراة والمُستخدمة لتبرير الطّبيعة العُدوانيّة والرّغبة الكامنة لدى الشّعب اليهُودي بالقتل والعُدوان الانفصال عن الآخرين من مُنطلق عُنصُري باعتباره المزعوم بأنّه شعب الله المُختار قد أيّدتها كتابات التّلمود، التي تُعدُّ كتابات مُقدّسة عند مُعظم الفرَق اليهُوديّة. يبدأ الكتاب بتعريف كتاب العهد القديم، ثُمّ التّوراة، وأسفار مُوسى الخمسة، ثُمّ يُلقي أضواء على النّصّ التّوراتي (من ناحية المُعتقد والإله)، ثُمّ يتحدّث عن تشويه العقيدة (الخلفيّة الدّينيّة، النّصّ التّوراتي، الإطار العامّ للنّصّ المُقدّس، الإصرار على تحريف العقيدة، اليهُود والإسلام)، ثُمّ يُفصّل في الصّهيونيّة والصّراع العَرَبي الإسرائيلي (حقيقة النّصر،

استغلال الحَدَث، أبعاد الموقف الإسرائيلي، الادّعاءات الباطلة)، ثُمَّ القُرآن الكريم والتّوراة، الغرب والصّهيونيّة، اللُّغة الإلهيّة، المسيح اليهُودي الصّهيوني، الولايات المتّحدة واليهُود اللاّساميّة كسلاح يهُودي للتّشهير، مُعاداة السّاميّة، طُمُوح نحو المزيد من السّيطرة، الجُمُوح إلى الهيمنة على صناعة السّينما، الولايات المتّحدة والعلاقة الخاصّة مع (إسرائيل)، طبيعة التّحالف الأميركي مع الصّهيونيّة، حُدُود الصراع (البُعْد الدِّيني للصِّراع العَرَبي الإسرائيلي، العَرَب والصّهيونيّة، أضواء على طبيعة الصّراع) أسماء رُؤساء الولايات المتّحدة، عدد اليهُود في دُول الاتّحاد الأورُوبي، وعددهم خارج دُول الاتّحاد الأورُوبي، وعددهم في دُول أورُوبا الشّرقيّة، التّوزيع الجَغرافي لليهُود في العالم، عدد أتباع أبرز الدّيانات في العالم، الأحزاب الإسرائيليّة المُتمثّلة في الكنسيت واتّجاهاتها.

36) *تاريخ مدينة دمشق وعلماؤها خلال الحُكم المصري ، خالد أحمد مفلح بني هاني ، تقديم د.منذر الحايك .*

تتناول هذه الدّراسة فترة تاريخيّة هامّة، نُظر إليها على أنّها من أهمّ فترات التّاريخ الحديث لبرّ الشّام. بدأ الباحث دراسته بالعُلماء والأعيان الدِّمشقيّين، وشُيُوخ الطُّرُق الصُّوفيّة، والأشراف، والعَسْكَر، والحِرَفيّين، والعامّة، والملاّكين، والفلاّحين، ثُمَّ تحدَّث عن دمشق قُبيل الحُكم المصريِّ، وعن الفتنة الدّاخليّة(1831 م) وعن المسيحيّين والمُسلمين، كما تحدَّث عن الإصلاحات المصريّة في برّ الشّام (الإدارة، والقضاء، والزِّراعة، والصّناعة، والتّجارة، والتّعليم، وعن المُتغيِّرات الرُّوحيّة والاجتماعيّة)، وبحث – بالتّفصيل – موقف العُلماء والأعيان في دمشق من الحُكْم المصريِّ، ورُدُود الفعْل والمواقف المحلّيّة الدِّمشقيّة، ثُمَّ تناول أساليب الحُكْم المصريِّ في التّعامل مع العُلماء والأعيان، ثُمَّ دَرَسَ نهاية الحُكْم المصريِّ، وآثاره السِّياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، وكيف انسحب المصريُّون، ثُمَّ أورد مُقارنة لتقييم أحكام بعض المُؤرِّخين لآثار الحُكْم المصري لبرّ الشّام.

37) *خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ويلسون براين كي ، ترجمة محمّد الواكد .*

ما هُو الهدف من الاستغلال الإعلامي الجنسي؟ هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلّ الطُّرُق التي تقوم بها كُلٌّ من المجلاّت والصُّحُف والأقنية التّلفزيونيّة والأفلام والمُوسيقى الشّعبيّة، والتي تقوم على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكْري للشّعب. بعد قراءته؛ لابُدَّ أنّكَ ستنظرُ، وتُنصتُ، وتُدركُ، ولكنْ؛ بطريقة جديدة تماماً. – لا تدعهم يضعون السِّتار أمام عينَيْكَ وأُذنَيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسِّكَ كُلّها... أيُّها المُشتري؛ كُنْ حريصاً! كُنْ حريصاً! أوّلاً من أنَّ الإعلان مُصمَّمٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي... ما هي الرُّمُوز المخفيّة في وسائل الإعلام الأمريكيّة؟ ما هي كيفيّة قيام تلك الرُّمُوز ببَرْمجة وتكييف عقلنا الباطن؟ إنَّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللاّشُعُوري؛لأنَّ وسائل الإعلام تَعْلَمُ كُلَّ شيء عن تخيّلاتكَ، ومخاوفكَ، وعاداتكَ المُتأصِّلة والعميقة، فهي تعلم – إذاً – كيف تستغلُّ مشاعركَ وسُلُوككَ الشِّرائي – كيفيّة قيام إعلانات الحلوى بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن – كَشْفُ أنَّ مجلاّت مثل "بلاي جير" و "فيفا" المُخصّصة للنّساء، هي – في الواقع – تستهدف الرِّجال – كيفيّة قيام إعلانات السّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسَّرَطَان – كيفيّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ، ومن أجل زيادة أرباحها – كيفيّة قيام إعلانات الأزياء بالتّوجُّه إلى السُّحاقيّة المُسْتَتِرَة – كيفيّة نجاح مُوسيقى الرُّوك الشّعبيّة السّاحق في ترويج المُخدِّرات – كيفيّة قيام صُور الأخبار بقَوْلَبَة وصياغة آرائكَ – كيفيّة تَضْمين وإخفاء كلمة من أربعة أحرف في صُور طعامكَ وفي صُور ملابسكَ من أجل إثارة الرّغبة الجنسيّة – كيفيّة قيام كُلِّ ذلك – وأكثر من ذلك بكثير – بإثارتكَ، واستعبادكَ، ومن دُون أدنى علم حسِّيٍّ بذلك! (صدمة مُدهشةٌ!) (سحْرٌ شديدٌ!) (الأمرُ يتطلّب أقصى درجات الحِرْص!).

38) *لُصُوص في مناصب مرمُوقة، لقد سَرَقُوا بلدَنا وعلينا أنْ نستعيدَهُ ، هاي تاوير ، ترجمة محمّد الواكد .*

يتحدَّث الصُّحُفي الأمريكي الشّهير في كتابه هذا، الذي أَحْدَثَ ضجّة كبيرة في الولايات المتّحدة عن أُمّة الكليبتُوقراطيّة (كُتلة من الشّعب مُدارة من قبَل لُصُوص).. ويُدلّل على أنَّ حُكُومة أمريكا هي حُكُومة تتّسم بعمليّة نَقْل وتحويل الأموال والسُّلطة من الأغلبيّة إلى الأقلّيّة، وأنَّ نُخبة من المُشرِّعين المُرْتَشين تغتصب الحُرِّيّةَ والعدالةَ والاستقلالَ، وحُقُوق أُخرى من الشّعب، ويدعو – بكُلِّ قُوّة – لإصلاح أمريكا، ويتحدّث عن شركات بُوش في نَزْع السّلاح، ويُدلِّل أنَّ الحادي عشر من أيلول وصدّام حُسَيْن كانا قد أَضْفَيَا تغطيةً مُسهبة وتبريراً للتّكتُّل العديم الشّفقة لرجال بُوش في سُلطة الحُكُومة، ويُثبت أنَّ بُوش – رجل النّفط – أعطي صفقة حميدة في هاركين إنيرجي، وأنَّ الذين أعطوه شراكة جوهريّة في تكساس رانجيرز لم يُحضروه إلى المجلس لقُدراته العقليّة أو لفطنته القياديّة، بل لأنّهم اشتروا رئيساً صُوريّاً ذا اسم مقبول على مُستوى البُنُوك.. ما هي حقيقة الضرائب في أمريكا؟ كيف يتمُّ التّلاعب

بالقوانين في أمريكا؟ ما هي حقيقة إمبراطُوريَّة المعايير المُزدَوَجَة للملك جُورج دبليُو بُوش؟! ما هي تعاليم بُوش؟ لقد أكلتْ إدارة بُوش كُلَّ شيء.. ما هي الويليقراطيَّة (سياسة التَذبذب)؟ أمريكا المُحتمَلَة.. حُرُوب النّفط.. أمريكا الجميلة.. كيف نهزم الشّيطان؟

39) ***المسيح عند اليهُود والنّصارى والمُسلمين وحقيقة الثّالوث ، د.عبد المُنعم جبري .***

الكتاب بحث مُوسَّع للتّعريف بعقائد النّصارى واليهُود من خلال العهد القديم والأناجيل المُعتمَدَة لدى المرجعيَّات الكَنَسيَّة، اعتمد فيه الباحث على التّلمود والأسفار والأناجيل، فعرَّف بكُلِّ طائفة من طوائفهم ومرجعيَّاتهم وأناجيلهم، قديماً وحديثاً، مُبيِّناً معنى المسيح في القواميس اللُّغويَّة؛ العبريَّة والعَرَبيَّة والمعاجم اللاّهوتيَّة، ومُعرِّفاً بالمذاهب النّصرانيَّة القديمة كالبيلاجُوسيَّة والنّسطوريَّة والمَلَكيَّة واليعقوبيَّة والكاثُوليكيَّة، مُرُوراً بالمارونيَّة والأرثُوذكسيَّة، ثُمَّ البرُوتستانتيَّة وشُهُود يَهْوَه، وحاول أنْ يُثبت أنَّه - ومُنذُ غياب المسيح - أخذ اليهُود يخترعون الآلهة لأُمِّ المسيح، ثُمَّ استعرض المسيح في قَصَص الأنبياء وعند المُسلمين، كما تحدَّث عن المسيح الدَّجَّال. الكتاب بانوراما تفصيليَّة تحليليَّة لما يعنيه المسيح عند اليهُود، وعند النّصارى، وعند المُسلمين..

40) ***لماذا الاغتيالات السّياسيَّة؟ د. مازن النّقيب .***

الاغتيال السِّياسيُّ موضوع هامٌّ شغل ألباب المُفكِّرين على مرِّ العُصُور؛ حيثُ كَتَبَ عنه عُلماء النَّفْس والاجتماع والسِّياسة والدِّين، ما هي النَّظريَّات العلميَّة في تفسير الاغتيال السِّياسيِّ؟ ما هُو الاغتيال السِّياسيُّ للدَّولة؟ اليهُوديَّة الصِّهيَوْنيَّة والاغتيال السِّياسيُّ. القصَّة الحقيقيَّة لكيفيَّة اغتيال (أبُو جهاد؛ خليل الوزير). اغتيال الشَّهيد زُهير مُحسن. اغتيال د. فتحي الشّقاقي مُؤسِّس الجهاد الإسلاميِّ. اغتيال (أبُو علي مُصطفى، علي حسن سلامة، وفاء إدريس، وغيرهم من شُهداء فلسطين). كيف تمَّت اغتيالات: حُسني الزَّعيم، سامي الحنَّاوي، أديب الشِّيشكلي، عدنان المالكي، الملك عبد الله الأوَّل، هزَّاع المجالي، وصفي التَّلّ، نُوري السَّعيد، الملك فيصل الثَّاني ملك العراق، أنور السَّادات، أنطُون سعادة، رشيد كرامي، كمال جُنبلاط،عبَّاس الموسوي، رينيه مُعوَّض، بشير الجميِّل،إيلي حبيقة، إسحق رابين، رحبعام زائيفي، مُحمَّد بُو ضياف، المهدي بن بركة، مُحمَّد فرح عيديد، عبد الفتَّاح إسماعيل، إبراهيم الحمدي، جُون كينيدي، باتريس لُومُومبا، د. مارتن لُوثر كينج، تشي غيفارا، أنديرا غاندي، شهبور بختيار، بعض السُّفراء الأتراك، المُونسينيُور دُوراتي.

41) ***العبادات في الأديان السّماويّة (اليهُوديّة - المسيحيّة - الإسلام ، والمصريّة والعراقيّة واليُونانيّة والرُّومانيّة والهندُوسيّة والبُوذيّة والزّرادشتيّة والصّابئيّة)، عبد الرّزاق رحيم صلال المُوحي .***

هذا الكتاب هامٌّ جدَّاً جدَّاً، فكم من النّاس والمُثقَّفين يعرف كيف يُصلِّي اليهُود؟ وكيف يُزكُّون؟ وكيف يتطهَّرون؟ وإلى أين يحجُّون؟ وكيف يصومون؟ وكيف يتوضَّؤون؟ وما هي أعيادهم؟ وكذلك الأمر بالنّسبة للمسيحيِّين و... هذه الدّراسة دراسة مُقارنة هامَّة تُبيِّن - وبالنُّصُوص المُوثَّقة من التّوراة والأناجيل والقُرآن الكريم والسُّنَّة النّبويَّة - ما أصاب بعض الدّيانات السّماويَّة من تحريف وابتعاد عمَّا نزل أصلاً في كُتُبها السّماويَّة، حتَّى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرِّمَ في كُتُبهم، وتحريم ما أُحِلَّ؟ وتبديل ما ليس يُبدَّل.

42) ***الماسُونيّة والمُنظَّمات السّرِّيّة ماذا فعلَتْ؟ ومَنْ خَدَمَتْ؟ عبد المجيد همُّو .***

الكَهَنُوت الأعلى في طيبة، القُوَّة الخفيَّة اليهُوديَّة، جماعة الآلهة ميترا وعبادتها، الغنُوصيَّة العرفانيَّة، الحشَّاشُون، النُّورانيُّون، البابيَّة، البهائيَّة، فُرسان الهيكل، الغاردُونا جماعة الصّليب الورديِّ، الفحّامون، أحباب الملاك الحارس، الخصَّاؤن، الماسُونيَّة:أصلها، نُشُوءها، تعريفها، من أين اسمها؟، محافلها، وأسماء ماسُونيَّة عالميَّة وعَرَبيَّة، اليمين التي يُقسمها المُنتسب للماسُونيَّة، ما الامتحانات؟ وما الاختبارات التي يخضع لها؟ الماسُونيَّة والسّياسة، التّجنيد لصالح اليهُود، علاقة الماسُونيَّة بالقَبّالة وبالتّلمُود، مُحاربة الأديان، التّوراة ولا شيء غيرها، مُحاربة الأُمم، كيف سقطت الإمبراطُوريَّة الرُّوسيَّة، كيف تفجَّرت الثّورة الفرنسيَّة، إعادة اليهُود إلى فلسطين، بناء الهيكل، الماسُونيَّة والتّنظيم، الماسُونيَّة الرّمزيَّة، كيف أُقيم أوَّل محفل، محافل أُورُوبة، محافل أمريكا، محافل البلاد العَرَبيَّة، مشاهير الماسونيِّين من الشّرق والغرب اللُّوثريَّة، البيُوريتانيَّة، أحبَّاء صِهْيَوْن، شُهُود يَهْوَه، الرُّوتاريَّة، بَنَاي بْريت، الدُّونمة، الاتِّحاد والتَّرَقِّي، العلْمانيَّة، الاشتراكيَّة العلميَّة، الاتِّحاد اليهُوديّ العامّ، الرّيفُورم بلُوتُو، أنوشيت، ثْرويد رست. كتاب يجمع مُعظم المُنظَّمات السّرِّيَّة العالميَّة، ويشرح كيف يتمُّ الانتساب لهذه الجمعيَّات. كتاب يسدُّ فجوة في المكتبة العَرَبيَّة، ويُعرِّي ويفضح اليهُود الذين كانوا السّبب الأهمّ وراء تأسيس مثل هذه المُنظَّمات السِّرِّيَّة.

43) *الحقيقة بين النُّبوءة والسِّياسة التوراة الأناجيل نُوستراداموس القرآن الكريم، مُحمَّد نضال الحافظ.*
هل كان انهيار بُرجَيْ مركز التجارة العالمي نُبوءة؟ ما مصير مَنْ دعا إلى ضرب مكَّة المُكرَّمة بقُنبلة نوويَّة؟ ما هي العلاقة بين العراق الآن وبابل زمن نبُوخذ نصَّر؟ ما قصَّة النُّبوءات في آخر الزَّمان؟ ما هي تلك النُّبوءات الإنجيليَّة والتَّوراتيَّة والقُرآنيَّة؟ وما علاقتها بالسِّياسة العالميَّة؟ ماذا يفعل اليهُود والمسيحيُّون والمُسلمون تجاه نُبُوءاتهم؟ كيف تبدو نهاية اليهُود و(إسرائيل) من خلال التَّوراة والتَّلمُود والأناجيل ونُوستراداموس والقرآن الكريم؟ العراق وبابل واليهُود ونُوستراداموس، هل نسي اليهُود كيف أسرهم نبُوخذ نصَّر وسباهم إلى بابل؟ هل يُحاول اليهُود (أمريكا - بريطانيا) الانتقام من العراق؟ هل من المُمكن أنْ تكون هُناك ضربة نوويَّة للعراق؟ المسيحيَّة الصِّهْيَوْنيَّة - نشأتها ومشاهيرها، بُروتُوكُولات حُكماء صِهْيَوْن، السِّياسيُّون الأمريكيُّون ونُبُوءات التَّوراة والأناجيل ونُوستراداموس، معركة هرمجدون والحرب العالميَّة النَّوويَّة الثَّالثة، المُؤامرات اليهُوديَّة الأمريكيَّة، فلسطين واليهُود والتَّوراة والتَّلمُود ونُوستراداموس، هل بدأ يوم القيامة؟! لنتعرَّف الحقيقة المُذهلة من خلال كتاب الحقيقة بين النُّبوءة والسِّياسة.

44) *السَّيف الأحمر دراسة في الأُصُوليَّة اليهُوديَّة المُعاصرة، د. جمال البدري.*
الصِّهْيَوْنيَّة انعكاس لليهُوديَّة، و(إسرائيل) انعكاس للصِّهْيَوْنيَّة. - الأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة هي القاسم المُشترك بين اليهُوديَّة والصِّهْيَوْنيَّة و (إسرائيل). . - إنَّ الوظيفة القوميَّة لهذه الأحزاب تجسيد لجوهر الرُّؤية اليهُوديَّة الصِّهْيَوْنيَّة، وليس - هُناك - فرق استراتيجيٌّ بين اليسار / اليمينيّ/ الوسط، فكُلُّها تتبنَّى الرُّؤية التَّلمُوديَّة. - ما هي السِّمات والاتِّجاهات التَّاريخيَّة للدِّيانة اليهُوديَّة؟ - ما هي السِّمات الأساسيَّة للفكر الدِّينيِّ الإسرائيليِّ؟ - ما هي الاتِّجاهات اليهُوديَّة الحديثة قبل الحركة الصِّهْيَوْنيَّة؟ - نشأة وتطوُّر الأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة. - نشأة الحركة الصِّهْيَوْنيَّة في أُورُوبا. التَّطبيقات الإيديُولُوجيَّة للأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة. - حركة غوش ايمُونيم الثِّيُوقراطيَّة والدِّيمُقراطيَّة الصِّهْيَوْنيَّة. - ما هي الوظيفة القوميَّة للأحزاب الدِّينيَّة الإسرائيليَّة في إطار الصِّراع العَرَبيِّ الصِّهْيَوْنيِّ؟ - التَّهجير والاستيعاب - الوظيفة الأمنيَّة والعسكريَّة. - تعداد الشَّخصيات الدِّينيَّة الرَّئيسيَّة اليهُوديَّة الإسرائيليَّة. - المُنظَّمات الدِّينيَّة الجديدة وصُعُود العُنْصُر الدِّينيِّ بعد 1967. - توسُّع الجيش الإسرائيليِّ في تجنيد المُتطرِّفين اليهُود. - تعداد أحزاب الكيان الصِّهْيَوْنيِّ التي تخوض انتخابات الكنيست.

45) *كيف صَنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست؟ نُورمان فنكلشتاين، ترجمة: د. ماري شهرستان.*
قال الحاخام آرنولد جاكوب فُولف مُدير جامعة دي يال: «يبدو لي أنَّهم يبيعون الهُولُوكُوست عوضاً عن أنْ يُعلِّموه». إنَّ هذا الكتاب هُو في - آن واحد - تشريح واتِّهام لصناعة الهُولُوكُوست. إنَّه يُؤكِّد أنَّ الهُولُوكُوست هُو تقدمة إيديُولُوجيَّة للهُولُوكُوست النَّازيِّ. إنَّ إحدى أكبر القُوَّات العسكريَّة وأعظمها في العالم؛ وحيثُ إنَّ فيها انتقاصات حُقُوق الإنسان هائلة قدَّمت نفسها كبلد ضحيَّة. وقد جنت أرباحاً وفوائد هائلة عن هذا الوضع - الضَّحيَّة الذي لا مُبرِّر له. وخُصُوصاً الحصانة في مواجهة النَّقْد حتَّى الأكثر ثُبوتاً وسناداً. يقول فنلكشتاين: كان أهلي يندهشون - غالباً - عندما يجدون أنَّني مُستنكر - إلى حدٍّ كبير - تزوير واستغلال الإبادة النَّازيَّة - الجواب الوحيد والأبسط هُو التُّهم التي يستعملونها لتبرير السِّياسة الإجراميَّة لدولة (إسرائيل) ودَعْم الولايات المُتَّحدة لهذه السِّياسة. هُناك - أيضاً - دافع شخصيٌّ؛ إنَّه الحملة الحاليَّة لصناعة الهُولُوكُوست الهادفة إلى ابتزاز المال من أُورُوبة على حساب الضَّحايا المُحتاجين للهُولُوكُوست، وضعت استشهادهم في مُستوى أخلاقي لكازينو مُوناكو. نُورمان ج. فنكلشتاين يهُوديٌّ يفضح كيف صَنَعَ اليهُود الهُولُوكُوست، وكيف يستثمرونه، وكيف يخدعون به الدُّنيا وأُورُوبة وأمريكا.

46) *الخديعة الكُبرى هل اليهُود - حقّاً - شعب الله المُختار؟ د. مُحمَّد جمال طحّان.*
بماذا وَصَفَ مُفكِّرون أُورُوبيُّون وأمريكيُّون اليهُودَ؟ ما مدى العداء الذي يُكنُّه الصَّهاينة للسَّيِّد المسيح أو لنبيِّ الإسلام؟ تقول نيستا ويبستر: إنَّ المفهوم اليهُوديَّ السَّائد عن فكرة شعب الله المُختار هُو مفهوم سياسيٌّ محض ابتكره الحاخامات لحَضِّ اليهُود على السَّعي الدَّؤوب للسَّيطرة على العالم، ويُعتبر هذا الشِّعار أساس الدِّيانة الحاخاميَّة التَّلمُوديَّة.

47) *الرِّحالة ک طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرَّحمن الكواكبي، تحقيق: د. مُحمَّد جمال طحّان.*
تأتي أهمِّيَّة الكواكبيّ وأهمِّيَّة كتابه طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد من أجل أنْ نتعلَّم من الماضي كي لا نُلدغ من الجحر مرَّتَيْن، ويأتي نَشْر الطَّبائع استكمالاً لدراسة أفكاره التي بدأت في أمِّ القُرى. ويقول: تمحَّصَ عندي أنَّ أصل الدَّاء هُو الاستبداد السِّياسيُّ ودواؤه دَفْعُهُ بالشُّورى الدُّسْتُوريَّة. ويقول: (ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحُكُومات خاصَّة؛ لأنَّها أعظم مظاهر أضراره). ويقول: إنَّ خوف المُستبدِّ من نقمة رعيَّته أكثر من بأسه؛ لأنَّ خوفه ينشأ عن علْمه بما يستحقُّه منهم، وخوفهم ناشئ عن

جهل؛ وخوفه عن عجز حقيقيٍّ، وخوفهم عن توهُّم التّخاذل فقط؛ وخوفه على فَقْد حياتـه وسُـلطانه، وخـوفهم عـلى لُقيمات مـن النّبات وعلى وطن يألفون غيره في أيّام، وخوفه على كُلِّ شيء، تحت سماء مُلكه، وخوفهم على حياة تعيسة فقط.

48) *أمّ القُرى مؤتمر النّهضة الإسلاميّة الأوّل ، عبد الرّحمن الكواكبي ، تحقيق : د. محمّد جمال طحّان .*

ممّا نادى به الكواكبيُّ في كتابه هذا : يجب ألاّ يُصرَّ أحد على رأيه الذّاتيّ، وألاّ يُمانع في العُدُول عن خطئه – سبب الفُتُور هُو تحوُّل السّياسة الإسلاميّة من ديمُقراطيّة إلى مَلَكيّة مُقيّدة، ثُمّ إلى مَلَكيّة مُطلقة – إنَّ البليّة هي فَقْدُنا الحُرّيّة، حُرّيّة التّعليم والخطابة والمطبوعات والمُباحثات – كأنَّ مُجرَّد كون الأمير مُسلماً يُغني حتّى عن العدل، وكأنَّ طاعته واجبة ولو كان يُخرِّب البلاد، ويظلم العباد – إنَّ طاعة أُولي الأمر واجبة، ولكنْ؛ مع العدل، فالحاكم العادل الكافر أفضل من المُسلم الجائر وأَوْلى بحُكْم المسلمين – صرنا نتبع الأشخاص بدلاً من التّمسُّك بديننا الحنيف – إنَّ المنشأ لكُلِّ فساد هُو انحلال السُّلطة القانونيّة وتسلُّط لَرْد عليها، فضلاً عن دُخُول ديننا تحت ولاية العُلَماء الرّسميّين؛ أي الجهّال المُتعمِّمين، إنَّ الاقتصار على العُلُوم الدّينيّة يُضعفُ المُسلمين، ولابُدَّ من دراسة العُلُوم الرّياضيّة والطّبيعيّة أيضاً. إذْ ترك الخُطباء التّحدُّث في الأمور العُمُوميّة، وعدّوا ذلك لَغْواً. وهكذا تأصّل فينا فَقْدُ الإحساس – إنَّ السّبب الأكبر للفُتُور هُو تكبُّر الأمراء وميلهم إلى العُلَماء المُتملِّقين المُنافقين الذين يُزيِّنون لهم الاستبداد . إنَّ أفضل الجهاد هُو الحَطُّ من قَدْر العُلَماء المُنافقين عند العامّة، وتحويلهم لاحترام العُلَماء العاملين حتّى لا يلبث أنْ يحترمهم الأمراء أيضاً، ويأخذوا بآرائهم. وهكذا؛ نجد أنَّ أمّ القُرى واحد من الكُتُب المُذهلة، إنْ حذفنا منه تاريخ تأليفه، فلن نشكَّ لحظة واحدة، في أنّه قد أُنجز تَوّاً، وخُصُوصاً أنَّ صاحبه قد وقّعه باسم السَّيِّد الفُراتي.

49) *التّوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القدّيسَيْن بُولس ويُوحنّا ، سعد رُستُم .*

يُؤكِّد المُؤلِّف من الأناجيل الأربعة ومن رسائل بُولُس ويُوحنّا أنَّ المسيح عيسى – عليه السّلام – أكّد أنَّ الله هُو الإله الواحد الأحد، وأنّه– المسيح – بشرٌ وإنسانٌ، ويُؤكِّد المُؤلِّف أنَّ مَنْ يقرأ الأناجيل لن يجد عبارة واحدة صريحة لسيِّدنا المسيح يدعو فيها أتباعه للإيمان بأُلُوهيّته، وبلُزُوم عبادته، أو يُصرِّح فيها لهم بأنّه ربُّ العالمين وإله الخلائق أجمعين المُتجسِّد الذي انقلب بشراً، أو يُصرِّح لهم فيها بعقيدة التّثليث...

50) *نَقْدُ الدّين اليهُودي ، جميل خرطبيل .*

أُسطُورة العهد القديم ـ الدِّين ـ يَهْوَه ـ الخُرُوج ـ الأساطير ـ الخليقة والطُّوفان ـ ولادة إبراهيم ومُوسى ـ داود ـ سُليمان ـ اصطفاء اليهُود ـ لا أخلاقيّات شخصيات العهد القديم ـ يَهْوَه وأخطاؤه ـ صراعه وندمه ـ إبراهيم ـ راحيل ـ ثامار ـ يشُوع...

51) *المسيحيّة وأساطير التّجسُّد في الشّرق الأدنى القديم اليُونان سُوريّة مصر، دانييل إ باسُوك، ترجمة، سعد رُستُم.*

يُؤكِّد المُؤلِّف الباحث الأمريكي باسُوك في كتابه هذا أنَّ عقيدة التّجسُّد في المسيحيّة عقيدة خُرافيّة،وفكرة وَثَنيّة دخيلة،نفذت إلى المسيحيّة من وَثَنيّة اليُونان والرُّومان.ويرى أنَّ رسالة المسيح بذاتها كانت رسالة أخلاقيّة توحيديّة بسيطة،لا تعقيد فيها،فالمسيح نشأ يهُوديّاً،مُؤمناً، وترعرع في بيئة توراتيّة مُتديِّنة،من ركائزها الأساسيّة التّأكيد على وحدانيّة الله تعالى الخالصة،والفصل التّامّ بينه وبين مخلوقاته من البشر. إنَّ المسيح هُو عبد الله،وليس ابناً لله،هُو نبيُّ الله،وليس ابناً لله...

52) *المرأة اليهُوديّة بين فضائح التّوراة وقبضة الحاخامات ، ديب علي حسن*

المرأة في التّوراة (إبراهيم وسارة وهاجر، يعقوب وراحيل والزّواج من أُختَيْن، يهوذا يزني بكنّته تامر، أمنون يغتصب أخته ثامار) سالومي ورأس يُوحنّا المعمدان، المرأة اليهُوديّة في الحياة الدِّينيّة المُعاصرة.المرأة في الجيش الإسرائيلي، حاخامات يهُود يُديرون شبكات الدّعارة و المُخدِّرات في العالم.كيف حاولت (إسرائيل) تصدير عبادة الشّيطان إلى مصر ؟ تفاصيل العمليّة القذرة لاتّهام سفير مصر في (إسرائيل) بمُحاولة اغتصاب راقصة إسرائيليّة.الكتاب دراسة موثُوقة تُبيِّن وتفضح وتُعرِّي كيف لعب حاخامات يهُود بالنّساء اليهُوديّات وعن طيب خاطرهنَّ مُنذُ وُجد اليهُود إلى الآن.

53) *الوصايا المغدورة (التّرجمة الكاملة) ، ميلان كُونديرا ، ترجمة : معن عاقل .*

هذه الدّراسة النَّقْديّة مكتوبة بشكل رواية على مدى تسعة أجزاء مُستقلّة، تتقدّم الشّخصيّات ذاتها وتتلاقى: سترافينسكي وكافكا وأنسير ميه وبرود، همنغواي مع كاتب سيرته..وفنُّ الرّواية هُو البطل الرّئيس للكتاب، والذي يبحث الحالات الهامّة في عصرنا : الدّعاوى الأخلاقيّة التي أُقيمت ضدَّ فنِّ هذا العصر من سيلين إلى ماياكُوفسكي..الحياء بوصفه مفهوماً جوهريّاً لعصر مُؤسَّس على الفرد..القُوّة الغامضة لإرادة الموت، الوصايا، الوصايا المغدورة. وُلد ميلان كُونديرا في تشيكُوسلُوفاكيا، واستقرَّ في فرنسا عام 1975، ويُعَدُّ من أشهر الرّوائيّين في هذا القرن، وكَتَبَ هذا الكتاب باللُّغة الفرنسيّة. وهُو من الرّوائيّين المُثيرين للجَدَل في العالم.

54) *المُحاورة ، ميلان كونديرا ، ترجمة : معن عاقل .*
وضعتْ ـ بعد ذلك ـ كفَّيْها على وركَيْها، وزلقتْهُمَا على امتداد الجذع. رفعتْهُمَا فوق الرّأس،ثُمَّ تسلَّقتْ يدُها اليُمنى على امتداد ذراعها اليُسرى المرفوعة، ويدها اليُسرى على امتداد ذراعها اليُمنى، وأنهتْ حركة الذّراعَيْن..أعادتْ ـ بعد ذلك ـ يدَيْها إلى وركَيْها، وزلقتْهُمَا على امتداد السّاقَيْن،رفعت السّاق اليُمنى، ثُمَّ السّاق اليُسرى وهي مُنحنية، ثُمَّ نظرتْ إلى المُدير، وحرَّكتْ الذّراع اليُمنى مُلقيةً إليه بتنُّورتها الوَهْميَّة. مَدَّ المُدير يده وأحكم قبضته، وأرسل بيده الأُخرى قُبلة. كانت مُتفاخرة بعُريها الوَهْمي، ولم تَعُدْ تنظر إلى أحد، راحت تنظر إلى جسدها المُتموِّج،وعيناها نصف مُغمضتَيْن، ورأسها مائل جانباً... تحطَّمت ـ بعد ذلك ـ وضعيَّة الزُّهُو..

55) (إسرائيل) الرّؤساء – رُؤساء الكنيست – رُؤساء الحُكُومات مُنْذُ الإنشاء حتَّى 2006 م، د. أسامة جُمعة الأشقر – حسن عادل الرّفاعي.
56) العبادات في الدّيانات القديمة، المصريَّة، العراقيَّة، الرُّومانيَّة، الهندُوسيَّة، البُوذيَّة،الصينيَّة، الزرادشتيَّة، الصّابئيَّة، عبد الرزاق المُوحي.
57) العبادات في الدّيانة اليهُوديَّة، عبد الرَّزّاق المُوحي.
58) العبادات في الدّيانة المسيحيَّة، عبد الرَّزّاق المُوحي.
59) الاستبداد والمرجعيَّة في الخطاب الإسلاميّ دراسة الحالة المُعاصرة، أ. د. خالد مدحت أبُو الفضل، تقديم : أنور إيمان .
60) لُورنس والقضيَّة العَرَبيَّة 1888 – 1935 ، حسام علي مُحسن المدامغة .
61) تاريخ مدينة دمشق خلال الحُكْم الفاطميّ ، د. مُحمَّد حُسين محاسنة .
62) المُثقَّف وديمقراطيَّة العبيد ، د. مُحمَّد جمال طحَّان .
63) القصر المسحور (سيِّد الباب السّابع) ، إيفلين بريزو بيللين ، ترجمة : فاطمة عابدين .
64) القضيَّة الكُرديَّة والحلّ المنشود التّاريخ الواقع المُستقبل ، د. خالد سُليمان الفهداوي .
65) عالية الهاشميَّة ملكة العراق سيرة وأحداث 1934 – 1950 ، د. مُحَمَّد حمدي صالح الجَعْفري .
66) الفكر والسّياسة لدى الجمعيَّات والمُنتديات والأحزاب العَرَبيَّة حتَّى نهاية الحرب العالميَّة الأُولى ، زُهير عبد الجبَّار الدُّوري .
67) نساء في قُصُور الحُكَّام (ومن الجنس ما قَتَلَ) ، مازن النّقيب .
68) مُثلَّث الدّم شارُون أمس ، اليوم ، غداً ، د. جمال البدري .
69) المرأة في حياة وشعر الجواهريّ ، ديب علي حسن .
70) تشنيف السَّمْع في انسكاب الدَّمْع (من جميل تُراثنا) ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي ، تحقيق : مُحمَّد عايش .
71) التّمييز ضدَّ غير اليهُود في (إسرائيل) مسيحيِّيْن كانوا أم مُسلمين ، د. سامي الدِّيب ، ترجمة : د . ماري شهرستان.
72) مُخيَّم جنين من النّكبة إلى الانتفاضة ، علي بدوان .
73) امنحوني فُرصة للكلام ، د. مُحمَّد جمال طحَّان .
74) تحوُّلات الذّات الثّقافي العَرَبيّ مُقاربات معرفيَّة ، د. إسماعيل الرُّبيعي .
75) وحدة الوُجُود من الغزالي إلى ابن عَرَبي ، مُحمَّد الرّاشد .
76) نظريَّة الحُبّ والاتّحاد في التّصوُّف الإسلاميّ من الحُبّ الإلهيّ إلى دوامات الاتّحاد المُستحيل ، مُحمَّد الرّاشد .
77) القُرآن وتحدِّيات العصر رحلة الشّكّ والإيمان ، مُحمَّد الرّاشد .
78) إشكاليَّة وحدة الوُجُود في الفكر العَرَبيّ الإسلاميّ (الله والإنسان والعالم في الحضارات الإنسانيَّة) دراسة تحليليَّة رُؤيويَّة، مُحمَّد الرّاشد.
79) مسارات وحدة الوُجُود في التّصوُّف الإسلامي الله الإنسان العَالَم ، مُحمَّد الرّاشد .
80) العبور إلى المستقبل (محطات في الدين والحياة والحب) د.محمد الراشد.
81) المسؤوليَّة في القانون الجنائيّ الاقتصاديّ دراسة مُقارنة بين القوانين العَرَبيَّة والقانون الفرنسيّ ، محمُود داوود يعقوب.
82) أبحاث في التّوازن والميزان، المهندس بشّار عطّار.
83) الحقّ الذي لا يُريدون ، دراسة في روايات الأحاديث على ضوء القُرآن الكريم ، عدنان غازي الرّفاعي .
84) قصَّة الوُجُود دراسة قُرآنيَّة في فلسفة الموت والحياة لعالَمَيْ الإنس والجنّ، عدنان غازي الرّفاعي.

ما هي خُطّة الدّفاع الاستراتيجي الأمريكيّة لإعادة إحياء الحرب الباردة؟

قراءة في الإخفاقات المُتكرّرة لسياسة الولايات المُتّحدة..وهل ستنهج الإدارة الأمريكيّة سياسة مُتوازنة؟ وما هي سياسة واشنطن ورياح التّغيير في المنطقة العَرَبيّة؟ وهل الحرب مرآة لعصر التّكنولوجيا أم لسباق الهيمنة؟ وكيف اجتاحت العولمة الأمريكيّة أسوار الصّين؟ ولماذا تتخوّف أمريكا من الصّين وكُوريا الشّماليّة؟ العَرَب والمصلحة القوميّة في آسيا الوُسْطَى.. ما هي عوامل الانحراف في آسيا الوُسْطَى؟ اللّوبي الصّهيوني ومُحاولات تخريب العلاقات الرّوسيّة العَرَبيّة.. ما هي الخريطة الجديدة للصّراع الحلف الأذري الإسرائيلي؟ أوراسيا والمُخطّط الجيواستراتيجي..آسيا الوُسْطَى والشّرق الأوسط بين مخالب الدّول الكُبْرَى ..الأمم المُتّحدة والحُكومة الخفيّة العالميّة..العولمة الأمريكيّة وأولويّات العلاقات العَرَبيّة التّركيّة..العولمة والدّور الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى التّغلغل الإسرائيلي في آسيا الوُسْطَى ورُوسيا ودُول البلط

